الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة لتعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الجزائر -2-
معهد الآثار

المنجزات المعمارية والفنية لصالح باي
دراسة أثرية 1772-1792م

أطروحة لنيل درجة دكتوراه العلوم في الآثار الإسلامية

إعداد الطالب:
طاهري عبد الحليم

إشراف الأستاذ الدكتور :
عبد العزيز لعرج

لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة العلمية	الجامعة	الصفة
خيـــرة بن بلـــة	أستاذ التعليم العالي	جامعة الجزائر 2	رئيسا
عبدالعزيز لعرج	أستاذ التعليم العالي	جامعة الجزائر 2	مشرفا ومقررا
طيـــان شريفـــة	أستاذ التعليم العالي	جامعة الجزائر 2	عضوا مناقشا
فاطمة الزهراء قشي	أستاذ التعليم العالي	جامعة قسنطينة	عضوا مناقشا
اسماعيل بن نعمان	أستاذ التعليم العالي	جامعة الجزائر2	عضوا مناقشا
عائشـــة حنافي	أستاذ التعليم العالي	جامعة الجزائر2	عضوا مناقشا
عزوق عبد الكريم	أستاذ التعليم العالي	جامعة الجزائر2	عضوا مناقشا

السنة الجامعية: 2017-2018


بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

أول الشكر لله عز وجل الذي أمدنا بالقوة والصبر وسدد خطانا وأعاننا على إنجاز هذا العمل

كما أتقدم بالشكر إلى قدوتي الأستاذ الدكتور عبد العزيز لعرج لبالغ حرصه وتوجيهاته القيمة ومتابعته المستمرة ، ولما قدمه لنا من جهد وعون في إتمام هذه الرسالة وإظهارها بالشكل النهائي والذي لم يبخل علينا بمساعدته ونصائحه.

وإلى كل من ساعدني في إخراج هذا العمل من قريب أو بعيد.

الإهداء

أحمد الله عز وجل على هذه النعمة التي أكرمني بها

واستطعت بفضله

وقدرته أن أنهي هذا العمل

إلى التي طالما تشبعت بفضلها إلى منبع الحنان وحضن الأمان

" والدتي الغالية " التي لن أنسى فضلها ماحييت .

إلى روح والدي

إلى إخوتي وأخواتي

وإلى كل الأصدقاء

وإلى كل من عانى ومازال يعاني من أجل تحقيق أهدافه.

طاهري عبد الحليم



مقدمة:

1- التعريف بالموضوع :

تعتبر فترة حكم صالح باي من أهم الفترات في تاريخ بايلك الشرق بصفة عامة وفي تاريخ مدينة قسنطينة بصفة خاصة ، حيث شهد البايلك فترة مزدهرة في جميع الميادين السياسية والاقتصادية والثقافية والعمرانية وهذا منذ توليه مقاليد السلطة سنة 1772م .

لقد تميزت عاصمة البايلك بتوسعات عمرانية قبل فترة صالح باي لكن الإضافات التي جاءت في فترته غيرت من معالم مدينة قسنطينة ومن تخطيطها العام ، حيث لم يكتفي بالطابع العثماني بل زاوج بين الطابعين المحلي والوافد. و انطلاقا من هذه الزاوية فإن دراسة منجزات صالح باي العمرانية في جانبها التاريخي والأثري يجعلنا نقف على شخصية هذا الباي واهم أعماله في جميع الميادين بالإضافة إلى دراسة المنشآت المعمارية المشيدة في فترته والمتبقية إلى الآن من حيث نظامها المعماري كتلة وتخطيطا وأقساما وعناصر ومواد بنائية ومنظومة فنية وزخرفية ، هذا ويرتبط أيضا بالجانب العمراني جوانب حضارية أخرى فالثقافة التي سادت في فترة صالح باي جعلت الباحثين الغربيين يندهشون لمدا التطور والرقي الحضاري الذي بلغته المدينة وما المؤسسات الدينية والعلمية التي شيدها صالح باي لدليل واضح على هذا التطور .

كما وجب علينا في هذا الموضوع عدم إغفال ما لدور مؤسسة الوقف التي شيدها صالح باي وقام بربطها بمجموع المؤسسات الدينية والعلمية التي شيدها .

إن صالح باي شيد مجموعة متكاملة من العمائر بطريقة فنية وهندسية تنم عن ذوقه الفني وكذا تأثره بالطراز العثماني الراقي في مدينة اسطنبول التي تأثر بها قبل مجيئه إلى الجزائر .

على الرغم من بقاء بعض العمائر سواء داخل مدينة قسنطينة أو خارجها حيث سلمت من بطش المستعمر الفرنسي إلا أن جل العمائر التي شيدت في فترة صالح ياي أصابها التدمير والتخريب من طرف المستعمر ، ولولا بعض الكتابات الفرنسية لما عرفنا هذه العمائر ولما عرفنا تخطيط المدينة ، ومن أبرز العمائر المتبقية والتي تناولناها بالدراسة والتحليل مركب سيدي الكتاني الذي يعد تحفة معمارية وآية في الروعة والجمال استطاع بها الباي منافسة أرقى المركبات الدينية التركية كما لا يفوتني التذكير أيضا بمنزله المجاور لمركبه الديني ، وقد ضم هذا المركب جامعا ومدرسة وضريحا سميت بمركب سيدي الكتاني ، هذا بالإضافة إلى مدرسة أخرى داخل أسوار المدينة مجاورة لمسجد سيدي الأخضر .أما خارج المدينة فقد شيد مركبا آخر سمي بمركب سيدي محمد الغراب وعلى الرغم من محافظة بعض أجزائه على أصالتها إلا أن الجزء الأكبر منه تعرض لتجديدات غيرت من جوهره وأصالته الأولى ، ولولا بعض المقارنات بينه وبين منجزاته الأخرى لما تمكنا من فهم بعض الجوانب المتعلقة بهذا المركب الديني .

كما أن إنجاز صالح باي لهذا المركب في هذه القرية لدليل واضح على اهتمامه بالمناطق النائية .كما أن إنجازه لجامع في مدينة عنابة لديل آخر على الاهتمام الذي خصه لجل مدن البايلك .

2- أهمية اختيار الموضوع:

- جاء اختيار موضوع "المنجزات المعمارية والفنية لصالح باي" ليكون موضوع بحث ودراسة رغبة في الكشف عن جانب مهم في ثقافة المجتمع الجزائري وحضارته في فترة كاد الدارسون والغربيون منهم على وجه الخصوص ، أن يتفقوا على جفاف منابع الحضارة فيها.

- بالرغم من بقاء المعالم المدروسة صامدة عبر الزمن إلا أنها تعرضت لتغييرات كبيرة ومع ذلك فإنها تعطينا فكرة واضحة عن مدى الرقي والازدهار في المجال المعماري والفني وكذا حتى الجانب الاقتصادي لأنه لولا الأموال الكبيرة التي خصصها صالح باي لما شيدت هذه المعالم .

3- أهداف اختيار الموضوع:

بالنسبة لنا فالهدف الرئيسي من اختيار موضوع المنجزات المعمارية والفنية لصالح باي في بايلك الشرق هو:

- معرفة العلاقة بين العمارة العمارة الجزائرية قبل الفترة العثمانية وخلال هذه الفترة وكذا دراسة المؤثرات العثمانية في بايلك الشرق سواء في الجوانب العمرانية أو في الجوانب الحضارية الأخرى كالتعليم والفكر الديني ومؤسسة الوقف وكذا المعاملات التجارية وتكوين الجيش ، بالإضافة إلى ربط هذه المؤثرات بالعلاقات التركية الجزائرية العثمانية في الفترة الحديثة ، ففي السنوات الأخيرة كثر الحديث عن تأثير هذه العلاقات في جميع مناحي الحياة سواء في الملتقيات العلمية أو في بعض الدراسات .

- تبيان الحقيقة التي حاول طمسها المستشرقون والدارسون الغربيون وخاصة منهم المدرسة الفرنسية حول الوضع الحقيقي للجزائر في الفترة العثمانية ولذلك قصد تبرير استعمارهم للجزائر ، حيث أنهم حاولوا تبيان أيالة الجزائر على أنها كانت تعيش في كساد إقتصادي وتخلف حضاري وفوضى عارمة في شتى مناحي الحياة ، فأتت هذه الدراسة لتبين الحقيقة حول الوضع في الجزائر وكنموذج أخذنا بايلك الشرق في فترة باي من البايات ألا وهو صالح باي .

4- أسباب اختيار الموضوع:

لعل من أبرز الأسباب التي جعلتنا نختار موضوع المنشآت المعمارية والفنية لصالح باي هو :

- محاولة معرفة شخصية ومسار ومسيرة الباي صالح باي قسنطينة التي ثار حولها جدل واسع في جميع الجوانب من طرف المؤرخين ولم يختلفوا في طموحه وحنكته وما يمتلكه من قدرات ربما كان ذلك سببا في موته.

ـ العمل على التعرف على أعماله ونشاطاته ةسياسته وإبراز منجزاته الحضارية العمرانية والمعمارية والفنية .

- قلة الدراسات حول صالح باي خاصة في الجانب الأثري هي من الأسباب الرئيسية التي حفزتني للتطرق لهذا الموضوع خاصة أن جل الدراسات ركزت على بعض الجوانب التاريخية وأهملت الجانب الأثري وهذا إذا استثنينا الدراسات الأثرية داخل مدينة قسنطينة أما خارجها فتكاد تكون منعدمة .

– التعمق في دراسة شخصية صالح باي والتي أثارت جدلا واسعا بين المؤرخين ، بالإضافة إلى معرفة مساهمة هذه الشخصية في زيادة وترقية الإرث الحضاري لبايلك الشرق بصفة عامة ومدينة قسنطينة بصفة خاصة .

– التعرف على تفكير صالح باي في المجالات السياسية والعسكرية وكذا الفكر في المجال الثقافي والذي أهله لتولي منصب الباي فترة زمنية طويلة دامت قرابة عشرين سنة ن استطاع خلالها التحكم في جميع أمور البايلك بطريقة فعالة جدا .

5– الدراسات السابقة حول الموضوع:

لقد تطرق الباحثون في مجال الدراسات التاريخية إلا أجزاء معينة من تاريخ البايلك وكذا تاريخ مدينة قسنطينة وكذا دراسة لبعض الجوانب من شخصية صالح باي ونذكر على سبيل المثال رسالة الدكتوراه فاطمة الزهراء قشي بعنوان " قسنطينة المدينة والمجتمع والتي تحدثت غن جوانب متعددة من شخصية صالح باي .

لم يتطرق الباحثون المختصون في المجال الأثري إلى موضوع المنشآت المعمارية والفنية لصالح باي بشكل مباشر إلا أن هناك بعض الدراسات المنفصلة لكل منشأة على حدا ، فقد أنجزت منذ عدة سنوات مجموعة من الرسائل والمذكرات تطرقت لبعض منشآت صالح باي خاصة داخل مدينة قسنطينة ونذكر ها فيما يلي :

رسالة الدكتور دحدوح عبد القادر بعنوان "مدينة قسنطينة خلال العهد العثماني" والتي تحدثت حول جل العمائر الموجودة داخل أسوار مدينة قسنطينة بما فيها المنشآت المدروسة لصالح باي داخل المدينة .

أما المنشآت الموجودة خارج المدينة فالدراسات حولها تكاد تكون منعدمة خاصة فيما يخص الجانب الأثري ففيما يخص جامع صالح باي بعنابة فنجد بعض الإشارات لدى الدكتورة خيرة بن بلة في رسالة الدكتوراه "المنشآت الدينية بالجزائر خلال العهد العثماني" لكن دراستها لم تكن موسعة بل كانت مختصرة جدا حول هذه المنشأة .

– أما الدراسات حول مركب سيدي محمد الغراب فهي منعدمة تماما سواء في الكتابات التاريخية أو الأثرية وهذه الدراسة هي أول محاولة حقيقية لكشف اللبس والغموض حول هذه المنشأة المهمة جدا والتي لم تنل حضها من الدراسة.

6– إشكالية الموضوع :

تعتبر فترة صالح باي من أزهى الفترات في تاريخ بالك الشرق بصفة عامة وفي تاريخ مدينة قسنطينة بصفة خاصة ، وذالك في شتى المجالات السياسية ولاقتصادية والثقافية والعمرانية .

وانطلاقا من هذه الزاوية فقد كان لمدينة قسنطينة نصيب وافر من منجزات صالح باي وكذا لبقية المدن في البايلك وقد حددنا ثلاث عناصر أساسية

* العنصر الأول: فهو فكرة البحث العامة و التي تتمحور حول المنشآت المعمارية لصالح باي .
* العنصر الثاني: هو الإطار المكاني للبحث و المتمثل في بايلك الشرق.
* العنصر الثالث: فهو الفترة التاريخية و المتمثلة في فترة حكم صالح باي 1772–1792م. .

و تتمحور الإشكالية الرئيسية للموضوع حول محاولة تسليط الضوء على منجزات صالح باي من الجانب الأثري والفني و تندرج ضمنها بعض الإشكاليات الجزئية :

1- كيف كانت حياة صالح باي ؟.وهل أثرت نشأته في طريقة حكمه للبايلك؟.

2- ما هي أبرز المنجزات السياسية والاقتصادية والثقافية لصالح باي؟.

3- كيف أثر نظام الوقف في توسيع مدينة قسنطينة ؟.

4- هل استطاع صالح باي وضع خريطة عمرانية جديدة لمدينة قسنطينة وكذا لبقية المدن في البايلك ؟.

5- كيف كانت الطرز المعمارية والفنية لمنشآت صالح باي ؟ هل كانت مشابهة لما كان موجودا في عصره ، أم أنه ابتكر طرز جديدة ميزته عن سابقيه من الحكام ؟.

6- هل كانت العمارة في فترة صالح باي تعكس حقيقة الامتزاج الحضاري بين الدولتين العثمانية والجزائرية في فترة أجمع كل الدارسين الغربيين وخاصة منهم الفرنسيين على أن العمارة الجزائرية اندثرت عند مجئ الطراز التركي العثماني ؟.

7- نقد المصادر والمراجع :

لقد كان الاعتماد على بعض المصادر والمراجع التي تناولت هذا الموضوع من زاوية أو من أخرى أمرا ضروريا ، ومنها المصادر المعاصرة للفترة العثمانية والتي سمحت لنا من الاستفادة عموما حول هذا الموضوع وقد قسمناها إلى مايلي :

أ- المصادر : ويمكن تقسيمها إلى قسمين أيضا : - القسم الأول خاص بالمخطوطات والوثائق الأرشيفية التي استطعنا الحصول عليها وأبرزها على الإطلاق :

1- محمد الطاهر بن أحمد النقاد ، ذكر طرف ولاية المرحوم السيد صالح باي أميرا ببلد قسنطينة ، وهو مخطوط بالمكتبة الوطنية بتونس ، وهو من أبرز المصادر التي تحدثت عن حياة صالح باي وعلاقاته ومعاملاته المختلفة ، حيث استعنا به في ذكر خصال وأحوال صالح باي وجل أعماله وعلاقاته مع الداي في الجزائر ، كما تحدث عن الحملة الإسبانية ومساهمة صالح باي في ردعها ، كما نجد فيه كيفية جمع الضرائب من طرف صالح باي وكذا المعاملات التجارية المختلفة . كما تطرق إلى بناء بعض المنشآت المعمارية وتحدث عن كيفية إدارة البايلك .

2- مؤلف مجهول ، ذكر طرف يسير يتعلق بأيام المرحوم السيد صالح باي الإزميرلي ، حيث تحصلت عليه من الخزانة العامة بالرباط وهو مخطوط يحمل رقم (د.709) . من المصادر المهمة جدا في تاريخ صالح باي وكذا تاريخ البايلك ،

حيث استعنت به في مجال المعاملات التجارية لصالح باي وكذا بناء المشاريع الاقتصادية كما تطرق إلى بناء بعض المنشآت المعمارية وأهم مايحسب لها المخطوط هو تطرقه بإسهاب في نهاية حكم صالح باي وكيفية اغتياله .

3- وثيقة أوقاف صالح باي : لقد اعتمدنا في هذه الوثيقة المتكونة من مجموعة كبيرة من العقود على معرفة مؤسسة صالح باي للأوقاف ، كما أمدتنا بمعلومات مهمة جدا حول عمران المدينة في هذه الفترة وكذا أبرز معاملات البيع والشراء .

- القسم الثاني خاص بكتب رحالة أو كتب تاريخية تحدثت حول المنشآت المدروسة أو المدن المدروسة أو شخصية صالح باي وأبرزها على الإطلاق :

1- شعيب محمد الهادي : أم الحواضر في الماضي و الحاضر أو تاريخ قسنطينة ، يتناول هذا الكتاب تاريخ مدينة قسنطينة في الفترات المختلفة وركز الكاتب على الفترة العثمانية ، كما تحدث عن المدرسة الكتانية وأهم المشايخ الذين درسوا فيها بعد إعادة فتحها من طرف الإدارة الاستعمارية الفرنسية .

يعتبر هذا الكتاب من أبرز المصادر التي تحدثت عن تاريخ قسنطينة بشكل مفصل ويمكن اعتبار هذا الكتاب مصدر لأنه استقى المعلومات من مصادر أصلية أبرزها ابن الفكون.

2- محمد الصالح بن العنتري : فريدة منيسة في خال دخول الترك بلد قسنطينة واستلائهم على أوطانها أو تاريخ قسنطينة ، عمل بن العنتري في المكتب العربي بمصلحة الشؤون العربية في مدينة قسنطينة في أوائل فترة الاحتلال الفرنسي للمدينة ، وقد ألف هذا الكتاب تلبية لرغبة أحد الضباط الفرنسيين وهو (بواسوني Boissennet) رغبة منه في الإطلاع الواسع عن تاريخ المدينة في الفترة العثمانية ، لقد كانت استفادتنا كبيرة من هذا الكتاب خاصة في مجال تاريخ البايات الذين حكموا بايلك الشرق وكذا التاريخ المفصل لمدينة قسنطينة وذلك بالرغم من بعض العيوب التي نجدها بهذا الكتاب خاصة المتعلقة بالأخطاء في ذكر التواريخ .

3- الحسين بن محمد الورثيلاني : نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ ولأخبار ، لقد ألف هذا العمل أثناء آدائه لرحلة إلى المشرق لأداء فريضة الحج ، وقد كان له شعور قوي بالتاريخ ، فعزم أن يكتب عملا ضخما يضاهي أو يفوق به عمل العياشي فكتب هذا المؤلف ، بالإضافة إلى مؤلفات أخرى في الفقه والتصوف ، وقد كانت استفادتنا قيمة من هذا المصدر خاصة فيما يخص التطور التاريخي والعمراني للمدينة في العهد العثماني.

4- الحسن بن محمد الوزان المعروف بالأسد الإفريقي 893-944هـ/1488-1537م، من مؤلفاته وصف إفريقية حيث جمع فيه بين كتب الرحلات وكتب المسالك وتشتمل هذه الرحلة على ثلاثة كتب رئيسية موزعة على تسعة أقسام . وقد اعتمدنا على هذا المصدر لأن المؤرخ عاش في الفترة الانتقالية بين أواخر الدولة الزيانية وأوائل الفترة العثمانية وخاصة فيما يتعلق بالجانب التعليمي بالغرب الجزائري.

- أما فيما يخص المصادر الأجنبية فقد تنوعت خاصة منها ما يخص مدينة قسنطينة وأبرزها:

Vayssettes . Histoir de Constantin sous la domination tueque الذي تطرق لتاريخ مدينة قسنطينة في الفترة العثمانية ، بالإضافة لبعض دراسات

Mericier ,Histoire de Constantine الذي تطرق للجانب العمراني لمدينة قسنطينة ، وهذه الدراسة مهمة جدا خاصة حول المنشآت الخاصة بصالح باي .

ب- المراجع :

إضافة إلى هذه المصادر في مجال التاريخ والعمران فقد اعتمدنا على مصادر ومراجع أخرى في مجال التاريخ والعمارة والفن ففي مجال التاريخ نذكر أبو القاسم سعد الله في كتابه "تاريخ الجزائر الثقافي "الذي تناول الجانب الثقافي للجزائر في العهد العثماني ويعتبر هذا العنوان من أبرز الكتب المتخصصة في هذا الجانب ، كما اعتمدنا على كتاب لمؤلفته الدكتورة فاطمة الزهراء قشي "سجل صالح باي للأوقاف" والذي يعتبر إضافة هامة في دراسة الأوقاف في الجزائر وفي مدينة قسنطينة بصفة خاصة ، بالإضافة إلى كتاب "هبون الملكية" لسعيد دحماني والذي ساعدنا على التعرف على على بعض المراحل المهمة من تاريخ مدينة عنابة وبالرغم من بعض النقائص التي وجدت فيه إلا أنه كان بالنسبة لنا كمنطلق لدراسة بعض الجوانب التاريخية لهذه المدينة . هذا بالإضافة إلى كتاب " مدينة قسنطينة دراسة التطور التاريخي والبيئة الطبيعية" لفيلالي عبد العزيز و لعروق محمد الهادي الذي ساعدنا في دراسة تاريخ وجغرافية مدينة قسنطينة ،كما اعتمدنا على مراجع أخرى في مجال العمارة والفنون أبرزها: لزكي محمد حسن "فنون الإسلام" ، وكذا عبد العزيز مرزوق "الفنون الزخرفية في العهد العثماني" وقد استفدنا من هذه المراجع في مجال الدراسة المعمارية ودراسة العناصر المعمارية .

كما اعتمدنا على مراجع أخرى باللغة الأجنبية أبرزها: Marçais (G.)

Maroc «**C–** l'architecture musulmane d'occident (Tunisie,Algerie) ,Espagne et Sicile»

وقد استفدنا من المرجع الأول في مجال العمارة ، أما المرجع الثاني فقد استعملناه في تحليل الكتابات الواردة في المقبرة .

كما كان الاعتماد ضروريا على بعض القواميس والموسوعات والمعاجم خاصة تلك المتعلقة بالعمارة والعمران والفنون الإسلامية وأبرزها موسوعة العمارة و الآثار و الفنون الإسلامية لحسن الباشا وكذا موسوعة الخط العربي لكامل سليمان الجبوري .

كما كان الاعتماد على بعض المقالات في مجلات مختلفة أبرزها مقال لـ(E)Vayssttes في مجلة (R .C) بعنون :

« Histoire de Constantine sous la domination turque de 1517 à 1837 »

وقد تحدث فيه عن أبرز القوانين التي أصدرها صالح باي في مجال تنظيم التعليم في قسنطينة بصفة عامة وفي المدرسة الكتانية خاصة وكذا عن مكونات المدرسة الكتانية ، وهذا المقال مهم للغاية بالنسبة للباحثين في مجال التعليم في قسنطينة في الفترة العثمانية. بالإضافة إلى مقال أ.د عبد العزيز لعرج في مجلة العلوم الإنسانية بعنوان « المدارس الإسلامية » والذي أورد فيه تاريخ المدارس في المشرق والمغرب وتطوراتها عبر العصور المختلفة .

أما الدراسات الأكاديمية التي كانت موجهة لنا ، فقد اعتمدنا على مجموعة من الدراسات أبرزها على 1- دحدودح عبد القادر "مدينة قسنطينة خلال العهد العثماني" لقد كانت في الحقيقة من أبرز الدراسات التي استعنا بها خاصة في مجال المنشآت المدروسة داخل أسوار مدينة قسنطينة .

2- الدكتورة فاطمة الزهراء قشي" قسنطينة المدينة و المجتمع" ، لقد ساعدتني كثيرا في مجال البحث عن حياة صالح باي وأهم أعماله وكذا دراسة وثيقة الأوقاف ومؤسسة الوقف بصفة عامة .

3- الدكتور عبد العزيز لعرج " الزليج في العمارة الإسلامية في الجزائر في العصر التركي دراسة أثرية فنية " وهو في الأصل رسالة ماجستير وقد ساعدنا كثيرا في مجال الدراسة الفنية وبالتحديد في دراسة البلاطات الخزفية المختلفة .

8- المنهج المتبع في دراسة الموضوع:

من أجل دراسة موضوع "المنشآت المعمارية والفنية لصالح باي" اعتمدنا على المناهج الثلاث التاريخي والوصفي والتحليلي ، فالمنهج التاريخي لإبراز الأحداث التاريخية وتسلسلها وترابطها أما المنهج الوصفي فهو لوصف العمائر والمنشآت المختلفة وكذا العناصر الزخرفية المختلفة أما المنهج التحليلي فهو مقارنة وتفسير كل ما هو متوفر لدينا من مخططات معمارية وكذا زخارف ومواد إنشائية .

وقد قسمت الرسالة إلى قسمين قسم نظري نستعين بأهم المصادر و المراجع التي تناولت تاريخ بايلك الشرق الجزائري وكذا أبرز المدن التي شيد فيها منشآته بالإضافة إلى دراسة الشخصية التي قامت بجل هذه الأعمال وهذا في الفترة التي حكم فيها صالح باي بين سنوات 1772-1792م .

أما في الدراسة الميدانية أو الأثرية فقد قمنا بعملية وصف شامل لجل المنشآت قيد الدراسة وذلك بعد زيارة المواقع الأثرية التي تقع ضمنها ، وبعد معاينة المنشآت المختلفة ودراسة أهم عناصرها المعمارية والزخرفية دراسة تفصيلية دقيقة ومسجلة ، وتسجيل العناصر بالصور الفوتوغرافية التوضيحية ورسوم تخطيطية لمختلف أجزائها مع أخذ مقاسات وتفريغ الزخارف وتحليل المعلومات. كما قمنا بدراسة تحليلية للمخططات والزخارف المختلفة ومواد بنائها طرق زخرفتها.

9- خطة البحث :

للإجابة عن كل الأسئلة و بالنظر إلى ما استطعنا جمعه من مادة علمية ، ارتأينا أن نقسم الموضوع إلى ثلاثة أبواب تتصدرها مقدمة وقد جاءت على الشكل التالي :

***المقدمة :**

***الباب الأول** : يتضمن هذا الباب الدراسة التاريخية لشخصية صالح باي وكذا للمدن التي شيد فيها منشآته المعمارية ، بالإضافة إلى دراسة تاريخية للعمران ، وهو يتضمن ثلاث فصول على النحو التالي :

- الفصل الأول : فقد خصصناه للموقع الجغرافي لبايلك الشرق وقمنا بدراسة تاريخية له في الفترة العثمانية وأهم التطورات السياسية التي طرأت عليه ، كما قمنا بتقديم دراسة جغرافية وتاريخية لكل من مدينتي قسنطينة وعنابة وذلك لاحتوائهما على جل المنشآت المدروسة بالإضافة إلى تطرقنا إلى التطور العمراني لمدينة قسنطينة .

- الفصل الثاني : تحدثنا فيه عن المؤسس و أهم أعماله في الجوانب السياسية والاقتصادية والثقافية وعلاقاتها (وسياساته) المختلفة في الداخل والخارج ، وكذا طرق تسييره للبايلك وأهم الصراعات التي خاضها داخليا وخارجيا ، كما تحدثنا في الجزء الأخير من هذا الفصل على الفترة الأخيرة من حكم صالح باي والطريقة المأساوية التي انتهى بها حكمه .

- الفصل الثالث : فقد خصصناه للدراسة التاريخية للعمائر المدروسة ، حيث قسمناه إلى ثلاثة عناصر رئيسية ، الجزء الأول للدراسة تاريخ تطور المدارس بالمشرق والمغرب واختلاف تركيبها حسب المذاهب التي كانت سائدة في كل منطقة ، و بعدها تطرقنا إلى ظهورها في بلاد المغرب و أهم المدارس التي ظهرت فيه ، و بعدها سنتحدث عن التعليم في العهد العثماني بالجزائر و أهم المدارس في هذه الفترة بالإضافة إلى العلوم المدرسة ومناهج ذلك ونظامه وبرامجه وطرقه وأنواعه. كما قدما دراسة عن الأضرحة وعن كيفية نشوئها وتطورها خاصة في الجزائر . كما تحدثنا عن جانب مهم في استمرارية المؤسسات الدينية والثقافية في مجال العطاء والمواصلة قدما نحو الأمام في تكوين الأجيال ألا وهو نظام الأوقاف ، وأهم مميزاتها في فترة صالح باي

***الباب الثاني** : يتضمن الدراسة الوصفية للعناصر المعمارية والفنية للمنشآت المدروسة ، هذا بالإضافة إلى دراسة المخططات المعمارية للمنشآت المدروسة وقد قسمناه إلى فصلين :

- الفصل الأول : فقد تطرقنا للدراسة الوصفية المعمارية للمنشآت المدروسة من حيث المكونات المعمارية وكتلها وأقسامها ونظامها المعماري ومنظومتها الفنية . وقمنا بوصف كل منشأة على حدا ، فقد بدأنا بمركب سيدي الكتاني وما يحتويه من مسجد ومدرسة وضريح من حيث دراسة تاريخية مختصرة وكذا وصفه داخليا وخارجيا ، بالإضافة إلى أهم التجديدات التي طرأت عليه ، ونفس الكلام ينطبق على المنشآت الأخرى في مدينة قسنطينة كمدرسة سيدي الأخضر وخارج المدينة كمركب سيدي محمد الغراب وكذا جامع الباي بمدينة عنابة .

الفصل الثاني : تناولنا فيه دراسة العناصر المعمارية للمنشآت المدروسة وقسمناه إلى دراسة عناصر الدعم والرفع من أعمدة وتيجان ودعامات وغيرها ، هذا بالإضافة إلى دراسة عناصر التغطية المختلفة في المنشآت المدروسة ، كما تطرقنا إلى عناصر الاتصال والتهوية ، كما تطرقنا في القسم الأخير من هذا الفصل إلى الوحدات المعمارية وأخذنا كنموذج للدراسة المآذن .

– **الفصل الثالث** : تناولنا فيه دراسة المخططات المعمارية للمنشآت المدروسة ، فقد بدأنا هذا الفصل بدراسة مخططات المساجد في العالم الإسلامي وركزنا على تطور تخطيطها في الفترة العثمانية ، هذا بالإضافة إلى دراسة مخططات مساجد صالح باي .

أما في القسم الثاني فقد تطرقنا إلى تطور تخطيط المدارس في العالم الإسلامي ، وكذا مخططات المدارس في المشرق والمغرب هذا بالإضافة إلى دراسة مخططات المدارس في فترة صالح باي . وفي القسم الثالث قمنا بدراسة تطور تخطيط المساكن ، كما تطرقنا إلى دراسة مخططات الأضرحة ، أما في الجزء الأخير من هذا الفصل فقمنا بدراسة العناصر الزخرفية المستخدمة في المنشآت المدروسة .

– **الباب الثالث** : خصصنا الباب الأخير للدراسة التحليلية المعمارية والفنية من مخططات وزخارف بمختلف أنواعها إضافة إلى دراسة مواد الباء وأساليب الزخرفة .

– **الفصل الثاني** : تطرقنا فيه إلى أبرز الزخارف المستخدمة وقسمناه إلى سبعة عناصر رئيسية بداية بدراسة الزخارف النباتية وكذا الزخارف الهندسية بمختلف أنواعها ، كما قمنا بدراسة تفصيلية للزخارف الكتابية المستخدمة في جل المنشآت المدروسة ، هذا بالإضافة إلى دراسة الزخارف الحيوانية والرمزية ، كما لم نهمل التطرق إلى الألوان ، أما في الجزء الأخير فقد خصصناه لدراسة شواهد القبور .

– **الفصل الثاني** : تناولنا فيه أهم المواد المستعملة في عملية البناء وكذا طرق استعمالها وأهم المناطق التي استعملت فيها هذه المواد ، كما أبرزنا أهم الطرق المستعملة في الزخرفة بجل المنشآت المدروسة .

أما في الجزء الثاني من هذا الفصل فقد تطرقنا إلى الأساليب المستخدمة في الزخرفة وتقنياتها المختلفة وعلى جل مواد البناء المستخدمة في المنشآت المدروسة .

***الخاتمة** : تتضمن حوصلة لنتائج دراستنا ، حيث حاولنا الإجابة على أهم الإشكاليات التي طرحت في المقدمة ، بالإضافة إلى توصيات للجهات الوصية عن حماية المعالم الأثرية لتحسيسهم بضرورة حمايتها وصيانتها وكذا تصنيف المعالم غير المصنفة .

– لقد زودنا البحث بخرائط وأشكال وصور ومخططات للمعالم المدروسة بالإضافة إلى فهارس للمعالم وكذا قائمة للمصادر والمراجع المعتمد عليها أثناء دراسة الموضوع.

10- صعوبات البحث :

لايخلوا أي عمل في هذه الحياة من العوائق والصعوبات خاصة العمل العلمي الجاد الذي يهدف من ورائه صاحبه إلى كشف اللبس والغموض عن حقبة زمنية فيه جوانب كثيرة غامضة . حيث صادفتني مجموعة كبيرة من المعوقات والمشاكل أثناء إنجازي لهذه الدراسة حول معالم صالح باي وأبرزها على الإطلاق :

- صعوبة الحصول على المخطوطات المتعلقة بأوقاف صالح باي ، حيث قوبلت برفض مطلق من طرف العاملين في الأرشيف الولائي لمدينة قسنطينة خاصة المديرة التي عرقلت مسار البحث في مجال الأوقاف ، ولولا تدخل الوالي شخصيا لما استطعت الحصول على نسخة من هذه الوثيقة المهمة جدا .

- بالإضافة إلى معوق آخر صعب في مأمورية البحث ألا وهو رفض السكان السماح لنا بزيارة بعض المواقع الأثرية قيد الدراسة ، حيث أن هذا الإشكال صعب كثيرا من مهمة البحث ، فقد تم رفض دخولنا إلى دار صالح باي ورغم مساعدتنا من بعض الطالبات التي أخذت لنا المقاسات والصور وبعض الأوصاف إلا أنهن أيضا قوبلن بالرفض وعدم السماح لهن بدخول بعض الغرف فأخذنا مقاساتها من الخارج فقط .

- كما وجدنا نفس المشكل في مسكن مركب سيدي محمد الغراب الذي لم يسمح لنا القيم عليه بالدخول إلى بعض الغرف وهذا ما يجعل العمل غير متكامل .

- كما لم يسمح لنا بالدخول إلى مدرسة سيدي الأخضر أكثر من ثلاث مرات فمعلوم أن كثرة الزيارات للمواقع الأثرية تجعل الباحث الأثري يخرج في كل مرة بمعلومات إضافية ويلاحظ أشياء جديدة .

- كما نجد بعض العناصر أو بعض المنشآت لم يرد ذكرها في المصادر التاريخية هذا ما صعب علينا حصر معالمها تاريخيا ، كما أن المعلومات المأخوذة عن الباحثين الفرنسيين وعن الإدارة الفرنسية ليست كلها صحيحة بسبب رغبة الفرنسيين في طمس معالم الحضارة العربية الإسلامية في الجزائر .

وبالرغم من كل هذه الصعوبات التي واجهتنا أثناء إنجازنا لهذا البحث ، إلا أننا لم نبخل بكل ماستطعنا في سبيل إنجاز هذه الرسالة على أكمل وجه.

قائمة المختصرات :

1- باللغة العربية :

ج : الجزء

ص : الصفحة

هـ : الهجري

م : الميلادي

سم : سنتيمتر

ت : التحقيق

د.ت : دون تاريخ

د.ط : دون طبعة

ح.ع.2

2- باللغة الفرنسية :

T : Tome

P : Page

S .D : Son date

R.A : Revue africaine

CNRS : Centre national de la recherche Saharienne

الباب الأول:

الجانب التاريخي

الفصل الأول : المحيط الجغرافي والتطور التاريخي لبايبك الشرق

الفصل الثاني : سيرة صالح باي ومنجزاته

الفصل الثالث : دراسة تاريخية عن العمائر

الفصل الأول:

المحيط الجغرافي والتطور التاريخي لبايلك الشرق

1 – الدراسة التاريخية للبايلك

2- دراسة المدن التي شيد بها صالح باي منشآته

I – الدراسة التاريخية للبايلك :

1– المحيط الجغرافي :

أ– الموقع الجغرافي لبايلك الشرق وتضاريسه :

يعتبر بايلك الشرق أوسع منطقة في الجزائر وأغناها من حيث الموارد الطبيعية وأكثرها سكانا ، وعند إنشاء البايلك أصبحت حدوده تمتد شمالا من البحر إبتداءا من طبرقة شرق القالة إلى حدود مدينة بجاية ، ومن الشرق الحدود التونسية إبتداءا من طبرقة التي تبدأ من طبرقة على البحر وتمتد إلى الجنوب عبر تبسة إلى غاية واحات وادي سوف.

ومن الغرب جبال البيبان وقرى بني منصور وسفوح جبال جرجرة الشرقية والجنوبية ، إلى برج حمزة وقريتي سيدي هجرس وسيدي عيسى اللتين تفصلانه على بايلك التيطري في الجنوب الغربي . ومن الجنوب الصحراء الكبرى غير المأهولة جنوب واحات وادي سوف وتقرت وورقلة ومزاب [1].

أما من حيث مظهره التضاريسي فهو ملتقى سلسلتا جبال الأطلس : الشمالية التلية والجنوبية الصحراوية عند كتلة جبال الأوراس وليس فيه من الأحواض والسهول سوى حوض وادي الصومام والسهول العليا القسنطينية التي تمثل الجزء الشرقي من إقليم الهضاب العليا الجزائرية إلى جانب منبسطات تبسة وحوض وادي سوف ووادي ريغ وسهول عنابة وسكيكدة.

ب– المناخ والسكان :

يتميز مناخ بايلك الشرق بتنوعه وذلك لتنوع أقاليمه ، حيث نجد فيه ثلاث مناخات وهي مناخ البحر المتوسط ويرتكز في المناطق الساحلية والقريبة من البحر ويتميز بشتاء دافئ ممطر وصيف حار جاف وكميات التساقط به مرتفعة ، أما الثاني فيرتكز في المناطق الداخلية والمحاذية للصحراء ويتميز بشتاء قارس وصيف حار وكميات التساقط به منخفضة مقارنة بالإقليم الأول ، أما المناطق الصحراوية فتتميز بالحرارة والجفاف فالأمطار فيها نادرة التساقط ، ويعتمد على المياه الجوفية أكثر من غيرها .

ونسبة كثافة السكان في بايلك الشرق عالية عبر التاريخ إذا ما قورنت بوسط البلاد وغربها ، وذلك لظروف تاريخية وطبيعية . أما الغطاء النباتي فهو متنوع به وذلك نظرا للتنوع المناخي الذي تحدثنا عنه .

والحياة الإقتصادية فيه تعتمد على الفلاحة وتربية المواشي أساسا ثم النشاط التجاري والصناعات التقليدية ، التي تدر على أصحابها مردودا لابأس به في القرى العمرانية الكبيرة وعلى رأسها مدينة قسنطينة .

---

[1] – محمد الصالح بن العنتري فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلائهم على أوطانها أو تاريخ قسنطينة ، تقديم. يحي بوعزيز ، د.م.ج ، الجزائر ، ص73–74 .

– الحاج أحمد ابن المبارك ، تاريخ حاضرة قسنطينة، ت. رابح بونار، د.ط، د.ت ، ص 17 .

2- تاريخ نشأة نظام البايلك :

وكان على رأس الحكم الباشا أو الداي أو بايلارباي أي باي البايات أو أمير الأمراء[1] ، وكان مقيم بالعاصمة ، وكان له حق التصرف المطلق بالمملكة الجزائرية[2] ، وكانت ترقيته مبلغة بسفير من الباب العالي[3]. فالبلاد كانت تتمتع بمايشبه نظام الدومنيون الإنجليزي[4].

لقد طبق الأتراك عند مجيئهم للجزائر سياسة أوليفارشية مكنتهم من البقاء أكثر من ثلاثة قرون كسادة على البلاد ، وهذه السياسة تركز كل السلطات في يد واحدة وإقصاء الأهالي من كل مشاركة في السلطة العليا[5].

فعندما وجد حسن باشا بن خير الدين نفسه أمام بعض المصاعب الداخلية التي تعيقه وتزعجه في ممارسة مهامه قرر جمع السلطات في يده وتعيين أعوان له في المقاطعات[6]، وبهذا أسس نظام البايلك وكلمة البايلك تعني الإمارة والباي هو الأمير ، كما أنها تدل على المناطق التي يحكمها الباي[7].

وأول من منح منصب الباي هو المدعو بوخديجة ، حيث عين كباي للغرب في مازونة سنة 1565م [8]. لم يتم تعيين بايلك على الشرق إلا بعد مرور سنتين من ذلك أي في عام 1567م ، حيث عين رمضان تشولاق بايا للشرق .

3- تكوين البايلك :

قرر حسن باشا بن خير الدين تقسيم الجزائر إلى ثلاثة أقاليم كل منها يحمل اسم البايلك وذلك من أجل ضبط السلطة وإقامة إدارة محكمة ، وكانت على النحو التالي : بايك الجزائر أو دار السلطان ، بايلك الغرب (عاصمة مـازونة ثم معسكر ، وبعد تحرير وهـران من يـد الإسبان أصبحت هي عاصمة البايلك) ، بايلك التيطري (عـاصمته

---

(1)- Encyclopedie de l'islam ,article Annaba , Nouvelle ed , Paris , 1954, P.1226.

(2) – نور الدين عبد القادر ، صفحات في تاريخ مدينة الجزائر من أقدم من أقدم عصورها إلى إنتهاء العهد التركي ، مطبعة البعث قسنطينة ، 1965، ص71.

(3)- Vayssette(E.), Histoir de Constantin sous la domination tueque , R.A , 1858-1859 , o.p.u , p.110

(4) – رشيد بورويبة ، موسى لقبال وآخرون ، الجزائر في التاريخ (في العهد الإسلامي من الفتح إلى بداية العهد العثماني) ، الجزائر 1984 ، ص26.

(5)- Vayssette(E.) , op.cit p.110.

(6)- Gaid (M.), Chronique de Beys de Constantine, O.P.U, Alger S.D , p.26

(7)- Encyclopedie de l'islam , op.cit, P.1226.

(8)- Gaid , (M.),op.cit. , p13.

المدية) ، بايلك الشرق (عاصمتة قسنطينة) ، وكانت هذه الأخيرة هي الأوسع مساحة والأكثر عمرانا وعين عليها نائب عن الداي يحمل اسم الباي [1].

وعند إنشاء البايلك أصبحت حدودها تمتد شمالا من البحر إبتداءا من طبرقة شرق القالة إلى حدود مدينة بجاية ، ومن الشرق حتى الحدود التونسية إبتداءا من طبرقة وتمتد حتى الجنوب عبر تبسة إلى غاية واحات وادي سوف[2].

4- الجهاز الإداري لبايلك الشرق [3] :

لقد كانت للباي سلطة واسعة وسيادة قوية ، حيث كان يتحكم في الميليشيات النظامية والغير نظامية للمقاطعات والتكفل بجمع الضرائب كل ثلاث سنوات ، حيث يجب عليه الذهاب شخصيا إلى العاصمة لتقديم الدنوش[4].

وكان الباي كغيره من البايات يقسم إلى مشيخات[5] ، فقد كان البايلك الشرقي مقسما إداريا إلى أربعة أقسام ، على كل منها حاكم يخضع مباشرة للباي بقسنطينة :

أ- القسم الشرقي: ويشمل لحنانشة وواد زناتة وعامر الشراقة.

ب- القسم الغربي : يمتد من سطيف إلى جبال البيبان وقرى بني منصور وونوغة.

ج- القسم الشمالي : يمتد من عنابة إلى بجاية.

د- القسم الجنوبي : أهم زعمائه الدواودة وأولاد بن قانة.

وكان يعين هذا الحكام أربعة أعضاء يكونون المجلس الاستشاري للإيالة[6] وهم :

1- الخزناجي : مسؤول عن الأمور المالية.

2- مسؤول الخراج : مسؤول عن شؤون الدولة العسكرية والمدنية برا وبحرا.

3- ناضر الخيل : مسؤول عن أملاك الدولة وسائر الحيوانات في الأيالة من بيع وشراء.

---

[1] – عبد المهدي بن علي شعيب ، أم الحواضر في الماضي و الحاضر أو تاريخ قسنطينة، مطبعة البعث ، قسنطينة، الجزائر 1985 ص 213 .

[2] – محمد الصالح بن العنتري ، المصدر السابق ، ص 17 .

[3] – محمد الصالح بن العنتري ، المصدر السابق ، 30.

[4]– Vayssette(E.), opcit, p.111.

[5] – سعد دحماني ، هبون الملكية ، الوكالة الوطنية للآثار وحماية المعالم والنصب التاريخية ، الجزائر ، 1991، ص140.

[6] – نفسه ، ص31.

4- آغا العرب : وهو القائد العام للقوات العام البرية ، ويتحتم عليه الكلام بالعربية [1].

وهؤلاء الموظفون يجب أن يكونوا من أصل تركي ، ثم تأتي المراتب الصغرى التي تتكون مئتي موظف (كتاب ومترجمين.....).

كما أن الجهاز الإداري للبايلك كل مقسم إلى عدة دواوين وإدارات يشرف عليها أعضاء يشاركون الباي في إدارة البايلك ، مثل ديوان الأوجاق ، وموظفوا القصر ، وموظفوا المدينة وغيرهم[2].

وقد تعاقب على بايك الشرق عدد لايستهان به من البايات ، حيث بلغ عددهم 46 بايا ، ومدة الحكم التي كانت متفاوتة من باي لآخر ، فأطول مدة ترجع إلى الباي مراد من 1622م إلى 1647م أما أقصرها فترجع إلى إبراهيم بوصبع الذي دامت فترة حكمه ثلاثة أيام فقط.

5- تطور البايلك :

أول من عين في هذا الإقليم هو رمضان تشولاق وذلك بين (1567 – 1574 م) وقد قضى هذا الباي على ثورات القبائل ضد الحكم العثماني [3] ، وقد شارك في الهجوم الذي قام به العلج علي على حاكم تونس الذي حالف الإسبان ، واحتل الإسبان في عهده مدينة عنابة سنة 982هـ/1574م . كما شارك في الحملة على ملك المغرب سنة 1576 م ، أما في عهد جعفر باي (982-977هـ/1574-1588م) شارك هذا الباي أيضا في الحملة ضد ملك المغرب سنة 984هـ/1576م كما عمل على كسب ود العائلات الكبرى في قسنطينة وكذا القبائل النافذة في البايلك [4] ، ثم خلفه محمد بن فرحات باي والذي حكم البايلك عشرين سنة (997-1017هـ/1588-1608م) وتميزت فترة حكمه بنوع من الاستقرار باستثناء الحرب الطويلة التي قادها ضد قبيلة أولاد أمقران بسبب رفضهم دفع الضريبة ، كما شن حربا ضد الفرنسيين بالحصن الذي يعرف بالباستيون الفرنسي بالقالة وعزم على تحطيمه بأمر من الخيضر باشا ، وبعد اعتلاء مصطفى باشا سدة الحكم بالأيالة منعه من مواصلة الهدم بتدخل من السلطان العثماني . أما في عهد حسن باي(1017-1032هـ/ 1608 – 1622م) فقد أبرمت اتفاقية لضبط الحدود مع تونس سنة(1023هـ/ 1614م) وقاموا برعاية مصالح الفرنسيين في القالة بأمر من الباشا .

أما مراد باي (1032 -1057هـ/ 1622-1647م) فقد اهتم بحفظ الأمن في البايلك لأن عهده تميز

[1] – سعد دحماني ، المرجع سابق ، ص201.

[2] – محمد الصالح بن العنتري ، المصدر السابق ، ص20.

[3]- لقد قامت اضطرابات كبيرة في بداية الحكم العثماني للمدينة ، حيث ثارت مجموعة من القبائل على العثمانيين ، وأهم تلك الثورات قام بها لحنانشة في شرق البايلك وثورة أولاد أمقران في غربه.

للمزيد من التوضيح حول هذه الثورات أنظر :

– محمد الصالح بن العنتري ، المصدر السابق ، ص31.

[4]- محمد الصالح بن العنتري ، المصدر السابق ، ص43-43.

باضطرابات كبيرة كما ساعد على أمن الرعايا الفرنسيين في مراكز صيد المرجان ، وعندما قام التونسيون بخرق معاهدة ضبط الحدود (1038هـ/1628م) وجهت الجزائر حملة عسكرية ضد تونس اشترك فيها مراد باي بقوات البايك[1]. أما فرحات بن مراد فقام بترميم الجامع الكبير بقسنطينة ، وقد توالى البايات على حكم قسنطينة وأهمهم : رجم باي (1077 – 1084 هـ / 1666 – 1673 م) ويعود الفضل في بناء جامع رحبة الصوف الذي تهدم لاحقا ثم عزل وعين مكانه خير الدين باي سنة (1084.1087/1674-1676م) [2] ، لم يعمر طويلا ومات وهو آخر البايات من أصول عربية الذين حكموا قسنطينة [3] . دالي باي (1087هـ/ 1676م) حيث تم إعدامه بسبب ظلمه للناس وخلفه باشا آغا (1090-1099هـ/16791679-1692م) ثم خلفه شعبان 1099-1104هـ/1688-1692م) إبراهيم العلج (1114 – 1119 هـ/ 1702- 1707 م) وفي عهده حدثت اضطرابات كثيرة في البايلك وعند خروجه مع الباشا لمعاقبة تونس حدثت فوضى في الجزائر ككل فانقلب عليه الوضع سواء الباي أو الباشا حيث نصب باشا جديد في العاصمة كما خرج الأمر من بين يدي الباي إبراهيم العلج ، وبعده حدثت فوضى في البايلك وفي ظرف خمس سنوات حكم البايلك خمس بايات وبعد هذه المرحلة حكم علي بن صالح باي(1122-1125هـ/1710-1713م) والذي تخلى بنفسه عن الحكم [4] .حسين باي بوكمية (1125 – 1150 هـ / 1713 – 1737 م) وهو باني جامع سوق الغزال وفي عهده استقرت الأوضاع واستطاع أن يخضع معظم القبائل ويستخلص منها الضرائب وقد شارك في الحملة ضد باي تونس بقيادة علي باشا وبعد وفاته خلفه حسن باي المدعو بوحنك وهو باني الجامع الأخضر حيث يوجد قبره في هذا الجامع ، عمل هذا الباي على استتاب الأمن في البايلك وإخضاع القبائل واهتم بعمران مدينة قسنطينة[5] ، وبعد هذه المرحلة اعتلى سدة الحكم حسين باي زرق عينوا والذي عمل هو أيـضا على توفير الأمن كـما قام بعمل لم يقم به أحد ممن سبقوه على رأس البايلك حيث

---

[1] – محمد الصالح بن العنتري ، المصدر السابق ، ص34-35.

[2] – لقد وقع اختلاف حول هذا الباي فابن العنتري يقول عنه أنه عم الباي محمد بن فرحات ويشاطره هذا الرأي فايسات قي حين يذكر مرسي بأنه أخوه . أنظر: محمد الصالح بن العنتري ، المصدر السابق ، ص62.

Vaysstes, Op.cit , p 86. - Mercier (E.) , Histoire de Constantine, édition braham Constantine , -1903, p.255-264.

[3] – للمزيد من الإيضاح : أنظر: عبد المهدي بن علي شعيب ، المرجع السابق ،ص ص 213 ،258 ،266 .

- Vaysstes , Op.cit , p 114 .

[4] – محمد الصالح بن العنتري ، المصدر السابق ، ص68-66.

[5] – الحاج أحمد بن المبارك ، تاريخ حاضرة قسنطينة ، ت . رابح بونار ، د.ط ، د.ت .ص20-23 .محمد الصالح ابن العنتري المصدر السابق ، ص71-72.

- Mercier (E.) , Op.cit , 1903, p.254-262.
-Vaysstes , Op.cit , p 107-111.

رتب الوظائف وصنف التجار والصناع وجعلهم في جماعات على رأس كل جماعة أمين كما ساهم مساهمة فعالة في إعادة إخضاع باي تونس[1].

وبعده جاء دور أحمد باي القلي*[1] (1170-1185هـ/1756-1771م) اهتم كثيرا بالجانب العمراني فهو الذي شيد جامع القل وجدد زاوية سيدي عبد المؤمن ، وبنا ثكنة للإنكشارية ودارين بقسنطينة وبنا برج الفسقية وغريها من الأعمال أما في المجال العسكري فقد خرجت بعض القبائل من طاعته فأخضعها واستخلص منها الضرائب.

أما صالح باي (1185 – 1207 هـ / 1771 – 1792 م) وهو موضوع بحثنا والذي خلف أحمد باي القلي فقد ساعدته الظروف السياسية والاستقرار الذي كونه البايات الذين سبقوه بالإضافة إلى حنكته في شتى المجالات على أن يكون أشهر بايات قسنطينة وأن يبقى راسخا في أذهان أهل المدينة إلى اليوم الحاضر [2]. وفي أيامه الأخيرة عين إبرهيم بوصبع على رأس البايلك لكن صالح باي غدر به وقتله ، ومنذ تلك الحادثة لم يعرف الباي الاستقرار الذي عرفه من قبل.

تولى مصطفى الوزناجي(1209-1213هـ/1792-1795-1798م) عمل على إخضاع القبائل ، قتل بأمر من الداي حسن باشا[3]. وعين بعد ذلك حاج مصطفى إنقليز (1213-11218هـ/1798-1803م) وبالرغم من مجهوداته الكبيرة في تحسين أوضاع البايلك إلا أنه عزل من منصبه من طرف مصطفى باشا ، وعين مكانه عصمان باي (1218-1219هـ/1803-1804م) الذي قامت في عهده ثورة كبيرة قادها الشريف بن الأحرش والذي كاد أن يحتل مدينة قسنطينة لولا بسالة أهلها ، ثم عزل في نفس السنة وولي مكانه عبد الله باي (1219-1221هـ/1804-1806م) الذي أعدم من طرف الداي [4] وبعد هذه الفترة زادت دوامة التقتيل ضد البايات فقتل معظم البايات الذين حكموا قسنطينة لسبب أو لآخر وفي فترة قصيرة من 1806م إلى 1826م (عشرون سنة) حكم البايلك 13 بايا أي بمعد سنة ونصف لكل باي وهي فترة قصيرة جدا[5] إلى أن جاء الباي رقم 14 وهو آخر البايات الحاج أحمد باي بن محمد الشريف ، ويتميز هذا البـاي بشخصيته القـــوية وحنكته في إدارة أمور

---

(1) – محمد الصالح بن العنتري ، المصدر السابق ، ص73-77.

*1– لقب بالقلي نسبة لشغله آغة مدينة القل ، وهو جد آخر بايات قسنطينة أحمد باي .

-Vayssttes , Opcit , p 111-117. - Mercier (E.) ,op.cit , p.266-270.

(2) – محمد الصالح بن العنتري ، المصدر السابق ، ص62-63.

(3) – نفسه ، 86-87 . – محمد المهدي شعيب ، المرجع السابق ، ص387-388.

(4) – محمد الصالح بن العنتري ، المصدر السابق ، ص88-94.الحاج أحمد بن المبارك ، المصدر السابق ، ص13-14.

-Vayssttes , Opcit , p 164-171. - Mercier (E.) ,op.cit , p.308-320.

(5) –أنظر محمد الصالح بن العنتري ، المصدر السابق ، ص94 -115 . الحاج أحمد بن المبارك ، المصدر السابق ، ص14-32.

- Mercier (E.) ,op.cit , p320-385. Vayssttes , Opcit , p 171-231.

البايلك ، حيث شارك في العديد من الحملات التأديبية ضد القبائل وباحتلال فرنسا للجزائر في سنة 1830 م ظهرت قوته ، حيث أثبت مقدرته في مقاومة الفرنسيين ، إذ عرف البايلك مقاومة شديدة للاستعمار ولم يستطع الفرنسيون الدخول إلى المدينة إلا في سنة 1837 م [1] .

وفي عهده أصبحت المدينة حاضرة من حواضر الجزائر كما امتازت بأنها منبع لثقافة راقية ، وأهم بناء معماري قام به أحمد باي هو قصره الذي عرف باسمه [2] .

أ– المراحل التاريخية للبايلك :

وللتعرف على الأحداث التي شهدها البايلك منذ وضع العثمانيين أقدامهم الأولى به ، نقوم بتقسيم تاريخ الحكم العثماني بقسنطينة إلى أربعة مراحل :

– **الأولى** : وتبدأ من سنة 1522 م إلى غاية 1567 م والتي تتلخص في تمركز الحامية التركية بالمنطقة ووضعها لسياسة تجعلها تتقرب من السكان فمنحت ألقاب شرفية لبعض رؤساء القبائل محاولة لإدماجهم وإتباعهم للحكم العثماني [3] .

– **الثانية** : وهي إبتداءا من 1567 م حتى سنة 1791 م وعرفت خلالها قسنطينة إنشاء البايلك وتنظيمه إداريا واستقرار عدة حاميات في المناطق الإستراتيجية للإقليم [4] .

– **الثالثة** : 1791 – 1830 م وتمثل بداية ظهور ضعف على مستوى البايلك وكذلك على مستوى الحكم المركزي ، وذلك بسبب الممارسات السيئة المتمثلة في قتل السكان واحتكار مصادرة أموالهم ، هذا ما أدى بهم إلى التخلي والابتعاد عن الحكم [5] .

– **الرابعة** : وتتمثل في الوضعية والحالة التي آل إليها البايلك بعد سنة 1830 م ، والتي عرفت تدخل المستعمر الفرنسي ومقامة الحاج أحمد باي حتى وفاته سنة 1848 م ، وبذلك يكون هو آخر باي على قسنطينة [6]

---

[1] – بوعزة بوضرساية ، الحاج أحمد باي رجل دولة ومقاوم 1826 – 1848 م ، رسالة لنيل الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر جامعة الجزائر ، د.ت ، ص 78 .

[2] – أنظر : فندرلين شلوصر ، قسنطينة أيام أحمد باي ، ترجمة أبو العيد دودو ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، د.ت ص 73 – 74 .

[3] – محمد المهدي شعيب ، المرجع السابق ، ص17.

[4] – عبد العزيز فيلالي ومحمد الهادي لعروق ، مدينة قسنطينة دراسة التطور التاريخي والبيئة الطبيعية ، دار البعث للطباعة والنشر قسنطينة ، ط1 ، 1404 هـ / 1984 م ، ص79.

[5] – محمد المهدي شعيب ، المرجع السابق ، ص17.

[6] – بوعزة بوضرساية ، المرجع السابق ، ص78.

ب- بايات الشرق:

وهذا جدول يبين رزنامة تعاقب حكم بايات قسنطينة منذ إسناد البايلك حتى دخول الاستعمار الفرنسي[1] .

1- رمضان باي	935هـ - 1528م	18-علي باي بن حمودة	1120هـ - 1708م
2- جعفر باي	975هـ - 1567م	19- حسني الشاوش	1121هـ - 1709م
3- محمد بن فرحات باي	975هـ - 1588م	20- عبد الرحمان	1122هـ-1710م
4- حسن باي	997هـ - 1608م	21-حسين دنجلزي باي	1122هـ-1710م
5- مراد باي	1000هـ - 1622م	22- علي بن صالح	1122هـ-1710م
6- صخيري	1047هـ - 1637م	23- عليان حسين بوخيمة	1125هـ-1713م
7- فرحات باي	1057هـ -1648م	24- حسين باي بوحنك	1149هـ-1746م
8-محمد باي بن فرحات	1063هـ -1652م	25- حسين بن زرق عينو	1167هـ - 1753م
9- رجم باي	1077هـ - 1667م	26- احمد باي القلي	1170هـ - 1756م
10- خير الدين باي	1083هـ - 1673م	27- صالح باي بن مصطفى	1185هـ - 1771م
11- دالي باي	1087هـ - 1676م	28- إبراهيم باي بوصبع	1207هـ - 1792م
12- عمار بن عبد الرحمان	1090هـ -1679م	29- صالح باي ثاني	لا توجد معلومات عنه
13- شعبان باي	1099هـ - 1687م	30- حسين بن حسين بوحنك	1207هـ - 1792م
14- علي خوجه باي	1104هـ - 1692م	31- مصطفى باي الوزناجي	1209هـ - 1794م
15- أحمد باي بن فرحات	1112هـ - 1700م	32- الحاج مصطفى انكليس	1212هـ - 1797م
16- إبراهيم باي	1114هـ - 1702م	33- عثمان باي	1218هـ - 1803م
17- حمودة باي	1119هـ - 1707م	34- عبد الله باي	1219هـ - 1804

35- حسين بن صالح باي	1222هـ - 1806م	42- أحمد باي مملوك	1233هـ - 1817م
36- علي باي بن يوسف	1223هـ - 1808م	43- محمد باي الميلي	1233هـ - 1817م
37- أحمد شاوش القبائلي	1223هـ - 1808م	44- إبراهيم باي الغربي	1234هـ-1818م
38- أحمد طوبال	1223هـ - 1808م	45- أحمد باي المملوك الثاني	1235هـ-1819م
39- محمد باي نعمان	1226هـ - 1811م	46- إبراهيم باي القرتلي	1237هـ-1821م
40- محمد شاكر	1229هـ -1813م	47- محمد باي مانامانى	1125هـ-1713م
41-قارة مصطفى باي	1233هـ -1817م	48- الحاج أحمد باي	1241هـ-1824م

(1)- Kaddache (mahfoud.), LAlgerie Durant la période ottomane , office des publication ,universitaire ,ben Aknoun ,Alger , 1992 , p.162-163.

للمزيد من التوضيح أنظر :

- محمد المهدي شعيب ، أم الحواضر في الماضي والحاضر.
- محمد الصالح بن العنتري ، تاريخ قسنطينة.

II- دراسة المدن التي شيد بها صالح باي منشآته :

1- مدينة قسنطينة :

أ- أصل التسمية :

وقد أطلق عليها عدة تسميات انقسمت عبر التاريخ إلى قسمين الأولى سيرتا أو كيرطا أو قيرطه أو كيرتن أو كرطن وذلك في العهود التي تلت الملك ماسينيسا[1] ، أما القسم الثاني من التسميات فأهمها (بلد الهوى ، مصامرة سيبوس ، قسنطينة) وأكثر التسميات تداولا هي التسمية الأخيرة (قسنطينة) وقد سماها المغاربة في كتبهم التاريخية قسم طنية تبين على أن اسمها في العصور الماضية حصن طينة [2]، حيث نجدها عند جل المؤرخين والجغرافيين المسلمين ، وقد تعددت التفسيرات حول كيفية كتابتها ونطقها [3] .

وقد نسبت إلى قسطنطين *[1] حينما زار المدينة في سنة 313م فأعاد بنائها ورممها بعد أن كانت مدمرة كليا[4]. وحسب بعض الروايات فإنه كان للإمبراطور قسطنطين أخت اسمها قسطنطان وهو الاسم الذي أطلقه على مدينة قسطنطين [5] .

وقد بقي اسم قسنطينة متـداولا في كتب المؤرخين إلى غاية الفترة العثمانية حيث يشير شلوصر*[2] أنهم كانـوا لايـزالون

---

[1] – محمد الصغير غانم ، معالم التواجد الفينيقي البوني في الجزائر ، دار الهدى ، عين مليلة الجزائر ، 2003 ، ص227.

[2] – سليمان الصيد ، نفح الأزهار عما في قسنطينة من الأخبار ، الجزائر ، ط1 ، 1984، ص09.

[3] – أنظر كلا من : – ياقوت الحموي ، معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، ط2 ، 1995،ج4، ص349

– عماد الدين إسماعيل أبو الفدا ، تقويم البلدان ، تصحيح رونود والبارون ماك كوكين ديسلان، دار الطباعة السلطانية ، باريس 1840 ، ص138-139.

– أحمد بن علي القلقشندي ، صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، شرح وتعليق. نبيل خالد الخطيب ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ط1 1407هـ/1987م ، ج5 ، ص105.

[4] – عبد العزيز فيلالي ، مدية قسنطية في العصر الوسيط ، دار البعث ، قسنطينة– الجزائر ، 2002 ، ص19-21 . أنظر

L.joleaud , <<Les Origines de la Ville de constantin (Algérie)», in : Buulltin de la Société de Gégraphie d'Alger et de l'Afrique de nord , 1918 , p.11.

*1 قسطنطين : إمبراطور بيزنطي ابن قسطنطين تولى الحكم ما بين 306 م – 337 م ، ويعد أول إمبراطور يسمح بحرية ممارسة الدين المسيحي في ظل حكم الإمبراطورية الرومانية .

[5] – مبارك محمد الميلي ، تاريخ الجزائر في القديم والحديث ، تقديم وتصحيح محمد الميلي ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر 1976 ، ص225.

*2 شلوصر : هو فندرلين شلوصر ولد بمدينة ايرفورت بألمانيا ، دخل الجزائر مع بداية الاحتلال الفرنسي ، ثم وقع أسيرا بقسنطينة عند آخر بايات المدينة وهو الحاج أحمد باي في سنة 1832 إلى غاية 1837م . للمزيد أنظر فندرلين شلوصر ، المصدر السابق ص73.

ينادونها بهذا الاسم ، أما العامة من أهلها (العرب) فكانوا ينطقونها بـ"قسمطينة"[1] . وهي نفس التسمية التي نجدها عند ابن أبي دينار الذي ألف كتابه في الفترة العثمانية.

ب- جغرافية المدينة :

1- الموقع الفلكي :

تقع مدينة قسنطينة على خط طول 7.35° شرقا و دائرة عرض 36.26° شمالا ، وهي بذلك تحتل منطقة متميزة بالنسبة للشرق الجزائري ، وترتفع على مستوى سطح البحر بعلو يتراوح بين 621م إلى 740م [2] .

2- الموقع الإقليمي :

تتوسط المدينة إقليم شرق الجزائر ، وهي واقعة خلف الأطلس التلي جنوب غرب عنابة ، لقد كان لها امتداد واسع في العهد العثماني ، فهي تمتد من البحر شمالا إلى ما وراء بسكرة ووادي سوف في حوض ريغ جنوبا ومن الحدود التونسية شرقا إلى ما وراء إقليم ونوغة وبرج حمزة وسفوح جرجرة غربا [3] .

- أما موقع المدينة فهو على شكل مدرج يرتفع في الشمال الغربي عند سفوح جبل المنصورة الذي يفصله عنها انهدام متعرج تشكله مياه وادي الرمال ، هذا الوادي الذي يلتقي بواد بمرزوق الآتي من الجهة الشرقية في المكان المعروف بدار الأقواس (الحنايا القديمة) [4] .

وفي الشمال الشرقي للمدينة ينتصب جبل المنصورة في اتجاه جنوبي شرقي إلى شمالي غربي ، ومع أن هذه الجبال جرداء من الأشجار إلا أنه يمكن استغلالها في الزراعة ، وفي أعلى هذه الهضبة (هضبة المنصورة) ، نجد بها نتوءان إحداها شرقي يشرف على المدينة يعرف بـ (سيدي مبروك) ، أما الثاني الواقع في الشمال الغربي لهضبة المنصورة فيحمل اسم (ضريح سيدي مسيد) .

---

[1] – محمد ابن أبي القاسم ابن أبي دينار ، المؤنس في أخبار افريقية وتونس ، دار المسيرة ، بيروت ، ط3 ، 1993 ، ص163-171.

[2] – محمد الهادي لعروق ، مدينة قسنطينة دراسة في جغرافية العمران ، د.م.ج ، بن عكنون ، الجزائر ، 1984 ، ص 14 .

[3] – محمد الصالح بن العنتري ، المصدر السابق ، ص17.

[4] – ناصر الدين سعيدوني ، وصف مدينة قسنطينة حسب معلومات جديدة للقبطان هيبوليت1832 ، عن مجلة "الأصالة" ، وزارة الشؤون الدينية، مطبعة البعث ، قسنطينة ، عدد جوان – جويلية 1979م / 1399 هـ ، ص 8.

وتقع المدينة على كتلة كلسية ذات شكل مثلث غير منتظم الأضلاع قاعدته في الشمال ورأسه في الجنوب يطوقها وادي الرمال ، و تتربع الكتلة الصخرية على العدوة الغربية لوادي الرمال يقول العبدري :

" ... وقد دار بها واد شديد الوعران بعيد القعر ، أحاط بها كما يحيط السوار بالمعصم ، ومنعها كما يمنع النوق الأعظم ... " [1] .

إن للموقع الجغرافي للمدينة تأثيرا كبير على عمرانها فقد جاءت معظم بناياتها على كتلة صخرية مما صعبة في البداية من البناء ومن إيصال المواد المستخدمة في ذلك كما ساهم موقع المدينة والذي يفصل بين شطريها واد الرمال من تطوير الجسور لتتماشي مع عمليات الربط بين هاذين القسمين كما جاء عمرانها أيضا متماشيا مع المناخ البارد للمنطقة .

وتحتل المدينة بذلك موقعا أعلى خط التل ، الذي يشكل المحور الذي تتلاقى فيه شبكة الطرق الممتدة عبر المدن الجزائرية في مختلف الاتجاهات ، وهو أحد الأقاليم الاقتصادية والسكانية الرئيسية الهامة في المنطقة منذ القديم إلى وقتنا الحالي ، فقد كانت محطة لمرور القوافل التجارية ، إذ تلتقي فيها معظم المسالك التجارية المتنقلة من الشرق إلى الغرب ومن الشمال إلى الجنوب والعكس ، وهو الأمر الذي أكسبها طابعا مميزا في التكوين الحضاري .

3- مناخ المنطقة :

بحكم موقع المدينة في منطقة الهضاب العليا تتميز بجل الخصائص المناخية العامة للمناطق الداخلية في الجزائر الخاضعة لتأثير الانخفاضات الجوية القادمة من الغرب إلى الشرق ويحد الإقليم من الجنوب الصحراء مما يجعلها تتميز بمناخ شبه قاري تداخلت في تكوينه المؤثرات الصحراوية جنوبا والمؤثرات البحرية شمالا.

تنخفض درجة الحرارة إلى ما دون الصفر خلال شهور الشتاء ويبلغ المدى الحراري السنوي 18.35°م [2] لكونها تقع في منطقة الهضاب العليا المتكونة من سلاسل جبال نوميديا والبابور التي تحجبها عن المؤثرات البحرية.

---

[1] – محمد الهادي العبدري ، الرحلة المغربية ، ت .أحمد بن جدوا ، الجزائر ، 1965 ، ص 23 – 29.

[2] – عبد العزيز فيلالي و محمد الهادي العروق ، المرجع السابق ، ص 148.

ج- قسنطينة من خلال النصوص التاريخية :

تحدث العديد من المؤرخين والرحالة والجغرافيين عن مدينة قسنطينة حيث أبرزوا موقعها وأهم ما تتميز به من خصائص في مختلف المجالات ، وأبرز من تكلم عليها :

ابن حوقل حيث حدد موقعها وأهم المناطق التي تحدها [1] .

في حين تحدث البكري عن حصانة المدينة وموقعها المنيع ، كما ذكر الأودية التي تتصل بها ومدى روعتها الطبيعية وكذا أهم القبائل التي كانت تسكنها (ميلة – نفزاوة – قسطيلة) بالإضافة إلى ذكر أسواقها [2] .

– أما الإدريسي فيصف أسواقها وأهم المنتجات التي تباع فيها ، بالإضافة إلى موقعها وتكوينها الطبيعي ، كما تحدث عن كيفية البناء وأهم المواد المستعملة في تشييد المنازل في المدينة ووصف وديانها وتحصينها الطبيعي بالإضافة إلى السور المقام جهة ميلة والمزارع الممتدة في جميع جهاتها [3] . ومن جهته أبرز ياقوت الحموي موقع قسنطينة بالتحديد وأهم المناطق التي تحيط بها ، كما تكلم عن مزارعها ومناطقها الرعوية ثم أورد بعد ذلك وصف البكري بأكمله [4] .

– وممن وصفها أيضا ابن سعيد الذي حدد موقعها الجغرافي كما ذكر أوديتها [5] .

وأبرز أبو الفدا روعة الوادي المحيط بالمدينة كما بين المسافة التي بينها وبين المسيلة [6].

في حين حدد القلقشندي موقعها واهم المناطق المجاورة لها كما أخذ عن السابقين له [7].

وأشار الحسن الوزان (ليون الإفريقي) إلى تحصين المدينة بالإضافة إلى نسيجها العمراني وتحدث عن أسواقها وأوصاف سكانها وعاداتهم وحكامهم ، كما وصف أراضيها الزراعية التي تمتاز بالخصوبة ، وكذا بعض المعالم التي تتميز بها المدينة [8] .

---

[1] – أبي القاسم ابن حوقل، صورة الأرض، القسم الأول ، ط2 ، 1967، ص 95

[2] – أبو عبيد البكري ، المسالك و الممالك ، ج2 ، حقيقة. أدريان فان ليوفن و أندري فيري ، الدار العربية للكتاب ، بيروت 1992، ص 729 – 730 .

[3] – أبو عبد الله الشريف الإدريسي ، وصف إفريقيا الشمالية والصحراوية مأخوذ من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق صححه .هنري بيرس ، الجزائر ،1957 ، ص 67 – 71.

[4] – ياقوت الحموي ، المصدر السابق ، ص 349 .

[5] – أبو الحسن بن سعيد المغربي ، الذخائر الجغرافية ، حققه. إسماعيل العربي ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، ط1 ، 1970 ص 142 – 145 .

[6] – عماد الدين إسماعيل أبو الفدا ، المصدر السابق ، ص138-139.

[7] – أحمد بن علي القلقشندي ، المصدر السابق ، ص 105.

[8] – الحسن الوزان ، وصف إفريقيا ، ج2 ، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت لبنان ، 1983 ص ص55-60 .

كما وصف الورثيلاني في رحلته عن تحصينات المدينة فقال "... وعليها سور كبير ... وعسكر من الترك بقدر حالها وباي سطوته عظيمة وحاله كبير ، وعساكره كثيرة ، ومددها قوي ..." [1] .

ومن النصوص الآنفة الذكر نستنتج أن المدينة كانت تتوفر على جميع الشروط التي أوصى بها الفكر العمراني للمسلمين في بناء المدن والمتمثلة في : الميرة المستمدة ، اعتدال المكان ، جودة الهواء ، الحصن المنيع ، القرب من المرعى والاحتطاب ووفرة المياه .

د- التطور التاريخي لمدينة قسنطينة :

تعتبر قسنطينة من أهم المدن الجزائرية بتاريخها وتراثها وحضارتها ، حيث تعد من أقدم المدن ، وقد مرت بجل الفترات التاريخية وعايشت مختلف الحضارات التي مرت على الجزائر.

1- قسنطينة قبل الإسلام :

اختلف الدارسون في الجذور الأولى للمدينة ، لكن الأبحاث الحديثة والمكتشفات الأثرية والجيولوجية أكدت استقرار الإنسان في هذه المنطقة ، لأن الوادي المحيط بالصخرة يعود في تكوينه إلى الزمن الجيولوجي الرابع (عصر البلايستوسين الحديث (Pléistocène Moderne) ، إن هذه المخلفات اكتشفت في محيط المنصورة وكان ذلك على يد العالم الأثري فيليب توماس سنة 1884م ، وأكد ذلك الباحث جلود (Gloud)سنة 1912م والبعض من هذه المكتشفات توجد في متحف سيرتا الأثري [2] .

لكن البداية الحقيقية للمدينة كانت عندما استوطنتها قبائل الماسيل *[1] واتخذتها كعاصمة لها وذلك خلال الفترة الممتدة بين القرنين 4 -3 ق . م ، إذ بدأت قسنطينة كقرية صغيرة ثم تطورت مع مرور الزمن إلى مدينة وأصبحت فيما بعد عاصمة سياسية وإدارية ومركزا تجاريا هاما .

---

[1] – الحسن بن محمد الورثيلاني ، نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، 1974 ، ص686.

[2] – محمد الصغير غانم ، قسنطينة عبر تاريخها القديم ، عن مجلة "العلوم الإنسانية"، دار الهدى عين مليلة ، الجزائر، عدد12. 1999 ، ص 140.

*[1] قبائل الماسيل : هي قبائل كانت منتشرة في الإقليم الشرقي للجزائر والإقليم الغربي للديار التونسية اشتهرت بتربية المواشي والرعي وخدمة الأرض ،كما ساعدتها الظروف التاريخية والجغرافية على النمو والازدهار.

ففي العهد النوميدي تميزت بالرخاء والثراء وبلغ عدد سكانها آنذاك حسب تقدير ستيفان قزال (Gsel-s) ما بين (150 – 180 ألف نسمة) ، حيث كانت مركز للتجارة لمختلف المناسبات غير أن هذا الرخاء الذي بلغ ذروته في عهد ماسينيسا لم يدم طويلا وذلك لطمع الرومان بها ، فسيطروا عليها عام 112 م [1] ، وفي بداية حكمهم لم تعرف المدينة الاستقرار بسبب ثورات أهل المدينة والقبائل النوميدية المجاورة لها والتي كانت ترفض الاحتلال الأجنبي ، وقد تزعم يوغرطة هذه المقاومة ، إضافة إلى عدم استقرار الحكم الروماني بها بسبب الصراع المتباين بين الطبقة الحاكمة من قادة وضباط وأصحاب النفوذ بالمدينة وأهل البلاط ، فهذه الأمور كلها كانت السبب في إثارة الاضطرابات السياسية والفوضى الاجتماعية لفترة طويلة من الزمن ، وهذا ما أدى أخيرا إلى تدمير منشآت المدينة وتخريب عمرانها وهدم أسوارها سنة 308م.وبقيت على هذا الحال مدة أربع سنوات إلى أن أمر الملك الروماني قسطنطين الأكبر (271-337م) بإعادة بنائها سنة 311م وأعطاها اسمه[2]. وقد خلدت المدية ذكرى هذا الملك بإقامة تمثال له يوجد اليوم أمام محطة السكة الحديدية [3].

ونظرا لأهمية موقعها الإستراتيجي والاقتصادي أصبحت فريسة لأطماع المحتلين والغزاة ، فخضعت بعد ذلك لحكم الوندال قرابة القرن من الزمن (432 – 534 م) ، لكنهم لم يتركوا آثارا حضارية بها ماعدا المجموعات النقدية التي عثر عليها بالحامة وبولهيلات وهي معروضة بمتحف سيرتا [4]. وتلاهم الروم البيزنطيون (534 – 634 م) وبذلك عادت إلى حاضرة الدولة الرومانية ، إلا أن ثورات زعماء النوميديين لم تهدأ حتى أخمدها البيزنطيون بعد جهد كبير ، لكن نار الغضب ظلت تلهب الأهالي حيال هذا التواحد الغير المرغوب فيه واستمر العداء حتى ظهور الإسلام في إفريقيا [5] .

2- قسنطينة في العهد الإسلامي :

إن تاريخ فتح المدينة على يد المسلمين من الصعب تحديده ، لأن المصادر القديمة لم تشر إلى ذلك باستثناء ما ذكره المؤرخ محمد المهدي شعيب أن عقبة بن نافع بعد عودته إلى المشرق في المرة الأولى خلفه أبو المهاجر دينار حيث بقي قائدا للجيش العربي الفاتح وحل بمنطقة ميلة واستقر بها مدة عامين (55 – 56 هـ / 674 – 675 م).

---

[1] – عبد العزيز فيلالي ، المرجع السابق ، ص 11.

[2] – عبد العزيز فيلالي ومحمد الهادي لعروق ، المرجع السابق ، ص25.

[3] – عبد الرحمن محمد الجيلالي ، المرجع السابق ، ج1 ، ص 72.

[4] – رشيد بورويبة ، قسنطينة ، سلسلة الفن و الثقافة ، وزارة الإعلام ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، جوان 1978 ، ص 49.

[5] – عبد العزيز فيلالي و محمد الهادي العروق ، المرجع السابق ، ص 31 .

فقد كانت ترسل منها بعوثه ودعاته فاتصلوا بسكان قسنطينة وأبلغوهم بالدعوة إلى الإسلام فيكون بذلك بداية ظهور الإسلام بها [1].

ولاشك أن سكان قسنطينة كانوا ناقمين عن البيزنطيين كبقية سكان شمال إفريقيا كلهم لما كانوا يلقونه من عنف وقوة ومغارم ، فاستغلوا الفرصة المناسبة لاستقبال المسلمين الفاتحين وانتقامهم من أعدائهم الروم ، ولهذا كان دخول المدينة تحت راية الإسلام بدون قتال يذكر [2] .

أصبحت المدينة بعد ذلك تابعة إداريا وسياسيا للقيروان عاصمة ولاية المغرب الإسلامي ، ففي العهد الأغلبي والفاطمي كان دور المدينة ثانويا لأن الأغالبة اهتموا بالقيروان وتونس وأنشؤوا مدنا أخرى كالعباسة ورقادة [3]

وأثناء العهد الزيري بقسنطينة انتشرت الثورات والصراعات على السلطة وذلك عند نهاية القرن 4 هـ /10 م حيث اشتد الصراع عليها بين الحماديين وبني عمومتهم الزيريين وخاصة بعد انتقالهم من القلعة إلى بجاية ، حيث قام المنصور خليفة الناصر بني علناس بمحاصرة قسنطينة ، ودخوله إليها كان في نهاية القرن 7 هـ / 11 م وبذلك بقيت تابعة لبجاية الناصرية إلى غاية القرن 8 هـ / 12 م [4].

أما في العهد الموحدي فإن المدينة خضعت لهم بعد سنة (548 هـ / 1154 م) وبالرغم من المحاولات المتعددة من طرف المرابطين للسيطرة عليها إلا أنهم فشلوا بسبب حصانتها ، وبقيت موالية للموحدين 70 سنة إلى غاية سقوط دولتهم وانقسامها ، وقامت على أنقاضها الدويلات الثلاث الحفصية ، الزيانية ، المرينية ، ولأن المدينة كانت قريبة جغرافيا للدولة الحفصية فقد تمكن الحفصيون بقيادة أبو زكريا من الإستلاء عليها وعلى جميع الشرق الجزائري ودخوله لها سنة 628 هـ / 1230 م وأسره لأصحاب النفوذ فيها وإرسالهم إلى تونس [5]. وقد ذكر المؤرخ ابن خلدون حادثة سيطرة أبي زكريا على قسنطينة وكيفية إستلائه عليها [6].

---

(1) – محمد الهادي شعيب ، المرجع السابق ، ص 230 – 231.

(2) – نفس المرجع ، ص 17.

(3) – عبد العزيز سالم ، المغرب الكبير في العصر الإسلامي ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ج2 ، 1981 ، ص 414 .

(4) – Paul(Louis Cambuzat) , Lévolution de cites de tell en Ifriqiya , o.p.u.tII, p 75 -78.

(5) – عبد الرحمن الجيلالي ، المرجع السابق ، ج 2 ، ص 12 .

(6) – عبد الرحمن ابن خلدون ، تاريخ ابن خلدون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، المجلد 6 ، د ت ، ص 336– 386.

عمل بنوا حفص على تقسيم ممتلكاتهم إلى أقاليم ، فكانت قسنطينة من بين هذه الأقاليم واعتبرت القاعدة الثانية للحفصيين بعد تونس وعدت العمق الإستراتيجي والاقتصادي للسلطة المركزية وإحدى قلاعها العسكرية المنيعة لقد اتسع عمران المدينة في هذه الفترة وكثرت مساكنها و مساجدها وكتاتيبها وشيدت بها الحمامات والفنادق والأسواق حتى أصبحت تضاهي الحواضر المغربية الكبيرة [1].

أثناء حكم الحفصيين للمدينة شهدت عدت حملات من طرف المرنيين أهمها: حملة أبو الحسن المريني (748 هـ / 1337 م) وحملة أبو عنان المريني (758 هـ/1356 م) والتي وصفها المؤرخ بن الحاج النميري وصفا دقيقا [2].

3- قسنطينة في العهد العثماني :

لقد اختلف الباحثون حول تاريخ دخول العثمانيين لمدينة قسنطينة وهذا للافتقار إلى الوثائق المعاصرة لهذه الفترة ، وكذلك سكوت المصادر المعاصرة للفترة عن هذا الحدث وللخروج بتاريخ محدد قام عدد منهم أمثال : ميرسي (Merçies)و لمبري (Lambri)و دافيني(Davini) بإعطاء تاريخ لهذا الأخير ، فنجد أن ميرسي فقد تعرض إلى هذه الحادثة وأشار إلى أن قارة حسن بعد دخولها القالة واصل السير إلى قسنطينة وكان ذلك بين 1519م ، أما الأسير الإسباني هايدوا (Haédo) فيقول أن استيلاء خير الدين بربروس على ميناء القل حوالي سنة 926هـ/1520م أدى إلى دخول قسنطينة تلقائيا تحت النفوذ العثماني لأن الميناء كان شريان الحياة بالنسبة لتجارة المدينة[3] ودافيني عام 1522 م ، أما فايست (Vayssette)فقد حدده عام 1525 م [4] و ذلك اعتمادا على وثيقة تعود إلى سنة 935 هـ /1520م تقول أن قسنطينة تمردت على حكم خير الدين بربروس فأرسل إليه قائده قارة حسن الذي أعادها إلى الحكم العثماني ، ولومبري عام 1526 م ، أما الكاتب الإسباني (مارمول) فإنه يقول أن مدينة قسنطينة آلت إلى الأتراك العثمانيين بعد وفاة آخر القادة الحفصيين أي سنة 940هـ / 1534 م وقد وضع هؤلاء على مشارف المدينة حامية فورية تعزز وجودهم بالمنطقة [5]

---

[1] – عبد العزيز فيلالي ومحمد الهادي العروق ، المرجع السابق ، ص 68 – 69.

[2] – أنظر : ابن الحاج النميري ، فيض العباب و إفاضة قداح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة و الزاب ، ت. محمد بن شقرون ، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان،ط1،1990، ص 289.

[3]- Vayssttes(E) , Histoire de Constantine sous la domination turque de 1517 à 1837 Constantine, in (R . C) , 1867, p 256.

[4] – Berbrugger(A), Epoque de l'établissement de turcs à Constantine , in(R . A) 1986 P 401-42.

[5] - Mericier(E) , Op.cit, p 193.

-أنظر : محمد الصالح العنتري ، المصدر السابق ، ص 7 .

أما المؤرخ التونسي أبو المهاجر دينار فيقول عن نفس الموضوع "في أيام الحسن تولى الحكم سنة 932هـ/1526م كانت قسنطينة في يد الترك" وهذا يعني أن دخول العثمانيين قسنطينة كان إما بعد هذا التاريخ أو قبله ، وبذلك فإن هذا الرأي لايحدد أيضا تاريخ الحدث بدقة [1]. وهذا الذي أشار إليه المؤرخ ابن أبي الضياف[2] .

أما لامبيري في كتابه "علاج السفينة في بحر قسنطينة" فيقول أن العثمانيين دخلوا قسنطينة في سنة 932هـ/1526م وهو تاريخ وفاة أمير تونس أبي عبد الله محمد ولعله أخذ هذا عن ابن أبي دينار وكما يقول نفس المصدر أن أول حاكم عثماني لقسنطينة هو رمضان باي الذي تولى الحكم سنة 935هـ/1528م [3] .

ومن مختلف الآراء السابقة يمكن الوصول إلى نتيجة و هي أن الافتقار للوثائق المعاصرة للحدث ، حيث لم يكتب عن قسنطينة العثمانية غير ابن العنتري الذي ولد بين 1790و1800م وتوفي بين 1287هـ/1870م ، وابن المبارك (1790-1870)، وهذا ماجعل من الصعب جدا الأخذ بأحد الآراء دون غيرها لذلك فدخول العثمانيين إلى مدينة قسنطينة لم يكن مرتبطا بتاريخ معين بل كان على مراحل وبعد محاولات عدة . ورغم وصولهم عدة مرات إلى مشارف المدينة وإقامتهم حاميات بالقرب منها ، إلا أن الدخول الفعلي كان ما بين (940- 960 هـ / 1534 – 1554 م) فالوجود العثماني قبل هذه الفترة كان رمزيا وغير مستقر .

عقب دخول العثمانيين إلى المدينة ظهر تياران متناقضان ، الأول رفض الوجود العثماني بالمدينة وكان على رأسه أسرة عبد المؤمن من شيوخ الإسلام في العهد الحفصي ، ساندها في ذلك عرب أولاد بن صاولة وقد كانت المعارضة شديدة ، أما التيار الثاني فقد ساند دخولهم إلى المدينة وتزعمتهم أسرة الفكون ، وقد كان اتصال العثمانيين بهذه العائلة للوقوف معهم مبكرا ويرجع إلى سنة (928 هـ / 1522 م) [4].

---

[1] – محمد ابن أبي القاسم ابن أبي دينار ، المصدر السابق ، ص163.

[2] – أحمد ابن أبي الضياف ، إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس في عهد الأمان ، تحقيق. لجنة من كتابه الدولة للشؤون الثقافية والأخبار ، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية ، ج1 ، 1963 ، ص191.

[3] – جميلة معاشي، المرجع السابق ، الأسرة المحلية الحاكمة في بايلك الشرق الجزائري من القرن 10هـ – 16 م/ 13هـ – 19 م دراسة اجتماعية سياسية ، رسالة لنيل ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة قسنطينة ، 1990-1991 ، ص 94 . أنظر أيضا:

- Férauda(CH.) , Epoque de l’etablissement des turcs à constontine, in : (R..A) , 1866, P.191.
- Mericier(E) , Opcit , P.191.

[4] – جميلة معاشي، المرجع السابق، ص 99 .

4- التطور العمراني لمدينة قسنطينة :

أ- قبل الإسلام :

لقد استوطن الإنسان في مدينة قسنطينة منذ أقدم العصور ، فنجد أن إنسان ما قبل التاريخ قد اتخذ من كهوفها ومغاراتها وأدغالها بيوتا ليحتمي بها من الظواهر الطبيعية ومن الوحوش البرية ، وقد اختار العيش على ضفتي الوادي .

بعد مرور فترة زمنية معتبرة طورتها قبائل الماسيل وانتقلت بها من العصر الحجري إلى العصر التاريخي ففي عهدهم أصبحت عاصمة سياسية بعد أن كانت قرية صغيرة فتطور عمرانها وازدادت مساحتها ، فأصبحت تتوفر على مراكز للتخزين ومصانع وأسواق رئيسية ومرافق للخدمات الاجتماعية والدينية ، إضافة إلى كونها مقرا للحكم والسلطة المركزية [1].

استمرت المدينة بالرقي والازدهار على يد النورمديين حيث بلغ عدد سكانها حسب تقدير ستيفان قزال(Gsell –S–) مابين (150-180 ألف نسمة)، وهذا الرقم الكبير يدل على ما بلغته المدينة من اتساع عمراني ، إلا أن هذا الاستقرار لم يدم فبعد احتلالها من طرف الرومان سنة 112م [2] قامت مقاومة شديدة من طرف السكان المحليين أدت إلى تهديم المدينة بالكامل حيث أعاد كما ذكرنا قسطنطين بنائها ، ومن خلال دراسة مخططها في هذه الفترة يتضح بأن المدينة الرومانية بصفة عامة في بلاد المغرب ، وقسنطينة خاصة ماهي إلا صورة طبق الأصل لمدينة روما في مؤسساتها ومبانيها ومعابدها ، وفي شكلها وتخطيطها المعماري [3].

لقد تلى الرومان الوندال الذين لم يخلفوا آثارا معمارية تدل على توسعات في المدينة أو في عدد سكانها ، نفس الشيء ينطبق على البيزنطيين الذين تميزت فترتهم بالفوضى والثورات.

ب- في العهد الإسلامي :

لما استتب الأمر للمسلمين في المنطقة أصبحت قسنطينة تابعة للقيروان ، لقد تميزت فترة الأغالبة بالازدهار فاستفادت المدينة من ذلك خاصة في الجانب التجاري فازدهرت أسواقها ، هذا ما أدى لتوسيع المدينة خاصة المساحات المخصصة للتجارة [4].

---

[1] – محمد الهادي لعروق ، المرجع السابق ، ص45.

[2] – عبد العزيز فيلالي ، مدينة قسنطينة ، ص11.

[3]- Grimal (P) , Les villes Romanes , Paris,1945, p,15.

[4] – عبد العزيز فيلالي ومحمد الهادي لعروق ، المرجع السابق ، ص54.

أما في خضم الصراع المذهبي بين الفاطميين والعباسيين (الأغالبة) ، فقد عرفت بلاد المغرب في هذه الفترة نهضة حضارية شاملة في ميدان الصناعة والتجارة والفلاحة والعمران بإنشاء المدارس والقصور والمصانع حيث ازدهرت صناعة الخزف في مدينة تديس (بوابة قسنطينة) [1].

لقد استرجعت المدينة مكانتها في الفترة الزيرية والحمادية ، وأصبحت من أهم المراكز الحضارية في بلاد المغرب بعد مدينة القيروان ، حيث شجعوا العلم والعلماء فكثرت بها مراكز الثقافة من كتاتيب ومعاهد ومساجد وقد ساعدت هذه الأوضاع على الازدهار الصناعي والاقتصادي والعمراني بالمدينة [2].

كما أن الفترة الحمادية تمتعت بنهضة اقتصادية كبيرة ونشاط تجاري دؤوب وحركة علمية واسعة ساعدها في ذلك شبكة الطرق التي تربطها مع مختلف الاتجاهات والمدن الساحلية والموانئ البحرية ، إلى جانب هذه النهضة فلا شك أن المدينة عرفت تطورا معماريا ونشاطا عمرانيا كبيرا ، سواء في الجانب المدني أو الديني ، فقد بني في هذه الفترة الجامع الكبير الذي شيده الأمير الحمادي يحي بن عبد العزيز سنة 530هـ/1236م [3].

فالمدينة كانت تتكون من القصبة وهي المحور الذي يتطور حوله العمران وهي النواة الأساسية للمدينة وقلبها النابض وحولها زادت الأحياء وكبرت المدينة وزاد عمرانها بها بابان باب ميلة في شرقها وباب القنطرة في غربها ، بهذا فالمدينة احتفظت بمخططها القديم باستثناء التغييرات التي فرضتها العادات الإسلامية والتأثيرات الإقليمية وكذا الزيادة الديموغرافية الملحوظة ، ومن أهم المعالم المنتشرة (دار الإمارة الجامع – السوق) إلى جانب هذه المركبات نجد الدكاكين والمحلات التجارية وكذا الشوارع التي حافظت على طابعها القديم القائم على تقاطع الطريقين الرئيسيتين ، إلا أنها تغيرت فيما بعد واتسعت وكثرت بها الشوارع الرئيسية [4].

وكانت المدينة مقسمة إلى ثلاث مناطق أو أحياء : الحي الخاص بالصناعة ، الحي الخاص بالسكن الكثيف والحي الثالث وهو الضاحية أو الأطراف [5]. (الخريطة 03)

لم تعرف المدينة تطورات كبيرة في الفترة الموحدية وبعد انقسام الدولة الموحدية أصبحت قسنطينة تابعة للحفصيين ، كانت قسنطينة في العهد الحفصي عاصمة ثانية لهم بالمغرب الوسط والعاصمة الأولى كانت بجاية، وعندما تتصادم القوتان الحفصية والزيانية حول بجاية ونواحيها ينقل حكام بجاية الحفصية عاصمتهم إلى قسنطينة [6].

---

[1] – محمد المهدي شعيب ، المرجع السابق ، ص33.

[2] – عبد العزيز فيلالي ومحمد الهدي لعروق ، المرجع السابق ، ص54.

[3] – رشيد بورويبة ، المرجع السابق ، ص17.

[4] – محمد الهادي لعروق ، المرجع السابق ، ص55.

[5] – عبد العزيز فيلالي ومحمد الهادي لعروق ، المرجع السابق ، ص61-62.

[6] – عبد العزيز فيلالي ، المرجع السابق ، ص54

وبسبب مكانتها لدى بني حفص فقد قصدها الناس من كل الأماكن فاتسع عمرانها بتشييد القصور الحفصية والمنازل العامة ، وزيد في عدد مساجدها وأسواقها وحماماتها وخاناتها فازدهرت أسواقها ، إن هذا التوسع العمراني أدى إلى فتح باب ثالثة بالمدينة وهو باب الجابية بالجنوب لتسهيل حركة المرور في المدينة وخارجها [1].

ج- في العهد العثماني :

تعتبر قسنطينة في العهد العثماني المدينة الثانية بعد العاصمة ، فهي عاصمة بايلك الشرق ، حيث امتدت على رقعة شاسعة ، ويعتبر الحكم العثماني بها ملازما لازدهار الحياة السياسية والاقتصادية والثقافية والتطور العمراني.

لقد بلغت المدينة أقصى إتساعاتها في الفترة العثمانية ، حيث ازدهر عمرانها وراجت تجارتها وتغيرت شبكة المواصلات بها ، وبسبب هذه الزيادة العمرانية الكبيرة زادت عدد أبوابها فأضيف لها باب الرحبة ويعرف كذلك باسم الباب الجديد يقع بالجهة الغربية تنتهي إليه طريق الجزائر ، كان في السابق يؤدي دورا ثانويا [2] ، بالإضافة إلى باب الوادي الذي يقع غير بعيد عن باب الرحبة ، حيث يبعد عنه بحوالي 100م ، يؤدي إلى الجهات الجنوبية. أما باب القنطرة وباب الجابية فقد حافظت عليهما المدينة من العهود السابقة ، ولم تذكر المصادر مصير باب ميلة.

والملاحظ على هذه الأبواب أنها ترتبط بالأطراف الأخرى المقابلة للمدينة عبر جسور ومن أبرزها جسر القنطرة الذي كان في الأصل جسرا رومانيا ، بالإضافة إلى جسر سيدي راشد. (الخريطة 06).

- من علامات التقسيم في المدينة الإسلامية بصفة عامة وفي قسنطينة خاصة هو تقسيمها إلى أحياء كبيرة ، يحتل كل حي حيزا مكانيا بأحد أطراف المدينة ، وتتكون الأحياء في حد ذاتها من وحدات سكنية متلاصقة ببعضها البعض .

ويبدو في قسنطينة أن المدينة الحضرية قد تكونت بصورة مماثلة للمدن الكبرى الموجودة في العالم الإسلامي فقلب المدينة المشكل للكثافة العالية ، وغالبا ما يكون مركزها ذو طابع تجاري لما يمثله الجانب الاقتصادي من أهمية.

وقد قسمت المدينة في الفترة العثمانية إلى أربعة أحياء رئيسية ذات طابع سكني وهي على التوالي:

1- حي القصبة : يقع بالجهة الشمالية الغربية من المدينة ويغطي مساحة معتبرة ، يمر بجانب هذا الحي الطريق الرئيسي الرابط بين باب الجديد وباب القنطرة ،كما يحتوي هذا الحي على عدد من الجوامع أشهرها جامع القنطرة

---

[1] – عبد العزيز فيلالي ومحمد الهادي لعروق ، المرجع السابق ، ص68-69.

[2] – عن أبواب المدينة أنظر : فاطمة الزهراء قشي ، قسنطينة المدينة والمجتمع ، ج2 ، رسالة دكتوراه في التاريخ ، جامعة قسنطينة 1998، ص240.

وجامع سيدي لخضر ، وبازدهار المدينة في فترة صالح باي أخذ هذا الحي يأخذ أهمية إستراتيجية حيث أصبح حيا عسكريا أقيمت به عدة منشآت وسكنى للقادة ، يرجع الاهتمام بهذا الحي لأنه يشغل الجهة الأكثر تحصينا بالمدينة.

2- حي القنطرة : يقع بالجهة الشمالية الشرقية ويشغل مساحة متوسطة ، يقطعه الطريق الرئيسي الذي يربط باب القطرة بالأبواب الثلاثة الأخرى بالجهة المقابلة مما يكسبه حركة ونشاطا دائمين ، يضم حي القنطرة عدة مرافق عامة تضمن قضاء الحاجة للسكان دون عناء كالمساجد ، حيث كان يحتوي على ثلاث مساجد بالإضافة إلى زاوية وكوشة خبز وحمام ومراكز لبيع المستهلكات اليومية ومدرسة قرآنية ، أما الجهة الغربية فهي محاذية للأسواق الكبرى وأقربها إليه سوق الجمعة ورحبة الصوف.

3- حي الطابية : يقع بالجهة الجنوبية الغربية يعتبر أصغر الأحياء مساحة ، توجد به عدة مساجد أكبرها مسجد علي بن مخلوف ، يتكون هذا الحي من وحدات سكنية متلاصقة ببعضها البعض .

4- حي الجابية : يشغل الجهة الجنوبية الشرقية ويعتبر أكبر الأحياء مساحة وكثافة ، وقد أنشأ في منحدر صعب على حافة الوادي . يظم في وسطه حي السويقة والزلايقية ورحبة الجمال ، كما يضم مجموعة معتبرة من المساجد يبلغ عددها 14مسجدا ، أكبرها الجامع الكبير الذي يعود للفترة الحمادية و04 حمامات بالإضافة إلى بعض الشوارع التجارية الحرفية.

- إضافة إلى هذه الأحياء الأربعة الكبيرة السالفة الذكر يوجد بالمدينة حي خامس يحتل مركز المدينة وهو سوق التجار الذي يعتبر أكبر الأحياء نشاطا (الخريطة 04) [1].

- وما يمكن قوله أن هذه الأحياء لا تغطي كل مساحة المدينة فتوجد مساحات أخرى غير مسماة ولا يشملها التقسيم ، والشيء الذي لمسناه خلال تطرقنا لدراسة أحياء المدينة في الفترة العثمانية هو الاستقلالية التي يحظى بها كل حي ، فإذا أخذنا أي نموذج من هذه الأحياء ندرك مدى استقلاليته ، واحتوائه على كل المؤسسات الضرورية لأفراده ، فالحي الواحد نموذج مصغر للمدينة يضم مسجدا يقوم بوظيفة المسجد الجامع وكوشة ومخزن للمياه وسوق ومدرسة قرآنية وحمام.

لقد ربطت الأحياء السالفة الذكر بمجموعة من الطرق (الشوارع) ، لأن نظام المواصلات له مكانة هامة وأساسية في تخطيط المدن وأهمها : أ- الطرق الرئيسية (الشوارع العامة) :

---

[1] – للمزيد عن أحياء المدينة أنظر :

-Bernard (Bagand) , La midina de Constantine de la cete traditionnel au ceutre de la glomeration universitè de Poitiers , 1989 , P.164.

– الطريق الأول: ينطلق من الباب الجديد ليصل إلى حي القصبة التي تضم العديد من المساكن الخاصة.

– الطريق الثاني: ويدعى طريق الموقف ، يؤدي إلى سوق العصر مرورا أمام دار الباي مخترقا سوق الغزل.

– الطريق الثالث: يمثل الشريان الرئيسي للتجارة والحرف ، حيث ينطلق من باب الوادي ويؤدي إلى رحبة الصوف ولهذا فإن هذا الطريق يعتبر تجاريا.

– الطريق الرابع : ينطلق من باب الجابية قاطعا في ذلك حي الجابية مرورا بحي السويقة ليصل في نهايته إلى باب القنطرة .

بالإضافة إلى هذه الطرق الرئيسية ، نجد أيضا طرقا ثانوية وكذا ممرات محدودة لربط الأحياء ، حيث تكون متصلة ببعضها البعض وكذا بالطرق الرئيسية.

كانت قسنطينة سوقا كبيرة تغطي مطالب الشرق الجزائري برمته ، وكانت أسواق القبائل في الشرق الجزائري ضعيفة وعليه يتم بيع البضائع المصنعة في المدينة[1]. ، إضافة إلى ارتفاع عدد السكان بالمدينة وتوسع عمرانها أدى بطبيعة الحال إلى زيادة عدد أسواقها ، فنجد في فترة صالح باي ستة أسواق وهي :

– سوق الجمعة : يقع بالناحية الشمالية الشرقية للمدينة على حافة واد الرمال ذو مساحة واسعة.

– سوق العصر : يقع جنوب سوق الجمعة وهو أقل اتساعا من سابقه .

– رحبة الصوف : هي عبارة عن مساحة فسيحة كانت ملتقى تجار الصوف والوبر القادمين من الصحراء والشرق وهو يتوسط الصحراء.

– سوق الغزل : يقع شمال شرق قصر أحمد باي ، و التجارة الممارسة فيه هي الغزل والصوف.

– رحبة الجمال : تقع بين باب الواد وباب الجابية على حافة الصخرة

إضافة إلى عدة سويقات اختصت في تلبية الحاجيات اليومية لقطاع صغير من المدينة ، وكذا بعض الشوارع الحرفية والتجارية كسوق العطارين والصياغين و القصاعين [2].

أما فيما يخص الجانب الدفاعي و التحصيني للمدينة فقد عرفت إضافات معتبرة في هذه الفترة ، فإلى جانب السور اشتمل النظام الدفاعي على بطاريات (مدافع) تنتصب فوق الأبواب ، كما زودت بأبراج للمراقبة واستعملوا في تحصينهم للمسافة الممتدة بين باب الجابية وباب القنطرة نبات الصبار بكثافة لتصعيب اجتياز ذلك المكان (الخريطة 05) ، لقد أفادنا الورثيلاني بمعلومات حول تحصين قسنطينة حيث قال (... وعليها سور كبير ... وعسكر من الترك بقدر حالها ، وباي سطوته عظيمة وحاله كبير وعساكره كثيرة ومددها قوي ...) [3].

---

[1] – فاطمة الزهراء قشي ، المرجع السابق ، ص267.

– أنظر : نفسه ، ص242-243.

[2] – أنظر : فاطمة الزهراء قشي ، المرجع السابق ، ص245.

[3] – الحسن بن محمد الورثيلاني ، المصدر السابق ، ص686.

2- مدينة عنابة

أ- أصل التسمية

بحث العديد من الباحثين في تاريخ اللغة عن أصل تسمية عنابة وكل واحد منهم أعطى مفهوما ، فالبعض منهم قال أن هيبونة هو اسم بدائي إنحدر منه اسم هيبون وتعني الخليج.

وآخرون قالوا أن اسم هيبونة أصله فينيقي وقسموه إلى "هي" وتعني بقري "وبو" تعني الرخاء "ونه" وتعني السوق[1]، أي ارتباط السوق بالمميزات الاقتصادية للمدينة.

وعلى هذا الأساس فالمؤرخ الجغرافي عثمان الكعاك يذكر على سبيل المثال : برشلونه ، نربونه ، مازونه أي الأسماء التي تحدد بإمعان السوق ونوعية المواد التي تتميز بها (الفضة ، النحاس ، الفخار).

وهذا اللفظ اقتبسه الرومان UPPON كما أطلقوا عليها تسمية هيبو ريجيوس في أثناء الحرب البونيقية الأولى (264-146ق.م) ، والوندال hippo ثم البيزنطيون hippon ، ثم تحول لفظ بونه ويعني سوق الرخاء ، وهذا للعدد الكبير من البقر الذي عرفته المنطقة[2].

كما نجد المؤرخين العرب والجغرافيين استعملوا كلمة بونه ونادرا ما استعملوا كلمة عنابة ، فقد تحدث الإدريسي في قوله :"ومن رأس الحمراء إلى بونه في قاع الجوف ستة أميال ...." [3].

وذكرها ابن بطوطة في رحلته فقال :"ورحلنا إلى أن وصلنا إلى مدينة بونه ، ونزلنا بداخلها وأقمنا بها أياما"[4].

وفي هذا السياق قال محمد العبدري البلنسي في رحلته :"... ثم وصلنا إلى مدينة بونه ، فوجدنا بلدة بطوارق غير المغبونة..." [5].

---

[1]- Derdour (H.),Annaba , Tome I , SNED . Alger , 1982 , p.10.

[2]- Ibid.p.11.

[3] – أبو عبد الله الشريف الإدريسي ، المصدر السابق ، ص133.

[4] – محمد بن عبد الله ابن بطوطة ، تحفة الأنظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، تحقيق. علي المنتصر الكتاني ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، 1985 ، ص32.

[5] – محمد الهادي العبدري ، المصدر السابق ، ص73.

والبكري الذي كان يتحدث عادة عن أهم الأحداث المتصلة بتاريخ كل مدينة إلا أنه لايروي الكثير عن بونه ، وأهم ما يرويه عنها هو أنها مدينة العالم النصراني الكبير أغشتين ، حيث قال :"ومدينة بونه أولية وهي مدينة أغشتين العالم بدين النصرانية ..." [1].

وبعد استقرار المسلمين بها قرب مجرى واد سيبوز عرفت آنذاك عند الرحالة العرب بمدينة سيبوز[2] ، ثم عرفت فيم بعد بمدينة زاوي.

بد استقرار أغلب سكان مدينة زاوي بالمرتفعات المشرفة على الساحل من الجهة الغربية وما توفره هذه المرتفعات من عامل الأمن والحماية لساكنيها ، أصبحت تعرف فيما بعد ببونه الحديثة [3].

ثم عرفت ببلد العناب نسبة لهذا النبات الذي كان ينمو تلقائيا بالجهات القريبة من المدينة ، ويقول في ذلك التمقروتي في كتابه التحفة المسكية :"وهي مدينة وتعرف ببلد العناب ، وكلنا منتظرين إليه [4].

كما ذكرها أيضا بهذا الاسم عبد الرزاق ابن حمادوش الجزائري قائلا :"في عشية هذا اليوم قد بركنتي من بلد العناب وكنا منتظرين إليه ..." [5].

وفي أواخر القرن الخامس عشر ميلادي اكتسبت المدينة تسميتها الحالية وهي عنابة ، ولم يعد يرد اسم بونه إلا في المصنفات التاريخية والتقاويم الجغرافية ، وهذا رغم تشبث الفرنسيين أثناء احتلالهم للجزائر بالتسمية اللاتينية بون BONE [6].

---

[1] – أبو عبد الله البكري ، جغرافية الأندلس من كتاب المسالك والممالك ، تحقيق.عبد الرحمان علي الحاجي ، دار الإرشاد بيروت ط1 ، 1968، ص82.

[2] – ناصر الدين سعيدوني ، دراسات تاريخية في الملكية والوقف والجباية الحديثة ، دار الغرب الإسلامي ، ط1، 2001، ص199.

[3] – نفسه ، ص201.

[4] – مولاي بلحميسي ، الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني ، م.و.د.ت ، الجزائر ، ط2 ، 1979 ، ص53.

[5] – عبد الرزاق ابن حمادوش ، رحلة ابن حمادوش الجزائري ، تقديم وتعليق. أبو القاسم سعد الله ، م.و.ف.م ، الجزائر ، 1983 ص112.

[6] – ناصر الدين سعيدوني ، دراسات وأبحاث ، المرجع السابق ، ص201.

ب- جغرافية المدينة :

1- الموقع الفلكي :

تنحصر مدينة عنابة بين دائرتي عرض 36.3 ^{0} و37.03 ^{0} وبين خطي طول 7.20 ^{0} و8.40 ^{0}شرقا .

2- الموقع الإقليمي :

تقع مدينة عنابة في الشرق الجزائري وبالتحديد في الجزء الساحلي الشرقي على بعد 600كلم من الجزائر العاصمة ، وغرب خليج المرجان المعروف باسم خليج بونة[1] الذي تلي مياهه شواطئها يحدها حاليا من الشرق مدينة الطارف ومن الغرب مدينة سكيكدة أما من الجنوب فتحدها مدينتي سوق أهراس وقالمة ، ويمتد خليج بونة على 23.5كلم عند المفرق.

من الناحية الجغرافية ينقسم إقليم ولاية عنابة إلى كتلة جبلية متراصة في الشمال تعرف بجبل إيدوغ والذي يصل في أعلى قمة منه (قمة بوزيزي) إلى 1000 متر[2] فهو عبارة عن حاجز طبيعي لعنابة ضد الرياح الشمالية وخاصة الغربية . ويشمل أقاليم بلديات سرايدي، وادي العنب، تريعات وشطايبي قليل السكان ويمتاز بغابات كثيفة للغاية وبساحل صخري شمالا، أما القسم الجنوبي للولاية فهو سهل ساحلي خصب يمتد بين جبل إيدوغ شمالا وجبال قالمة جنوباً وبه بحيرة مالحة كبيرة (بحيزة فزارة) في الغرب كما يخترقه وادي سيبوس شرقاً مع بعض التلال التي تشكل امتدادا لجبل إيدوغ بإقليم بلدية عنابة، البوني وسيدي عمار ويظهر تناقض صارخ في هذا الإقليم بين كثافة سكانية عالية جدا في قسم صغير يشمل مدينة عنابة (عاصمة الولاية) ومدن وأحياء ملاصقة لها كالبوني، بوخضرة، سيدي سالم (بلدية البوني) والحجار وسيدي عمار وبين المناطق الأخرى واسعة المساحة وقليلة السكان .

وتنفتح شرقا وجنوبا وغربا على سهول فسيحة ، كما يعبرها واديان كبيران يجريان من الجنوب إلى الشمال ، وهما واد سيبوس الذي يستقبله الخليج من المدينة على بعد 3كلم ، وطوله 2.55كلم[3] ، وهو ثاني أكبر وديان الجزائر ، ووادي بوناموسة الذي يروي السهل الممتد بين عنابة والقالة نحو داخل الأراضي حتى خاصرة مرتفعات مجردة وهو أحد أخصب السهول بالجزائر[4] ، وخليج عنابة هو أحد أكبر خلجان الجزائر وربما يكون أكبرها بعد خليج بجاية[5].

---

[1]-Derdour (H.), Opcit, P11.

[2]- سعيد دحماني ، المرجع السابق ، ص 11.

[3] - نفسه ، ص11.

[4]-Derdour (H.),Opcit , p.12.

[5] – فون مالتسان مارينس ، ثلاث سنوات في شمال غرب إفريقيا ، ترجمة.أبو العيد دودو ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر 1979 ، الجزء الثاني ، ص230.

ومن كل ماسبق فالمدينة تتوفر على كل شروط الحياة أو شروط استقرار الإنسان من تحصين طبيعي وكذا توفر مصادر المياه بالإضافة وجود غابات متنوعة للإحتطاب (توفر مادة الخشب) ، كما لاننسى إعتدال الهواء .

ج- التطور التاريخي لمدينة عنابة :

1- عنابة قبل الإسلام :

إن الموقع الجغرافي الممتاز الذي تحتله عنابة جعلها على إتصال مع تيارات مختلفة ، إذ أن أهم الأحداث الكبرى التي عرفتها الجزائر والشمال الإفريقي وكانت وجهتها.

أ- عصور ما قبل التاريخ: عرفت المنطقة وجود الإنسان منذ فترات مبكرة جدا ، حيث عثر على بقايا هذا الإنسان التي تعود إلى ما قبل التاريخ في جبل الأدوغ وسفحه في صاحية عنابة الغربية وعلى ضفاف بحيرة فتزارة وفي منطقة بوحمرة وفي رأس الحمراء ، ففي كامل هذه المناطق اكتشفت أدوات تعود إلى العصر الحجري القديم مابين 200.000ق.م إلى 2.000ق.م ، ففي الأدوغ وقرباس وضفاف بحيرة فتزارة عثر على لقى تعود إلى العصر الحجري القديم الأسفل مؤرخة بـ200.000ق.م .

وفي رأس الحمراء عثر على ماعون من العصر الحجري القديم المتوسط والعلوي مؤرخ مابين 50.000و4.000 سنة ق.م [1].

أما منطقة بوحمرة والأدوغ فاستوعبت بقايا من مواد العصر الحجري الحديث ترجع أساسا إلى الحضارة القفصية كرؤوس السهام وفؤوس من الحجر المصقول ومكاشط[2].

كما خلفت عصور ما قبل التاريخ أيضا مقابر من نوع الدولمن في منطقة واد زياد ، ورسوم كهفية مثل رسوم غار العنز الموجودة بجهة بوثلجة[3].

وفي نهاية هذه المرحلة طور الإنسان تقنياته وأصبح على الخصوص فلاحا ومربيا للمواشي ، ويبدو أن تبلور حضارته وهيأتها النهائية قد وقع بين 3.000ق.م و1.000ق.م أثناء العصور الشبه تاريخية.

---

[1] – سعيد دحماني ، المرجع السابق ، ص19.

[2]- Derdour (H.),Opcit , p.18.

[3] – سعيد دحماني ، المرجع سابق ، ص19.

– الفترة الفنيقية : إن التطور الذي عرفته شعوب منطقة شمال إفريقيا أدى إلى ميلاد الحضارة النوميدية ، وهذا رغم التضاريس المشوشة فهي الباب المفتوح أمام الحضارات الشرقية . لقد كانت في الأصل مدينة فينيقية ، حيث أسست على يد الفينيقيين حوالي القرن 12ق.م تقريبا من مدينة صور اللبنانية وعرفت باسم هيبو وكانت من مستعمراتهم الهامة في غرب المتوسط ، الذين أنشأوا فيها مرفأ تجاريًا مهمًا في القرن الحادي عشر قبل الميلاد أسموه هيبون ، وهذه الحضارة تمتاز بخدمة الأرض القائمة على الفلاحة وتربية الماشية [1].

– الفترة النوميدية : بعد انفجار الصراع القرطاجي الروماني من أجل الهيمنة على المغرب والبحر المتوسط أثناء القرن الثالث ق.م [2] انقسمت نوميديا إلى نوميديا شرقية وتدعى ماسيليا Massilia نسبة إلى قبائل الماسيل التي أسستها ، ونوميديا غربية وتدعى ماسيسليا Masisausylie نسبة إلى قبائل المازيس التي انفصلت عن الأولى لأسباب مجهولة .

وكانت عنابة تنتمي إلى المجموعة النوميدية الشرقية أي مملكة ماسيليا وهذا بعدما فتحها هالا ملك ماسول أو الماسوليين وهم قبيلة بربرية [3] ، وهذا خلال الحرب البونية الأولى ومن هذا الملك النوميدي إستمد اسم المدينة الملكية ،أصبحت المدينة من المقرات الرئيسية للملوك النوميديين وقد منحت إستقلالا بعد الحرب البونية الأولى (264-246ق.م)، لذلك أطلق عليها لقب ريجيوس والذي يعني الملكي فقد كانت في البداية مقرا للملوك الماسيليين فقط ، وبعد مجيء ماسينيسا أصبحت عاصمة للولاية كلها بالتناوب مع قرطة*[4] ، بقيت المدينة على هذا الحال إلى أن ضمت إلى الإمبراطورية الرومانية سنة 46ق.م. لقد كانت المرفأ الرئيسي لتصدير الحبوب والمواشي إلى روما والعاصمة الثانية بعد سيرتا .

– الفترة الرومانية :بعد هزيمة يوبا الأول وحلفائه الماسيليين أمام الرومان سنة 46ق.م[5] أسس هؤلاء إقليم إفريقيا الجديدة ومركزه بونه ، وفي تلك الفترة عم الاستقرار بالمدينة فاسترجعت نموها وازدهارها ، في القرون الثلاثة الولى للميلاد كانت هيبو من أغنى مدن إفريقيا الرومانية وكان مينائها يعرف بـ الأفروديسيوم نسبة للآلهة أفروديت (فينوس الرومانية) . وبعد انتشار المسيحية ببونه في فاتح القرن الثالث ميلادي والتصادم العنيف الذي نشب بين هذا الاعتقاد الديني الجديد والمبادئ الأساسية والدينية لهذه الدولة ، نتج عن ذلك صراع عنيف بين القوتين ، فقتل على إثره العديد من المسيحيين .

---

[1] – سعيد دحماني ، المرجع السابق ، ص20.

[2] – محمد البشير شنيتي ، الإحتلال الروماني لبلاد المغرب ، م.و.ك ، الجزائر ، 185 ، ص18.

[3] – فون مالتسان مارينس ، المرجع السابق ، ص236.

* ويقصد بها قرطاجة .

[4] – نفسه ، ص236.

[5] – سعيد دحماني ، المرجع السابق ، ص24.

وقد حلت ببونة شخصية دينية بارزة ممثلة في القديس أغشتين ، هذه الشخصية أثرت بطبعها على مدينة بونه ووجهتها مدة أكثر من ثلاثين سنة ، إذ كانت من دعائم الكنيسة المسيحية لما كان لتعليمها وآرائها الدينية من اعتبار شائع[1]. وقد توفي أغشتين سنة 430م أثناء الحصار الذي نصبه الوندال على بونه.

– الفترة الوندالية : بعد عام من وفاة القديس أغشتين ، خضعت بونه لجيوش الوندال وهم طوائف جرمانية صقلية ، وهذا بعد حصار دام أربعة عشر شهرا وجعل الجنسريق ملكهم من بونه عاصمة له حتى سنة 439م إثر إستلائه على قرطاج [2].

– الفترة البيزنطية : لم يجد الروم البيزنطيون عناءا كبيرا في اكتساح الوندال في إفريقيا الشمالية وهذا تحت قيادة بليزار سنة 533م[3] ، لقد تم الإستلاء على مدينة عنابة في السنة نفسها[4].

لكن الأهالي كانوا متذمرين من البيزنطيين أكثر من تذمرهم من الوندال ، وهذا نظرا لسوء تصرف الولاة وظلمهم وعدم لاهتمامهم بشؤون البلاد فاختلفت الأحوال وتضرر الأهالي ، فكانت النتيجة أن سقط الاحتلال البيزنطي[5].

2– عنابة في العهد الإسلامي:

بعد غروب قوة البيزنطيين في شمال إفريقيا واضمحلال نفوذهم ، وصلت موجات الفتح الإسلامي إلى منطقة المغرب على يد عقبة بن نافع الفهري .

ففي سنة 27هـ/647م أمر الخليفة عثمان بن عفان عامله على مصر عبد الله بن سعد بن أبي سرح بالمسير إلى إفريقية [6] ، فسار إليها ومعه عبد الله بن الزبير ، وكان العرب لا يزيدون عن العشرين ألفا ، أما الجيش البربري البيزنطي الذي جمعه البيزنطيون كان يتجاوز المائة وعشرين ألفا [7]. وانتصر المسلمون انتصارا حاسما وقتل البطريق أثناء المعركة على يد عبد الله بن الزبير[8].

---

(1) – سعد دحماني ، المرجع السابق ، ص27-29.

(2) – نور الدين عبد القادر ، المرجع السابق ، ص62.

(3) – سعد دحماني ، المرجع السابق ، ص30.

(4) – نفسه ، ص31.

(5)- Derdour (H.),Op.cit , p.107.

(6) – نور الدين عبد القادر ، المرجع السابق ، ص17.

(7) – نفسه ، ص18.

(8)- Derdour (H.),Op.cit , p.122.

وفي سنة 45هـ/666م أرسل معاوية بن أبي سفيان والي مصر إلى بلاد المغرب على رأس جيش لايتجاوز عشرة آلاف مقاتل ، بينما الجيش البيزنطي يتكون من ثلاثين ألف مقاتل ، بينما الجيش البيزنطي يتكون من ثلاثين ألف مقاتل[1] فانتصر معاوية بن حديج واحتل بعض السواحل .

وفي سنة 48هـ/669م جاء البطل العظيم عقبة بن نافع الفهري ، فابتنى مدينة القيروان ومسجدها الشهير سنة 50هـ/671م ، فجمع حوله البربر واخترق من بعد بلاد المغرب حتى وصل إلى الساحل الأطلسي[2] سنة 64هـ/685م أثناء عودته إلي المشرق بعد هجوم شنه عليه كسيلة زعيم قبيلة أوربه [3]، الذي كان في أسر العرب وفر[4] ، ثم جاءت حملة عبد الله بن الزبير سنة 67هـ/688م الذي تمكن خلالها من تحرير القيروان والقضاء علي كسيلة.

فلما رأى البربر أنهم لا يتمكنون من المقاومة إلا إذا أووا الجبل ، فاعتصموا بجبل أوراس[5] بزعامة امرأة تعرف بلقب الكاهنة الزناتية ، وقد عاثت في الأرض فسادا ، إذ أنها جعلت من تلك المناطق الخضراء أراضي جرداء لا ينبت فيها شجر ولا تنتج شيئا[6].

ثم جاءت حملة حسان بن النعمان الغساني الذي يعتبر الفاتح الحقيقي للمغرب[7] ، فألحق بالكاهنة هزائم كبرى وسقطت هذه الأخيرة في ميدان المعركة عند جبل العنق في مكان عرف ببئر عاتر أو بئر الكاهنة بتبسة[8]. ويبدو أن عمليات الفتح لم تشمل مدينة عنابة لأنها كانت بعيدة عن معارك الفتح الإسلامي الذي سار في العشريات الأولى من العهد الإسلامي في اتجاه الطرق الداخلية[9] ، وهناك بعض الروايات تتحدث عن المدينة بأنها كانت ملجأ للسكان الهاربين أمام حملات الفتح بين سنة 73هـ و 75هـ ، كأولائك اللاجئين من الأقاليم القرطاجية والبنزرتية حين ضغطت عليهم جيوش حسان وأجبرتهم على الالتجاء إلى إقليم بونة[10] .

---

[1]- Derdour (H.),Op.cit , p.122.

[2] – الحسن الوزان ، المصدر السابق ، ج2 ، ص61.

[3]- Derdour (H.),Op.cit , p.122.

[4] – الحسن الوزان ، المصدر السابق ، ج2 ، ص61.

[5] – نفسه ، ص19.

[6] – رشيد بورويبة ، موسى لقبال وآخرون ، المرجع السابق ، ص25.

[7] – نفسه ، ص26.

[8] – نفسه ، ص26.

[9] – سعد دحماني ، مرجع سابق ، ص31.

[10] – نفسه ، ص201.

ثم جاء موسى بن نصير 86هـ – 95هـ / 705م – 714م ليصبح واليا على إفريقية والمغرب ، وهذا بعد استدعاء حسان بن النعمان إلى دمشق[1] .

وبعد ذالك عرفت المنطقة تعاقب الحكام وتكرر الفتوحات عليها ، فقد خضعت لسلطة الأغالبة الذين ظهروا سنة 184هـ ، وكانت قاعدتهم مدينة رقادة بالقرب من القيروان[2] ، وانتهت في 22جمادى الآخرة سنة 296هـ/909م[3] .

ثم جاءت الدولة العبيدية سنة 296هـ ، والتي سميت فيما بعد بالدولة الفاطمية ، وهذا بقيادة أميرها الأول عبيد الله المهدي الذي أسس مدينة المهدية[4].

وبعد انتقال الدولة الفاطمية إلى مصر سنة 362هـ تأسست الدولة الزيرية الصنهاجية من طرف الأمير زيري بن مناد الصنهاجي ، وقد كانت من سنة 373هـ/983م إلى سنة 408هـ/1008م عاصمة للملكة الزاوي[5].

ثم خضعت للدولة الحمادية من سنة 419هـ/1028م إلى 548هـ/1153م[6] ، وخلالها تعرضت المدينة لحملة الجنوبيين وحلفائهم من سكان بيزة وهذا سنة 426هـ/1034م ، والتي نتج عنها تخريب المدينة ونهبها من طرف الأسطول المغير [7] ، وقد أتبع هذا الهجوم البحري احتلال المدينة من طرف قائد أسطول الملك روجرز النورماندي ملك صقلية وتنصيب عامل على المدينة يكون تابعا للعرش النورماندي.

ثم خصعت للدولة الموحدية سنة 555هـ/1160م التي كان أميرها عبد المؤمن بن علي من قرية تاجرا بقرب قرية ندرومة بالقطاع الوهراني ، ثم استولى عليها يحي بن غانية الميروقي سنة 589هـ[8] ، ثم عادت مرة أخرى للموحدين وفي سنة 633هـ/1236م خضعت للأمراء الحفصيين[9] واستمرت إلى غاية مجيئ العثمانيين .

---

[1] – رشيد بورويبة ، موسى لقبال وآخرون ، المرجع سابق ، ص26.

[2] – نور الدين عبد القادر ، المرجع سابق ، ص36.

[3]- Derdour (H.),Opcit , p.122.

[4] – نور الدين عبد القادر ، المرجع سابق ، ص36.

[5]- Derdour (H.),Opcit , p.175.

[6]- Ibid , p.192.

[7] – ناصر الدين سعيدوني ، دراسات وأبحاث ، المرجع السابق ، ص206.

[8] – نور الدين عبد القادر ، المرجع السابق ، ص38.

[9] – ناصر الدين سعيدوني ، دراسات وأبحاث ، المرجع السابق ، ص207.

وفي أواخر الفترة الحفصية وبداية الحكم العثماني تحدث عنها حسن الوزان حيث وصف طباع أهلها وممارساتهم تجاه حكامهم كما ذكر أن بالمدينة جامع واحد مبني قبالة البحر بالإضافة إلى حديثه عن قصر الإمارة ، وكذا عن التجارة الخارجية للمدينة[1].

3- عنابة في العهد العثماني :

كان الضعف والوهن قد استولى على دول المغرب الثلاث بني حفص وبني مرين وبني عبد الواد الزيانيين ، ولحق كل منها الضعف والوهن والاضطراب بسبب ماكان بينهما من التخاذل والشقاق[2].

لم تتمكن مدينة عنابة من المحافظة على سير الحياة العادية بها رغم فترة الإستقرار القصيرة التي عاشتها بين سنتي 762/759هـ عندما كانت عاصمة للأمير الفضل الحفصي[3] . في نفس الوقت كانت الأمبراطورية العثمانية في أوج اتساعها بعد حملتها المنتصرة ضد الإمبراطورية الرومانية الشرقية وسقوط القسطنطينية سنة 1453م[4].

وفي نفس الأوان أي أوائل القرن العاشر الهجري (أوائل القرن الرابع عشر ميلادي) اشتد تذمر دولة الإسبان والبرتغال وجمهورية البندقية وجنوة الإيطاليتين ، ونصبو أعينهم صوب الشمال الإفريقي[5]. واحتل الإسبان أهم المدن الجزائرية كوهران ومرساها الكبير وبجاية وجيجل .

وأمام هذا الخطر الصليبي أرسل الجزائريون ومن بينهم أهالي عنابة الذين شقوا عصا الطاعة على الحكام الحفصين وطردو عامل السلطان الحسن الحفصي[6]، نداءا إلى الأخوين بارباروس القرصانين التركيين للتصدي للتهديد الإسباني .

---

(1) – الحسن الوزان ، المصدر السابق ، ج2 ، ص61-62.

(2) – عبد الرحمان بن محمد الجيلالي ، تاريخ الجزائر العام ، ج3 ، دار الثقافة ، بيروت ، 1965 ، ص13.

(3) – ناصر الدين ، دراسات وابحاث ، المرجع السابق ، ص207.

(4)- Chevallier (C.),Les Trantes , premieres Année de L'etat d'ager (1510-1541) . o.p.u . Alger . 1986 , p.21.

(5) – عبد الرحمان بن محمد الجيلالي ، المرجع السابق ، ص13.

(6) – ناصر الدين سعيدوني ، دراسات وابحاث ، المرجع السابق ، ص208.

وكان عروج على رأس قوة تتكون من جنود متمتعين بتحضير عسكري جيد[1]. فاحتل جيجلي سنة 1514م والجزائر سنة 1516م[2] ، واستقر أخوه خير الدين بعنابة سنة 940هـ/1533م[3] ، وفي تلك الفترة بلغ عدد الأتراك بالجزائر 2600 تركي[4] .

ولكن حكم الأتراك لم يستقر بعنابة لأن الإسبان بعد إنتصارهم في تونس إحتلو عنابة سنة 1535م ولم يغادروها إلا بحلول سنة 1540م[5]. وبهذا يستتب الأتراك بها طيلة حكمهم حتى سنة 1832م حين سقطت تحت وطأت الإستعمار الفرنسي .

---

[1]- Siv godfrey (F.),Légende barbaresque , traduit et snnsté par : Farida Hell . o.p.u . 1991 , p.84.

[2]- André (R.),Grand villes arabes à l'époque othomane , Sindbad , Paris . 1985 , p.34

[3] – ناصر الدين سعيدوني ، دراسات وابحاث ، المرجع السابق ، ص208.

[4]- Kaddache (M.) , Op.cit, p.165.

[5] – ناصر الدين سعيدوني ، دراسات وأبحاث ، المرجع السابق ، ص208.

الفصل الثاني:

سيرة صالح باي ومنجزاته

1- حياة صالح باي وشخصيته

2- صالح باي في الكتابات التاريخية

3-إدارة البايلك

4- نهاية حكم صالح باي

I - حياة صالح باي وشخصيته :

1- إنتقاله إلى الجزائر وتدرجه في المناصب :

أ- انتقاله إلى الجزائر:

صالح بن مصطفى إزميرلي ، ولد بمدينة أزمير [1] غرب الأناضول سنة (1137 هـ / 1725 م) فهو تركي الأصل .

لم تذكر المصادر الشيء الكثير عن نشأة صالح بن مصطفى ، لكن كل ما يعرف عنه أنه ولد ونشأ في أسرة متوسطة الحال و هاجر إلى الجزائر ، هذه الهجرة لم تكن بمحض الصدفة ، بل أرغمه حادث مؤلم على الفرار من بيت أبيه وبلده وخوض مغامرات البحر ، كان قد تسبب في مقتل أحد أقربائه خطأ فهاجر دون رجعة وعمره لم يتجاوز سن السادسة عشر سنة ، لكن قبل هذا الفرار أثبت أنه رجل شهم حيث أرسل إلى أهل صاحبه المقتول بالخطأ تعويض قدر بستة عشر ألف فرنك ثم فر خوفا من الثأر المنتشر في تلك الفترة[2] . وقد سجلت كل الروايات انه دخل الجزائر واستقر بها وقد بلغ السادسة عشر سنة من العمر 1741-1742م [3] .

نزل بميناء الجزائر مقر الداي باشا الأيالة الجزائرية ، واشتغل كمساعد في مقهى للإنكشارية ، وقد سمح له هذا العمل رغم بساطته بالتعرف على أوضاع هذا البلد الذي وفد إليه حديثا ، كما أن عمله في مقهى يرتاده أفراد من مختلف الطبقات سمح له أيضا بالتعرف على رجالات يعملون في الأوجاق [4] ، تمكن من التقرب منهم وبفضل مساعدتهم له ، انخرط في التنظيم العسكري أي الجيش الإنكشاري .

تميز في منصبه الجديد بانضباطه ، وامتثاله للأوامر التي كان يصدرها العسكر وقد أظهر شجاعته وقوته حيث كان يتقن جميع الفنون القتالية التي عرفت في عصره [5]. ثم انخرط في الجيش (المليشيا التركية) [6] ، قبل أن يوجه إلى قسنطينة في حملة عسكرية لدعم الفرقة التركية المعسكرة بها في عهد الباي أزرق عينو[7] .

---

[1] – آزمير : هي سميرنا القديمة مرفأ هام في تركيا على بحر إيجه ، استولى عليها العثمانيون عام 1422م .

[2]- Charbonneau (A.) , « Inscriptions arabes de la province de constantine » , in Annuaire Archéologique de Constantin , 1856-1857 , p.116.

[3] - Vaysstes , L' histoire de Constantine de puis l'invation turque jusqu'à l'occupation de 1835-1837, l'arndet Paris , 1900 , p 333.

[4] – الأوجاق : كلمة تركية ويقصد بها الدولة التركية في الجزائر .

[5] - GAID (M.), Op.cit , p 38.

[6] – المليشا : هي الشرطة التي تتكون من الأتراك خاصة ، وتكون على قسمين : مليشا منتظمة ومليشا غير منتظمة ، وقد كان لها وزن في تعيين المسؤولين وعزلهم .

[7] – زرق عينو : هو حسن باي ، حكم المقاطعة بين (1754 – 1756 م) ، تركي المولد برز أثناء الحملة على تونس وهو صهر بوحنك ، كانت فترة حكمه قصيرة .

شارك في حملة الباي زرق عينو ضد تونس في يوم 05 ذو الحجة 1169هـ/31 أوت 1756م[1] . ولم تذكره المصادر إلا في هذه الواقعة أي وجه إلى مدينة قسنطينة في حملة سنة 1756م ، لكن الإشكال الذي تحدثت عنه الدكتورة قشي هو تكتم المصادر التاريخية وكذا الوثائق عن الفترة الممتدة بين سنة 1742م إلى غاية 1756 أي حوالي 15 سنة مجهولة في تاريخ صالح باي ، كما لم يذكر التاريخ الحقيقي لالتحاقه بباياك الشرق لكن المرجح أنه إلتحق بالبايلك قبل هذه الفترة حيث كان على علاقة جيدة بأحمد باي القلي*[1] ، هذه العلاقة بدأت بينهما عندما كان هذا الأخير يشتغل منصب (باش سيار) والنظرية التي تقول بوفود أو وصول صالح باي إلى البايلك في سنة 1756م هي نظرة خاطئة لأنه في هذه السنة تولى أحمد باي القلي زمام البايلك ولو أنه وصل البايلك في سنة 1756م فكيف له أن يتعرف بأحمد باي القلي وهو بايلك للشرق والآخر مجرد جندي في فرقة إنكشارية ؟.

نظرا لما أبداه الرجل من مهارة وقوة في تلك الحروب ، فقد أثار انتباه أحمد القلي الذي أعجب به قبل هذه الفترة بكثير ، وبتولي أحمد باي القلي سدة الحكم بالبايلك كان التغير الكلي في حياة صالح باي حيث جعل أحمد القلي من صالح بن مصطفى مساعده ورفيقه ، وعندها ظهر صالح بن مصطفى في الواجهة بجانب الباي الجديد وفي مناصب هامة كقائد على الحراكتة[2] .

استمر مسار صالح بن مصطفى في اتجاه الصعود نحو المراتب العليا ، نتيجة لاحتكاكه بالباي وقد ساعدته أيضا قوته العسكرية أثناء الحملات المختلفة ضد بايات تونس وكذا الحملات الموسمية للمحلة [3] إلى أن استطاع تولي منصب زعيم الحراكتة بالأوراس عام 1762 – 1765 م [4].

---

[1] – للمزيد حول هذا الخلاف مع أيالة تونس ، أنظر :

– محمد الصالح ابن العنتري ، المصدر السابق ، ص73-74 . – الحاج أحمد ابن المبارك ، المصدر السابق،ص23-24.

- Cherif (M.H) . pouvoir et société dans la Tunisie de Husayn Bin Ali (1705-1740) Tunisie Publ, fac de Tunisie ; 2 vol 1984-1986.

*[1]– كان أحمد باي القلي وهو جد آخر بايات قسنطينة (الحاج أحمد باي) مسؤولا عن البريد في البيايلك ، كما تولى قيادة مدينة القل للمزيد حول أحمد باي القلي أنظر:ابن العنتري، المصدر السابق ، ص77-78. محمد المهدي شعيب ، المرجع السابق ص374-375.

[2] – هناك قبائل رحل بالمنطقة الجنوبية كالحراكة وأولاد سحنون ، حيث كانت هذه المنطقة مسرح للحملات العسكرية التي شنها البايات لإجبار سكانها على دفع الضرائب .

[3] – المحلة أو الأمحال ، جمع محلة وهو اسم يطلق على مجموعة كبيرة من العسكر ، كانت تخرج مرتين كل سنة تحت إمرة الباي أو من ينوبه وذلك لجمع الجباية .

[4] – فاطمة الزهراء قشي ، المرجع السابق ، ص 90 .

كما عين خليفة للباي بين سنوات (1765-1771م) ، وبعد وفاة أحمد باي القلي ذكر للباشا اسم صالح خوجة وكان معروفا بخبرته بأحوال الرعية ومعرفته بالأمور كما هي ، فهو الأعرف بولاية قسنطينة وعمالتها فوافق على ذلك في شعبان عام 1185هـ/1772م فأعد القفطان ومكتوبا وأتى به إلى البلد وأحضر الآغة وكافة الديوان وعلماء البلد وخواصه وقرأ كتاب السيد الباشا فتلقوه بالقبول والترحيب[1].

[1] – محمد الطاهر بن أحمد النقاد ، ذكر طرف ولاية المرحوم السيد صالح باي أميرا ببلد قسنطينة ، مخطوط بالمكتبة الوطنية بتونس رقم 263 ، ص2-3.

ب– المناصب التي شغلها:

شغل صالح باي منذ وطأت قدميه أرض الأيالة الجزائرية عدة مناصب إلى أن تمكن من السيطرة على بايلك الشرق ، وكل ذلك بفضل الذكاء والحنكة الكبيرتين ولكن قبل الخوض في وصوله إلى تولي أمر البايلك لابد علينا من التطرق إلى بداياته الأولى في الجزائر:

1- مساعد في مقهى للإنكشارية : حيث عمل في خدمة قهواجي الجند التركي بعد إلتحاقه مباشرة بالجزائر في سنة 1741أو 1742م ، أما عن المدة الزمنية التي إستغرقها في هذا العمل فهي غير محددة ، حيث لم تذكر المصادر التاريخية الفترة الزمنية التي ترك فيها العمل في هذا المقهى ، أما عن الشيء الإيجابي في هذا العمل فقد ساعده في الاحتكاك بالعديد من الشخصيات العسكرية ، حيث تقرب من عناصرها[1].

2- جندي في فرقة الإنكشارية : حيث إنضم إليها في تاريخ غير معروف بسبب سكوت المصادر التاريخية ما يزيد عن خمس عشرة سنة من تاريخ هذه الشخصية وقد تطرقت إلى هذه النقطة في حديثي عن شخصية صالح باي ، حيث أثبت مقدرة كبيرة في تعلم كل أساليب القتال المعروفة في عصره ، كما كان جنديا منضبطا مطيعا لأوامر رؤسائه ، شارك في الحملة المتجهة إلى قسنطينة ثم اشترك في محلة موسمية للجباية وقمع المتمردين ومن ثم إنطلق في تسلم المراتب بفضل كفاءته ومهارته وهذا الموقف يدعم صورة العسكري العثماني الذي يرتقي إلى أعلى المناصب بفضل كفاءته ومهارته[2].

3- قائد لقبيلة الحراكتة (العواسي أو أولاد عيسى)*[1] : الذي استعمل كلقب رسمي للموظف المخزني المكلف بهذه القبيلة ، سرعان ما تسلق سلم المناصب العليا حيث كلفه الباي أحمد القلي بقيادة قبيلة الحراكتة وكان المنصب بداية حقيقية لصالح باي مع السلطة ، لقد تكلما عن أحقيته في تولي المناصب العليا بسبب تفانيه في العمل الذي يوكل له وكذا طاعته لأوامر رؤسائه ، لكن هنالك أشياء أخرى ساعدته لتولي هذا المنصب الحساس في بايلك الشرق والذي أصبح لا يوكل إلا لأقرب قريب من الباي ، وهذا لجسارة هذه القبيلة ومكـانتها حيث لا تقبل بأقل من أقـرب الناس

---

(1) - Vaysstes , L histoire de Constantine de puis l'invation turque ,op .cit, p 333.

(2) – للمزيد حول هذه النقطة أنظر : فاطمة الزهراء قشي ، المرجع السابق ، ص89-90.

*1– الحراكة: هي قبيلة واسعة ومركبة ، انتقلت من البلزمة بسبب الكوارث الطبيعية وصراعات داخلية في اتجاه آريس ومنطقة عين البيضاء ، تنسب القبيلة إلى رجل نشيط متحرك "حركات" ، خلف أربعة أبناء تختلف أسماؤهم حسب الروايات المنقولة منهم "عيسى" جمع "العواسي".

للمزيد حول هذه القبيلة أنظر:

-Babes(L.),Mythes d'origine et structures tribales dans le constantinois sous domination tirque : essai sur le fondement de pouvoir politique , pp316-318.

– فاطمة الزهراء قشي ، المرجع السابق ،ص91.

إلى الباي قائدا لها حيث لم يعد يرضي لحراكتة بغير أخ الباي أو إبنه أو صهره على رأسهم ، ومن بين تلك الأشياء هي صداقته المتينة للباي الجديد (أحمد باي القلي) وقد تحدثنا عن هذه الصداقة ، ربما هذه الصداقة سهلة من مأمورية صالح باي في تسلق هرم السلطة بالتدريج .

أما لقب قائد الحراكتة فهو منصب مهم وعال جدا لدرجة أن صاحبه يقطن بقسنطينة وله حاشية [1]. فقد تحدثت قشي عن شرف قيادة الحراكتة كما تحدث رايموند (Raymond) عن ذلك أيضا ، وقد أهمل المؤرخون فترة قيادة صالح باي لقبيلة الحراكتة بالرغم من أهمية المنصب وأهمية القبيلة أيضا والتي كان لها دور كبير في بايلك قسنطينة ، حيث كانت تمد المخزن بعشرة آلاف جندي من بينهم أربعة آلاف فارس أثناء الحروب . تميز صالح باي وبرز في منصبه الجديد وكسب نقطة إضافية في سجله الحافل كما كسب إعجاب واحترام أحمد باي القلي .

4- خليفة الباي: [2] استمر مسار صالح بن مصطفى في اتجاه الصعود نحو المراتب العليا وذلك باحتكاكه بالباي الجديد حيث تولى منصب خليفة الباي لمدة ست سنوات أي بين (1765-1771م) ، حيث أكتسب صالح باي خبرة لابأس بها في مجال الإدارة والمعاملات أثناء توليه منصب قائد الحراكته أهلته لتولي منصب أعلى منه شأنا ومكانة ، كما ساعده الاستقرار السياسي في البايلك حيث عمل مدة ست سنوات كخليفة لباي واحد (أحمد القلي) وتحت إمرة باشا واحد في الجزائر (محمد عثمان باشا) ، كل هذه العوامل المشتركة ساعدت الخليفة الجديد لإبراز شخصيته الحقيقية مما أهله لمصاهرة الباي القلي ، عايش صالح باي متاعب النيابة بتفوق وتقدير وزادت مهاراته مع السنوات.

5- الباي : (1771-1791م) أثبت صالح بن مصطفى القائد والخليفة عن قدراته في تسيير شؤون الرعية والتزامه بالمشروعية باحترامه أوامر الباي ومراعاة مصالحه ، حيث من المعروف عند الأتراك أن منصب الباي لا يرتقي إليه سوى من عرف بالحروب والشجاعة وحسن التدبير والسياسة [3] لقد اتصف صالح باي بكل الصفات الحميدة التي أهلته لكي يرتقي لهذا المنصب ، هذا ما جعل أحمد باي القلي يقترحه خلفا له وما جعل الداي محمد بن عثمان باشا يرفعه لهذا المنصب عند وفاة أحمد باي القلي ، إذا تولى أعلى منصب في البايلك واستطاع أن يطبق كل سياساته وأفكاره في جميع المجالات ، كما استطاع أن يسكت كل أعدائه ومنتقديه ، وكانت فترة حكمه أزهى فترة عرفها البايلك في شتى الميادين (السياسية – الاقتصادية- الاجتماعية – الثقافية) ، وما يهمنا نحن كأثرين هو كون فترته أغنى فترة في مجال التشييد والبناء .

---

[1]- فاطمة الزهراء قشي ، المرجع السابق ، ص92.

[2]- الخليفة هو أول موظف بعد الباي وأول أعوانه ، له شؤون الأوطان في السهول المحيطة بقسنطينة وكان نفوذه يمتد إلى كامل المقاطعة ، يعمل تحت أمره القياد ويتصرف في كل الفرق العسكرية النظامية (الميليشيات) لجباية الضرائب والحفاظ على طاعة السكان كما ينوب عن الباي مرتين في السنة في الربيع والخريف لدفع الدنوش الصغير ، وكانت تحت إمرته تسع قبائل تدعمه بمئتي فارس .

[3] – محمد المهدي بن علي شعيب ، المرجع السابق ، ص 374 .

2- حياته الشخصية:

تزوج صالح باي ابنة أحمد القلي [1] ، وذلك نظرا لإعجاب أحمد بصفات صالح وهكذا توطدت أواصر العلاقة أكثر بينهما ، وبعد ثلاث سنوات أصبح خليفة له (1765 – 1777 م) [2]. ثم تزوج من امرأة بلدية من أعيان قسنطينة ، وهي ابنة رفيقه القديم أحمد الزواوي بن جلول [3] ويذكر مرسي (MERCIE) بأن صالح باي تزوج إمرة ثالثة [4] ، وقد رزق بمجموعة من البنات والأولاد سبع بنات وثلاثة ذكور وهم السيد محمد الشريف والسيد حسين والسيد مصطفى ، السيد محمد تولى خليفة على رابع الأمراء بقسنطينة كما يبينه جدول ترتيب البايات وذلك بعد تولي أبيه قسنطينة والسيد حسين رجع أميرا بقسنطينة وهو سابع الأمراء بعد أبيه عام 1806م لمدة عامين [5] يقول بن العنتري :"وقد أعطاه الله من صلبه كثيرا من الأولاد وملك الأملاك في كل البلاد"[6].

بدأ صالح باي يوقف الأملاك لصالح أبنائه إبتداءا من سنة 1193 هـ / 1779 م [7] وقد امتلك صالح باي ثروة ضخمة أثارت حوله عدة تساؤلات : من أين له بهذه الثروة ؟ وكيف يمكن التفريق بين مال الدولة وماله ؟ ربما يعود مصدر ثروته لغنى المدينة خاصة المناطق الجنوبية منها ، كما أن ثروته ليست بالخارقة ، خصوصا إن علمنا أنها في معظمها كانت تذهب وتصرف في تمويل الأعمال الخيرية[8] .

بعد ولايته التي دامت اثني وعشرين سنة ، قتل شنقا بقسنطينة في أوائل سنة 1207 هـ /1792 م بأمر من الداي حسن باشا ، والذي يظهر من أقوال المؤرخين أن السبب في ذلك هو تخوف حاكم الجزائر من نفوذ صالح باي والصيت العظيم الذي أحرز عليه في أنحاء البلاد بحسن إدارته وعدله ، فدخله الشك أنه سيثور عليه يوما من الأيام وبهذا خسرت الجزائر بوفاته حاكما خيرا في شتى المجالات [9] .

---

[1] – تعد هذه العائلة من أكبر العائلات آنذاك وتعرف بعائلة المقراني (أنظر) :

- GAID , Op.cit, 39

[2] – الخلافة : هي أعلى وظيفة في المقاطعة بعد الباي ، وتمتد سلطته على كامل المقاطعة وهو الذي يقوم بدفع الدنوش الصيفي أو الخريفي بالجزائر .

[3] – أحمد الزواوي بن جلول الصديق القديم لصالح باي ، ضابط قديم في معسكر الزواوة ونظرا لأمانته وإدارته لأعمال صالح باي توطدت العلاقة بينهما ، حيث أصبح صالح باي صهرا له وبقي سنده المالي والمعنوي طيلة فترة حكمه (أنظر) :

-GAID , Op.cit, 39

[4] - MERICIER(E.) , Op.cit ,p380.

[5] – محمد الطاهر بن أحمد النقاد ، المصدر السابق ، ص5 . كما ذكر سعيدوني بأن صالح باي خلف عشرة أولاد لكن العقود التي استعملها في دراسته لا تثبت ذلك .

[6] – محمد الصالح ابن العنتري ، المصدر السابق ، ص62.

[7] – الحاج أحمد المبارك ، المصدر السابق ، ص28

[8] – فاطمة الزهراء قشي ، المرجع السابق ، ص 112 – 113 .

[9] –الحاج أحمد الشريف الزهار ، مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار ، ت.أحمد توفيق المدني ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 1974 ، ص 64 – 65.

3- شخصية صالح باي :

لقد أبرزت المواقف المختلفة لهذا الباي شخصيته الحقيقية ، لقد وقف المؤرخون سواء الجزائريين أو الأجانب حول تناقض في شخصية صالح باي ، حيث أن صالح باي جاء في فترة متوسطة بين استقرار الحكم في القرن 18م وبين تذبذبه واضطرابه في الربع الأول من القرن 19م ، كما استفاد صالح باي من أعمال سابقيه من 1713م إلى 1771م حيث تمكن من قطف ثمار هذا الهدوء الاجتماعي مقارنة بالقرن الذي سبق فترته أي القرن 17م ، حيث وجه نظره نحو الداخل لترتيب أمور البايلك والتعرف على أوضاعه ، مكنته عشرون سنة من الحكم من تجسيد برامجه ولو لم تخلو من تمردات ومصاعب ومشادات ومنافسات مع أصحاب القرار بدار السلطان [1] .

وإذا ما استشهدنا بأحد المواقف التي سجلها التاريخ عن بطش صالح باي وسرعة انتقامه أنه عند رجوعه من غزو منطقة أولاد نايل . وفي طريق عودته عسكر الباي مع جيشه في الهنشير باقليم الزمول ، عندما دخل رجل من عرش أولاد زايد من قبيلة البرانية (القريبة من باتنة) لسرقة مؤونة الباي ، فغضب عليه الباي غضبا شديدا وتمت عملية التعذيب بواسطة خازوق على الشكل التالي :

أنهم كانوا يعمدون إلى عمود خشبي يقومون بنتر الشوائب من كل جهة ، ثم يقومون بسنة من الجانب الحاد داخل جسد الشخص المعني حتى يخترق كتفية ، ثم يجعلون العمود قائما ليبدوا الرجل وكأنه يمتط حصانا ، فتبقى يداه ورجليه في حركة دائبة حتى تفارق روحه جسده[2]. ويحدث كل هذا على مرئ الناس حتى يكون عبرة لهم [3].

- إن الحقد وسرعة الغضب والانتقام ليست جديدة عند صالح باي فإذا رجعنا إلى الوراء قليلا نجد بأنه لم يأتي إلى الجزائر مع أفواج الشباب الذين انخرطوا في صفوف الإنكشارية من الأناضول ولا من بين شباب الخدمة العسكرية من المناطق المسيحية التي فرضت عليها ضريبة الدم ، ولم يكن أسيرا عند رياس البحر ، بل التحق إلى الجزائر خوفا من القتل بعد حادث مؤلم فقد قتل أحد أصدقائه ، يقال إنه قتله بالخطأ ، لكن المتمعن في تاريخ شخصية هذا الباي يدرك أنه قتله متعمدا أو بعد غضب شديد أدى به إلى الانتقام منه بقتله أو شيء مماثل . لكن حب أهل المدينة ربما قد غطى قليلا عن أفعاله الشنيعة .وفي تقرير للإدارة الاستعمارية عن البايات الذين حكموا البايلك وعائلات البايات السابقين مترجم من طرف قشي جاء فيه "...تغير فجأة وأصبح فضيعا مع رعاياه يقهرهم دون هوادة ، نازعا الأملاك حتى ممن تسبب هو في ثرائهم"[4].

---

[1] – فاطمة الزهراء قشي ، المرجع السابق ، ص 109 .

[2] - Vaysstes , L' histoire de Constantine de puis l'invation turque ,Op .cit . p 350.

[3] – ومنذ ذلك الحين والمكان يطلق عليه هنشير مسفح (سفود) أنظر :

- Vaysstes , L' histoire de Constantine de puis l'invation turque ,op .cit. p 333.

[4] – فاطمة الزهراء قشي ، المرجع السابق ، ص 103 .

أما الوجه الآخر لهذه الشخصية فنجدها في عدة مآثر منها :

جاء تقرير للإدارة الاستعمارية حول بعض بايات قسنطينة وعائلات البايات السابقين ، كما نجد في نفس التقرير السابق :" لكن الحال من الازدهار توقف وكان لها حد إذ أن صالح الذي كان إلى ذلك التاريخ عادلا وحياديا نزيها ..." [1] .

كما عرضت أعماله في صيغة المدح :" ...حيث حسن سياسته ...حيث استقامت أحوال الناس كما طاعته الناس ...واستقام له الأمر ومعا له المشرب والتفت إلى تعمير البلد وسد عوراتها لتعظم بذلك ويذكر اسمها في الأمصار ويعلوا ذكرها في الأقطار...وكان ذا عدل وسداد فبذلك استقام أمره في الوطن والبلاد ...ورفق بالضعفاء والمساكين والناس في هنا عظيم وخير عميم والناس كلهم شاكرين فضله ..." [2]

فمن أهم مآثره التي سجلها لنا التاريخ هي مساهمته في سنة 1775م في التصدي للهجوم الذي قام به الكونت أوربي على الجزائر ، حيث أبرز صالح باي شجاعة وتكتيكا في مواجهة هذه الحملة ، حيث شهد له الجميع بالحنكة والخبرة وكسب محبة الجميع بعدها[3]. وبعد رجوع صالح باي من هذه الحملة إلى مدينة قسنطينة استقبل استقبال الأبطال وقام بعدها بتشييد عدة منشآت أبرزها مركب سيدي الكتاني ، حيث جمع صالح باي بين المواصفات العثمانية للإنكشاري النموذج وبين الصورة التقليدية للزعيم المستبد .

كما استطاع صالح باي أيضا بموقفه الصارم أن يضطر حمودة باشا الباشا التونسي إلى دفع ضريبة مرتفعة المبلغ للوصاية الجزائرية . كما كان صالح باي يمتاز باللين في كثير من المواقف التي ذكرها التاريخ .

---

[1]-Anonyme , « Note Historique à propos de quelques familles constantinoises » , copie d'un document sans cote et sans date conservé au Contre National des Etudes Historiques , Alger .

[2] – محمد الطاهر بن أحمد النقاد ، المصدر السابق ، ص ص6-7-22-23.

[3] – للمزيد حول هذه الحملة أنظر:

– الحاج أحمد الشريف الزهار ، المصدر السابق ، ص52.

II- صالح باي في الكتابات التاريخية :

1- علاقات بايلك الشرق الداخلية والخارجية تحت حكم صالح باي :

أ- علاقة صالح باي بالأسر المحلية :

كان الصراع محتدما بين الأسر النافذة في السلطة ، وكانت أقوى تلك الأسر تأثيرا في السلطة هي تلك النابعة من قبيلة لحنانشة[1] وبدرجة أقل قبيلة النمامشة وحتى يقضي صالح باي على نفوذ قبيلة لحنانشة أن يبث الشقاق بين الأسر الحاكمة داخل السلطة حيث استطاع صالح باي كونه أقوى بايات عصره القضاء على نفوذ أسرة الحنانشة وقد استغل في ذلك إبراهيم[2] ، على غزو مدينة شارن التابعة لأيالة تونس[3] وحينما احتجت تونس على ذلك استغل صالح باي الفرصة للتدخل عسكريا في المنطقة لإبعاد أتباع أسرة أحرار الحنانشة عن الشيخ إبراهيم .

وتم الأمر ببث الشقاق بين إبراهيم وابنه بوحفص ، وبالتالي بينه وبين أتباعه وأصهار ابنه من قبيلة النمامشة[4] وأولاد يحي بو طالب وقبائل الأوراس الشرقي الذين كانوا يكنون الولاء لزعماء قبيلة الحنانشة ، وكان المستفيد الأول من الوضع هو صالح باي الذي استطاع بمساعدة قبيلة الحراكتة الشبه المخزنية والخاضعة لقائد العواسي أن يقضي على ذلك الصراع وفي نفس الوقت على تفوذ أسرة أحرار الحنانشة بالمنطقة ، فاضطر الشيخ إبراهيم وحاش للفرار إلى قلعة "سنان"[5] حيث ضرب عليه إبنه حصارا فاضطر الشيخ إلى الاستسلام لصالح باي الذي قام بسجنه ثم قتله وولى مكانه إبنه الذي ظل مواليا لصالح باي لغاية وفاته سنة 1776م [6] .

كما تمتعت منطقة نفوذ بوعكاز في بسكرة باستقلال شبه تام ، على الرغم من وجود حامية عثمانية هنالك . وبقيت القبائل الرحل التابعة للشيوخ العرب من هذه الأسرة ولم يتدخل البايات بالمنطقة إلا بوفاة شيخها فرحات بن رجراجة سنة 1148هـ/1736م.

---

(1) – تقع الحنانشة بين تبسة وسوق أهراس وقالمة ومركزها سوق أهراس وهي مهابة للغاية ، يعين لها الباي قائدا وتتحالف هذه القبيلة مع قبائل الشابية التي يضرب رئيسها معسكره قرب عيون الفسقية وتحكم هذه القبائل عائلة بن بوعزيز بالوراثة منذ زمن بعيد كما اكتسب شيخها مكانة لدى الحكام العثمانيين ونال امتيازات واسعة منهم . أنظر :

- Mercier (E.) ,Op.cit , p.213.

(2) – عرفت أسرة الحنانشة في عهد إبراهيم بن بوعزيز ضعفا ولم يعمل على هذه الأسرة وصد سياسة بايات تونس وقسنطينة على السواء .- أنظر جميلة معاشي رجع السابق ، ص267.

(3) – تم إعادتها لحاضرة قسنطينة سنة 1186هـ/1773م .

(4)- النمامشة : مجموعة قبائل قوية تسكن غرب تبسة ويعين الباي لهذه قائدا يختاره بنفسه ويحسب لها حسابا عند اتخاذ القرارات.

(5) – جميلة معاشي ، المرجع السابق ، ص270.

(6) – نفسه ، ص271.

وبتولي إبنه علي بوعكاز أقدم الباي أحمد القلي على التقرب من شيوخ هذه الأسرة ، وذلك بإرسال الهدايا بمناسبة تولي على بوعكاز المشيخة ، وهكذا استطاع كسب ولاء أقوى وأخطر أسرة صحراوية كانت تهدد الحكم المركزي[1] وخوفا من انقلاب هذه الأسرة على الباي عمل على ربطها بأعوانه وأصهاره والمقربين منه من أسرة بن قانة ، واستطاعت هذه الأخيرة من كسب هيمنة سياسية على القبائل بفضل ما كانت تقدمه للسكان من هبات مالية وبذلك تغير ولاء القبائل من أسرة بوعكاز لأسرة بن قانة ، الأمر الذي أدى لنشوب المعارك بين الطرفين[2].

وكان منصب الشيخ محمد بن قانة قبل مجيء صالح باي مجرد منصب لحاكم صوري ، ولكن الأمر تغير باعتلاء صالح باي الحكم في قسنطينة ، فعمد إلى إعادته إلى الصحراء وتثبيته ببسكرة محاولة منه تحويله من حاكم صوري إلى حاكم فعلي ، ولكن هذه المحاولة باءت بالفشل لأنه منع من الدخول إلى بسكرة من طرف الشيخ محمد الدباح بوعكاز الذي كان يقف له بالمرصاد . واضطر صالح باي إلى سياسة المهادنة والتقرب من جديد من أسرة بوعكاز ، فاعترف صالح باي بموجب الهدنة بمشيخة هذه الأسرة على العرب مقابل أن يتخلى الشيخ الجديد (محمد الدباح) عن الثورة التي تم إعلانها على الباي السابق أحمد القلي . وقد استفاد صالح باي من هذه الهدنة حيث تفرغ لإصلاحاته وحروبه[3].

وفور انتهائه من صد الحملة الإسبانية سنة 1774م ، إتجه مباشرة إلى الصحراء في محاولة إخضاع سلاطين بن جلاب حكام توقرت وحلفاء بوعكاز[4]، وتم تقسيم المشيخة بين أسرة بن قانة وأسرة بوعكاز الأولى بمنطقة سيدي خالد والثانية ببسكرة ، وعين صالح باي محمد بن حاج بن قانة شيخا للعرب ببسكرة وأخاه إبراهيم حاكما على توقرت ، بعد أن تم إخضاعها بالقوة[5]. وأمام رفض السكان لحكم أسرة بن قانة ، انسحبت هذه الأخيرة من توقرت ولم يجد صالح باي بدا من إعادة إبراهيم بن جلاب إلى حكمه ، وما إن عاد هذا الأخير إلى حكمه أعاد الصراع معه.

وهكذا تحولت المنطقة الصحراوية إلى الصراع بين القبائل ، غالبا ما كان النصر لأسرة بوعكاز ولم تستعد أسرة بن قانة قوتها إلا بعد انقضاء عهد صالح باي[6].

---

(1) – تم تنصيب الحامية ببسكرة عام 1514 بقيادة حسن آغا .أنظر: ناصر الدين سعيدوني ، ورقلة ومنطقتها في العهد العثماني عن مجلة الأصالة ، العدد 42 ، 1977، ص78.

(2) – جميلة معاشي ، المرجع السابق ، ص271.

(3)- Vaysstes , L histoire de Constantine de puis l'invation turque ,op .cit. p 362.

(4) – الحاج أحمد الشريف الزهار ، المصدر السابق ، ص65. – عبد الرحمن محمد الجيلالي ، المرجع السابق ، ج2 ، ص297.

(5) - Férauda(CH.) , Les ben djeleb , sultans de tougourt , R.A , N^0 133 , 1879 , P.69

(6) - Ibid. p 70.

ب- علاقة صالح باي بشيوخ الزوايا :

لقد أيقن صالح باي مبكرا الدور الهام الذي تلعبه الزوايا في المجتمع الجزائري بصفة عامة وفي المجتمع القسنطيني بصفة خاصة في الفترة العثمانية ، فالزاوية تستطيع التأثير على الناس حيث إذا تمكن من كسبها في صفه استطاع التأثير على عقول الناس في حالة الضرورة فعمل بهذا المبدأ ، فأخذ يتودد للزوايا في أول عهده ، لكن مع الإصلاحات التي قام بها الباي في مجال التعليم وكذا النظام الضريبي لم تبقى العلاقة كما كانت أول الأمر فظهرت صراعات بين السلطة والزوايا أدى في أغلبها إلى أحداث مأساوية حيث سنذكر هم الأحداث والروايات التي جرت بيت الطرفين .

من بين الساخطين على حكم صالح باي ، المرابط سيدي محمد[1] الذي تميز بانتقاداته اللاذعة وذمه وقدحه الشديد ، وكان أول من تجرأ على مجابهة غضب الباي معتمدا في ذلك على عدم تعرضه للعقاب استنادا إلى شهرته وشعبيته الواسعة والتي ترفعه إلى درجة "القداسة" إلا أن صالح باي ماكان ليسمح له بالتمادي عليه فحكم عليه بالإعدام . وبالرغم من توسل العلماء وبالرغم من الشعور العميق الذي أثاره هذا الحكم في المدينة فقد تم تنفيذ الحكم على مرأى الناس .

لكن الأسطورة تقول أنه في الوقت الذي سقط فيه رأس المرابط إلى الأرض المخضبة بالدم تحول الجسم إلى غراب وعلق نحو دار التسلية التي أمر الأمير ببنائها في المكان المواجه للمدينة ، وألقى اللعنة عليه وهذا الأمر أثر في نفسية صالح باي ، الذي أحس بالندم وليكفر عن ذنبه قام بتأسيس ضريح باسم الشيخ ، ومذئذ ظل يحمل إسم "سيدي محمد الغراب"[2].

كما كان الشيخ أحمد الزواوي[3] صديقا مقربا لصالح باي والناصح له لكن هذه العلاقة لم تدم ، بعد أن عجز الشيخ عن إقناعه بضرورة التخفيف من قسوته . واستقر الشيخ على قمة "جبل أوزقار" وقام بتوجيه الخطب المعادية للباي والتحريض ضده ، فأرسل الباي محلة عسكرية تتألف من الأتراك فقط لمحاربة المرابط وأتباعه الذين لاذوا بالفرار.

---

[1] – سيدي محمد الغراب : من الأولياء الصالحين المشهورين بالمنطقة ، استغل قداسته ومكانته وتجرأ على مجابهة الباي بجمع الإخوان لمعارضته وشق عصا الطاعة لصالح باي فكانت نهايته مأساوية وذلك بقطع رأسه فتحول هذا الولي إلى غراب حسب الأسطورة.

[2] – فاطمة الزهراء قشي ، المرجع السابق ، ص107.

[3] – أحمد الزواوي : أحد المرابطين العيان المشهورين بقسنطينة ،كان يسكن في شطابة حيث توجد زاويته في جبل أوزقار يقع على بعد ثماني كلم جنوب غرب قسنطينة ، وهناك عمل على تعليم القرآن وتدريس علومه . أنظر :- صالح نور ، المرجع السابق ، ص186.

- Charbonneau (A.) , « Inscriptions arabes, p. 108. et – Feraud , Berbagger ,L’expidition d’orelly R .A , 1865 , P. 303.

عندما اقتربت منهم قامت المحلة[1] بتخريب تلك الجهة ، لكنهم فشلوا في تحقيق هدفهم الأساسي وهو إلقاء القبض على الشيخ لأن أتباعه تمكنوا من إنقاذه من غضب الباي . وبمجرد ماعلم الشيخ بأن أراضيه تتعرض للغزو وأن الأمر قد أعطي للقبض عليه فر من جلبه بعد أن أوقد بنفسه النار في كل الصيعات التي اعترضت سبيله[2] .

وعاش منفيا وقد اجتمع معه عدد من الناس حيث قارب ثلاثة مائة نفر وتذكر الأسطورة أنهم عندما وصلوا إلى مدينة "مشتى النهار اعترض طريقهم ثعبان ضخم فأمرهم الشيخ بقتله ولكنهم عجزوا فنزل الشيخ عن صهوة جواده . ووضع رجله على الثعبان ولواه حتى مات ثم استدار نحو الحشود المتعجبة وقال بأعلى صوته:

"الغلبة لله وحده، ونحن عبيده ولا أخشى أحدا من دون الله" وأمر كل اتباعه بالانصراف إلى ديارهم وتوجه هو إلى بيته[3] .

كما تذكر الرواية بركات الشيخ الزواوي ، الذي توقع هجوم الإسبان ، فانتقل وأصحابه ليلا من جبل "أوزقار" إلى ضفاف الحراش وتمكن من القضاء على المسيحيين بعدما تجمدت مياه البحر وهو راكب على فرسه وهاجم البواخر الإسبانية وأحرز النصر عليهم ، ولما عاد في الليل قص الحادثة على أصدقائه على أن تبقى سرا بينهم [4].

ورغم المكانة التي حظي بها شيوخ الزوايا وعلاقتهم الجيدة مع البايات ، إلا أن هذه المكانة العالية لم تدم طويلا خاصة على عهد صالح باي وذلك بظهور خلافات كان من أسبابها :

استحداث صالح باي لعدة أمور أولها توحيد نظام الضرائب وهو ما أزعج من كانوا يستفيدون من الإعفاءات على عهد البايات السابقين[5] ، وقد تسبب ذلك في نقص الموارد التي كانوا يحصلون عليها من عوائد زيارة أهالي الريف ، وتعرض أملاكهم للتغريم والمصادرة .

وأحس شيوخ الزوايا بنوع من المنافسة لزواياهم خاصة الإصلاحات التي أدخلها صالح باي في الإدارة بصفة عامة والتعليم الابتدائي خاصة للمدرسة الكتانية والتي خصها بميزانية ، حيث كانوا يقومون بتعليم الطلبة للقرآن الكريم وأمور دينهم من سنة وفقه وكان الطلبة يقدمون بعض المبالغ الرمزية أو هدايا لشيوخ الزوايا [6].

---

(1)- تتألف المحلة من 1500جندي تركي ويستبدل منهم في الخريف 1250 جندي لتعويضهم بنفس العدد.

- Mercier (E.) ,Op.cit , p.211.

(2)- Vaysstes , L' histoire de Constantine de puis l'invation turque ,op .cit, p 362.

(3)- Ibid. p 371.

(4) – غلب على هذه الحادثة ومعظم الحوادث المشابهة لها والمتعلقة بشيوخ الزوايا الطابع الأسطوري .

(5) – ناصر الدين سعيدوني ، دراسات وأبحاث ، المرجع السابق ، ج2 ، ص74.

(6) – فاطمة الزهراء قشي ، المرجع السابق ، ص105.

ج- علاقة صالح باي بالباشا في العاصمة :

لعل العلاقة بين البايلك والأيالة هي نفس العلاقة بين الأيالة والباب العالي فكلتا الحالتين متشابهتين ولعل هذا الجانب لم يأخذ نصيبه في الدراسات التاريخية ، فعلاقة الباب العالي بالأيالة الجزائرية هي علاقة دولة بولاية تابعة لها لكن هذه الولاية ذات حكم مركزي أو ذات استقلال ذاتي ، فالدولة العثمانية لاتتدخل في الشؤون الداخلية للجزائر ولا في علاقة الجزائر بسائر دول العالم ، فالجزائر كانت لها علاقات مع معظم دول العالم خاصة الأوربية منها وكان لها سفراء في هذه الدول ، وإن نظرنا من هذه الزاوية لقلنا بأن الجزائر كانت مستقلة تماما عن الدولة العثماية .

لكن الشيء الذي يؤكد بأن الجزائر كانت تابعة أو تحت سلطة العثمانيين هو دفعها الضرائب للباب العالي وكذا مساهمتها في رد العدوان على الدولة العثمانية ، بالإضافة إلى العملة العثمانية التي كانت مستعملة في الجزائر فالعملة هي مقياس استقلال الدول من عدمه .

نفس الشيء ينطبق على علاقة بايلك الشرق بالأيالة الجزائرية فهي تقوم على الاستقلال الذاتي للبايلك وعدم التدخل في شؤونه بشرط دفع الضريبة (الدنوش) مرة كل ثلاث سنوات والمساهمة في صد أي هجوم أجنبي على أي رقعة من البلاد الجزائرية وكذا تعيين البايات .

- إن أبرز الأمور التي بينت تبعية الباي للداي بالعاصمة هي: الدنوش وكان هناك ثلاثة أنواع من الدنوش واحد يدفع في الخريف والثاني في الربيع ويقوم خليفة الباي بتقديمهم للداي في العاصمة أما دنوش الصيف فيقدمه الباي بنفسه للداي في الجزائر

- دنوش الصيف : الذي كان يدفع في فصل الصيف مرة كل ثلاث سنوات كان يدخل الباي إلى العاصمة وهو لابس للخلعة مثله في ذلك مثل بقية البايات . إلا أن هديته التي يهديها للباشا في اليوم الموالي حيث يذهب لملاقاته فهي نحو ثلاثين ألف محبوب*[1] ذهبا ، وبعض الهبات من الألبسة والمواشي والطيب والعطور والمرجان والعنبر والبرانس السوسدي (رقيقة جدا تنسج من الصوف والحرير) وأشياء أخرى من المجبود (الجلد المطرز) والأثاث والخيل والسمن والمحور (كسكسي ناضج مجفف يختص بصنعه أهل قسنطينة) [(1)].

-دنوش الخريف : حيث كانت تأتي الباي من الجزائر محلة عظيمة تجول معه الوطن أو مع خليفته فيتجولون لاستخلاص الضرائب من كل عرش ، ثم ترجع إلى الجزائر في دنوش الخليفة ، فإذا بلغ الخليفة الجزائر دفع الدنوش على حسب عادة من قبله ويقيم الخليفة بالجزائر سبعة أيام ويخرج في اليوم الثامن ويأتي معه بخلعة فإذا وصل إلى البلد يخرج الباي صباحا لملاقاته ومعه أهل مملكته فإذا إلتقيا تجعل الخلعة على الباي يدخل بها البلد وحين ينزل إلى دار الباي يلبسها الخليفة ويصعد بها إلى داره[(2)].

---

*[1]- المحبوب : قيمته 30غرام فضة أو ما يعادلها ذهبا

[(1)] – الحاج أحمد الشريف الزهار ، المصدر السابق ، ص297.

[(2)] – محمد الطاهر بن أحمد النقاد ، المصدر السابق ، ص18-19.

– دنوش الربيع : فيأتي الخليفة بقفطان فيلبسه في أي مكان وجد به أثناء وصول المحلة وتأتي المحلة أثناء فصل الشتاء فيترك الخليفة من ينوب عنه في محلة واد الرمل ويتجه إلى الصحراء لجمع الضرائب مصاحبا معه المحلة القادمة من الجزائر ، وفي أول فصل الربيع تعود المحلة إلى قسنطينة ثم تتوجه إلى الجزائر[1].

أما الشعير فلا يدفع منه شيء ، وباي الشرق يزيد نحو ألفي رأس من البقر للبايلك ، وألف رأس عوائد ويفرق القمح للعوائد كذلك ، والتمر والزيتون في كل سنة في أيار ويبعث في صيف كل سنة مركبا مشحونا بالشحم والسمن للمراكب الجهادية من مرسى عنابة[2].

– بالإضافة إلى كل هذه الأمور فإن الداي بالجزائر كان يعين في كثير من الأحيان البايات سواء بقرار منه أو باقتراح من أعيان مدينة قسنطينة أو الفاعلين في السلطة.

– أما العلاقة المباشرة بين صالح باي وداي الجزائر فقد كانت متميزة معظم فترة حكمه بسبب كفاءته في إدارة شؤون البايلك من جهة وفي دفعه للدنوش في وقته وكان يزيد عن القيمة المخصصة له ، كما أثار إعجاب الباشاوات وكل سكان العاصمة خاصة في صد الهجوم الإسباني على العاصمة. وبهذا فإن الداي في الجزائر لم يتلقى شكاوى ضد صالح باي وكان راض عنه كل الرضى ، إلا أن سيرته تبدلت في أواخر أيامه، حيث يصف ابن النقاد هذه العلاقة بقوله :"وكانت سيرته مع السيد محمد سلطان الجزاير تامة وكان يكثر الهدايا للغاية"[3] .

ومن أمثلة العلاقة الجيدة بين الباشا وصالح باي هي تلك الحادثة التي وقعت فترة تقديم الدنوش في أحد المواسم وتفاصيل الحادث ترجع إلى فصل الصيف حيث ذهب صالح باي إلى العاصمة لتقديم الدنوش للداي كعادته ولما وصل إلى العاصمة دخلها في يوم مشهود ووصل إلى حضرة الباشا ودفع اللزمة وما يتبعها من متعاملات دار السلطان شرع في تفريق العوائد لأرباب الدولة فأرسل إلى الخزناجي عوائده (وهذا الخزناجي هو حسين باي بن حسن باي الذي بنى الجامع الأخضر حيث كانت له معرفة بالخزناجي المذكور سابقا) وهي خمسة آلاف محبوب وأحصنة وبغال جيدة وتمر وسمن وبخور وبرانس وحياك وسبح مرجان وعطور وما شابه ذلك فردها عليه فشكا أمره صالح باي لمحمد باشا وضمها للخزنة وقال لصالح باي لابأس عليك ، ولما تمت أيام إقامة صالح باي بالجزائر انفصل عنها وبقي حسين بن حسن باي هناك فتخوف صالح باي من ذلك ورحل مرحلة بعد مرحلة إلى أن بلغ برج حمزة فأقام بها ثلاثة أيام على حسب العادة وهو في خلال ذلك متغير الخاطر فبينما هو كذلك إذ قدم فرسان من الجزائر ومعهم

---

[1] – محمد الطاهر بن أحمد النقاد ، المصدر السابق ، ص19-20.

[2] – مؤلف مجهول ، ذكر طرف يسير يتعلق بأيام المرحوم السيد صالح باي الإزميرلي ، الخزانة العامة بالرباط ، مخطوط رقم (د.709) ، ص5-6.

[3] – محمد الطاهر بن أحمد النقاد ، المصدر السابق ، ص18.

بغل عليه صندوق فبلغوا إلى صالح باي ودفعت إليه الصندوق ومكتوب محمد باشا مخبره بأنه قتل الخزناجي وأرسل حوايجه داخل هذا الصندوق فسعد بذلك صالح باي وزالت عنه كل الهموم واستقام حاله[1] .

2- العلاقات الخارجية :

-علاقات صالح باي بباي تونس :

لقد تميزت العلاقات بين صالح باي وسلطان تونس بكونها ذات طابع ممتاز فقد كانت سيرته مع سلطان تونس حسنة وقد كانت الهدايا تقدم بينهما وقد كان التجار يتنقلون إلى تونس والعكس وكانت تجارتهم رائجة ومربحة، وفي بعض القضايا لا يعود صالح باي لإستشارة الباشا في أمور عمالة تونس لكنه يتعامل معها مباشرة. باستثناء الصراع الذي دار حول القبيلة الفارة من تونس إلى الجزائر وكذا العائلات التي فرت من قسنطينة إلى الأراضي التونسية فإن الأوضاع كانت مستقرة تماما[2] .

---

[1] – محمد الطاهر بن أحمد النقاد ، المصدر السابق ، ص18.

[2] – نفسه ، ص21-22.

2- نشاطات صالح باي :

أنجز صالح باي أعمالا كثيرة عسكرية ، اقتصادية ، عمرانية ، ثقافية واجتماعية ، كان لها آثار بارزة في حياة السكان والبايلك بصفة عامة .

أ- نشاطاته السياسية والعسكرية :

أ-1- الداخلية :

عرف صالح باي كرجل حرب حقيقي وكذا كمنظم سياسي وعسكري حيث امتاز باللينة في بعض المواقف وكذا بالحقد الشديد في نفس الوقت على أعدائه الذين يشقون عصى الطاعة بين الفينة والأخرى (كما عرف أيضا بسرعة انتقامه وبحقده وقسوته الشديدة على أعدائه) [1] .

اهتم صالح بن مصطفى بعد توليه منصب الباي بتركيز سلطته بالإقليم حيث غزا عدة مناطق أولها أولاد نايل[*1] الذين شقوا عصا الطاعة وتمردوا ضد الداي حيث كانوا لا يتحملون السيطرة التركية إلا بصعوبة ، فاقتحم الجلفة وبوسعادة سنة (1187هـ / 1773 م) وألحق بهم شر هزيمة [2] .

وفي عام 1773م – 1187 هـ شن صالح باي حملة على أولاد عمور[*2] وكان هؤلاء قد جاهروا بالعصيان لسلطة الدايات [3] واقتحم آفلو وتاجموت و الأغواط ، وفي إطار حملاته الفصلية لاستخلاص الضرائب حمل على قبيلة الزمول جنوب قسنطينة وتتبع عشيرة السقنية[*3] ، كما هاجم أولاد بن عاشور بفرجيوة (1776م – 1190هـ) [4].

بعد أن استتب الأمر له داخل البايلك ، قام صالح باي بما لم يقم به من سبقه من البايات وهوإخضاع القبائل الصحراوية فقاد عدة حملات استعمل فيها القوة ، وكانت هذه الحملات فصلية لإستخلاص الضرائب ، ومعاقبة العصاة ووضع حد للفوضى ، بالإضافة إلى الهجمات العسكرية التي إستهدت الأقاليم البعيدة عن عاصمة البايلك قسنطينة و ذلك لتوسيع نفوذ البايلك إلى الجهات الصحراوية والأقاليم الجبلية[5].

---

[1] – ناصر الدين سعيدوني ، ورقات جزائرية ، دار المغرب الإسلامي ، الجزائر ، 1999م ، ص 305.

[*1] – أولاد نايل : قبائل تسكن بين بوسعادة و مسعد ، المدينة الأثرية والجلفة في الجنوب .

[2] – نفسه ، ص 61 .

[*2] – أولاد عمور : قبيلة تقع قرب باتنة ومنها قرية النميلة

[3] – صالح نور ، مساهمة في دراسة بعض الجوانب التاريخية للعهد العثماني بقسنطينة من 1517 - 1837، رسالة ماجستير في التاريخ ، الجزائر ، 1978 ، ص 185 .

[*3] – السقنية: قبيلة تقع في سهول عين مليلة .

[4] – محمد الصالح بن العنتري ، المصدر السابق ، ص 63 .

[5] – ناصر الدين سعيدوني ، ورقات جزائرية ، المرجع السابق ، ص 61 .

وأولى حملاته العسكرية التي قام بها لإخصاع المناطق البعيدة كانت على أولاد نايل ، الذين تمردوا وشقوا عصا الطاعة في وجه الداي ، فقاد صالح باي حملة عسكرية ضدهم ، واقتحم الجلفة وبوسعادة [1]. وقد أغار عليهم في منطقة ملاح مضيف في شهر أكتوبر 1187هـ /1773م ، فألحق بهم شر هزيمة فقتل منهم من قتل ومن بقي فر ناجيا بحياته [2]. وقبل عودته إلى قسنطينة بعث إلى الجزائر بنغائم وفيرة فضلا عن ستين رأسا وأربعمائة زوج أذن للعصاة الذين قضى عليهم [3].

وكان حسن باشا يريد أن يجمع حوله كل المعارضين لحكم صالح باي ، لكن هذا الأخير كان يرقبه عن قرب كما أمر حراسه بإيقافه وعلم حسن باشا بهذا الأمر وعند هروبه عرض عليه محمد شلغوم شيخ قبلة أولاد عاشور اللجوء أو الهجرة إلى بلده . وقد لجأ حسن باشا إلى محمد بن عثمان الكبير حاكم بايلك وهران ، هذا الأخير الذي تدخل لدى الداي حتى يسمح لحسن باشا استقدام أسرته[4].

كما شن صالح باي حملة على أولاد عمور في عام 1187هـ/1773م[5]. وقد جاهروا بالعصيان لسلطة الدايات .

وصل صالح باي في حملته إلى زنيتة وآفلو وتاجمونت والأغواط وكذا دشرة النميلة بباتنة التي عاقبها بقتل مائة رجل منهم ، وعلق رؤوسهم على أبواب قسنطينة ، وفي إطار حملاته الفصلية لإستخلاص الضرائب حمل على قبيلة الزمول جنوب قسنطينة وتتبع عشيرة السقية (قناق تاهودة)وقد تمكن من فرض المغارم الكثيرة وقتل العديد منهم[6] وفي عام1190هـ/ 1776م ، هاجم أولاد بن عاشور بفرجيوة ، وكرر هجومته ضدهم وفي عام 1195هـ /1781م بسبب عصيانهم وامتناعهم عن الاعتراف بسلطة البايلك ودفع الضرائب[7] ، وكذا انتقاما من شيخهم محمد شلغوم الذي قدم المساعدة لحسن باشا عدو صالح باي[8].

---

(1) – محمد الصالح بن العنتري ، المصدر سابق ، ص 63 .

(2) - Vaysstes , L' histoire de Constantine de puis l'invation turque ,op .cit, p. 333.

(3)- Ibid , p 350.

(4) – محمد الصالح بن العنتري ، المصدر السابق ، ص 63 .

(5) – صالح نور ، المرجع السابق ، ص 185 .

(6) – ناصر الدين سعيدوني ، ورقات جزائرية ، المرجع السابق ، ص61.

(7) – محمد الصالح بن العنتري ، المصدر سابق ، ص 63 .

(8)- Mericier(E.) ,Op.cit , p.112.

أما في سنة 1202هـ/1788م ، قاد صالح باي حملة كبيرة إلى الجنوب الصحراوي القسنطيني لمعاقبة شيخ الداودة[1*] محمد الدباغ وشيخ تقرت[1] فرحات بن جلاب لرفضها دفع الضرائب للبايلك[2]. ونضرا لبعد المنطقة وسوء الأحوال الجوية ، حيث كان شتاء 1789/1788م باردا ، وشهد تساقط الثلوج. وهو ما صعب من مهمة صالح باي في إخضاع المنطقة ، رغم استعماله المدفع التي كانت تقصف تقرت بيوتها وسكانها وحتى المسجد .

وقد أرغم البرد لشديد والتعب صالح باي على الانسحاب الذي ترتب عنه الكثير من الخسائر ، لكن إصراره كان أكبر وقد أقسم على ألايغادر المكان إلابعد أن يهدم تقرت وعندئذ تفطن الشيخ فرحات للموقف فأمر برفع راية بيضاء إيذانا بالاستسلام فوق جامع يسمى جامع المالكية ولما رأى الباي ذلك أمر بوقف إطلاق النار واتفق الطرفان على أن الشيخ سيسدد مصاريف الحرب ويدفع غرامة قدرها ثلاثمائة ألف ريال[2*] وعلى ضريبة من النخيل والعبيد. يقول ابن العنتري "وداس كل الأوطان العامرة والفقراء ، وكان وصل إلى تقرت إقصاء (كذا) وطن الصحراء لم يصلوا إليها البايات السابقين (كذا) ولا أدركوها لتأخرين (كذا) إلا صالح باي وصلها وأقام عليها سبعين يوما حتى طوعها وتحصل بيده الفوائد الكثيرة منها ورجع إلى قسنطينة من بعد اغتنامه بذلك الغنيمة"[3].

كما نذكر هنا أن صالح باي قد توجه أربعة مرات إلى الزيبان حيث كانت تدعوه النزاعات التي تثيرها العائلتين الكبيرتين : عائلة أولاد بوعكاز وعائلة إبن قانة ، وكان الانتصار الأخير لعائلة إبن قانة ، بدعم من صالح باي[4].

كانت زاوية الشيخ سيدي عبيد في بلاد الحنانشة تتمتع في ذلك الوقت بشهرة عظيمة ، وكثيرا مايفتخر بثرواتها وخاصة بقطعان إبلها الكثيرة[5]. وحتى يحكم صالح باي سيطرته على هذه القبيلة ويتمكن من إخضاعها سعى إلى التحالف مع "إبراهيم بوعزيز" شيخ الحنانشة ، فأرسل إليه باش سيار "بورنان بن زكري" ليتفق معه على الوسائل التي ينبغي إتخاذها لتنفيذ الخطة المدبرة وهي الهجوم على القافلة المحملة بالحبوب والموجهة إلى قبيلة النمامشة المتمردة ضد سلطة الباي ولم يتمكن أفرادها من رد الهجوم ، ففروا واحتجزت الإبل بحمولتها ورجع ابن زكري إلى قسنطينة وتتقدمه هذه الغنيمة البالغة .

[1*] – دواودة : كلمة معناها أشراف وتدل على الفرسان الذين ينتمون إلى عائلة الأمير أو الشيخ ، أنظر : صالح نور ، المرجع السابق ، 206.

[1] – للمزيد عن تقرت أنظر : صالح نور ، المرجع السابق ، ص186.

[2]- Mercier (E.) ,Op.cit , p.281.

[2*] – الريال (باسطياس) : يقصد به الريال القسنطيني ، يساوي 3.3 فرنك فرنسي ، 0.63 دولار إسباني ،أنظر :

– العربي الزبيري ، التجارة الخارجية للشرق الجزائري ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1972 ، ص ص 26-54.

[3] – محمد الصالح بن العنتري ، المصدر السابق ، ص 62 .

[4] - Feraud(L. CH) , Le Sahara de Constantin collection Art et Culture , Alger , 1978 , P. 65.

[5] - Vaysstes , L' histoire de Constantine de puis l'invation turque ,op .cit. p 285.

وخرج صالح باي لإستقباله وهنأه بحرارة على غنيمته ودمغت الحيوانات بطابع البايلك الخاص ثم ضمت إلى القطيع العام [1].

ولم يجد شيخ أولاد عبيد حيلة أمام سكوت الباي عن شكواهم سوى الدعاء عليه ونظم قصيدة ينشد فيها صراحة موت الباي ، وامتثل بورنان بن زكري أمام القضاء الجزائري ، وتمت تبرئته بعد أن ألقى اللوم على صالح باي وقد بعث داي الجزائر إلى صالح باي خفية يأمره بقتل "بورنان بن زكري" وتم تنفيذ الأمر فورا بقطع أطرافه[2].

ويذكر مرسي : أن صالح باي كان قد طلب إبنة إبراهيم شيخ الحنانشة للزواج[1*] ، لقد رفضت الفناة الزواج من الباي وهمت بالبكاء وما كان من والدها إلا الرضوخ أمام دموعها ، غضب صالح باي وقاد حملة ضده وعزل إبراهيم وعين بدله إبنه بوحفص فلجأ إبراهيم إلى التحصين في سنان ، ولكنه أجبر في الأخير على الإستسلام وسجن في قسنطينة والراجح أن هذه الأحداث وقعت بعد حملة صالح باي على أولاد سيدي عبيد ، ربما بين عامي 1790-1791م ، لأنه لو كانت العلاقة متوترة بينهما من قبل لما لجأ إلى التحالف معه .

وفي نفس السنة قاد حملة على الحضنة ومنطقة بريكة لمعاقبة سكانها ، فأمر بقطع أشجار النخيل وأشجار الحدائق الجميلة ومقر سيدي لخضر [3].

كل هذه المواقف السلبية الصادرة عن صالح باي تسببت في تحويل تأييد العامة له واظهار رفضهم لسياسته[4] ويظهر هذا التحول والرفض من خلال علاقته برجال الزوايا الذين يؤلبون الناس ضده .

وبعد رجوع صالح باي من الجزائر بعد صد الحملة الإسبانية بقي بقسنطينة مدة من الزمن ثم توجه بمحلته وكافة الجنود إلى تقرت وذلك في شتاء عام 1782م ، حيث أن سكان هذه المنطقة لم يدفعوا الضريبة للبايلك مدة أعوام ولم يعاقبوا على هذا نظرا لبعد منطقته وللصعوبات التي كانوا يعانون منها للوصول إليها ، ولما بلغ بمحلته إلى تقرت وأقام عليها عزم على الدخول إليها فلم يستطع لأنهم جعلوا خنادق حول المدينة وملؤوها بالمياه فصارت بحيرة حصينة منعتهم من الدخول ثم قام بمفاوضات مع والي تقرت باءت بالفشل ، لقد كانت مدينة تقرت منذ قرنين خاضعة لحكم محلي تتولاه عائلة بني جلاب وحاصر مدينة تقرت طيلة عدة أسابع وتحدثت بعض المصادر عن قيام صالح باي بمحاصرتها سبعة أسابيع وفي هذه الفترة ماتت مواشي المحلة وضاق حالها إلى أن طلب منه الشيخ فرحات ابن جلاب الأمان فآمنه صالح باي بمقابل دفع جميع مصاريف الحرب وضريبة مبلغها ثلاثمائة ريال وإهداء عدد كبير من الأموال

---

(1)- Mercier (E.) ,Op.cit , p.373.

(2) - Vayssttes , L' histoire de Constantine de puis l'invation turque ,op .cit, p. 373-374.

1* – بلاد الحنانشة : تقع بين تبسة وسوق أهراس وقالمة مركزها سوق أهراس وهي مهابة للغاية يعين لها الباي قائدا وتتحالف هذه القبائل مع قبيلة الشابية ، وتحكم هذه القبائل عائلة ابن بوعزيز بالوراثة أبا عن جد ، أنظر : صالح نور ، المرجع السابق ، ص194 .

(3)- Mercier (E.) ,Op.cit , p.285.

(4) - Vayssttes , L' histoire de Constantine de puis l'invation turque , op .cit. p. 374.

والعبيد إضافة إلى دفع ضريبة السنوات التي إمتنعوا فيه عن دفع الضريبة ، وبذلك استسلمت المدينة تحت وطأة الحصار وفي رواية أخرى لأحمد الشريف الزهار أن صالح باي عند وصوله إلى تقرت قام بالقضاء على عائلة بن جلاب وأدخل تقرت تحت حكمه[1].

بالإضافة إلى ما حمله صالح باي من شجاعة وصرامة وتجند ، فقد كان في نفس الوقت منظما ماهرا فقد توجه أربع مرات إلى بسكرة بسبب الفتن التي كانت تثيرها القبائل هناك ، واضطر إلى التدخل في الحرب التي كانت شنت بين أولاد عكاز وبن قانة في منطقة الزيبان واستطاع أن يرجع السلم ، وهنا ترك عدة آثار وأعمال في عدة مجالات أبرزها المجال الفلاحي[2].

---

[1] – محمد الطاهر ابن النقاد ، المصدر السابق ، ص33-34. أنظر أيضا :

Féraud(L.CH),La Sahara, ,op.cit , p 65.

[2] - Lakhdar (Guabi) , The place of Sahara Bey in the Constantine . Constantine , 1988 p. 07.

أ-2- الخارجية :

- الحملة الإسبانية :

مرة أخرى يظهر من الذكاء والحنكة ما يجعله محل تقدير واحترام الجميع ، من خلال الدور الهام الذي أداه في صد الهجوم الإسباني على مدينة الجزائر سنة 1189هـ/1775م [1] ، التي قام بها ملك إسبانيا مدعما ببعض القوات الأوروبية بتنفيذ حملة على الجزائر مكونة من أربعة آلاف سفينة شراعية ، بقيادة دون بيدرو كسيخو Dan pid Castejo و25000 رجلا بقيادة أوريلي Oreilly ، وصلوا الشواطئ الجزائرية في الفاتح من شهر جويلية[2] .

ولما وصلت المراكب إلى الجزائر أرسل الباشا إلى كل البايات للمساعدة في صد الحملة فوصل الخبر إلى صالح باي جمع كل العسكر والمخازنة والقيادة والمشايخ والدايرة والصبايحية وكل من أراد الجهاد من الطلبة والمرابطين وعامة الشعب وتوجه بهم إلى الجزائر ، ولقد ذكر فايسات أن صالح باي كان راجعا من الجزائر أين سلم الدنوش الذي يدفع كل ثلاث سنوات[3] ، فجهز جيشه المكون من فرق نظامية وعشرين ألف من المشاة ، أخذت مواقعها بين الحراش والحامة ، ولم يكن يقل مخيمه عن عشرين ألف رجل إضافة إلى الإبل المحملة بالأسلحة والأمتعة[4]. ولما بلغ الجزائر وجد القتال قد اشتد بين الفريقين أياما ، ثم أن الإسبان واجهوا صعوبة في الإنزال من جهة الساحل الشرقي الجزائري فحاولوا الإنزال أمام شاطئ الحراش ولكن في تلك الأيام الثمانية كان البايات الذين حضروا إلى الجزائر قد استعدوا تمام الاستعداد لصد العدوان[5] .

في هذا الوقت أسرع الجيش الجزائري إلى تنظيم صفوفه وتجهيز الفرق للقتال ، وتحصين أنفسهم ضد الغارات واستئناف القتال في اليوم الثامن يوم السبت بعد الهدوء الذي خيم ، ورغم مقاومة المسلمين إلا أنهم حوصروا بالقذائف الإسبانية ، فكانت الغلبة للنصارى وخرجوا إلى البر وباتوا تلك الليلة على أحسن حال إلى أن سمعوا صياحهم في الحراش ولم يعلم حالهم ولما تصدع الفجر وجد عدد كثير من النصارى أموات ومن بقي حيا رجع إلى المراكب ومات من المسلمين عدد كثير [6]. والسبب الحقيقي في هذا النصر هي خطة صالح باي حيث تبادرت إلى

---

(1) -GAID , Op.cit, p163 , et Feraud (L.ch.) , l'expédition d'oriell , R.A N°27, 1865 , p 47.

- محمد الصالح بن العنتري ، المصدر السابق ، ص 63 .

(2) – الحاج أحمد الشريف الزهار ، المصدر السابق ، ص52.

(3) -Bourouiba (R.) , Constantine Art et Culture, Alger , 1978 ,p.117.

(4) - Vaysstes , L' histoire de Constantine de puis l'invation turque ,op .cit. p 338.

(5) -GAID , Op.cit, p163 .

(6) – محمد الطاهر بن أحمد النقاد ، المصدر السابق ، 32-33.

ذهن صالح باي فكرة نفذها فورا إذ أنه قام بتجميع كل الإبل الموجودة وصفها أمام الجند لتكون حاجزا كحماية لهم وقاد الهجوم بنفسه فتقدم الفرسان نحو الإسبان وتبعهم قائدهم وأقدموا على اجتياح المخيم[1].

وعلى إثر جلاء الحملة الإسبانية من السواحل الجزائرية ، سارع الجزائريون إلى الاحتفال بهذه المناسبة السارة[2] وعاد كل واحد إلى أهله ، ورجع صالح باي إلى عاصمته قسنطينة ليلقى الترحيب الكبير بعد النصر الباهر على الإسبان والذي زاد من شعبيته وجعله يفرض احترامه وهيبته ، فتفرغ بعد ذلك لشؤون حكمه وأسس في السنة نفسها مسجد ومدرسة سيدي الكتاني.

ونذكر هنا أن إسبانيا كان لها محاولات أخرى مابين 1197-1198هـ/1782-1783م في أيام الباشا محمد لكن باءت بالفشل فجنحت إسبانيا إلى الصلح [3].

– الأزمة مع تونس :

بعد أن توطد حكمه في قسنطينة أراد صالح باي أن يفرض احترامه حتى على الدول المجاورة ، وقد تمكن فعلا من ذلك وهو ما نلمسه في سياسته تجاه تونس .

وكانت العلاقات بين تونس والجزائر يسودها نوع من التذبذب ، والذي سرعان ما تحول إلى توتر و خلاف[4] وذلك بعدما أقدم باي تونس حمودة باشا بمنع بعث حمولتين بحريتين من الزيت إلى الجزائر ، ورغم تدخل السلطان العثماني فإن حمودة باشا رفض الرضوخ وقطع الدفع جملة وتفصيلا وبإيعاز من داي الجزائر الذي لم يخف استيائه مما حدث ، طالب صالح باي سنة 1198هـ/1783م من حمودة باشا تعويضا على ممتلكات وخسائر قبيلة تونسية والتي نزح أفرادها منذ خمسة عشر سنة خلت أي عام 1768م واستقرت بقسنطينة وكان مقدار تلك التعويضات أربعين ألف محبوب أو Sequins [5].

---

(1)- Vaysstes , l' histoire de Constantine de puis l'invation turque ,op .cit. p. 340.

(2)- IBID. p 338.

(3) – محمد الصالح بن العنتري ، المصدر السابق ، ص 377 .

(4) – للمزيد حول هذا الموضوع أنظر :

– محمد الصالح ابن العنتري ، المصدر السابق ، ص73-74 . – الحاج أحمد ابن المبارك المصدر السابق ، ص23-24.

- Cherif (M.H) . Op . cit .

(5) – السقين : وهي عملة متداولة في إيطاليا وهي من الذهب الصرف وكانوا يطلقونها على العملة الذهبية التونسية (محبوب) والتي تزن حوالي 3.5غ.

وهو مبلغ كبير من المال فتعجب حمودة باشا من هذا الطلب الغريب لقضية منسية ، وكاتب داي الجزائر يعلمه بذلك ويهدده بقطع جميع العلاقات معه إذا أيد باي قسنطينة[1].

لم ينتظر حمودة باشا الرد من داي الجزائر وقاد فيلقا من الجيش وانتقل أولا إلى منطقة الجريد واقترب من الحدود ، وكان صالح باي متواجدا مع زمالته في أرض القبيلة الهاربة[2].

فأقدم على أمر لم يكن حمودة باشا ينتظره ، حيث أرسل عددا من جنده لتحيته وقدموا له عددا من الخيول الجيدة هدية ، وفتحت هذه الالتفاتة الحسنة باب الأمل لحمودة باشا في إيجاد تسوية مرضية للخلاف الذي طرأ بين الجزائر وتونس ، بيد أن هذه التسوية لم تتم مثلما كان يتوقعها باي تونس ، إذ جاء رد داي الجزائر صريحا ، ومفاده ديوان الجزائر أيد وساند صالح باي .

حينئذ خرج حمودة باشا على رأس محلة سنة 1199هـ/1784م نحو قسنطينة ، وسميت هذه المحلة "بمحلة الخمس بايات" لأن في هذه المحلة حظر خمس بايات ، وأثناءها كان صالح باي معسكرا مع جيشه على أراضي القبائل اللاجئة في الغرب التونسي ، وقد هنأ زعيم القبيلة وبعث إليه بعض الخيول والهدايا ، فما كان أمام حمودة باشا سوى الإذعان خاصة بعد اشتداد عداءه مع البنادقة خوفا من أن يقع في صراع بين الجبهتين : الأوربية والجزائرية[3].

وانتهت هذه الأزمة في شهر جوان من نفس السنة بدفع ماقدر بـ25000 محبوب إلى القبلة التونسية والتي أصبحت تحت السلطة الجزائرية[4].

لقد بقي الأمر هادئا بين البلدين إلى غاية مطلع عام 1202هـ/1787م[5] ، حيث لجأ عدد كبير من سكان قسنطينة إلى الأراضي التونسية هروبا من ثقل الضرائب التي يفرضها صالح باي والذي اتهم حمودة باشا بتحريضهم على ذلك ، قام صالح باي بتجهيز الجيش لاسترجاع القبلية اللاجئة بعد رضوخ الباشا لإلحاحه باتخاذ القرار اللازم فوصل إلى تونس خبر مفاده أن ستة آلاف جندي تجمعوا في قسنطينة وهم على أتم الاستعداد للسير نحو

---

(1) – رشاد الإمام : سياسة حمودة باشا في تونس 1782-1814 ، منشورات الجامعة التونسية ، 1980 ، ص ص385-386.

(2) – تطلق هذه الكلمة على قبيلة بولاية وهران ومعناها الخالية ثم أصبحت تطلق على الفرسان التابعين للدولة ، ووقع الاختيار على مكان قرب عين مليلة تتمركز فيه هذه الخيالة وأصبح معروفا باسم الزمول.

– أنظر : صالح نور ، المرجع السابق ، ص186 .

(3) – لأن حمودة باشا اصطحب معه كل من خاف أن يقوم بانقلاب ضده في غيابه .

أنظر : رشيد الإمام ، المرجع السابق ، ص110.

(4)- Vaysstes , L' histoire de Constantine de puis l'invation turque , Op .cit , p. 345.

(5) – محمد الصالح بن العنتري ، المصدر السابق ، ص63.

الحدود وبدأ حمودة باشا بتجهيز جيشه المكون من ألفي جندي تركي ، وثلاثة ألاف كرغلي[1*] وعدد كبير من الفرسان العرب . حيث كان صالح باي قد خرج بمحلته وخيله وفرسانه متجها نحو عمالة الحنانشة ولما وصل إليهم ترجل شيخ الحنانشة وكبر قومه وقبلوا يد الأمير ثم استمروا سائرين إلى أن بلغوا أرض حيدرة فنزل الناس ونصبت الخيام وضربت قبة الأمير وأحضر الحنانشة الغداء وكان يوما مشهودا ، ولما وصل الخبر إلى باي تونس بأن صالح باي نزل حيدرة مريدا استرجاع من خرجوا عن وطنه قاصدين تونس ، لقد خاف باي تونس على نفسه فوجه إليه كاتبه الأكبر ابن عبد العزيز في جملة من الجنود فلما وصل إلى المحلة وجد صالح باي توجه مع بعض الفرسان إلى الصيد فضرب لإبن عبد العزيز مجلسا من طرف مساعدي صالح باي وبقي ينتظر ، ثم اجتمع به صالح باي بعد رجوعه وأمره بأن يبلغ مكتوبه لباي تونس بأن يكون معينا لمن يرسله ليسترجع الفارين من وطنهم ، ثم بعد انفصال ابن عبد العزيز عنه وجه صالح باي ابن محمد خوجه العجمي لإسترجاع الفارين من بلد تونس وتوجه هو وكافة من كبراء الفرسان حيث دخل المدينة واتصل بحموده باشا فمكث عنده أياما ، وفي هذه الفترة تم استرجاع الفريين بالإضافة إلى هدية عظيمة من طرف حموده ، كما أنه أخذ عن كل واحد من الفارين مبلغا من المال وكان ذلك سببا في عزله ثم قتله فيما بعد من طرف صالح باي لكنه فضل إنهاء الصراع بطريقة ودية ، بدل استعمال القوة وبهذا فتح مجال المفاوضات مع صالح باي[(1)].

---

*1–الكرغلي : هو الذي ينحدر من أب تركي وأم جزائرية .

(1)- Vaysstes , L' histoire de Constantine de puis l'invation turque , Op .cit, p. 348.

– أنظر : صالح نور ، المرجع السابق ، ص186.

ب– نشاطاته الاقتصادية :

شجع صالح باي المشاريع الاقتصادية حيث يقول مرسي :" عمل صالح باي بعد توليه على استتباب الأمن وإقامة علاقات تجارية وشجع الصناعات والحرف كالدباغة والحياكة وعمل على بناء طواحين في مختلف أرجاء المقاطعة وقام بعدة تجارب في ميدان الفلاحة"[1].

ب–1– الجانب الفلاحي :

ففي المجال الفلاحي أقام حديقة جميلة على بعد بضعة كيلومترات غربي المدينة أمام الباب الرئيسي والتي اتخذ منها مسكنه الريفي[2]. وشجع غراسة الزيتون ، وفلاحة الأرز بسهول الحامة وباقي أشجار الفواكه كما استحدث شبكة من قنوات الري لإيصال المياه إلى المزروعات المسقية وأمر باستصلاح مستنقعات ضفاف وادي سيبوس بنواحي عنابة لاستغلالها في الزراعة[3]. فأنشأ لذلك قنوات لصرف المياه الراكدة حيث يقول ابن النقاد في هذا الشأن "...فغرس جنة سيدي محمد الغراب وجنات أخرى وبنى أبراجا وصهاريج للفلاحة وأكثر من غرس الزيتون وأمر أهل بلده بالغرس حتى قيل من شدة اعتنائه أن كان من تثبت غراسته لشجرة يعطيه ريالا ومن تثبت عنده ماية يعطيه ماية ريال ، وأمر بتلقيم الأشجار..." [4]. وأهم مشروع زراعي قام به صالح باي هو استغلال السهول الخصية القريبة من عين مليلة ، خص جزء منها كحظيرة لتربية خيول البايلك .

ولإنجاح هذا المشروع أقام حصنا عسكريا عرف ببرج الفسقية لمراقبة الأعمال الزراعية ويستعمل مقرا للحاميات العسكرية التي تجمع الضرائب وفضلا عن ذلك فهو مكان ملائم لجمع محاصيل الحبوب للاتجار في الأسواق استغلال الشعير لعلف الحيوانات وأوكلت مهمة المراقبة لقائد البرج[5]. وكان أحمد القلي قد شرع في تشييد هذا البرج قبله ، وأتم صالح باي بناءه[6].

لقد عين صالح باي من يتولى أمور الزراعة في البايلك وكان يسمى بقايد الجابري أو قايد التراب ويقوم هذا الشخص بجمع محصول البايلك في ثلاثة مخازن أعدت لهذا الغرض وهي برج ومطيب وبرج وادي الذهب وبرج المعمرة[7].

---

[1] – مؤلف مجهول ، المصدر السابق ، ص1–4.

[2]- Mercier (E.) ,Op.cit , p.296.

[3] – اشترى هذه الأرض من عائشة بنت حسين باي بقيمة قدرها 300 ريال ويسمي الفرنسيون هذه الحديقة باسم "جنان صالح باي" ويسميه العرب "جنان سيدي محمد الغراب" . أنظر : صالح نور ، المرجع السابق ، ص28.

[4] – محمد الصالح بن العنتري ، مصدر سابق ، ص 68 .

[5] – ناصر الدين سعيدوني ، دراسات وأبحاث ، المرجع السابق ، ص68.

[6] – محمد الصالح بن العنتري ، المصدر السابق ، ص 64 .

[7] – محمد الطاهر بن أحمد النقاد ، المصدر السابق ، ص29.

ومن مآثره أيضا : تفجير المياه بالصحراء وربط الينابيع يبعضها في شبكة من القنوات المجموعة بكيفية هندسية محكمة العمل لسقي البساتين والحقول من النخيل أو غيره من المغروسات والمزروعات وذلك التوزيع غاية في الإحكام والدقة اعتمدته المحاكم الشرعية في تحديد الحقوق وبيان المقادير المائية لسقي كل مساحة[1].

ب-2- الجانب الضريبي :

أما في المجال الضريبي فقد امتاز بالدقة والملائمة لأوضاع البايلك ، بحيث ظل العمل به بعد حكم صالح باي فقد أخضعت جميع الأراضي الزراعية لضريبة الجبري[2]. وما يعادلها من الشعير وعشرة شبكات من التبن كعلف الحيوانات.

وبمقتضى هذا قسم البايلك إلى قطاعين : شرقي وغربي يفصل بينهما وادي الحمام وكل قطاع يشرف عليه " قائد جبري" والذي يخضع بدوره "لقائد الدار" .

ويتقاضى مقابل قيامه بهذا العمل ضريبة الزمام ويقوم بخرجتين في العام ، إحداهما قي الخريف لمراقبة أعمال الحرث والأخرى بعد الحصاد لاستخلاص ضريبة الجيري التي قدرت بـ 5 و12 صاعا قمحا ومثلها شعيرا مع عشر شبكات من التبن كعلف للحيوانات [3]. ويقوم بمساعدته شيوخ الدواوير وقيادة النواحي وفرسان المخزن ، ومن إيجابيات هذا النظام أنه لا يتطلب عددا كبيرا من موظفين ويعطي أيضا فكرة واقعية عن مردود الضرائب مسبقا ، كما أنه يشجع الفلاح على الإنتاج [4].

لقد جعل صالح باي الضريبة على حسب مقدرة الأشخاص وعلى حسب ما يملكون من الأموال والزراعة والمواشي ، فقد كان كل عرش يعطي على قدر كسبه فرأس البقر بثمن ريال وخمس شياه بثمن فالذي عنده عشرة من رؤوس البقر يعطي على كل رأس والذي عنده مائة شاه يعطي عليها خمسة أريلة وهكذا جعل قوانين ضريبة لكل فئة في المجتمع .

ب-3- الجانب الصناعي :

لقد قام صالح باي بتشجيع الصناعات والحرف ، وأصبحت قسنطينة في عهده تعج بالورش المختلفة والأسواق المزدهرة العامرة ، فهناك ثمانية وعشرون سوقا وسويقة ، وواحد وعشرون سباطا (ممر تجاري) وسبعة تربيعات لصناعة النسيج وثلاثة رحبات لعرض السلع وخمسة أفران لصنع الخبز وسبعة وعشرون مطحنة للحبوب منها خمسة داخل المدينة تعالج يوميا أربعمائة وأربعة وثمانين كيسا من الدقيق . ومن ضمن المصنوعات التي ازدهرت وقتئذ الدباغة

---

(1) – محمد المهدي بن علي شعيب ، المرجع السابق ، ص 383 .

(2) – الجبري : يساوي اثني عشر صاعا ونصف من القمح .أنظر :محمد الصالح بن العنتري ، المصدر السابق ، ص 64 .

(3) – ناصر الدين سعيدوني ، دراسات وأبحاث ، المرجع السابق ، ص68-69.

(4) – محمد الطاهر بن أحمد النقاد ، المصدر السابق ، ص32-32.

والحياكة والحدادة والخشب وأدوات الطين [1]. كما جعل لكل حرفة قوانين خاصة ومن خالف أو تعدى هذه القوانين عوقب كما جعل لكل حرفة شخص مكلف من طرف الجهاز الإداري للبايلك لمراقبة سير الحرفة [2]. وقام بجمع اليهود في منطقة واحدة و أقاموا دكاكينهم بهذا الشارع الذي كان يصل من باب الواد لباب القنطرة [3].

يذكر ابن النقاد في مخطوطه في هذا الجانب بأن قسنطينة كانت تعيش في قدرة شرائية عالية حيث يقول:"...في أيامه صار السعي رخيصا فبلغ سعر صاع تمر ربع ريال وخروبه إلى ثلاثة أثمان وصاع الشعير بثمن ريال ورطل السمن بربع ريال ورطل الزيت على حسب الأوطان فتارة أربعة أرطال بريال وتارة يزيد وتارة ينقص ورطل العسل بربع ريال والتمر ثمانية أرطال بثمن ريال والكبش بنصف ريال إلى ريال والنعجة إلى...والتيس بنصف ريال ...وهكذا كل شيء يباع كيلا أو وزنا"[4].

ب-4- الجانب التجاري :

كما شجع صالح باي التجارة الداخلية والخارجية وتحولت قسنطينة إلى ملتقى القوافل التجارية الكبرى القادمة من طرابلس وغدامس وبسكرة والجزائر والمغرب الأقصى وكان البعض منها يضم مائتي جمل أو أكثر كانت تشحن بضائع البايلك المختلفة الزراعية والحيوانية والصناعية إلى مختلف الجهات الإفريقية والمشرق العربي.

لقد كان التجار يقصدون تونس بالسلع المختلفة فيبيعون هناك ويشترون السلع من تونس ويأتون بها إلى قسنطينة فيبيعونها ويربحون فيها والبيع والشراء بين العمالتين كان مزدهرا جدا[5].

كما جعل صالح باي قوانين لصاحب كل حرفة وعاقب كل من خالف هذه القوانين وجعل لكل حرفة من يقوم عليها ويراقب سيرها[6].

أما في مجال التجارة الخارجية البحرية فقد أصلح صالح باي الموانئ : عنابة – القالة- سكيكدة – سطورة – القل ، التي تفد إليها السفن والمراكب التجارية الأوروبية من إيطاليا وفرنسا وغيرها[7]. يقول ابن العنتري (وهو الذي أسس مرسى سكيكدة وشرها وصاروا كل الأجناس يأخذون الوسق منها . وقد انجرت له من تلك المرسى فوائد عديدة وذخائر مثمنة نفيسة ، وتمهدت كل الأوطان في عصره ونال من الخيرات ما لم يناله (كذا) واحد من البايات قبله ومن بعده) [8]ومن أجل تسهيل عملية التجارة وضمان سلامتها ومن أجل قطع الطريق أمام مضاربة الجمارك قام

---

(1) – ناصر الدين سعيدوني ، دراسات وأبحاث ، المرجع السابق ، ص69.

(2) – محمد الطاهر بن أحمد النقاد ، المصدر السابق ، ص22.

(3) – محمد المهدي شعيب ، المرجع السابق ، ص 384 .

(4) – محمد الطاهر النقاد ، المصدر السابق ، ص17-18.

(5) – نفسه ، ص21-22.

(6) – نفسه ، ص22-23.

(7) – محمد الصالح بن العنتري ، المصدر سابق ، ص 65 .

(8) – نفسه ، ص62.

بوضع أشخاص على الموانئ المهمة يسمون الوكلاء [1]. وكان أهم ميناء هو ميناء عنابة والذي كان يزود خزينة البايلك بمداخيل محترمة[2].

ج- نشاطاته في المجال العمراني :

لقد أولى صالح باي عناية خاصة لإعطاء مظهر جميل ، لجعل قسنطينة في أجمل حلة ، وأعاد لها مكانتها التي عرفتها في الماضي ، حينما كانت عاصمة للنوميديين ومقرا مفضلا للحفصيين ، وقام بتنظيم بناياتها .

شجع صالح باي المشاريع العمرانية في شتى المجالات (الدينية والمدنية والعسكرية) كتشييده لمركبين دينيين وهما مركب سيدي لكتاني(1202هـ-1787م) والذي يحتوي على جامع ومدرسة ومقبرة ، وأقام بالقرب منها منازله الخاصة وبيوتا لحاشيته، منهم خدمه الإيطاليون، وجراحه الخاص النابولي الأصل ، وتتصل بهذه المنازل بساتينه واصطبلاته وحمامه الخاص به ، وقد أقام العديد من الدكاكين التي تحيط بسوق الجمعة (سوق العصر) .

وكذا مركب سيدي محمد الغراب حوالي(1787م) والذي يحتوي على مسجد وضريح ومسكن وحمام ، وهذه المركبات الدينية تعتبر الوحيدة المتبقية في مدينة قسنطينة وفي بايلك الشرق بصفة عامة ، كما لم تذكر المصادر التاريخية تأسيس مثل هذا النوع من المنشآت العمرانية في مدينة قسنطينة .

هذا بالإضافة إلى تشييده لمدرسة سيدي لخضر المحاذية لجامع سيدي لخضر(1203هـ -1789م) والتي فقدت أجزاء كثيرة من معالمها الأصلية ، كما شيد مسكنا له عرفت بدار صالح باي لقد بناها صالح باي سنة (1185-1207هـ/1771-1792م) ، وهي تقع ضمن المركب الديني والتجاري الذي شيده صالح باي ، وهي مطلة على جامع ومدرسة وضريح سيدي الكتاني من جهة وعلى سوق العصر من جهة أخرى ، ثم تغيرت تسميتها إلى دار بن جلول . وكان من بين أهم المشاريع التي قام بها هو ترميمه لجسر القنطرة 1206هـ / 1792 م ، وهو أحد أهم منجزاته ، وكان يهدف من وراء هذا المشروع لتسهيل المواصلات في النواحي الشرقية للبايلك ، وهو الجسر الذي وصفه بيوسنال حينما زار قسنطينة سنة1725م:"في وسط المدينة نرى جسرا بديع الجمال ، ذا ثلاثة صفوف من الأقواس بارتفاع260 قدما ولكنه ضيق شيئا ما"[3].

---

[1]- Mercier (E.) ,Op.cit , p.296.

[2] – ناصر الدين سعيدوني ، المرجع السابق ، ص68-69.

[3]- Moreleve , Les Maures de Constantine , dison , 1975 , p 72.

وعندما قرر صالح باي إصلاح الجسر ، جلب لذلك الغرض مائة عامل من الدول لأوروبية ، واستعان بالمهندس الإسباني ماهون بالبليار يدعى دون بارتولوميو "Don Bartolonero" وقد صرف عليه مبالغ مالية طائلة[1].

بل و حتى من ماله الخاص ، وكلفه بمعاينته وتقرير ما يمكن عمله لإصلاحه ودعمه ، وتم الاتفاق على استعمال المواد المحلية بدلا من المستجلبة التى تكلف نفقات باهظة ، وشرع هذا المهندس في الإجراءات المطلوبة لذلك. وقام بإعادة بناء وترميم الجزء العلوي من الجسر والقوسين السفليين والأعمدة الثلاثة واستخدم أحجارا تعود إلى العهد الروماني، المتواجدة بكثرة بالقرب من حصن المنصورة [2]. كما نجد إشارات لهذا الإنجاز في مخطوط الخزانة العامة بالرباط جاء فيها :" ... والحال أن جماعة النصارى البنايين الذين أستجلبهم لبناء القنطرة مشتغلون بالبناء حتى صعدوا به إلى قرب باب القنطرة فخرج إلى البرج وبنيت له قبة واستنفر الخدمة لرفع الصخور التي قطعها النصارى للبناء ..." [3] .

كما ذكر ابن النقاد هذا العمل في قوله :"...وبنى قنطرة بديعة خارخ باب القنطرة أحد أبواب بلد قسنطينة.."[4].

وكان صالح باي يهدف من وراء هذا المشروع لتسهيل المواصلات في النواحي الشرقية للبالك، كما كان يهدف إلى جلب المياه الصالحة للشرب من عين العرب الغزيرة ، ليوفر على السكان جلب الماء من أسفل الوادي عبر "باب الجابية"[5] ، لكن المشروع لم يتم لأنه لم يشرع فيه إلا في شهر فيفري من سنة 1792م . وبقي هذا الجسر معلقا، إلى أن تم هدمه من قبل السلطات الاستعمارية في 18مارس1857م[6].

لقد كان هذ الجسر من أهم الأسباب التي ساعدت الواشين والدساسين للإيقاع بينه وبين الداي وذلك بزعم أنه يريد الانشقاق على السلطة المركزية . فعزل صالح باي ثم قتل وتوقف العمل في الجسر إلى ما بعد.

كانت الأراضي البعيدة عن مقر الحكم كباب القنطرة وحي الشارع التي تمتاز بمنظر لا يعجب الناظرين خاصة ذوق الباي . فقد كـــانت هناك تجمعات سكانية لا تسر النظر حول المسجد وزاوية سفر وسيدي التلمساني فـأوصى

---

[1] - Vaysstte s , L' histoire de Constantine de puis l'invation turque ,op .cit , p. 374.

أنظر : أبو القاسم سعد الله ، محاضرات في تاريخ الجزائر منذ بداية الاحتلال ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم جامعة الدول العربية ، مصر ، 1976 ، ص 168.

[2] – كما تطرق بيونسال إلى عملية الترميم التي جلب لأجلها الحجارة من البليار لكن لم يصل منها إلا القليل شحنة واحدة من ستورة (STORA) نظرا لتكلفتها الباهضة ،كما استعمل أحجار قوس النصر والذي يعرف بقوس القولة .

– الحاج أحمد الشريف الزهار ، المصدر السابق ، ص65 .

[3] – مؤلف مجهول ، المصدر السابق ، ص07.

[4] – محمد الطاهر بن أحمد النقاد ، المصدر السابق ، ص11.

[5] – الحاج أحمد الشريف الزهار ، المصدر السابق ، ص65 .

[6] – عبد الرحمان الجيلالي ، المرجع السابق ، ص297.

حينذاك الرسامين بإعطاء وجه جديد للمدينة ، حيث بلغ عدد الجوامع التي بناها صالح باي وهي الكبرى : خمسة مساجد ، وعدد المساجد الصغيرة كان يفوق السبعين . أما الزوايا فقد بلغ عددها ثلاثة عشر زاوية .[1]

قام صالح باي بتعمير ناحية الشارع التي أقطعها لليهود ليبنوا فيها منازلهم ودكاكينهم وهي تقع في الطرف الشمالي للمدينة بين سوق الجمعة وباب القنطرة وكانت هذه الناحية مهجورة من قبل ، وبهذه الطريقة سوى وضعية اليهود قي المنطقة حيث جمعهم هناك[2] وبهذا تسهل على إدارة البايلك مراقبتهم ، وأعاد النشاط برحبة الصوف ، التي أصبحت مركزا تجاريا بعدما كانت شبه مهجورة ، وأقام لليهود دكاكينهم وحوانيتهم بالشارع الرئيسي الذي كان يصل من باب الوادي لباب القنطرة مباشرة [3].

– لقد ترتب عن إقامة هذه المؤسسات واختيار موقعها أن انتقل وسط المدينة ومركزها إلى سوق الجمعة حيث دار الباي الجديدة والجامع الأعظم الذي يصلي به وكذا المدرسة التي بناها بمحاذاة الجامع .

كما شيد خانا خارج البلد مشتملا على حوانيت لبيع الثياب وأن جميع من يأتي من بعيد يبيت فيه ، كما شيد أهل حاشيته دورا إقتداء بسيدهم[4].

أما في مدينة عنابة فقد شيد صالح باي جامعا يعرف باسمه والذي مازال محافظا على معظم أجزائه ، أما في مدينة سكيكدة فقد أنشأ مرسى سكيكدة بالإضافة إلى إعادة ترميمه لمرسى سطورة[5].

هذا بالإضافة إلى منشآت أخرى اندثرت مع مرور الزمن وقضى معظمها مع الدخول الفرنسي لقسنطينة من زوايا ومساجد ومنازل وطرقات وتشييده لأحياء بأكملها (حي اليهود– حي سيدي الكتاني) وأسواق وساحات ، حيث عرفت مدينة قسنطينة أقصى اتساع لها في عهد صالح باي وتداخلت الأحياء وزاد اتساعها حتى تجاوزت أسوار المدينة وهذا ما يدل على غنى البايلك في هذه الفترة وكذا حب صالح باي للعمارة والعمران والفنون .

وكل هذه الأعمال سنتطرق إليها في الفصول اللاحقة بمزيد من التفصيل.

---

(1) - Lakhdar (Guabi) , Op.cit .p.351.

(2) – أنظر كلا من :

- Vayssttes , L' histoire de Constantine de puis l'invation turque ,op .cit. p 353.
- Charbonneau (A.) ,Op.cit , p322. - Mercier (E.) ,Op.cit , p.438.

(3) – إلى ذلك الوقت كان اليهود متفرقين في كل الأحياء خاصة في جهة باب الجابية التي تقع جنوب غرب المدينة تحت ساحة باب الوادي ، لقربها من المركز التجاري للمدينة ، ثم خصص لهذه الطائفة حي بأكمله يعرف بحي الشارع.

(4) – محمد الطاهر ابن النقاد ، المصدر السابق ، ص10.

(5) – محمد الصالح بن العنتري ، المصدر السابق ، ص65.

د- النشاطات الثقافية والدينية :

زيادة عن المنشآت الاقتصادية والاجتماعية اهتم صالح باي بالمنشآت الثقافية والدينية ، حيث انشأ مسجد و مدرسة سيدي الكتاني (1202هـ-1787م) ومدرسة سيدي الأخضر (1203هـ -1789م) وتبين هاتان المدرستان مدى اهتمام الباي برفع مستوى رعيته [1] . أما المناطق النائية فقام الباي ببناء زوايا بها لتحفيظ القرآن الكريم .

لقد أصدر عدة قوانين فيما يخص التعليم والمتعلمين ، كان يهدف من ورائها إلى نشر العلم بين الناس على نطاق واسع ليتمكنوا من فهم أمور دينهم ولإعداد رجال يتولون أمور الإفتاء والقضاء والإمامة والتدريس وكذا لحفظ علوم الدين من الإهمال والضياع والنسيان [2].

كما اهتم صالح باي بإنشاء المساجد فقد بلغ عدد المساجد ثمانية وسبعون (78) مسجدا و ذلك حسب سجله أما عن الزوايا فقد بلغت ثلاث عشرة (13) زاوية أما خارج أسوار المدينة فنجد سبعة (07) مساجد[3]. وقد استحدث صالح باي نظاما دقيقا يسمح لهذه المدارس تأدية دورها الثقافي ، وقد تقيد بهذا النظام الطلبة والمدرسون.

وإذا مارأينا المنهج الذي انتهجه صالح باي داخل المدارس ، والذي صيغ عن المدرسة التي أخذت موافقة صالح باي رفقة أعضاء مجلسه ، يحتوي على مسجد وخمسة غرف واحدة للمعلم والأربعة الباقية للطلاب وميضأة ، وحوض مائي للوضوء وغرفة لوضع الأغراض اللازمة ، ويكون عدد الطلبة ثمانية طالبان في كل غرفة .

ونستشف مما سبق أن هذه القوانين كان لها جانب كبير من الحكمة في تسيير أمور التعليم وقد سن هذه القوانين أكبر علماء ذلك الوقت كالشيخ عبد القادر الراشدي مفتي الحنفية وشعبان جلول قاضي الحنفية والعباسي قاضي الملكية ، الذين وحدوا معارفهم لتزويد الناس بالفتاوي.

أما في المناطق النائية فقام الباي ببناء زوايا بها لتحفيظ القرآن الكريم ، وكان صالح باي يهدف من هذه القوانين لنشر التعليم بين الناس على نطاق واسع وليتمكنوا من أمور دينهم ، ولإعداد رجال يتولون أمور الإفتاء والقضاء والإمامة والتدريس ، وكل ما يتعلق بالشؤون الدينية. وكذا لحفظ علوم الدين من الضياع والنسيان، والعمل على تحسينها فهما وتعليما ويهدف كذلك إلى إعداد الفرد المسلم للحياة إعدادا جيدا ليفيد نفسه ومجتمعه وللإنسانية كافة.

---

(1) - Vaysstes , L' histoire de Constantine de puis l'invation turque ,op .cit , p. 352.

- أنظر : عبد الرحمان محمد الجيلالي ، المرجع السابق ، ج3 ، ص278-279

(2) - Vaysstes , L' histoire de Constantine de puis l'invation turque ,op .cit , p. 374.

- أنظر : عبد الرحمان محمد الجيلالي ، المرجع السابق ، ج3 ، ص278-279.

- عبد القادر حلوش ، السياسة التعليمية الفرنسية في الجزائر 1871-1914 ، رسالة لنيل الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر إشراف .محمد خير الدين فارس ، دمشق ، 1985 ، ص11.

(3)- Freud , L'expédition , OP.CIT,(R.A),p.29-30.

III- إدارة البايلك :

لقد ساعد صالح باي في تسييره لمقاليد حكمه لبايلك الشرق مجموعة كثيرة من الشخصيات ذكر جزء كبير في مخطوط ابن النقاد ، ولعل أبرزهم ما سنذكرهم في هذه الإشارة ممن تركوا بصمات في فترة حكم صالح باي ، حيث كانت لهم كلمة مسموعة سواء من طرف الباي أو من طرف سكان وشخصيات المدينة وأبرزهم :

– **الخليفة** : أهم شخصية بعد الباي هو خليفته والذي يستطيع أن ينوب عن الباي في تسير أمور البايلك إذا كان خارج البلد وخليفته هو السيد حسن خوجة وتولى بعده الحاج حسين بن عبد الله خوجه .

– باش كاتب : وهو من يتولى كتابة الشؤون البارزة لمعاملات الباي نفسة وكل الأمور المتعلقة بتسيير البايلك ، وأبرز من تقلدوا هذا المنصب هم العالم الأديب الشهير السيد محمد بن كوجك الذي عينه صالح باي باش كاتب والعلامة السيد حسن جلول كاتبا ثانيا والسيد محمد بن جلول كاتبا ثالثا ، ولما سافر السيد محمد كوجك لأداء مناسك الحج في البقاع المقدسة ولي مكانه الحاج أحسن جلول وبعد رجوعه عاد إلى منصبه .

– **باش سيار** : وهو المسؤول عن نقل الرسائل وقد تقلد هذا المنصب السيد الحاج مسعود بن زكري.

– **السراج** : وتولى هذا المنصب الحاج محمد بن الحرش[1].

– **قايد الدار** : وهو القايد رضوان ومهمته أنه يتولى أمور الدولة وكذلك يصرف على دار الباي وعلى أولاده ويحضر كل ما يحتاجونه [2].

– **قايد الباب** : يوليه الباي يلبسه قندورة وبرنسا ويجعل له طابعا ويجلس قرب باب الوادي وله أعوان يستخلصون المكس ويعطيهم أجرهم فيأخذون المكس على السلع التي تأتي من الصحراء وعلى الصوف التي تباع في رحبة البلد وعلى السلع التي تأتي وتذهب إلى تونس وعلى الحيوان الذي يباع برحبة البلد .

– **قايد الجابري** : وتولى هذا المنصب أحمد نعمون ويقال له قايد التراب وكان يتولى أمور الفلاحة وله ثلاثة مخازن يخزن فيها زرع البايلك (مطيب وبرج وادي الذهب وبرج المعمرة ، وكانت النقود التي تأتي من بيع المحاصيل الزراعية تنزل بداره ، ويتميز بكونه ذا ثقة كبيرة ويوليه الباي مكانة مرموقة في مجالسه لأهمية العمل الذي يقوم به ويتميز كذلك بأنه ذو عقل سليم ورأي مستقيم[3].

– **المركانتي** : وقد عين ابن حمادوش مركانتيا بعنابة وابن حميدة بستورة يبيعان القمح والشعير والصوف وغير ذلك بمشورة السيد صالح باي ، ووكيله بتونس الحاج محمد الحملاوي .

– **قايد الزمالة** : في أول أمره عين سي فرحات وبعده الحاج محمد بن الحملاوي [4].

---

[1] – محمد الطاهر ابن النقاد ، المصدر السابق ، ص26.

[2] – نفسه ، ص26-27.

[3] – نفسه ، ص29-30.

[4] – نفسه ، ص24-25.

VI – نهاية حكم صالح باي :

1– أسباب مقتل صالح باي :

لقد أدت مجموعة من الأسباب والمتمثلة في ظلم صالح باي للناس دون مبرر ، وفرض الضرائب المرهقة وعدم مراعات أوضاع وظروف الناس المعاشية والإقتصادية والإجتماعية بل وحتى السياسية ، إلى ظهور عدة معارضين وخصوم منهم الشيخ محمد الغراب والشيخ أحمد الزواوي بورنان بن زكري والشيخ سيدي عبيد من الحنانشة وعدد آخر من النمامشة ، حيث أن تبدل سيرته في أواخر أيامه أدت إلى تأليب العامة ضده فكثرت الشكاوى المقدمة للداي حسن باشا بالعاصمة ، حيث يقول ابن العنتري في (ولما قرب أجله وحانت وفاته تبدلت سيرته وانعكست حقيقته ، وصار يظلم ناس الزاوية حتى أفضى به ذلك إلى الهلاك والهاوية) [1] . أما السبب الرئيس لمقتل صالح باي والذي يراه أحمد الشريف الزهار هو وصول حسن باشا للحكم بعد وفاة محمد باشا ، وكان حسن باشا قد تزوج بنت الخزناجي الذي قتله محمد باشا بسبب شكاية صالح باي وبذلك تأخذ بثأر أبيها[2] . كما يذكر ناصر الدين سعيدوني مجموعة من الأسباب التي أدت إلى هلاكه ، حيث يرفض سعيدوني أن يقر بأن الخلاف الذي كان بين صالح باي والخزندار هو سبب هلاكه وراح يبحث عن أسباب أخرى أعم وأشمل قد تكون السبب الحقيقي في القضاء على صالح باي وقد أردفها في النقاط التالية :

1– إن الإصلاحات التي أدخلها صالح باي في إدارته خاصة في التعليم الإبتدائي رغم أنها بوحي من حب الخير والصالح العام كانت ستمس بعض المصالح الفردية ومنها مصالح المرابطين والأولياء.

2–كثرة أعداء ومنافسي صالح باي من الأتراك .

3– تحول طائفة الحضر عن تأييد صالح باي .

4– عداء أهل الأرياف لضالح باي .

5– نفور رجال الدين من أسلوب صالح باي في الحكم .

---

[1] — تعود أحداث هذه القضية إلى توقيع معاهدة الصلح بين محمد باشا والإصطنبول فقدم البايات لتهنئة الداي وعند قدوم صالح باي أثار معه الداي حديثا منفردا حول بيعه الزرع للنصارى من مرسى عنابة وهو الذي أمرهم من قبل بأن لا يبيعو أي شيء إلا بأمر منه ، فأخبره صالح بأن الخزناجي (وهو والد زوجة حسن باشا) هو الذي أمره بأن يبيع لكل من له كتاب من الخزناجي ففعل ذلك وهو الشيء الذي أثار غضب الداي من الخزناجي وأمر صالح باي بأن لا يبيع الوسق إلا بإذنه وأمره بكتم ما جرى بينهما من حديث ففعل ذلك .

وبقي الباشا على هذا الحال مهتما غاية الهم فعرض الأمر على وكيل الخرج فوافقه على قتل الخزناجي وهو ما تم بمباركة وزراء الباشا ، فحزنت لذلك بنات الخزناجي وبعد تولي حسن باشا الحكم وهو كما ذكرت سابقا زوج إحدى بنات الخزناجي طلبت منه الثأر لوالدها وهو ماتم فعلا.

– للمزيد أنظر : الحاج أحمد الشريف الزهار ، المصدر السابق ، ص 64.

[2] — ابن العنتري ، المصدر السابق ، ص62.

6- تآمر الإحتكارات اليهودية .

7- تغير نظام الحكم التركي بالجزائر وما يحمله من تحويلات في مناصب الدولة . [1] .

لقد استقامت الأحوال لصالح باي في عهد محمد باشا وبوفاته تولى حسن باشا مقاليد الحكم في الجزائر وهو صهر الخزناجي الذي قتل بسبب شكوى صالح باي ، فتوجه صالح باي إلى الجزائر على حسب ماهو معتاد لتنصيب الباشا الجديد فحصل لصالح باي خوف شديد على نفسه لكن تطمينات حسن باشا هونت عليه الأمر ، فلما بلغ الجزائر رفع حسن باشا مقداره وألبسه عمامة لباس الخوجة وأعطاه حكة وشاشية مرصعتين بالأحجار العظيمة الفاخرة الثمينة وعامله معاملة حسنة إلى أن خرج من الجزائر [2] .

وأثناء عودة صالح باي إلى عاصمة حكمه مر ببرج حمزة ثم إلى وطن ونوغة واستخلص عوايده وتفرق العسكر في الجهات لإستخلاص مطالب البايلك وبلغ صالح باي إلى قطر الطير حتى استخلص مطالب تلك الناحية ولما فرغ منها رجع إلى قسنطينة ومكث أياما وهو متقلب الحال كأنه أحس بشيء ، فبينما هو كذلك إذ خرج ذات يوم وجلس عند الصباح بمحل حكمه إلى أن فرغ من الحكومة وتفرق أرباب دولته وذهب كل واحد منهم إلى داره وإذا بصالح أتاه خبر أن إبراهيم بوصبع قائد الزمالة (سباو) أتى أميرا على بلد قسنطينة مكانه وذهب معه أربعون رجلا من عمراوة وبات في المجاز الذي هو من وطن العلمة [3] .

2- عزل صالح باي من منصبه :

لقد أيقن حسن باشا أن عزل صالح باي سيكون أحسن من قتله ، فقام بعزله في ذي الحجة عام 1206هـ الموافق لشهر أوت 1792م ، وحين وصل الخبر إلى صالح باي بعزله وانتقاله إلى الجزائر بأولاده وأهله فخشي أن يبلغ إبراهيم قسنطينة ويقتله ووقع في البلد رواج فركب صالح باي وذهب إلى محلة الشتاء بواد الرمل ودخل مخبأ الجراح ، ولما وصل إبراهيم بوصبع إلى المحلة القريبة من مدينة قسنطينة إجتمع بالديوان وبلغهم مكتوب الباشا بولايته فأرسل إلى آغا النوبة بقسنطينة بأن يقبض على صالح باي ويسجنه ثم ركب ودخل المدينة ونزل بدار البر ودخل عليه كبراء البلد وأرباب الدولة والعلماء والوجوه من الناس يهنئونه بالولاية عى حسب العادة ثم أنه أرسل في الخبر إلى صالح باي يقول

[1] — فاطمة الزهراء قشي ، "قراءة في حياة صالح باي بن مصطفى باي قسنطينة" ، عن مجلة المغارب في العهد العثماني ، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة محمد الخامس ، المملكة المغربية ، ط1 ، 1995 ، ص77.

[2] — بعد ثلاث أيام كملت أيام الضيافة كما هي العادة ودعه الأمير وألبسه عمامة بيضاء اللون مثل الخواجة (وهم كتاب ورؤساء كتاب الدولة والدواوين) وجعل له فيها ريشة من الذهب، فلما ألبسه العمامة عرف صالح باي أنه يريد قتله والعمامة هي علامة الكفن ، كما أمر الأمير باشا زرناجي (أي رئيس الفرقة الموسيقية التقليدية التي تعزف ألحانها بواسطة الزرنة وهي ناي متطور ، ولاتزال تستعمل لحد الآن بالجزائر بأن يضرب النوبة على نغمة (لاحال إيدوم) ومن عادة أمراء الجزائر عندما يسافرون تضرب النوبة من ورائهم والصناجق أمامهم مدة سفرهم.

أنظر :— مؤلف مجهول ، المصدر السابق ، ص6-7.

- الحاج أحمد الشريف الزهار ، المصدر السابق ، ص64.

[3] — مؤلف مجهول ، المصدر السابق ، ص07.

له " أنت رجل كبير ولك أولاد صغار فلا تخشى من الموت وعلي أن أراجع سيدنا الباشا في أمرك حتى يسرحك لأولادك" ، فقدم إليه صالح باي وأقاربه وهم إبراهيم ءاغة ومحمد خوجه واجتمعوا به فطيب خواطرهم ثم مر بهم فجعلوا به في علو بدار الباي من غير قيد ولا تضييق ثم أنه أرسل إلى حسن خوجة الخليفة ليأتوا به مربوطا وفي صبيحة اليوم الثاني أمر إبراهيم باي الناس من عرب وترك بزيارة صالح باي ومواساته ، فاستغل صالح الفرصة حيث استغاث بأهل البايلك فانخدع سكان البايلك وظنوا أن صالح باي تآمر عليه بعض الأشخاص في البايلك فألب الناس ضد الباي الجديد فدبروا الحيلة على القيام على إبراهيم باي واغتياله[1] .

إن تنصيب الباي الجديد لم يدم سوى ثلاثة أيام كانت كفيلة لقتله حيث أن مناصري صالح باي لم يعجبهم قرار الباشا فقتلوا الباي ، وكذا فعلو نفس الشيء مع رجال عمراوة الذين قدموا مع الباي الجديد وتم لهم ذلك وكان المتولي لذلك مماليكه مع سليمان الإزميرلي فنهضوا منتصف الليل واحتال بعض الممالك حتى فتح باب القصر الذي نام فيه إبراهيم باي ، فاستل سليمان سيفه وقتل إبراهيم باي كما قتل رجل آخر كان نائما معه ثم أنزلوا صالح باي ومن معه من العلو وأجلسوه في محله وحضر لديه أرباب الدولة الذين اتبعوه وحملوا السلاح وخلعت طاعة الباشا ثم أرسل إلى جماعة من العرابة الذين أتوا مع إبراهيم باي نحو العشرين فارسا استصعدهم من باردوا لأنهم أنزلوا هناك فقطعت رؤوسهم وغلقت أبواب البلد ، كما قاموا بإطلاق صراح صالح باي وذهبوا به إلى موضع بدار الباي كما كان في السابق وبذلك تعتبر مدة حكم إبراهيم بوصبع أقصر مدة للحكم بالنسبة لبايات قسنطينة أما السيار الذي ذهب إلى الجزائر فعند خروجه من أسوار المدينة اختفى أثره لأنه كان يعلم ما سيحصل للباي الجديد[2] .

إذا كان عصيان صالح باي عند عزله وقتل الباي الذي عين خليفة له ضربا من ضروب الإستقلالية ، إن صالح باي لم يكن طموحا إلى حد التخطيط للاستقلال بدليل أنه لما عارض قرار العزل لم يحاول بالمرة الإستجارة بباي تونس والإلتجاء للدولة العثمانية ، والتعامل مباشرة مع الشركات الفرنسية العاملة أو مجاراة اليهود ومحاولة تقوية صفه بديوان الجزائر واكتساب عطف الأوجاق ، وإنما رأى في معاملة الداي له إهانة شخصية لم يجد وسيلة للمرور عليها سوى إظهار العصيان لهذا القرار.

---

[1] – مؤلف مجهول ، المصدر السابق ، ص08-09.

للمزيد أنظر : الحاج أحمد الشريف الزهار ، المصدر السابق ، ص64.

[2] – مؤلف مجهول ، المصدر السابق ، ص10.

3- ردة فعل الباشا من إغتيال إبراهيم بوصبع :

إن إغتيال الباي الجديد كان صدمة كبيرة لسكان البايلك من جهة ولمسؤوليه من جهة أحرى ، حيث بقي الحال على ذلك المنوال مدة أيام والناس حصل لهم تشويش لإستعضامهم قيام صالح باي وخلعه طاعة باشا الجزائر ، في نفس الوقت كان حسن باشا في الجزائر ينتظر قدوم السيار ، وحسب محمد الشريف الزهار فإن أعيان البلاد وعلمائها إتفقوا على الكتابة إلى الباشا يخبرونه بما حدث ، لما بلغه الخبر ولى مكانه حسين باي*[1] ، وأرسل ديوانه وكتابه إلى ديوان محلة البايلك وأهل البلد أن يمسكوا صالح باي لتمرده وخلع الطاعة وأخبرهم بولاية حسين باي ، وكان الداي خائفا من صالح باي أن يثور عليه وكان الأمر كذلك ، بعث الباشا محلة إلى قسنطينة وفيها صهره علي (وكيل الخراج) وبعث معه الوزناجي باي تيطري على أن يتول حكم قسنطينة بعد الظفر بصالح باي[(1)] .

ولما علم صالح باي بكل تلك الأمور إشتد عليه الأمر وعلم بحصول الضرر فتغيرت أحواله وقام بجمع الأتراك الذين إتبعوه ووزع عليهم الأموال ، حيث دفع لكل واحد منهم مائة محبوب ذهبا سكة فصروا وحلفوا أن لايخونوه وأن يقاتلوا معه ماداموا على قيد الحياة ، فلما حصلوا على المال تفرقوا واختلفوا بديار اليهود ونحوها ولم يبقى أحد مع صالح باي إلا مماليكه وأحمد شاوش وعلي غربي قائد القصبة وقنطارجي الصبايحي ، فاستقروا بدار القايد وأغلقوا أبوابها لما تيقنوا بالخيبة وانقطاع الرجاء ، ولما وصلت محلة الباشا وادي الرمل صعدوا البلد فجلبوا عبد الرحمان شيخ البلد ووجهائها وأطلعوهم على مكتوب الباشا وتعيينه حسين بايا جديدا وأمره بالقبض على صالح باي فوافقوا على ذلك وأمروا الديوان والعسكر بدخول البلد ليكون الجميع يدا واحدة[(2)] .

لما وصل الجمع إلى سوق الغزل تبعوا صالح باي وهم يرمون بالبنادق ، حارب صالح باي من صومعة الجامع الكبير وبات ديوان المحلة وبعض العسكر بساباط دار الباي إلى أن أصبح الصباح وارتفع النهار وإذا بشاوش العسكر يطرق باب دار الباي فأجيب من الداخل فاستحضر صالح باي ليتحدث معه من وراء الباب فحضر فقال له "إن تمنعك هناك لا يمنعك والذي يليق بحالك أن تكون طايعا لاعاصيا" ففتح الباب وتذعن بالطاعة لجانب الباشا ولعله أن يكـون في ذلك خير له وقلوب الملوك بيد الله فأجابه صالح باي بأنه لايخرج إلا مع شيخ البلد ليستقر بداره ولعل

---

*[1]- أرسل ألذ أعداء صالح باي ألا وهو حسين باي بن حسن بوحنك الذي نفاه صالح باي مدة عشرين عاما إلى مليانة.

[(1)] – مؤلف مجهول ، ذكر طرف يسير يتعلق بأيام المرحوم السيد صالح باي الإزميرلي ، ص10. أنظر أيضا : الحاج أحمد الشريف الزهار ، المصدر السابق ، ص 65.

[(2)] – نفسه ، ص10-11.

الله يجعل الفرج في ذلك فأحضر السيد عبد الرحمان شيخ البلد فعندئذ فتح البلد فخرج صالح باي معه وملك الديوان والعسكر بالباب ثم لحق شاوش العسكر بصالح باي فأصعده إلى دار الآغة بالقصبة ، ثم إن الديوان والعسكر أمسكوا جميع المماليك والأتراك القائمين مع صالح باي فحبسوهم في القصبة حسب أوامر الباشا ودخل الديوان لدار الباي لحفظ الخزانة والأمتعة [1] .

4- مقتل صالح باي :

جلس الباي الجديد على كرسي ملكه وهنأه بالولاية أعيان البلد كما هو معتاد في ذلك فلما حل اليوم الثالث من حبس صالح باي إذ بحسين باي قد قدم في موكب عظيم ومعه من الفرسان والقواد ومشايخ الوطن وخلق كثير إلى كبراء البلد ، ولما حل الليل أمر بصالح باي وإبراهيم ءاغة وحسن خوجة الخليفة وكباش خزندار ويوسف قايد المقصورة فقتلوا جميعا في محرم 1207هـ/01 سبتمبر 1792م وقد سلمت جثته إلى أسرته فدفنته في مدرسة سيدي الكتاني وفي اليوم التالي لمقتل صالح باي أمر بقتل محمد خوجة قريب صالح باي وحاج محمد الخوجة باش طبجي وأحمد شاوش الكرسي وعلي غربي قايد القصبة فقتلوا ، ويرى مولود قايد أنه يوجد إختلاف كبير في الرويات التي ذكرت موت صالح باي ويرجع سبب الإختلاف إلى مصدر الرواية فمنهم من يرى عن سي مصطفى بن جلول قاضي الحنفية بقسنطينة أن صالح باي يكون قد أوقف واعتقل من طرف قايد النوبة عندها حضر الشواش لقتله ، بينما يرى شاربون أن صالح باي شارك في مشادات ضد الباي الجديد ولم يقبل الإستسلام للشواش إلا بشرط أن يخرج تحت حماية شيخ الإسلام سي عبد الرحمان الفقون ، ولكن عند خروجه أو ثق وجر إلى رحبة البلد مقابل دار الباي وتم خنقه هناك [2].

أمر حسين باي مصطفى آغة وعلي وكيل الخراج اللذين قدما معه من الجزائر بجمع أموال صالح باي وأموال الخزينة فاستخرجوا من الأريلة البسيطة والمحبوب المصري والسلطاني الجزائري عدد كثير بالإضافة إلى المجوهرات الشيء الكثير لم يكن لمن سبقه من الأمراء هذا الكم الهائل من الأموال ولما جمع كل ذلك توجه به الآغة ووكيل الخراج إلى الجزائر ليوضع في خزانة الدولة وأخبر الداي بمقتل صالح باي وخلاص المدينة له ، فسر الداي لذلك كثيرا [3].

---

[1] – مؤلف مجهول ، المصدر السابق ، ص ص12-13.

[2] - Gaid (M.), Op.ci,p.47.

[3] – مؤلف مجهول ، المصدر السابق ، ص ص12-13.

– حيث يروي محمد الشريف الزهار بأن أموال صالح باي التي وجدت لديه بعد مقتله لاتعد ولا تحصى ، حيث جمع وكيل الخراج الأموال والأثاث الرفيع والسلاح وكل ماوجده في الخزانة وكذا في داره من أموال وجواهر ، وهذه الأموال تقرب ما في خزانة الجزائر لكون صالح باي طالت مدته في الملك وساعدته الأيام .

أنظر : الحاج أحمد الشريف الزهار ، المصدر السابق ، ص64-65 .

ذكرى صالح باي لازالت قوية عالقة بأذهان الأهالي وهو بلا منازع أعظم الحكام الذين تعاقبوا أثناء الفترة التركية على رأس إدارة بايلك الشرق ، كرجل حرب كان له منافسون ، أما كإداري فلم يضاهه أحد وفي هذا الميدان بالذات أثبت تفوقه الحقيقي ، على وقته وزمانه وعلى السكان الذين كانوا تحت سلطته .

الفصل الثالث:

دراسة تاريخية عن العمائر

1- المدارس

2- الأضرحة

3- مؤسسة صالح باي للأوقاف

I- المدارس :

1- نشأة المدارس وتطورها :

أ- تعريف المدرسة :

لقد أورد المقريزي تعريفا للمدرسة نقلا عن ابن سيدة وابن جبير أنها مشتقة من الفعل(درس الكتاب) يدرسه درسا وكتابة ، إذ كرره للتمكين منه ، والمدرس هو الموضع الذي يدرس فيه[1] وهي أي المدرسة عند آخرين كلمة عبرية عرفتها اللغة العربية قبل الإسلام ، والمدرسة منشأة من مستحدثات الإسلام فلم تكن معروفة قبله كما لم تكن معروفة قبل الربع الثالث من القرن 5هـ / 10م فالمقريزي يذكر مما يلي : "المدارس مما حدث في الإسلام ... وإنما حدث عملها بعد المائة الرابعة من سني الهجرة وأول ما حفظ عنه أنه بنى مدرسة في الإسلام أهل نيسابور ، فبنيت بها المدرسة البيهقية[2] .

والمدرسة في الإسلام هي المكان الذي يدرس فيه الفقه الإسلامي بالدرجة الأولى وفيها أيضا يدرس التفسير والحديث والرياضيات والطب والصرف والنحو والآداب ، ويقوم مدرس أو من ينوب عنه بأعمال التدريس، وبما أن هذه المؤسسات جاءت خصيصا لتحصيل العلم وتعليم المذاهب الفقهية [3] .

تعد المدارس من بين دور العلم والمعرفة ، وأكثرها تخصصا في ذلك وظهرت إلى جانب المساجد وأدت وظيفتها بموازات معها.

إن المدرسة في المصطلح هي مؤسسة لتدريس العلوم الإنسانية ودراسة علوم الشريعة بصفة خاصة التي تضم مجموعة من العلوم المساعدة كالآداب والفلسفة وعلوم اللغة ، كما يمكن أن تدرس بها علوم الطبيعة والطب وما إلى ذلك.

وتعتبر المدرسة نتاج لثلاث مراحل تطورية للمؤسسة التعليمية في الإسلام :

1 - كانت فيها عملية التعليم تتم داخل المسجد أو الجامع الذي يتخذ بدوره للصلاة.

2 - مؤسسة تجمع بين المسجد والخان الذي يستخدم لإيواء الطلبة الأجانب عن المدينة.

3 - وهي المدرسة بصريح العبارة بأسسها ونظامها تستجيب لوظيفة المسجد والخان اللذان يجتمعان فيها وهي قائمة وقف أو عدة أوقاف ، يجد فيه الطلبة مأوى لهم[4] .

---

[1]- أبو العباس تقي الدين المقريزي ، المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار المعروف بكتاب الخطط ، ج3 ، دار التحرير للطبع والنشر 1967-1968 ، ص313-314.

[2]- نفسه ،ج3 ، ص314.

[3]- كريز كلوس وآخرون ، معجم العالم الإسلامي ، ترجمة ج.كتورة ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، ط2 1998 ، ص589.

[4]- عبد العزيز محمود لعرج ، المدارس الإسلامية : دواعي نشأتها وظروف تطورها وانتشارها ، عن مجلة "دراسات إنسانية" دار الحكمة ، الجزائر ، العدد الأول ، 1421هـ /2001م ، ص116.

ب- ظهور المدارس :

يعتبر المؤرخون مطلع القرن 5هـ / 11م نقطة تحول قي تاريخ الدولة الإسلامية مشرقا ومغربا سببتها جملة من التحديات السياسية والاجتماعية والدينية في الداخل والخارج وكذا تراجع حركة الفتحات والجهاد ، الشيء الذي أدى إلى طمع الأعداء كالبيزنطيين والغرب المسيحي الذي بادر بالهجوم على المسلمين فيما يعرف بالحروب الصليبية .

ففي غربه سقطت الخلافة الأموية بالأندلس سنة 422هـ ، وفي المشرق ضعفت الدولة العباسية وسيطر عليها الأعاجم من فرس وترك ، في الوقت الذي قامت فيه خلافة شيعية فاطمية فتية تسعى للسيطرة والنفوذ والحلول محل العباسيين ، وتحولت الخلافة السياسية التقليدية إلى صراع بين السنة والشيعة وإلى تناحر مذهبي شديد متخذا للعلم وسيلة للإقناع وسبيلا لإضعاف الخصم ، في ظل هذه الظروف لجأ العلماء المسلمون إلى استحداث نظام المدارس كسبيل للإصلاح والتجديد الداخلي ومواجهة الأعداء خارجيا [1].

ج- عوامل نشأة لمدارس :

لقد أعطى الدين الإسلامي نصيبا كبيرا للفكر من حيث نظرته الشاملة للكون وما يشتمل عليه من مضامين علمية و فكرية ، الشيء الذي أدى إلى تطور العلوم هو ارتباط العلم بالدين إذ بدأ لصيقا بالمسجد حيث لعبت المساجد دورا هاما في تطور العلوم عند المسلمين وازدهار الحياة الثقافية والفكرية [2] .

- لقد ساهمت الأمة في إنجاح الحركة الإصلاحية باستحداث مؤسسات جديدة في هياكلها واستخداماتها ووظيفتها وأهدافها ، تعاون فيها العلماء والحكام والأثرياء على تأسيسها والتوسع في إنشائها والإنفاق عليها فظهرت المدارس للتدريس وتلقين العلوم المختلفة وبدت كمؤسسات جديدة تستجيب لتحديات الأوضاع المستجدة في القرن الخامس الهجري الحادي عشر الميلادي في العالم الإسلامي ، وتحقق أهداف ومرامي الحركة الإصلاحية . وواكب ظهور فكرة المدرسة قيام حركة معمارية نشيطة ساهم فيها (الحكام والأمراء والوزراء والأثرياء) بالنصيب الأكبر، بل يمكن القول أنها قامت على عاتقهم بناءا وتعهدا وإنفاقا.

1- نشأة المدارس وتطورها في بلاد المشرق الإسلامي :

وفيما يتعلق بنشأة المدارس فقد ذكر الزركشي أن أول من بنى مدرسة في الإسلام هو الوزير قوام الدين نظام الملك الطوسي الحسن بن عـلي وزير السلطان (ألب أرسلان) السلجوقي ، حيث بنى سلسلة من المدارس في إيـران

---

[1]- عبد العزيز محمود لعرج ، المباني المرنية في إمارة تلمسان الزيانية دراسة أثرية معمارية فنية ،ج1 ، رسالة لنيل درجة دكتوراه دولة في الآثار الإسلامية ، جامعة الجزائر ، 1999 ، ص296.

[2]- صبحي الصالح ، النظم الإسلامية نشأتها وتطورها ، دار العلم للملايين ، بيروت لبنان ، 1976 ، ص195- 196.

عرفت باسمه فسميت المدارس النظامية منها مدرسته النظامية في نيسابور [1] .

والواقع أن المدرسة الأولى التي ظهرت في الشرق الإسلامي كانت في نيسابور ومرو ، وببخارى خلال فترة محمود الغزنوي (421/391هـ)[2] وبقيت مقتصرة على بلاد فارس حتى عهد الوزير نظام الملك الذي شرع في بنائها في خراسان ثم انتشرت غربا حتى وصلت مصر وبلاد المغرب والأندلس وخصصت لتدريس المذهب السني ومواجهة المذهب الشيعي القادم من مصر [3] .

ومن هذا المنطلق فإن نشأة المدارس في القرن 5 هـ/11 مشرقية الأصل، *وذلك رغبة من السلاجقة في الحد من انتشار المذهب الشيعي* الذي أخذ في التوسع والانتشار مند حلول الفاطميين بمصر سنة362هـ وذلك بتشجيع التحصيل العلمي على المذاهب السنية ، وعلى غرار ما بنى نظام الملك من المدارس في إيران أنشأ مدارس أخرى في بغداد نسبت إليه فعرفت باسم المدارس النظامية.

بعد أن كثرت المدارس ومرت بعدة مراحل ظهرت مدارس أخرى شيدها الحكام والخلفاء منها مدرسة قام بإنشائها الخليفة العباسي المستنصر بالله (625هـ/1228م) عرفت باسم "المستنصرية" باعتبارها النموذج الأكمل لنظام المدارس ، وفي نفس الوقت تمثل جهازا حكوميا رسميا [4] .

وقد قامت هذه المؤسسة بتدريس المذاهب الأربعة (المالكي – الشافعي – الحنبلي – الحنفي) بالإضافة إلى علوم أخرى ، كما اشتهرت بعلمائها الذين ذاع صيتهم[5] .

انتشرت المدارس بعد ذلك في كافة البلدان الإسلامية وقد أرفق الذين بنو أضرحتهم بالمدارس ففي سوريا كانت المدارس تشمل على إيوانين أو إيوان واحد فهي مخصصة لمذهب أو مذهبين ، وكانت تتميز بخلوها من المآذن واشتمالها على ضريح مؤسس المدرسة[6] .

---

[1]– محمد الزركشي ، إعلام الساجد بأحكام المساجد ، تقديم. أيمن صالح شعبان ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ط1 1416هـ/1995م ، ص32-33.

[2]– عبد النعيم محمد حسن ، إيران والعراق في العصر السلجوقي ، دار الكتب المصرية ودار الكتاب اللبناني ، القاهرة بيروت 1982 ، ص 87-88.

[3]– حيدر كامل ، العمارة العربية الإسلامية ، دار الفكر اللبناني ، بيروت ، ط1 ، 1995م ، ص24-25.

(4)- Janine sourdel(Thomime) , Locaux d'enseignements et medersas dans l'islam) revue d'étude islamiques, tome XIX, imprimée en France, 1976 , p 185 – 197.

[5]– حسين أمين ، المدرسة المستنصرية ، مطبعة شفيق ، 1960، ص ص26-30، ص ص26-30.

[6] – أسامة عنوتي ، المدارس و التدريس من خلال كتاب سلك الدر للمردي، عن مجلة "الفكر العربي" مايو حزيران يوليو العدد 21 ، السنة الثانية ، معهد الإنماء العربي، بيروت، 1981، ص 146 – 156.

ومن أكبر المشجعين على بناء المدارس صلاح الدين الأيوبي (1193/1174هـ) حيث شيد المدارس في سوريا و مصر و الحجاز [1] ، فبالنسبة لمناطق الشام فقد بدأت مرحلة بناء المدارس على يد نور الدين محمود زنكي ، وقلده فيها أقاربه وأمرائه ورجال دولته ، وشملت تلك الحركة مذاهب السنة الأربعة ، وكذا جميع الدراسات المعروفة آنذاك من قرآن وحديث وشريعة وطب [2].

أما في مصر فقد وصل إليها نظام المدارس في أواخر العصر الفاطمي ، فشيدت بها أول مدرسة للمالكية سنة 532هـ/1137م على يد وزير الخليفة الفاطمي الحافظ رضوان بن ولخشي ، وما إن اعتلى صلاح الدين الأيوبي وزارة الخليفة العاضد لله حتى وضع خطة لمواجهة الفكر الشيعي فبنى مدرستين سنة566هـ/1170م (المدرسة الناصرية والمدرسة القمحية) ، وواصل صلاح الدين سياسة إنشاء المدارس وتدعيم المذاهب السنية بغرض القضاء على التشيع ومحو أفكاره ، بعد أن تولى حكم مصر [3].

وتعتبر مصر من أكثر المناطق التي أقام فيها المدارس وتميزت بتكوينها من إيوان واحد مخصص لمذهب واحد فقط وكان عددها يزيد عن ثلاث عشرة مدرسة ، وتعتبر المدرسة الصالحية المؤسسة سنة (641هـ1243م) أول مدرسة في مخصصة لتدريس المذاهب الأربعة وفي العصر المملوكي أصبحت تشتمل على أربعة أواوين متقابلة .

وفي بعض المدارس ذات الأهمية الخاصة كان يلحق بها بيمارستان كما هو الحال في مدرسة السلطان قلاوون[4].

---

[1] – عبد العزيز سالم ، بحوث إسلامية في التاريخ والحضارة والآثار ، ج2 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط1 ، 1992 ص 332- 364.

[2] – عبد العزيز محمود لعرج ، المدارس الإسلامية ، ص117.

[3] – أحمد فكري ، مساجد القاهرة ومدارسها ، ج2 ، دار المعارف ، القاهرة ، 1965 ، ص49-50.

[4] –نفسه ، ص50-59.

2- نشأة المدارس وتطورها في بلاد المغرب الإسلامي :

إن المدارس ظهرت وتطورت في بلاد المشرق الإسلامي قبل أن تصل إلى مغربه وسنحاول التطرق إلى ظهور المدارس وتطورها في المغرب الإسلامي :

لعل ظهور المدارس في المغرب من حسنات ما نقله الرحالة الذين جابوا بلاد المشرق وترددوا على معاهده العلمية وأعجبوا بالمدارس النظامية في إيران وبغداد والتي عمت شهرتها الآفاق ، ففي المغرب والأندلس فإن سيادة مذهب واحد جعلها بمنأى عن الاختلافات المذهبية والفكرية المثيرة للجدل ، إذا ما استثنينا الاختلافات في وجهات النظر المتعلقة بسبل إصلاح المجتمع ومواجهة الانحرافات ، والمحافظة على نقاوة العقيدة وتطبيقها في حياته العلمية وهي الأسس التي قامت عليها دولتي المرابطين (448- 541هـ/ 1147-1267م) والموحدين (541-667هـ/1147-1267م) ، وبذلك اختصت مدارس المغرب منذ قيامها بنشر العلوم الشرعية على المذهب المالكي ، ويرجح أن أول مدرسة بنيت في هذه البلاد كانت في القرن الخامس الهجري ، حيث أسس واجاج بن زالو اللمطي تلميد أبي عمران الفاسي دار المرابطين لطلبة العلم [1] . لكن المدارس بالمعنى المتعارف عليه لم تظهر إلا بعد مرور فترة زمنية طويلة منذ ظهورها في المشرق حيث أشار ابن مرزوق إلى ظهور المدارس في عهد أبي الحسن المريني[2] .

إن انتقال المدارس من المشرق إلى بلاد المغرب والأندلس كان بعدما يقرب القرن من بداية ظهورها في الإسكندرية في مصر (532هـ-/1137م) ، ويشير بن أبي زرع الفاسي إلى وجود المدارس في المغرب منذ العهد الموحدي[3] .

---

[1]- طه الولي ، المساجد في الإسلام دار العلم للملايين ، ط1 ، بيروت ، 1988 ، ص86.

[2]- محمد التلمساني ابن مرزوق ، المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن ، تحقيق. ماريا خيسوس بيغيرا ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1981 ، ص407.

[3]- علي بن أبي زرع الفاسي، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار المغرب و تاريخ مدينة فاس ، راجعه . عبد الوهاب بن منصور، المطبعة الملكية ، الرباط ، ط2 ، 1420هـ/1999م ، ص143.

أنظر : عبد العزيز محمود لعرج ، المباني المرنية ،ج1 ، ص306.

وذكر بن مرزوق أن إنشاء المدارس في المغرب كان بداية من عام (670هـ) على يد السلطان المريني أبي الحسن الذي دشن مشروعه الحضاري بمدرسة الصفارين ثم أتبعها بمدارس عدة وتابع ملوك الدول الذين تعاقبوا على حكم المغرب هذه المسيرة العمرانية بتأسيس مدارس أخرى وبتوسيع ما ورثوه من إنشاء ملوك سابقين ولهذا يلاحظ في المدارس البوعنانية بفاس تشابه واضح في الهندسة والترخيم مع مدارس المشرق [1] .

أ- المدارس الحفصية :

تعود أولى المدارس المنشأة عند الحفصيين إلى تلك التي أقامها أبي زكريا الحفصي (624-647هـ/ 1227-1249م) ، حيث شيد بقصبة الموحدين بإفريقيا جامعا ومدرسة عرفت باسم المدرسة الشماعية خصصها لتعليم مذهب التوحيد أو تعاليم إمام الموحدين المهدي بن تومرت ، وهو المذهب الرسمي للدولة [2] وكان ذلك سنة 633هـ/1235م ، وقد توالى بعد ذلك بناء المدارس بناء المدارس في إفريقية لتدريس العلوم الدينية والنفعية منذ النصف الثاني من القرن7هـ/13م ، وتواصل تشييدها طيلة القرن 8هـ/14م[3].ومن أبرز تلك المدارس اليوسفية والأندلسية مدرسة الزاوية البكرية والمرادية[4].

ب- المدارس الزيانية :

كانت المدارس الزيانية تقوم بالتعليم ونشر العلوم والمعارف باختلافها على مذهب الإمام مالك وكان حكام بني عبد الواد يشجعون العلم والعلماء أمثال أبناء الإمام وأبي عبد الله الشريف التلمساني [5]. أول مدرسة بنيت في تلمسان هي المدرسة التي أسسها أبي حمو موسى الأول (707-718هـ / 1308-1318م) سنة 710هـ/1310م ، وكذا المدرسة التاشفينية نسبة لمؤسسها أبي تاشفين (718-737هـ/1313 1336م) وفي حدود (763-765هـ /1361-1365م) بنيت المدرسة اليعقوبية الزيانية على يد أبي حموا موسى الثاني (760-791هـ/ 1358-1388م) وذلك بعد أن ملك تلمسان . يذكر ابن مريم إلى أنه الشريف من فاس انطلق إلى تلمسان وتلقاه أبو حمو براحتيه وأصهر له في إبنته فزوجها أياه وبنى له مدرسة وأقام الشريف يدرس العلم

---

[1] – محمد التلمساني ابن مرزوق ، المصدر السابق ، 405.

[2]- عبد العزيز الدولاتلي ، مدينة تونس في العهد الحفصي ، تعريب.محمد الشابي وعبد العزيز الدولاتلي ، دار سراس للنشر 1981 ، ص78.

[3]- عبد العزيز محمود لعرج ، المدارس الإسلامية ، ص119.

[4]- الطاهر المعموري ، جامع الزيتونة ومدارس العلم في العهدين الحفصي والتركي ، الدار العربية للكتاب ، تونس د.ط ، ص93-95.

[5]- عبد الحميد حاجيات ، الحياة الفكرية بالجزائر في عهد بني زيان ، الجزائر في التاريخ ج3 ، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1984 ، ص436-437.

بها إلى وفاته ، وسميت المدرسة باسم والده يعقوب بعد أن دفن بها ، حيث اكتملت عمارتها فدعيت المدرسة اليعقوبية ، لاشك أن هناك مدارس أخرى بتلمسان لم تذكرها النصوص التاريخية ، إضافة إلى المدارس التي شيدها السلاطين المرنيين عندما استولوا على مدينة تلمسان [1].

ج- المدارس المرينية :

ظهرت المدارس في المغرب الأقصى بعد حوالي ثلاثين سنة من ظهورها في تونس وارتبطت وظيفة المدرسة بها بنشر العلوم والمعارف الدينية اعتمادا على مذهب الإمام مالك ، تعتبر الدولة المرنية بالمغرب الأقصى أكثر دويلات المغرب الإسلامي حيوية ونشاطا في مجال التشييد العمراني بصفة عامة وتشييد المدارس بصفة خاصة ، وأنفق سلاطينها وأمراؤها على عمارتها وتزيينها أموالا كثيرة ، فجاءت على درجة كبيرة من الأبهة والفخامة [2] .

اشتهرت مدينة فاس المغربية بأنها الحاضرة العلمية والثقافية التي احتضنت كثيرا من المعاهد العلمية الدينية والأكاديمية ، وقد قامت بفاس جامعة القرويين التي اعتمدوا عليها في نشر أفكارهم وأنه كان للموحدين مدارس كثيرة تأوي الطلاب لكن يد الزمن عبثت بها[3].

ويذكر الخطيب بن مرزوق أن إنشاء المدارس لم يكن معروفا بالمغرب إلى أن جاء مؤسس الدولة المرينية أبي يوسف يعقوب بن عبد الحق ، فأسس مدرسة الحلفائيين بفاس أي الصفارين الحفصي[4].

وكانت هناك مدارس عامة وخاصة بالأمراء ومساكن للطلبة ومجامع علمية ، كل ذلك كان عاملا من عوامل نشر المعارف بالبلاد ، بل أن المرء ليأخذه العجب حينما يجد أن المغرب الإسلامي قد عرف في عهد الموحدين النظام الداخلي للمدارس بأدق تفاصيله ، وأنه عرف المدارس الإدارية التي تعنى بتخرج الحكام وموظفي الدولة [5].

---

[1]- للمزيد أنظر : عبد العزيز محمود لعرج ، المدارس الإسلامية ، ص118-119.

[2]-Marçais (G.), L'architecture musulmane d'occident (tunisie,Algerie,Maroc),espagne et socile, arts et métiers graphiques, 2eme trimester, T. VI , paris, 1954. P.285.

[3]- عبد الهادي التازي، جامع القرويين، المسجد الجامعة بمدينة فاس، المجلد 2، ط1، 1973ص 122.

[4] - عبد الله العمراني ، جامعة القرويين ، عن مجلة "البحث العلمي"، المركز الجامعي للبحث العلمي الرباط،، العدد 11-12 ماي ديسمبر ، 1967 ، ص 163 .

[5] - محمد المنوني ، وصف المغرب أيام السلطان أبي الحسن المريني ، عن "مجلة البحث العلمي" ، العدد الأول جانفي 1962 ص134.

اشتد التنافس على قدم وساق بين السلاطين المغاربة في مضمار تشييد المدارس والإنفاق على مرتاديها من الطلبة ، وعلى شيوخها الذين كانوا يتلقون الجراية ، مستعينين بها على شؤون الحياة ، وكان الملوك المغاربة يهتمون بترتيب الأساتذة للتدريس بمجرد ما ينتهون من بناء مدارسهم كما اهتموا بفخامة البناء وزخرفته فهذه المدارس لم تكن في الحقيقة تمد الطلبة بالعلم والسكن فحسب ، وإنما كانت تطالعهم صباح مساء بزخرفتها الفنية الرائعة أيضا [1] .

يعتبر العصر المريني من أزهى العصور في مجال تشييد المدارس والإنفاق عليها من طرف السلاطين المرينيين خاصة في القرن الثامن الهجري ، ويمكن تقسيم الفترة المرنية في مجال تشييد المدارس إلى ثلاث مراحل :

المرحلة الأولى: فترة حكم السلطان أبي سعيد عثمان (الثاني) بن يعقوب 710-732هـ /1310- 1331م. ففي عهده نجد مجموعة كبيرة من المدارس أهمها :

مدرسة المدينة البيضاء بفاس الجديدة أو دار المخزن(720هـ/1320م) ، وكذا مدرسة الصهريج (721هـ/1321م) ومدرسة السبعين المعاصرة لها ، إضافة إلى مدرسة تازا التي شيدت قبل مدرسة الصهريج وأشهر المدارس التي شيدت هي العطارين بفاس (723 – 725هـ/1321 – 1325م) قرب جامع القرويين بفاس [2].

المرحلة الثانية : فترة حكم السلطان أبي الحسن (732-749هـ/1331-1348م) ، فقد تميزت فترة حكمه بأنها أهم الفترات من حيث إنشاء المدارس ، حيث يذكر ابن مرزوق تلك الأعمال كاملة في قائمة طويلة "...مدرسة تازا ، ومدرسة كل من مكناسة وسلا وطنجة وسبتة وأسفي وأغمات ومراكش والقصر الكبير والعباد بظاهر تلمسان ، وبالجزائر مدارس مختلفة الأوضاع باختلاف البلدان ...")[3]. بالإضافة إلى مدرسة الطالعة (742هـ/1350م) وكذلك المدرسة المصباحية (751هـ/1346م) ، كما شيد المدرسة العظمى التي أعيد بناؤها في عهد الدولة السعدية[4] .

المرحلة الثالثة : حكم فيها السلطان أبو عنان فارس المتوكل (732-749هـ/1348-1357) وقد قام بعدة إنجازات في مجال التعليم أبرزها : أنه أتم المدرسة التي أنشأها أبو الحسن بمراكش وذلك سنة (751هـ/1350م) كما شيد المدرسة المتوكلية بالطالعة الكبرى المعروفة بالبوعنانية (756هـ/1355م) والتي تعتبر ذروة الفن المعماري المغربي[5].

---

[1]– السلاوي ، الإستقصا لأخبار المغرب الأقصى ، ج1 ، طبعة مصر ، د. ت ، ص 101.

[2] – عثمان إسماعيل ، تاريخ العمارة الإسلامية و الفنون التطبيقية ، ج4 ، مطبعة المعارف الجديدة ، الرباط، ط1 ، 1993م ص 208.

[3]– محمد التلمساني ابن مرزوق ، المصدر السابق ، ص406.

[4] – عبد الهادي التازي ، المرجع السابق ، ج 2 ، ص 359 .

[5] - Terrasse (Charles) , Madrasa du Maroc , Paris , Morance , S.D , p28.

2- التعليم في الجزائر في العهد العثماني:

كان التعليم وما يزال الأساس الحقيقي لكل ثقافة ولأي تقدم في المجتمع الإنساني ، ولقد تحدثت المصادر التاريخية عن انتشار التعليم في الجزائر قبل العهد العثماني وخاصة في المراكز الكبرى كتلمسان و قسنطينة وغيرها من المناطق التي لعبت أدوارا هامة في هذا المجال ، أما في العهد العثماني فتشهد كتب الرحالة الأجانب الذين زاروا الجزائر خلال العهد العثماني أن التعليم كان منتشرا وأن كل جزائري تقريبا كان يعرف القراءة والكتابة انتشارا كبيرا حتى غطى كل المناطق ، وقد كانت الأوقاف هي المورد الرئيسي للتعليم[1] ، وقد تحدثنا عن بعض مؤسسات التعليم من كتاتيب ومساجد ومدارس وزوايا .

كما ساهم في تطور العلم تلك السياسة التي انتهجتها الدولة التي لم يكن لها دخل في التعليم فلم يتواجد شخص تابع للدولة ويكون مكلفا بالتعليم ، إذ أن الدولة في هذه الفترة كان همها الوحيد المحافظة على الاستقرار السياسي ومواجهة الغزوات والحملات الأوروبية المتكالبة على الجزائر باعتبارها ثغر للإسلام وثغر الدولة العثمانية في المغرب الإسلامي ، ولم تكن الدولة توجه أي نفقة للتعليم من خزنتها بل كانت توجه للأعمال الحربية وكذا تقديم الهدايا للسلطان العثماني[2].

كان التعليم خاصا يقوم على جهود الأفراد والمؤسسات الخيرية ويدخل في هذا العموم رجال الدولة أيضا كأفراد [3]. ومن هذا المنطلق فالدولة لم تكن لها أي سياسة تجاه العلم والتعليم في الجزائر ولعل الصحيح أن سياستها تقضي بعدم التدخل في شؤون التعليم .

لما دخل العثمانيون الأقطار العربية وتمت لهم السيطرة على أنظمة حكمها وعلى جميع شؤونها السياسة والاقتصادية وحتى التعليمية منها تغيرت اللغة الرسمية لدواوين هذه الدول وأصبحت اللغة التركية هي اللغة الرسمية للدولة.

وعلى الرغم من اتخاذهم لهذا الإجراء إلا أنهم لم يستطيعوا تغيير البنية اللغوية في الولايات العربية ، ويتضح ذلك في المظهر الأهم في الحياة الفكرية لهذه الدول ألا وهو التعليم ، الذي هو نبض الحياة الفكرية ومكونها الأول ، لقد حافظ في هذه الفترة على المؤسسات التقليدية التي كانت تقوم بمهمة التعليم [4] .

لم يدخل الإهتمام بالخدمات التعليمية ضمن وظائف الدولة في النظم العثمانية ، إلا أن الدولة اعتبرت الخدمات التعليمية خارجة عن مسؤولياتها لذا تركت الإهتمام بها للأفراد والجماعات والهيآت، حيث أن المجتمعات

[1]– سعد الله أبو القاسم ، المرجع السابق ، المرجع السابق ، ص160.

أنظر أيظا :- محمود عباس حمودة ، الوثائق العثمانية ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، د.ت ، ص 34 .

[2]– عبد القادر حلوش ، المرجع السابق ، ص01 .

[3] – ناصر الدين سعيدوني والمهدي البوعبدلي ، الجزائر في التاريخ ، ج4 ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1984 ص 204 -205 .

[4]– صالح سعداوي ، الدولة العثمانية تاريخ وحضارة ،تقديم . إكمال الدين إحسان أوغلي ، إريسكا استانبول ، 1999 ص 332 .

العربية نتيجة لعدم تدخل الدولة في شؤونها احتفظت بلغتها وبثقافتها المحلية وتقاليدها وغيرها من عناصر حضارتها العربية ، ولم تتأثر هذه المجتمعات بالثقافة التركية ولم تقبل على تعليم اللغة التركية بل إن أبناء المجتمعات العربية كانوا يجهلونها ،كذلك أتاحت الأنظمة العثمانية للمؤسسات التعليمية العربية أن تستمر في أداء رسالتها في الحياة الدينية والتعليمية[1] .

لقد كان سكان كل قرية ينظمون بطرقهم ووسائلهم الخاصة تعليم القرآن والحديث والعلوم العربية والإسلامية ، لأن دراسة هذه العلوم هي السبيل إلى معرفة وفهم أسرار الدين والقرآن والسنة ، لذلك كان القرآن هو أساس التعليم في الجزائر سواء كان ابتدائيا أو ثانويا أو عاليا .

– فبالنسبة للتعليم الإبتدائي كان كل طفل بين السادسة والعاشرة يذهب إلى المدرسة والملاحظ أن هذا بخصوص الأطفال الذكور ، أما الإناث فلا يذهبن إلى المدارس إلا نادرا. ولكن أصحاب البيوتات الكبيرة كانوا يجلبون أستاذا معروفا بصلاحه وعلمه لتعليم البنات .

– أما في المدن والقرى الكبيرة فقد كانت هناك مدارس تدعى مسيد أو مكتب وكانت غالبا ملحقة بالوقف ، وإلى جانب كل ذلك كان كل جامع تقريبا يضم مدرسة للتعليم أيضا ، مدة التعليم الإبتدائية حوالي أربع سنوات يتعلم الطفل خلالها مبادئء القراءة والكتابة ويحفظ القرآن وأركان الإسلام وشعائر الدين[2] .

– كان يستطيع التلميذ أن يواصل تعليمه الثانوي في الجامع أو في مدرسة ملحقة بالأوقاف وكان التعليم الثانوي مجانا ، ويتلقي المدرس أجرته من الأوقاف ،كانت الدروس في المرحلة الثانوية تشتمل على النحو والتفسير والقرآن وينال الطلبة في النهاية إجازة تشهد له بأنه قد درس جميع العلوم التي تدخل في نطاق تخصصه ، ومتى نال الطالب هذه الإجازة يستطيع قراءة القرآن في الجامع ويتولى وظيفة مؤدب أو كاتب[3] .

يلي هذا التعليم الأولي مرحلة التعليم العالي وكان الطلبة يتلقون دروسا في مواد مختلفة منها النحو والفقه الذي يشمل العبادات والمعاملات والتفسير والحديث والحساب والفلك بالإضافة إلى التاريخ والتاريخ الطبيعي والطب وقد كان يسير هو الآخر في جميع الولايات العربية على نسق واحد ،كما كان عليه تعليم المرحلة السابقة وكان يجري في (الجوامع – المساجد – المدارس – الزوايا – الخوانق – الربط) ، وكانت هذه المؤسسات تختلف عن بعضها البعض في حجمها ومعلميها ، وطلابها ومناهج تعليمها ويرتبط هذا بصفة خاصة بالأوقاف المخصصة لها من الهيئة التي أنشأتها وبمستوى تدريسها من العلم والمعرفة [4] .

---

[1]– أثر النظم العثمانية في العلاقات العربية العثمانية ، عن مجلة "الدارة" ، دار الملك عبد العزيز الرياض ، المملكة العربية السعودية ، العدد 01 ، شوال 1403/يوليوا 1983م ، ص114-115.

[2]– سعد الله أبو القاسم ، محاضرات في تاريخ الجزائر ، المرجع السابق ، ص162-163.

[3]– نفسه ، ص ص 163-165.

[4]– صالح سعداوي ، المرجع السابق، ص309.

كما كان التعليم العالي موحدا ويسير على نسق واحد في الولايات العثمانية مع اختلافات جزئية في المستويات التنظيمية وكانت المساجد والزوايا والخوانق والمداس والربط موكل إليها تنظيم التعلم وتثقيف الناشئة وكانت هي ذاتها مختلفة في حجمها ومستواها وحجم مدرسيها ومعلميها وطلبتها ، كما كانت تختلف في مناهجها وبرامجها ومستوى تدريسها ونوعية العلوم والمعارف التي تزود بها طلبتها [1].

أ- التعليم في العاصمة :

لقد خلت الجزائر من معاهد التعليم العالي بالمعنى المتعارف عليه مثل المدارس قديما التي تقوم بالإشراف عليه وتوحيد نظمه والمحافظة على مستواه ، وتعكس نشاط واتجاه العلماء ، وتحفظ قدرا معينا من أساليب اللغة والذوق الأدبي العام ، ولم يكن للجزائر جامعة إسلامية كالأزهر والقرويين والزيتونة ، غير أن فانتور دي بارادي قد تحدث في القرن 12هـ/18م عن وجود ثلاث جامعات لتعليم المذهب المالكي في مدينة الجزائر وحدها ، وقد كانت تلقى فيها دروس تفوق ربما تلك التي كانت تلقى في الجامعات الإسلامية الأخرى وكذلك تنوع الدراسات فيها وقد تردد عليها الأساتذة من مختلف أرجاء العالم الإسلامي [2].

إن أبرز مركز لتلقين العلوم في الجزائر في الفترة العثمانية هو الجامع الأعظم وزاويته ، فكان من أبرز المظاهر التي تميز خلال الفترة العثمانية ، ويذكر أن تسعة عشر أستاذا وثمانية حزابين وثلاثة عشر موظفا[3] كانوا يشرفون على نشر العلم وتنشيط الوعي الديني للمواطنين والمحافظة عليه أكثر من الدراسة المعمقة الجديدة والمبتكرة وهذا ما اصطلح عليه بالطابع التقليدي النقلي للدراسات الإسلامية يومئذ ، وقد لخص أحد العلماء ذلك العصر هذه الظاهرة بقوله [4] :

خبر عنـــي المريـــد بأننـــي كافر بالذي قضته العقول
ماقضته العقول ليس من الدين بل الديـــن ماحوته النقـول

- وقد وجدت بالجامع الأعظم مكتبة كبيرة زاخرة بالكتب والمخطوطات لتغذية الجو التعليمي ، إن المكتبة من شأنها أن تعطي بعدا مهما لازدواجية دور الجامع الأعظم الديني والتعليمي ثم السياسي خلال الفترة العثمانية وعلى الرغم من ضعف مستوى التعليم الذي كان قائما على العموم ببلاد الجزائر والذي سبب إنتعاش الطرق الصوفية على اختلاف اتجاهاتها [5].

---

[1] - ناصر الدين سعيدوني والشيخ المهدي بوعبدلي ، المرجع السابق ، ج4 ، ص 203 .

[2] – عبد الرحمان محمد الجيلالي ، الجامع الكبير بمدينة الجزائر ، عن "مجلة الأصالة" ، وزارة الثقافة العدد8 ، ماي 1972 ص 114.

[3] - Devoulx (A) , Le édifices religieux de l'ancien Alger, revue Africaine , TXI, année 1867 Alger, 1866, p.205.

[4] – محمد بن ميمون الجزائري ، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية ، تحقيق وتقديم . محمد بن عبد الكريم الجزائر ، 1972 ، ص48.

[5] – علي عبد القادر حلمي ، الجزائر نشأتها وتطورها قبل سنة 1830 ، الجزائر ، 1972 ، ص271.

إن الرحالة جون بول وولف(Jhon Poul Woulf) ذكر هذه المدارس الثلاثة العليا وسماها (كوليج) حيث يتعلم فيها الأولاد القرآن وبعض الثقافة الأدبية ربما بنفس النمط الذي ما يزال الأولاد المسلمون يتعاملون به إذ يجلسون في حلقة حول المعلم ويحفظون القرآن عن ظهر قلب .

وبالإضافة إلى ذلك كان يوجد عدد من المدارس الصغرى خاصة بالأولاد حيث يمكن للطفل أن يتعلم القراءة والكتابة ومبادئ الحساب [1].

ومهما كان الأمر فإن المدارس الابتدائية كثرت ، حتى كان لا يخلو حي من الأحياء في المدن ولا قرية من القرى في الريف إلا ووجدنا بها مدرسة[2] .

وهذا ما جعل كل من زاروا الجزائر خلال العهد العثماني ينبهرون من كثرة المدارس بها وانتشار التعليم وندرة الأمية بين السكان [3].

وقد عد بعضهم العشرات من المدارس لكن العدد الحقيقي لهذه المدارس يبقى مجهولا ، ويبدوا أن هذا الغموض حول عددها يعود بالأساس إلى أن بعضهم كان يدخل الزوايا والمساجد في عدد المدارس والبعض لا يفعل ذلك والعدد الذي اتفق عليه مجموعة من الرحالة الغربيين هو وجود ثلاث مدارس كبرى ، بالإضافة إلى حوالي مئة مدرسة بين ابتدائية ، بالإضافة إلى الكتاتيب "مسيد" وقد تحدثنا عن الجوامع والزوايا حيث اختلطت وظيفتها بالمدرسة في ميدان التعليم [4] .

ب- التعليم في تلمسان :

عرفت تلمسان بمدارسها ومعاهدها في العهد الزياني نظرا لكونها كانت عاصمة دولة ، أما في العهد العثماني فقد كانت بها خمسة مدارس ثانوية كبيرة ، بالإضافة إلى المدارس الابتدائية فقد وصفها الحسن الوزان وأبرز مدى اهتمام الزيانيين بتشييد المدارس والإنفاق عليها [5] ، والمعروف أن الباي محمد بالكبير هو الذي أعاد لمدارس تلمسان أوقافها وجددها.

د- التعليم في قسنطينة :

ازدهر التعليم في الفترة العثمانية بهذا الإقليم ولم يكن هذا وليد يوم وليلة بل كانت بوادره قبل العهد العثماني بكثير ففي العهد الحفصي كانت مدارسها الابتدائية كثيرة جدا ، وظلت كذلك في العهد العثماني [6] .

(1) – جون بول وولف ، الجزائر وأوربا ، ترجمة وتعليق .أبو القاسم سعد الله ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1986 ص 154 .

(2) – ناصر الدين سعيدوني و المهدي البوعبدلي ، المرجع السابق ، ج4 ، ص 204 .

(3) – نفسه ، ص204.

(4) – عبد الرحمان الجيلالي ، الجامع الكبير بمدينة الجزائر ، ص11

(5) – الحسن الوزان ، المصدر السابق ، ج2 ، ص 21 .

(6) – سعد الله أبو القاسم ، شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون داعية السلفية ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط1 1406 هـ /1986 م ، ص 28 – 29.

وقد كان البايات يؤسسون المدارس الابتدائية والثانوية ، ويبدوا أن الأسر الكبيرة البورجوازية في قسنطينة كانت تعمل هي الأخرى على إنشاء المدارس خلال هذه الحقبة ، بالرغم من أن الورثيلاني انتقد تدهور العلم في الإقليم وانعدام الأوقاف على هذه المؤسسات مما أدى إلى تدهورها [1] ،و مهما تحدثنا عن إ نشاء المدارس في مدينة قسنطنية في هذه الفترة فإن ندرة المصادر وصمتها في كثير من الأحيان في هذا الباب ، تحول بيننا وبين تحديد مكانها ومعرفة أسماء منشئيها وعدد طلابها ، والمتخرجين منها سنويا وعدد شيوخها وأساتذتها ومعرفة أصولهم وسيرتهم بالتدقيق والتفصيل .

أما فيما يتعلق بعدد المدارس فإن بعض المصادر تشير إلي أنها لا تتعدي اثنان[2]. توجد واحدة منها في الجزء الثاني للمدينة العتيقة (قسنطينة) وهي المدرسة الكتانية والثانية والتي وهي مدرسة جامع سيدي لخضر .

و قد تغيرت هذه النظرة للتعليم بحكم صالح باي للبايلك ، وعلى كل حال فقد كان عدد المدارس الابتدائية في قسنطينة عند دخول الفرنسيين حولي تسعين مدرسة[3]. وهو عدد كبير لمدينة في حجم قسنطينة.

ج– العلوم لمدرسة :

لقد كانت العلوم التي تعطى للطلبة تختلف من مؤسسة لأخرى ، ومن المدرسة إلى الزاوية ، ومن حلقة في مسجد أو جامع إلى حلقة ثانية ، هذا مع العلم أن بعض المدارس السابقة للعهد العثماني بل وبعض المدارس المستحدثة قد نص واقفها على أنواع العلوم التي يجب أن تدرس فيها [4].

لابد من التأكد أن التيار الفكري الديني الإسلامي السني هو التيار السائد ببلاد المغرب خلال هذه المرحلة والمراحل السابقة علما وتعليما وتأليفا وأثرا [5].

ولا شك أن التأليف لعب في هذه المرحلة وغيرها من المراحل السابقة لها دورا كبيرا في تزويد الطلبة بمادة علمية ووعاء ثقافي يستند عليه التكوين العلمي في هذه المدارس ، وكان كل من يؤلف كتابا يهدف من ورائه إلى تعليم الطلبة العلم الذي يدرسه ، وقد تنوعت مواد التدريس في المدارس والمساجد والزوايا وهي على النحو التالي:

– لقد درست في هذا العهد جميع العـلوم الدينية الشرعية في المؤسسات التعليمية خـلال هذه المرحلة ، وقـام على

---

[1] – الحسين بن محمد الورثيلاني ، المصدر السابق ، ص686.

[2] –محمد المهدي شعيب ، المرجع السابق ، ص385.

[3] –سعد الله أبو القاسم ، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، ص275.

[4] – نفس المرجع ، ج1، ص389.

[5] – ناصر الدين سعيدوني والشيخ المهدي البوعبدلي ، المرجع السابق ، ج4 ، ص169.

تدريسها علماء ضليعون في اختصاصاتهم وفي معارفهم العامة.

– لم تقم المدارس على تعليم العلوم الشرعية فقط بل تعدتها إلى علوم اللغة العربية كالصرف والنحو و البلاغة ذلك بما تتضمنه من علم البيان والمعاني والبديع وكذا علم العروض.

– إضافة إلى العلوم السابقة فقد درست العلوم العقلية ويقصد بها: علوم الرياضيات ، الفلك الطب ، الفيزياء الكيمياء ، النبات والحيوان ...[1].

هـ– أهم المدارس في العهد العثماني :

1– المدرسة القشاشية بالعاصمة :

وهي ملحقة بجامع القشاش فسميت باسمه يرجح الباحثون أنها تعود إلى العهد السابق للعثمانيين ، فالمعلومات حول هذه المدرسة قليلة جدا رغم أهميتها في نشر العلم ، لا سيما تلك المؤسسات الموصوفة بالتعليم العالي ، والظاهر أنها متصلة بالزاوية التي تحمل نفس الاسم وأقدم وثيقة تتحدث عنها تعود إلى سنة 1162هـ /1748م ، وهكذا استمرت هذه المدرسة في تغذية التعليم الثانوي والعالي في مدينة الجزائر، وقد حولت بعد دخول الفرنسيين مباشرة إلى مخزن للجيش الاستعماري [2] .

2– مدرسة الأندلس في العاصمة :

حيث كان أصلها عبارة عن زاوية وقد شيدها الأندلسيون القادمون من الأندلس ، حيث جعلت " مدرسة عليا " لتعليم علوم القرآن ودراسة مختلف العلوم الأخرى ، ومن المتوقع أن التعليم في هذه المدرسة كان على مستوى راق ، لأن الأندلسيين قد عرفوا بإجادة فن التدريس وحسن التربية ومراعاة التطور العقلي للتلاميذ [3].

---

[1] – يحي بوعزيز ، أوضاع المؤسسات الدينية بالجزائر خلال القرنين التاسع عشر والعشرين ، عن "مجلة الثقافة "، وزارة الإعلام والثقافة ، الجزائر ، العدد 63 ، 1981 ، ص12-13.

– أنظر صالح سعداوي ، المرجع السابق ، ص338-339.

[2]- Devoulx (A) , Opcit ,p.53.

[3] – سعد الله أبو القاسم ، بحوث في التاريخ العربي الإسلامي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط1 ، 2003 ص ص 504-506.

3- مدرسة شيخ البلاد بالعاصمة:

الظاهر أن اسمها مستمد من اسم الحي ومؤسسها هو محمد خوجة في أواخر القرن الثاني عشر الهجري الثامن عشر الميلادي ، كانت أرض المدرسة عبارة عن وقف أوقفها صاحبها محمد خوجة لبناء مؤسسة تعليمية (مدرسة عليا) ، وكان لها مسجد للصلوات الخمس ، وقد نصت الوقفية على تخصيص مبالغ من المال لأساتذة المدرسة والطلبة المقيمين فيها [1] .

4- مدرسة الخنقة ببسكرة :

وقد أسست سنة 1171هـ/1757م ، وتدعى أيضا بالناصرية نسبة إلى مؤسسها "أحمد بن الناصر" ، اشتهرت بعلوم النحو والفقه و الحديث ، وكانت مقصد طلبة الزيبان ووادي سوف والأوراس وحتى قسنطينة وعنابة ، وقد وصفها الورثيلاني وصفا دقيقا[2]

5- مدرسة مازونة :

اشتهرت في غرب البلاد ، وتعتبر من أقدم المدارس التي أسست في العهد العثماني وكان لها أثر قوي في مناطق الغرب ، تأثرت المدرسة بالتعليم في تلمسان والأندلس والمغرب الأقصى ، وتميزت بتدريس الفقه والحديث وعلم الكلام ، وكانت مقصد طلاب النواحي الغربية ولاسيما مستغانم وتلمسان ووهران ، بقيت المدرسة تشع بالعلم والمعرفة حتى بعد انتقال عاصمة الإقليم من مازونة إلى معسكر ثم إلى وهران [3] .

ومر عليها كثير من المدرسين والعلماء خلال مرحلة نشاطها كم تخرج منها عدد كبير من الطلبة الذين تبوؤوا مكانة مرموقة ، وتحول بعضهم إلى مدرسين وأساتذة بها وبغيرها من مدارس وزوايا القطر.

---

[1] – سعد الله أبو القاسم ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج1 ، ص282-283.

[2] – الحسين بن محمد الورثيلاني ، المصدر السابق ، ص117.

[3] – عن مدرسة مازونة :أنظر : ناصر الدين سعيدوني ، المهدي البوعبدلي ، المرجع السابق ص ص 191-198.

و- الإنفاق على المؤسسات الثقافية :

لقد كانت المؤسسات الثقافية من مدارس ومساجد وزوايا فضلا عن المكتبات سواء في المدن أو الأرياف مستقلة عن السلطة المركزية وتابعة لمؤسسة الأوقاف ، حيث كانت هذه الأخيرة تتحمل الإنفاق على هذه المؤسسات وسير وظائفها ، وكانت الأحباس عبارة عن عقارات وأراضي وبساتين ومحلات حرفية وتجارية إضافة إلى الحمامات والمخابز[1].

وكان يديرها وكلاء معينون من الداي والباي ، ولم تكن لهم مرتبات محددة بل كانوا يتقاضون مبالغ رمزية ،كما كانوا يأخذون من المداخيل التي يشرفون عليها المبالغ اللازمة لمصاريفهم [2].

كانت مداخيل المؤسسات المحبوسة أو الموقوفة توظف في دفع رواتب الأئمة وقراء الأحزاب والمؤذنين وشراء الزرابي والأفرشة ، كما كانت تخصص للخدمات والصيانة والترميم وشراء الزيت للمصابيح ، وكان القاضي يشرف على إدارة ومراقبة هذه المصاريف على شكل هيئة إدارية مكونة من عشرة أشخاص من الموثوق في دينهم وأخلاقهم ونبلهم وهم أحسن شخصيات المدينة ، كما وظفت مداخيل الأحباس في الإنفاق على إنارة المدينة والعناية بها والإنفاق أيضا على المؤسسات الثقافية ، فبقدر ما كانت المؤسسات الثقافية هامة ومتعددة بقدر ما ارتفعت وتعددت أحباسها.

من ذلك تتجلى أهمية الأحباس ودورها في الحياة الدينية والعلمية والاجتماعية ، فهي مصدر الحياة والدوام لكل المؤسسات العلمية والثقافية ، كما أنها مصدر لصيانة المساجد والمدارس والكتاتيب ومعيشة العلماء والطلبة ومن جهة أخرى لعب هذا المصدر دورا في حياة كل المجتمع [3].

---

[1] – الأرشيف الوطني ، سجلات المحاكم الشرعية ، علبة 108-109 ، وثيقة 30-47.

[2] – سعد الله أبو القاسم ، تاريخ الجزائر الثقافي ، ج1 ، ص230-233.

[3] – نفسه ، ص231.

II

– الأضرحة :

1– تعريف الضريح :

الضريح كلمة مشتقة من فعل "ضرح" بمعنى حفر القبر ، جمعها أضرحة ويقال للميت حفر له ضريح ويقصد به المعنى الذي يقام على قبر الميت ، ويقال ضرحوا لميتهم ولحدوا له وضرح الشيء رمى به ونحاه وضرحت عني الثوب[1]. إلا أننا نجد عدة مصطلحات تطلق على الأضرحة باختلاف أشكالها ومواقع وجودها[2]. وتسمى قبة أو تربة وهو البناء الذي يقام على رفات ولي صالح أو حاكم[3] ، ويوضع فوق القبر تركيبة من الخشب المنقوش أو من الرخام أو الحجر ، واغلب ما كانت تبنى الأضرحة على شكل قبة أو أو أبراج أسطوانية الشكل ذات سقف مخروطي حسب البلاد التي تقام فيها وكثيرا ما ألحقت الأضرحة بالمساجد التي أقامها منشئ الضريح[4].

أما الكلمة الشائعة التي تطلق على الضريح في العالم الإسلامي فهي القبة وهذه الأخيرة من المظاهر العمرانية التي لفتت النظر في الأبنية الإسلامية ، فقد ورثوها عن الساسانيين والبيزنطيين . وأكثر ما تكون القباب فوق الأضرحة لاسيما التي دفن فيها العظماء أو العلماء أو الزهاد والمتصوفون.

2– ظهور الأضرحة :

شيدت الأضرحة في العصور القديمة وفق الاعتقادات الدينية لشعوب تلك الفترة ، وذلك عكس ما نجده في الإسلام الذي عارض من حيث المادة أي نوع النصب لأن في ذلك تجاوزا لمبدأ المساواة ، والذي يعد أساس الدعوة الإسلامية ، بالرغم من ذلك شيدت الأضرحة على قبور الحكام والأولياء في كل الفترات الإسلامية ويعود ذلك لأسباب أهمها:

– ظهور حركة التصوف وانتشارها مابين القرنين السادس والسابع ، أدى إلى تشييد الأضرحة على قبور الأولياء والمتصوفين ، إلى جانب انتشار المذهب الذي يقدس الشخصيات الشيعية[5].

– فحولت أماكن دفنهم إلى أماكن مقدسة – رغبة الحكام والأمراء المسلمين في تخليد أنفسهم بتشييد الأضرحة قبل وفاتهم – تشجيع الحكام بناء الأضرحة لاستغلال عاطفة شعوبهم المتعلقة بالعلماء والأولياء.

---

(1) – طه الولي ، المرجع السابق، ص126.

(2) – Diez , L’art de Islam , Index générale , Paris ,P.51 .

(3) – عبد الرحيم غالب، موسوعة العمارة الإسلامية ، جروس برس ، بيروت ، ط1 ، 1407هـ/1988م ، ص256

(4) – أبو صالح الألفي ، الفن الإسلامي (أصوله ، فلسفته ، مدارسه) ، دار المعارف ، مصر ، 1969 ، ص123.

(5) – Burchard (Titus.) L’art de l’islam , 1965, P.140.

لم ترد في القرآن الكريم آيات تمنع بناء الأضرحة ، إلا أننا نجد العديد من الأحاديث النبوية الشريفة التي عارضت بناءها ، واتخاذها أماكن للعبادة والصلاة ، فيقول بن تيمية جاء عن عائشة أنها قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم في مرضه الذي لم يقع عنه يقول " لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد" ولولا ذلك أبرز قبره .

وفي الصحيحين أيضا عن عائشة قالت : لما كان مرض رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر بعض نسائه كنيسة رأينها بأرض الحبشة ، يقال لها "مارية" وذكرن من حسنها وتصاوير فيها فرفع النبي صلى الله عليه وسلم رأسه وقال :

"إن أولائك قوم إذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدا ، ثم صوروا فيه تلك الصور أولئك شرار الخلق عند الله" [1].

3- الأضرحة في بلاد المشرق :

إن أقدم ضريح في العصر الإسلامي أقيمت عليه قبة يرجع تاريخه إلى القرن الثالث الهجري /التاسع الميلادي وذلك في قبة الصلبية في سامراء بالعراق على الضفة الغربية لنهر دجلة[2] ، أما أقدم ضريح حفظه لنا الزمن هو ضريح إسماعيل الساماني في بخارى ويرجع تاريخ بنائه إلى سنة 927م وفيه تأثر كبير بالعمارة الفارسية السابقة للإسلام ، وقد تعددت بعد ذلك الأضرحة وتنوعت آخذتا الطراز المذكور سابقا (ضريح إسماعيل الساماني) ومن أمثلة تلك الأضرحة ضريح سنجر في مرو 1157م وضريح أولجايتو في السلطانية 1316م وهذا النوع من الأضرحة تعرف بالأضرحة الملكية .

وهناك نوع آخر يحتوي على رفات الميت فقط كمقبرة جنبادي قابوس 1006م على ساحل بحر قزوين[3].

وكان الضريح بشكله المعروف في مقدمة ما دخل مع الأتراك السلجوقيين عندما كانوا في آسيا ، وكانت الأضرحة عندهم عبارة عن بناءات مقدسة ، وكان ذلك على شكلين :

قبر على شكل برج وقبر على شكل قبة وكانت القبور بإيران على شكل أبراج أسطوانية وقد يعلوها أحيانا سقف مخروطي الشكل.

وكانت في بعض الأضرحة على شكل قاعدة مربعة لها باب من كل جانب كما في ضريح السبع بنات بمصر (400هـ/1010م) [4].

---

[1] – ابن تيمية ، الزيادة ، جمع وترتيب .عبد الرحمن بن محمد بن قاسم ، مكتبة المعارف ، المغرب ، ص ص155-158.

[2] – سعاد ماهر ، مساجد مصر وأولياؤها الصالحون ، ج1 ، ص40.

[3] – ثروت عكاشة ، القيم الجمالية في العمارة الإسلامية ، دار الشروق ، القاهرة – بيروت ،ط1 ، 1414هـ/1994م ص143-145.

[4] – طه الولي ، المرجع السابق ، ص126.

وفي مصر أيضا نجد أن في الفترة الفاطمية كانت خالية من الأضرحة وذلك راجع إلا أن لحكام الفاطميين كانوا يدفنون أنفسهم داخل قصورهم رغبة منهم في تحولها إلى مزارات بعد موتهم[1] . وفي الفترة الأيوبية نجد أمثلة على الأضرحة أبرزها تربة الملك الصالح نجم الدين أيوب التي أنشأتها زوجته شجرة الدر غداة وفاته في أواخر 1249م.

أما في العصر المملوكي فقد عرفت الأضرحة ذات القباب كما عرفت أيضا المركبات الدينية التي تحوي جامعا ومدرسة وضريحا [2] .

أما في الفترة السلجوقية فكانت الأضرحة على شكل أبنية مربعة ذات قبة تشيد للأولياء والصالحين بينما الحكام والأمراء فكانوا يدفنون في أضرحة على شكل أبراج اسطوانية أو مضلعة ذات تخطيطها على شكل مربع أو مثمن أو نجمي وقد انتشرت في آسيا الصغرى وفي العراق وإيران[3].

4- الأضرحة في بلاد المغرب :

- أما في بلاد المغرب فقد انتشرت قبور الأولياء وهي في الغالب بسيطة ومكونة من حجرة مربعة تعلوها قبة قبة نصف كروية ويلون الضريح باللون الأبيض ، أما قبور الأمراء فكانت أكثر فخامة ولم يبقى من قبورهم إلا مايعود للأشراف السعديين في مراكش ، أما قبور ملوك غرناطة وبني مرين في فارس فلم يبقى منها شيء [4].

5- الأضرحة في الجزائر :

- أما في الجزائر فقد عرف هذا النوع من العمائر منذ العهود الأولى ، وتوجد عدة شواهد على ذلك منها ما يرجع إلى عصر بني مرين قبل عام 591هـ/1195م وهو أقدم ضريح موجود في بلاد المغرب ككل ، بالإضافة إلى ضريح سيدي بومدين الذي يرجع إلى القرن الثامن الهجري /الرابع عشر الميلادي وغيرها من الأضرحة ، وعند قدوم العثمانيين سنة 1518م أكثروا من بنائها وتجديد الكثير منها[5].

- فحظيت هذه الأخيرة باهتمام العثمانيين فبنوها بتصاميم كثيرة ومختلفة وزينوها بزخارف متنوعة ومميزة لعهدهم والدارس للأضرحة يلاحظ أنها ذات أشكال مختلفة من منطقة لأخرى ، وقد وضع النقيب كيفيت (Cauvet) تقسيما للأضرحة [6].

---

[1] - ثروت عكاشة ، المرجع السابق ، ص145-146.

[2] - أبو صالح الألفي ، المرجع السابق ، ص ص187-202.

[3] - نفسه ، ص 207.

[4] - نفسه ، ص215.

[5] - مصطفى صالح لمعي ، القباب في العمارة الإسلامية ، دار النهضة للطباعة والنشر ، بيروت ، د.ت ، ص30.

[6] - Cauvet , Les marabouts petits monuments funérairents et votifs du nord de l'Afrique ,in .(R.A) , 1923 , P34.

وفي العصر العثماني استعملت كلمة تربة للدلالة على المدفن [1] كما اصطلح الناس على إطلاق كلمة "مقام" على المقام الذي فيه الضريح لأحد الأنبياء أو الأولياء من أهل الصلاح والتقوى .

وكما كانت المساجد مكانا مختارا لخزائن الكتب فإن المسلمين اتخذوا كذلك من الأضرحة مكانا توضع فيه الكتب لاسيما بعد أن تحولت بعض الأضرحة إلى مدارس لطلب العلم والتفقه في الدين ، وقد شاع اتخاذ الأضرحة لهذا الغرض في منتصف القرن الخامس للهجرة ، إذ أخذت هذه الأضرحة ترتدي ثوبا علميا وتنطبع بطابع المؤسسات الثقافية.

كان يضاف للضريح مدرسة لطلب العلم أو مكتبة للمطالعة ، أو مكتب لتعليم أيتام المسلمين وأطفالهم ، أو مسجد للصلاة يكون فيه درس للعلم أو لقراءة القرآن [2].

ومن ذلك ضريح صالح باي والمقبرة العائلية له ، وكذا ضريح سيدي محمد الغراب ، فقد بني هذا الضريح سيدي الكتاني من قبله وكان به قبر سيدي الكتاني الذي يعد من شيوخ المنطقة وتاريخه غير معروف ، وقد أخذ الحي اسم هذا الضريح ويعتبر نواة لتكوين الحي ، ونفس الشيء ينطبق على ضريح سيدي محمد الغراب .

إن ضريح صالح باي هو امتداد لنظرة الملوك والأمراء والشخصيات البارزة أن تكون لهم عند موتهم مقبرة خاصة بهم وبأسرهم حتى تميزهم عن غيرهم من العامة ، ويشترطون أن تكون أضرحتهم غاية في الجمال الزخرفي والفني وهذا ما نجده في ضريح صالح باي ومقبرة عائلته. كما أن ضريح سيدي محمد الغراب هو إمتداد لما يفعله الناس في الجزائر أو بقية العالم الإسلامي عند وفاة أحد الشخصيات الصالحة في المجتمع فيقام لها ضريح لزيارته والتبرك به والدعاء له ومعظم الأضرحة في العالم الإسلامي كان يبنى بجانبها مسجد صغير ومكان لإقامة القيم عن الضريح .

---

[1] – مصطفى صالح لمعي ، المرجع السابق ، ص23 .

[2] – طه الولي ، المرجع السابق ، ص127.

إن الغاية من التعرض لهذا المحور أي الحياة الثقافية هو إبراز دور المؤسسات الثقافية في توسيع العلاقات الاجتماعية بين مختلف الفئات ، حيث شكلت هذه المؤسسات مراكز يلتقي ويتبادل من خلالها الأفراد والجماعات ، بل هي مراكز للحياة الاجتماعية عموما ، والشيء الذي حاولنا إبرازه هو كيف ساهمت هذه المؤسسات أو ساهم العامل الثقافي في إبراز وبلورة الحياة الاجتماعية .

لاشك أن أبرز هذه المؤسسات الثقافية هي المدارس التي لعبت دورا هاما في إثراء الجو العلمي العام للجزائر بصفة عامة ولقسنطينة بصفة خاصة ، هذا الجو الذي ساهم في نشر المعارف بين العامة ، كما أدت إلى بروز علماء ومفكرين في مختلف المناطق من الوطن.

لعل الجو الثقافي العام في الجزائر كان عكس ما أبرزه المستشرقون والدارسون الغربيون من أن الجزائر في الفترة العثمانية كانت تعاني من الركود الفكري وأن أغلب الجزائريين كانوا أميين ، وإذا قارنا نظرة الغربيين بفترة حكم صالح باي بقسنطينة أبرزنا مدى خطأهم في هذه النظرية.

III – مؤسسة صالح باي :

لقد أقام صالح باي مؤسسة الأوقاف حيث سيرها بنفسه ، وذلك بسبب التدهور الذي وصلت إليه أوقاف المؤسسة الدينية قبل عهده وأثناء فترة حكمه الأولى.

لكن قبل الحديث عن مؤسسة الأوقاف التي أقامها صالح باي لابد من التطرق إلى تعريف الوقف وشروطه وتاريخ الوقف الإسلامي وأهميته؟.

1- مفهوم الوقف :

الوقف لغة : هو الحبس[1] عن التصرف ويقال وقفت الدابة أي حبستها أو تصدقت بها أو أبدتها أي جعلتها في سبيل الله إلى الأبد ، وجمعه أوقاف ووقوف.

والحبس : المنع وهو يدل على التأييد يقال وقف فلان أرضه وقفا مؤبدا ، إذا جعلها حبسا لا تباع ولا تورث ، وقد وردت كلمة الوقف في القرآن الكريم فقال تعالى :"وقفوهم إنهم مسؤولون"[2] ، وقوله أيضا :"ولو ترى إذ وقفوا على ربهم"[3].

كما يعتبر وجود الأحاديث النبوية التي تحدثت عن مفهوم "الصدقة الجارية" لأعمال البر ، الغرض منها استمرارية العملية الخيرية واستمرار مصدر الرزق والثروة ، هنا ورد مفهوم جديد تمثل في "الحبس" أو "التحبيس" أي أن يتصدق المرء بما لديه من مال أو أن توقف غلته لغرض خيري حيث قال رسول الله صلى الله عله وسلم (حبس الأصل وسبل الثمرة)[4].

أما في الاصطلاح هو تحبيس الأصل (الأصل ما يمكن الإنتقاع به) وتسبيل المنفعة على بر أو قربة بحيث يصرف ريعه إلى جهة بر تقربا إلى الله تعالى . وأجمع تعريف لمعاني الوقف عند الذين أجازوه أنه حبس العين وتسبيل ثمرتها أو حبس عين التصديق بمنفعتها ، أو كما قال ابن حجر العسقلاني في فتح الباري "أنه قطع التصرف في رقبة العين التي يدوم الانتفاع وصرف المنفعة "فقوام الوقف في هذه التعريفات حبس العين على حكم ملك الله تعالى ، والتصدق بالمنفعة على جهة من جهات البر ابتداء أو انتهاء . فالفرق بين الحبس والوقف أن الحبس يكون في الأشخاص والوقف يكون في الأعيان[5].

---

[1] – الحبس : هو المنع والإمساك مصدر حبس ، ويطلق على الموضع ، وجمعه حبوس ويقال للرجل محبوس وحبيس وللجماعة محبوسون محبوسون وحبس وللمرأة حبيسة ، ولمن يقع منه الحبس حابس .

[2]– القرآن الكريم ، سورة الصافات ، الآية 24.

[3]– القرآن الكريم ، سورة الأنعام ، الآية 30.

[4] – أبو الوليد محمد بن رشد ، فتاوى بن رشد ، تحقيق. المختار بن الطاهر التليلي ، السفر الأول ، دار الكتب العلمية ، بيروت ط1 ، 1987 ، ص355.

[5] – محمد بن عبد العزيز بن عبد الله ، مؤسسة الأوقاف ودورها في الحفاظ على الآثار الإسلامية والمخطوطات ، عن كتاب : المنظمة العربية للثقافة والعلوم ، بغداد ، 1983 ، ص179-180.

2- شروط الوقف :

للتحبيس أغراض كثيرة منها رغبة المالك في تخليد ما يملك في خلفه من بعده ، وقد يكون اللجوء إلى الأوقاف خوفا من المصادرات التي تلحقها السلطة السياسية بمن يتمرد عليها أو المغضوب عليهم من موظفي المخزن أو الدولة[1] .

وللتحبيس ميزة أساسية كونه لا يباع ولا يشترى لا يغير ولا يبدل ، أي تجميد العقار في يد المنتفع به مهما كانت الظروف.لا يتحقق الحبس إلا بتوفر أركانه الأربعة ألا وهي[2]:

- الواقف (المحبس): ويجب أن يكون عاقلا ، بالغا ، حرا وله كامل التصرف في ملكه.

- الموقوف: هو مصدر الثروة أو منفعة ذات طبيعة دائمة كالعقارات والرياع والبساتين والحيوانات والكتب وغيرها من الأمور التي لها قيمة ومنفعة.

وقد اتفق الفقهاء على اشتراط أن يكون الموقوف :- مالا متقوما (كالعقار والحيوان والسلاح والكتب والمصاحف وغيرها من المنقولات)- معلوما محدودا (حيث يتم تعيين قدره) – ملكا للواقف ملكا تاما – ألا يتعلق بالموقوف حق للغير (فلا يكون مرهونا أو ضمانا لدين أو غيره مما يتعلق به حقوق الآخرين) – أن يكون الانتفاع به .

- الصيغة: ويقصد بها لفظ الوقف وما في معناها ، والوقف كما ذكرنا نوع من العقود ، وصيغة العقد كلام أو فعل يصدر من العاقد ويدل على رضاه ويعبر عنها الفقهاء بـ "الإيجاب والقبول" فالأصل أن كل ما يدل على الإيجاب والقبول لغة أو عرفا ينعقد به العقد فلى يشترط في انعقاد العقد في الأصل لفظ خاص .

ومن شروط الحبس أن يتم في عقد مكتوب ، ويعبر بوضوح بصيغة "وقفت" أو "حبست" أو "سبلت" وغيرها من الألفاظ.

- الجهة الموقوف عليها: وهي الجهة المنتفعة من العين المحبوسة سواء كان الموقوف عليه هو الواقف نفسه أو ذريته من بعده أو أقاربه أو جهة أو أشخاص بأعينهم أو مؤسسة كالمساجد والمدارس والأضرحة والزوايا ، لقد كانت تصرف عليها أموال الأوقاف من أجل صيانتها وكذا تسديد أجور العاملين بها [3]. والموقوف عليه إما يكون معين أو غير معي فالمعين إما واحد أو اثنان أو جمع وغير المعين أو الجهة مثل الفقراء والمجاهدين والمساجد والكعبة والرباط والمدارس والثغور وتكفين الموتى والعلم والقرآن.

---

[1] – سعد الله أبو القاسم ، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط 1406هـ /1986 م، ص213.

[2] – عبد العزيز أحمد آمبارك ، شرح تدريب السالك إلى أقرب الممالك ، تحقيق. أحمد بن محمد العزيز ألمبارك ، ج2 ، دار الغرب الإسلامي ، ط2 ، 1995 ، ص250-251.

[3] – أنظر:

- أحمد شوقي بنين ، دراسات في علم المخطوطات والبحث الببليوغرافي ،كلية الآداب ، الرباط ، ط1 ، 1993 ، ص45-46.

ويشترط للموقوف أن يكون أهلا للتملك سواء المعين أو غير المعين ، وأن يكون الموقوف عليه جهة بر وقربة وليست جهة معصية .

لقد جذبت مؤسسة الأوقاف كأداة لتنظيم الأعمال الخيرية والحفاظ على الأملاك الخاصة لذوي الجاه والمال اهتمام الباحثين منذ أكثر من قرن من الزمن ، وأصبحت مكانتها اقتصادية واجتماعية ، أما وظيفتها السياسية كأداة بيد السلطة فقد تجلت فيما أبداه الحكام من رعاية لها عبر القرون ، إلا أن المؤسسة بأوجهها المتعددة معقدة وتأثيراتها متشابكة في مجالات شتى من الحياة العامة والخاصة ، فالوقف كمؤسسة إسلامية لا تزال تستقطب اهتمام الباحثين ويكشف عن تأثيره العميق في بنية المجتمع[1].

لعبت مؤسسة الأوقاف مكانة هامة في الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في الجزائر في العهد العثماني والتي ارتبط مصيرها بالمؤسسة الدينية والثقافية [2].

3- تاريخ الوقف :

أ- الوقف قبل الإسلام :

الوقف نظام قديم عرفته نظم وشرائع سابقة على الإسلام وجاء الإسلام فأقر أصله وبين شرائطه ونظم حدوده فعلى سبيل المثال في تاريخ مصر القديم ما يدل على أن مساحات كبيرة من الأرض كانت ترصد على ما زعموه من الآلهة والمعابد والمقابر ، وتكون غير قابلة للتصرف من بيع أو هبة أو وصية ، أما غلاتها فتصرف على إصلاحها وإقامة الشعائر الدينية والإنفاق على القائمين بخدمتها.

وهناك مجموعة من الأمثلة على الوقف قبل الإسلام أبرزها : - أن رمسيس الثاني قد منح معبد أبيدوس أملاكا واسعة وأجرت الطقوس لنقل ملكية هذه الأعيان إلى المعبد أمام جمع كبير من الرعايا ، كذلك حبس بنوت في عهد رمسيس الرابع أرضا له ليشتري بريعها كل سنة عجلا ليذبح على روحه ، وهناك أمثلة أخرى في الحضارة اليونانية والرومانية ، حيث أن إمرأة اسمها "أريتي" وقفت حديقتها على مدينة "أوجستينيس" لتقام فيها شعائر دينية وأن يونانيا اسمه "نيساس" وقف أرضا لإقامة الشعائر للإله "أبولون"[3].

---

[1] – صلاح حسين العبيدي "مؤسسة الأوقاف ودورها في الحفاظ على الآثار الإسلامية والمخطوطات" ، عن كتاب : المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، بغداد ، 1983م ، ص179-180.

[2] – سعد الله أبو القاسم ، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1 ، ص213.

[3] – أحمد عبد العظيم الجمل ، دور نظام الوقف الإسلامي في التنمية الاقتصادية المعاصرة ، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة ، القاهرة ، ط1، 1428هـ/2007 ، ص28-29.

ب- الوقف بعد الإسلام :

يرجع الكثير من الباحثين المعنيين بتاريخ الأوقاف نشأة نظام الوقف إلى أصول إسلامية وإن كان يصعب تحديد بداية التعامل به بدقة ، إلا أنه تبلور نتيجة الاهتمام بتنظيم الصدقات والحث عليها منذ صدر الإسلام[1].

أما عن تاريخ الوقف فقد عرف منذ عصر الرسول صلى الله عليه وسلم فهو الذي شرع تفاصيل أحكامه ، حيث لم يكن الوقف بمعناه الإسلامي معروفا لدى العرب قبل الإسلام ، ولما جاء الإسلام شرع الوقف ووسع دائرته فلم يجعله مقصورا المؤسسات الدينية بل وسعه ليشمل كثيرا من أنواع الصدقات والتبرعات التي ترصد لأغراض دينية واجتماعية وعلمية واقتصادية ، فكانت الأوقاف على المساجد وما يتعلق بصيانتها ووظائفها ، وعلى دور التعليم والمكتبات والعلماء وطلاب العلم وعلى الفقراء والمحتاجين ، حيث نجد في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة أمثلة كثيرة عن الوقف وأول وقف في الإسلام هو مسجد قباء الذي أسسه النبي صلى الله عليه وسلم حين قدم إلى المدينة وأول وقف خيري عرف في الإسلام هو وقف سبع بساتين بالمدينة كانت لرجل يهودي اسمه مخيريق ، أوصى بها إلى النبي (ص) حين عزم على القتال مع المسلمين في غزوة أحد ، بالإضافة إلى وقف عمر ابن الخطاب (رضي الله عنه) وقيل هو ثاني وقف في الإسلام وهو أرض خيبر ثم تتابعت الأوقاف بعد ذلك في أوجه البر والخير.

أما في العهد الأموي فقد اتسعت دائرة الوقف ورغب الناس في الأحباس ولم يعد الوقف قاصرا على الصرف إلى جهة الفقراء والمساكين بل تعدى ذلك إلى تأسيس دور العلم وإنفاقه على طلابها والقائمين من مدرسين وغيرهم وإنشاء المساجد والملاجئ والمكتبات .أما في العهد العباسي فقد أصبحت للأوقاف إدارة خاصة مستقلة عن القضاء وهكذا جاء اتساع الأوقاف وازدياد دورها الاجتماعي بتطور هام في مجال إنشاء الهياكل التنظيمية للوقف ، ولكنه ظل تطورا يتعلق بالجهاز الإداري . ففي هذه الفترة قامت الدولة بإنشاء هيئات خاصة للإشراف عليها ، وأحدث ديوان خاص للإشراف عليها وأحدث ديوان مستقل لتسجيلها.

وقد واكب هذا التطور الإداري جهد علمي مفيد لضبط أحكام الوقف وطرق التصرف فيه ولحمايته من الضياع فخصه الفقهاء بمؤلفات خاصة وأفردوا له فصولا واسعة في مدونات الفقه الكبرى ، وهذا التطور أدى إلى قيام الوقف بدور كبير في التنمية الاجتماعية على مر التاريخ[2].

وقد أدى هذا التوسع إلى إنشاء الأوقاف وهذا الامتداد لغاياتها الاجتماعية وإقبال الناس على الوقف إلى ظهور الحجة إلى تنظيم الوقف من جانب الدولة واعتباره إحدى المؤسسات العاملة والفاعلة التي يصبح الإشراف عليها ضرورة اجتماعية واقتصادية .

---

[1] – كلوس كريس وآخرون ، المرجع السابق ، ص103.

[2] – أحمد عبد العظيم الجمل ، المرجع السابق ، ص29-33.

منذ عرف الوقف والمسلمون يعملون على حبس أموالهم على أولادهم وعلى جهات البر ، حتى صارت أموال الأوقاف إحدى مهام السلطة في الإسلام وقد وجد الوقف منذ عصر الصحابة ، ثم تطورت أحكامه ونظمه ومؤسساته في مذاهب الفقه المختلفة ، وهي تطورات تكشف عن أهميته الدينية وعن مهنته في النسيج الاجتماعي ، وليس بدعا أن يحاول خصوم الإسلام إلغاءه ، وأن تسعى الدول الأجنبية في سنوات الاحتلال.

لقد بلغ نظام الوقف أوج تطوره في الفترة العثمانية ، حيث لما تولى العثمانيون مقاليد السلطة العثمانية على الوقف ، وصارت له تشكيلات إدارية تعنى بالإشراف عليه ، فمنذ القرن الخامس عشر والدولة تتمدد على مساحة العالم الإسلامي والعربي حتى كادت أن تصبح حاكمة لكل بلدان العالم العربي وسيادتها السياسية تعني سيطرة تشريعاتها على كافة هذه البلاد ، ومن بينها ما أصدرته الدولة العثمانية في مجال الأوقاف.

4- الوقف في الجزائر :

أما في الجزائر العثمانية فقد كان الاهتمام بالوقف كبيرا ، ولعل هذا الاهتمام شمل كل ربوع الوطن ، ومن أمثلته ما أوقفه خير الدين بربروس (924-940هـ/1518-1534م) وخادمه الذي أعتقه وهو عبد الله بن صفر الذي بنى جامع سفير (أو جامع صفر) سنة940هـ/1513م وأوقف عليه حوالي 100هكتار من الأرض وأوقف عليه خير الدين قطعة أرضية هامة[1].

وفي الغرب الجزائري (بايلك الغرب) نجد الباي محمد بن عثمان الكبير (1192هـ1213م/ 1778-1799م) الذي بنا مجموعة من المنشآت الدينية والمدنية وأوقف عليها مجموعة لا تحصى من الأحباس واشتهر بالغرب أيضا الحاج عثمان باي(1160-1177هـ/1757-1774) الذي بنى في سنة 1160هـ/1774م الجامع الكبير بمعسكر وبجواره بنى قبة سيدي عبد القادر الجيلاني 1167هـ/1754م [2].

أما في الجزائر العاصمة فقد تنوعت الأوقاف وظهرت مؤسسات تتكفل بحمايتها وصرفها ومنها ما كانت لها فروع في العديد من مناطق الوطن ، ومن هذه المؤسسات (مؤسسة أوقاف مكة والمدينة ومؤسسة الجامع الأعظم ومؤسسة أوقاف أهل الأندلس) [3].

---

[1] – محمد بن عبد العزيز بن عبد الله ، المرجع السابق ، ص179-180.

[2] – محمد بن يوسف الزياني ، دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران ، تقديم وتعليق . المهدي البوعبدلي ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1979 ، ص195.

[3] – ناصر الدين سعيدوني ، دراسات تاريخية في الملكية والوقف والجباية الحديثة ، دار الغرب الإسلامي ، ط1 ، 2001 ص 163-191.

وقد تنوعت مجالات الوقف في العهد العثماني بالجزائر حيث شملت العديد من المجالات الاجتماعية والدينية والثقافية .

وإذا اتجهنا إلى بايلك الشرق فإننا نجد أن عملية الوقف كانت ضعيفة مقارنة بالعاصمة وذلك قبل فترة صالح باي ونذكر على سبيل المثال أعمال الوقف المتعددة التي قام بها رجب باي (1077-1084هـ/1666-1674م) والباي حسن بوكمية (1125-1149هـ/1713-1746م) ، والباي حسن بوحنك (1149-1167هـ /1746-1753م) [1].

5- الوقف في فترة صالح باي :

وفي عهد صالح باي تطورت الأوقاف ووضع لها مؤسسة خاصة بها تسير وفق مشورته ، وأصبحت الأموال تتهاطل على هذه المؤسسات الدينية الثقافية مما أدى إلى تطويرها في شتى الميادين . إن ملف صالح باي للأوقاف الذي كونها ونظمها يعتبر من أهم الأعمال التي قام بها هذا الباي [2].

- إن صالح باي كان هو الطرف الأساسي في سجلات المحاكم الشرعية بقسنطينة وذلك لتنظيم المساحات قصد تشييد مشاريعه العمرانية ، حيث لجأ إلى العديد من عمليات البيع والشراء والعديد من المعاوضات أي استبدال كوشة بكوشة مقابلة لها أو دار بدار قريبة .

أ- موقف صالح باي من تردي وضع الأوقاف :

لكن قبل كل ذلك علينا الرجوع إلى بدايات عهد صالح باي بالحكم ، لقد كانت الفترة الأولى لتولي صالح باي كارثية بالنسبة لمجال الأوقاف فالبايات الذين سبقوه لم تكن لهم اهتمامات كثيرة بمجال الوقف ، وحتى الأوقاف التي كانت قبلهم أهملت وصارت في حالة يرثى لها ، وهذا ما نستشفه من العقد التأسيسي لسجلات صالح باي للأوقاف حيث ذكر فيه مايلي "ولما وقع التقصير من وكلاء مساجد قسنطينة ولم يكن لهم اعتناء بشأن الأوقاف وفرطوا قي ذلك غاية التفريط وضاع الكثير منها بتركهم لها وعدم اعتنائهم بشأنها ولم يبحثوا على ذلك وتعطل البعض من المساجد بضياع أوقافها وصار البعض بسبب ذلك مربطا للدواب والبعض غلقت عليه الأبواب وآل أمره للخراب"[3].

---

[1] -محمد المهدي شعيب ، المرجع السابق ، ص 237-258.

[2] – لقد كان أغلبية الجزائريين يتبعون المذهب المالكي ، بينما كان الحكام الأتراك يتبعون المذهب الحنفي ، ولهذه النقطة أهمية بالغة وذلك لأن المذاهب الأربعة تختلف في تفاصيل وشروط الوقف وكيفية استغلاله .

[3]- Feraud ,(L) . Les Anciens établissements Religieux Musulmans , R.A , Anne N^{O} 12 , 1868 , pp . 121.132.

ونفس العقد يخبرنا عن ردت فعل صالح باي لما بلغه هذا الأمر فغضب لذلك ، وأمر قضاته ومفتيه بتثبيت كل شيء متعلق بالأوقاف في أربعة سجلات متماثلة "ويثبتوا ذالك بثلاث سجلات متماثلة" [1].

وفيما ذكر أن صالح باي ثبت هذه الأوقاف في ثلاث سجلات لكن الحقيقة أنه سجلها في أربعة ، وقد أثبتت د.قشي أنها أربعة سجلات ، وقد تحصلت على جزء من هذه السجلات والمخصصة للمدرسة والجمع الأعظم ، وهي تتكون من سبعون عقدا مما يؤكد على أنها تحصلت على جزء من هذه السجلات فقط وليس السجل بالكامل[2].

وكما هو معروف أن المذهب الحنفي يختلف عن المذهب المالكي في هذا الأمر ، فالمذهب المالكي يرى ضرورة صرف الحبس على المصلحة العامة التي حبس من أجلها مباشرة بدون قيد أو إرجاء أو شرط وهذا ما يسمى بالحبس الخيري أما المذهب الحنفي فهو يبيح للواقف الانتفاع بوقفه مدى الحياة ثم يسمح لذريته بالمنفعة أيضا ولا يرجع لسبل الخيرات المحددة في الحبس إلا بعد انقراض النسل وهذا مايعرف بالأحباس الذرية .

لقد أنشأ صالح باي منظومة متكاملة لمؤسسة الوقف من موظفين ومؤسسات وغيرها ، كما فرض رقابة على المسؤولين عن إدارة هذه الأحباس كما تتم محاسبة وكلاء المساجد كل ستة أشهر ، وينعقد مرة كل سنة مجلس لدراسة وتفقد غلة الأوقاف ، وتنميتها وتطويرها وهذا المجلس يتكون من العلماء وصاحب بيت المال ، وبعد أن أتم ذلك الأمر بنى مجموعة من المؤسسات أبرزها مركب سيدي الكتاني (جامع ومدرسة وضريح) بالإضافة إلى مؤسسات أخرى كمنزله المشيد قرب الجامع الكتاني ودار المرضى بشارع الذميين وغيرها.

فقد أنشأ صالح باي جامع سيدي الكتاني (1190هـ/1776م) ومدرسته (1189هـ/1775م) بالإضافة إلى مدرسة بجوار جامع سيدي الأخضر(1193هـ/1779م) ، والجسر الذي يتقدم القنطرة ، ولإستمرار هذه المؤسسات في العطاء والتطور والإزدهار قام صالح باي بنقطة مهمة حيث أوقف على هذه المؤسسات عليها مجموعة من الأحباس وهذا ماجعلها تستمر في عطائها فترة طويلة من الزمن.

إن الدارس لهذه الأوقاف يجد أن الوثيقة المحبسة تتكون من كل شروط الأوقاف المعمول بها في العالم الإسلامي والتي أشرنا إليها من قبل .

---

[1]- Feraud , (L.) , Les Anciens , op.cit , p.132

[2] – للمزيد أنظر : فاطمة الزهراء قشي ، سجل صالح باي للأوقاف ، تقديم وتحقيق . فاطمة الزهراء قشي ، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1430هـ/2009م ، ص9-10.

لقد ساعدت عمليات الوقف التي قام بها صالح باي على المدرسة والجامع في توسيع عمراني لم يسبق لقسنطينة أن وصلته . جل هذه العقود بالمدرسة والجامع ارتبطت إما على شكل مباشر حبس خيري*[1] مباشر أو في حبس ذري*[2] يؤول إليهم في نهاية المطاف .

وإذا قمنا بدراسة سجل صالح باي للأوقاف نجده يتكون من الصنفين السابقين سواء أحباس خيرية أو ذرية وقد ، أوقفت في هذا الشأن مجموعة كبيرة من المنشآت والأراضي والبساتين والحوانيت وغيرها ، وبما أن المجتمع الجزائري مجتمع يحب فعل الخيرات ويتبع المذهب المالكي فقد كانت معظم أوقاف العامة أوقاف خيرية ، أما أوقاف السلطة الحاكمة والتي تدين بالمذهب الحنفي قفد كانت أوقافهم ذرية .

ب– وثيقة أوقاف صالح باي :

قام صالح باي بتجربة نموذجية في قسنطينة والمتمثلة في إشرافه على تنظيم مؤسسة الأوقاف ورعايتها ورقابتها. كما أجمع المؤرخون على التنويه بما قام به صالح باي لتنظيم الأوقاف وحمايتها ، وقد جسد سياسته بأمر يقنن تسجيل كل أملاك المساجد والمؤسسات الخيرية ويشرف على نظارتها ويراقب تسييرها [(1)].

لقد اطلعنا على هذه الأوقاف منشورة بالعربية في نصها الأصلي مع ترجمة للفرنسية على صفحات المجلة الفرنسي (R.A) العام 1866. وقد تم جرد تلك الأملاك في سجل كبير حسب وصف شارل لوي فيرو (ch.l. Feraud) دونت فيه قائمة المساجد والمؤسسات الدينية كلها بما لها من أملاك وأوقاف ، حيث أكد أن محتواها مفيد دون شك للتاريخ المحلي الذي يفتقد إلى معلومات أصلية [(2)].

بهذه العبارات علق شارل لوي فيرو على أمر صالح باي الهادف إلى إحصاء أحباس المساجد ورعايتها ، ولكن هذه السجلات قد ضاعت ، بل ولم نعثر لها على أثر في الدوائر الرسمية أو الخاصة ، باستثناء جزء من دفتر دونت فيه عقود أحباس الجامع الأعظم الذي أحدث بنيانه السيد صالح باي ، وقد يكون مصدر هذه العقود النسخة التي احتفظ بها قاضي الحنفية السيد شعبان بن عبد الجليل لأن بقايا هذا الدفتر محفوظة حاليا في الأرشيف الولائي لمدينة قسنطينة[(3)].

---

*[1]– الأوقاف الخيرية : وهي التي توقف مباشرة على المؤسسة أو المنشأة المشيدة وكانت هذه الأوقاف إما عبارة عن بنايات تبنى لأول مرة أو عقارات في شكل مباني أو أراضي أو بساتين .

*[2]– الأوقاف الذرية : التي يوقفها صاحبها على ذريته أو نسله من بعده وهي لا تدخل حيز التنفيذ إلا بعد وفاة الورثة لها .

[(1)] – أنظر: دفتر صالح باي للأوقاف .

Feraud , (L.), Les anciens, Op.cit , p130 .

[(2)] - ibid , p.p126-131.

[(3)]– دفتر صالح باي للأوقاف: توجد نسحة منه في الأرشيف الولائي لمدينة قسنطينة وهي نسخة مصورة ، وتوجد نسخة أخرى وهي مصورة أيضا في مديرية الشؤون الدينية لولاية قسنطينة ، أما النسخة الأصلية فهي مفقودة مع وثائق أخرى مهمة عن المدرسة والمرجح أن الإدارة الفرنسية أخذت النسخ الأصلية .

وقد اطلعنا على هذه الوثائق في نسخة مصورة بلغ عدد أوراقها السبعين ورقة ، في ترقيم مضاف لا يحترم التسلسل الزمني لتواريخ العقود التي فاق عددها الستين ، وقد دونت الأوقاف الخاصة بالجامع والمدرسة الكتانية وفي غياب القوائم الكاملة لهذه الأوقاف تكون هذه العقود هامة للتعرف على المعاملات ونوعية الأملاك وموقعها في النسيج العمراني ، وعليه نلخص على الأقل إلى معرفة مدى مساهمة صالح باي في تغيير وجه المدينة العمراني ودعم أوقافها وحمايتها .

كما نستشف من تحليل هذه العقود سياسة الباي القوية في البيع والشراء والمعاوضة حتى بأملاك الأوقاف ، وما أدت إليه هذه الأوقاف من توسيع عمراني وتنظيم لأملاك العامة.

ج- أوقاف المؤسسات المدروسة :

ج-1- أوقاف مركب سيدي الكتاني :

منذ تأسيس المدرسة والمسجد تتابعت مجموعة من عمليات الوقف على المؤسستين ، وكان صالح باي أول فاعلي الخير ، وسرعان ما حذا حذوه بعض أعيان المدينة من كبار الموظفين أمثال السيد رضوان خوجة[1] وكيل بيت مال مصطفى قيسارلي[2] وغيرهما ، إلا أن أملاك صالح باي الموقوفة على المسجد تمثل القسط الأكبر (في هذا الدفتر). ونذكر هذه العقود فيما يلي :

1-أ- أوقاف الجامع الكتاني :

لقد ركزت في هذه الدراسة على الأوقاف الخيرية لأن نفعها يعود مباشرة على الجامع والمدرسة عكس الأوقاف الذرية التي يستفيد منها أصحابها ونسلهم قبل إنقراضهم ، والأوقاف الذرية ماهي إلا وسيلة من وسائل الهروب من مصادرة الأملاك ، حيث أتبعت شخصيات عديدة هذا النوع من الأوقاف للهروب من مصادرة ممتلكاتهم من طرف سلطة البايلك.

أما فيما يخص دراسة هذه العقود فجلها يذكر الجامع والمدرسة كمنشأة واحدة ، أي أن ريع هذه المنشآت يعود على الجامع والمدرسة الملاصقة له ، وهذا الشيء لاينفي أن جل العقود كانت موجهة للجامع الأعظم بسوق الجمعة.

-الأوقاف الخيرية :

- العقد 01: حيث أوقف فيه صالح باي تسع حوانيت على الجامع الأعظم " سيدنا صالح باي أيده الله جميع التسعة حوانيت الملاصق بعضها لبعض ...وثبت ملكيتها لـه وأنـه هو الذي أحدث بنيانهـا بمحلة سوق الجمعة على

---

[1] – السيد رضوان خوجة: شغل منصب قايد الدار سنة 1215هـ/1801م عند زواج حسين بن صالح باي ، حيث كان وكيلا عن الزواج.

[2] – مصطفى قيسرلي : هو ناظر مسجد سيدي السبعيني ، يعد من مؤسسي الجزء الثاني من عمليات الأوقاف بعد صالح باي .
- للمزيد من التوضيح أنظر : كلوس كريز وآخرون ، المرجع السابق ، ص 104.

الجامع الأعظم الذي أحدث بنيانه بالسوق المذكور ثم بعد أن كان ذلك كذلك أشهد سيدنا صالح باي المذكور أنه حبس جميع الحوانيت المذكورة على الجامع المذكور تصرف غلتها في مصالحه.

-العقد02:حيث أوقف قطعة أرض على الجامع "...جميع القطع المشتملة على خمسة وعشرين ذراعا من كل جهة من جهاتها الأربعة الكاينة بشارع اليهود داخل قسنطينة ...أنه حبس جميع القطعة المذكورة بجميع حددها وحقولها على المسجد المذكور الذي أحدث بنيانه بسوق الجمعة" .

-العقد03: حيث أوقف على الجامع أربعة عشر حانوتا "أنه حبس على الجامع الأعظم الكاين بسوق الجمعة الذي أحدث بنياته جميع الأربعة حانوتا الكاينات بين باب الودي".

العقد05: حيث حبس الدار القبلية على الجامع الكتاني "...جميع الدار القبلية المفتح الكاينة بأول الرايغة المعروفة بالقرامدي من محلة القصبة من قسنطينة ...حبس جميع الدار على الجامع الأعظم الذي أحدث بنيانه بسوق الجمعة القريب من مقعد زواوة داخل قسنطينة تصرف غلته على مصالح الجامع المذكور" .

العقد 06 : حيث أوقف الدار المعروفة بدار الذمي على الجامع المذكور " ...جميع الدار الشرقية الباب الشهيرة بدار الذمي بن ليلى بالقرب من سوق الجمة وأسفل دار السراج الإستقرار التام صار له تملك الدار المذكورة بالشراء الصحيح والثمن المقبوض ...أشهد سيدنا صالح بي أعزه الله تعلى أنه حبس جميع الدار المذكورة على الجامع الأعظم الذي أحدث بنيانه الكاين بسوق الجمعة صرف غلة الدار في مصالح الجامع المذكور..."

العقد 07 : حيث أوقف في هذا العقد مجموعة من البساتين وخراب على الجامع الأعظم "... جميع الخراب الذي له بابان أحدهما شرقي المفتح والآخر غربي ، بالبنيان من نواحيه الأربع المتوسط بين مسجد الشيخ البركة سيدي البيازري وبيعة اليهود لعنهم الله من حومة الشارع وبداخل الخراب المذكور مجلس غربي المفتح واشجار الكاين داخل قسنطينة الإستقرار التام صار له تملكه بالشراء الصحيح والثمن المقبوض كما هو مبين بغيره ، أشهد سيدنا صالح بي أنه حبس جميع الخراب المذكور وما احتوى عليه المجلس وغيره بجميع حدوده وحقوقه على الجامع الأعظم الذي أحدث بنيانه بسوق الجمعة ..."

العقد 09 : حيث أوقف السيد صالح باي في هذا العقد قطعة أرض على الجامع الأعظم "...جميع القطعة المشتملة على خمسة وعشرين ذراعا من كل جهة من جهاتها الأربع بحومة الشارع داخل قسنطينة التي يحدها قبلة طريق فاصل بينها وبين قطعة الحاج أحمد بن الغجاتي وشرقا قطعة الحاج حسين بن بكير الإنكشاري وغربا طريق وجوفا طريق فاصل بينهما وبين قطعة السيد بركات بن السيد محمد نقيب الأشراف الإستقرار التام صار له تملكه بالشراء الصحيح والثمن المقبوض ...اشهد سيدنا صالح بي أيده الله تعالى أنه حبس جميع القطعة المذكورة على الجامع الذي أحدث بنيانه بسوق الجمعة داخل قسنطينة تحبيسا مؤبدا ..."

العقد 10 : أوقف مجموعة من المنشآت على الجامع الأعظم "...جميع العلو الغربي المفتح الملاصق للجامع الذي احدث بنيانه الكاين بسوق الجمعة الذي كان في السابق كوشة غربية الباب لابن زيان وجميع الإصطبل الراكب عليه العلو المذكور وجميع العلو القبلي الباب الراكب على بعض مايضة الجامع المذكور وجميع الأربع حوانيت القبليات المفتح الكاين بعضها فوق باب المايضة المذكورة وبعضها تحتها ، الإستقرار التام كما ثبتت تملك جميع الأمكنة له الثبوت التام وجدد بنيانها ...أشهد سيدنا صالح ي أيده الله تعلى انه حبس جميع العقار المذكور على الجامع الذي أحدث بنيانه المذكور تصرف غلة ذلك جميعه في مصالح الجامع المذكور تحبيسا مؤبدا ..."

العقد 11 : مجموعة من المنشآت أوقفت على الجامع العظم من طرف صالح باي "... جميع الكوشة الغربية التي بل استقر على ملكه جميع الكوشة القبلية المفتح الكاينة بالقرب من كدية سوق الجمعة الذمة الإستقرار التام صارت بمعاوضة صحيحة معتبرة شرعا أعطى في مقابلتها جميع الكوشة الغربية التي أحدث بنيانها القريبة من كنيسة أهل الذمة بالمحلة المذكورة واستقر على ملكه جميع الخراب المحوش عليه الكاين بمحلة سوق الجمعة الذي يحده قبلة حوش كان على ملك ابن ناصف وغربا خراب سي محمد بن دربال وشرقا خراب لإبن السراج ...واستقر على ملكه أيضا جميع الخراب الشرقي المفتح القريب من كوشة الشارع الغربية المفتح داخل قسنطينة وجميع القطعة الخراب لملاصقة للخراب الشرقي المذكور صار له جميع الخراب والقطعة المذكورة بالشراء من ورثة المرحوم سي حسين بن دالي كما هو مبين جميع ذلك بغيره بعادل الشهادة ...أشهد أنه حبس جميع الأماكن المذكورة بجميع حدوها وحقوقها على جامعه المعمور بذكر الله ..."

العقد 12 : في هذا العقد قام صالح باي بوقف مجموعة من المنشآت جلها قام باستبدالها مع منشآت أخرى ذكرناها سابقا ، وكل ذلك أوقفه على الجامع الأعظم "سيدنا صالح بي خلد الله دولته جميع الكوشة الغربية بل استقر على جميع الكوشة القبلية المفتح الكاينة بالقرب من كدية كرية سوق الجمعة الإستقرار التام صارت بمعاوضة صحيحة معتبرة شرعا أعطى في مقابلتها جميع الكوشة الغربية التي أحدث بنيانها القريبة من كنيسة أهل الذمة بالمحلة المذكورة...أشهد أنه حبس جميع الأماكن المذكورة بجميع حدودها وحقوقها على جامعه المعمور بذكر الله تعلى الذي أحدث بنيانه الكاين بسوق الجمعة تصرف غلة ذلك في مصال الجامع المذكور تحبيسا مؤبدا..."

العقد 13 : عقد تحبيس لخراب تم بنائه من طرف صالح باي على الجامع الأعظم "...سيدنا صالح بي أيده الله تعلى جميع الخراب المذكور بمنقلبه ...أشهد أيده الله تعالى أنه حبس جميع الخراب المذكور على الجامع الذي أحدث بنيانه بسوق الجمعة تصرف غلته في مصالح الجامع المذكور الذي أحدث بنيانه بسوق الجمعة تصرف غلته في مصالح الجامع المذكور بعد إصلاح مايحتاج إلى إصلاحه ..."

العقد 15 : هذا العقد عبارة عن عقد معاوضة بين السيد صالح باي وسي الحاج علي بن الحاج مسعود ولما تمت المعاوضة كان جزء من أرباح هذين الشخصين يرجع للجامع الأعظم ، وبعد ذلك أشهد سيدنا صالح باي أنه حبس جميع المنوال الشرقي المذكور وجميع أنقاض المنوال المذكور على الجامع الأعظم .

العقد 16 : لقد اشتمل هذا العقد على مجموعة من المنشآت شيدت على قطعة أرضية مشتملة على خمسة وعشرين ذراعا أوقفت من طرف السيد صالح باي على الجامع الأعظم بسوق الجمعة "... من القطعة من البراح المشتملة على خمسة وعشرين ذراعا المذكورة بالصفحة يسرة المقابلة لهذه مع براح آخر ضم إليها بنيت وصارت قهوة جوفية وثلاث حوانيت جوفيات اثنين منها على يمين الداخل للقهوة المذكورة وواحده على يسار الداخل وفوق الكل دار المرضى وعلو جوفي االباب ملاصق لدار المرضى من جهة الشرق بنى الكل المعظم الأرفع سيدنا صالح بي أيده الله...أنه قد حبس جميع الأنقاض المذكورة التي بناها على الجامع الأعظم الذي أحدث بنيانه بسوق الجمعة تحبيسا مؤبدا ..."

العقد 17 : عقد تحبيس على الجامع الأعظم من طرف صالح باي حيث أوقف مجموعة من الأراضي على ولده محمد ثم من بعد أولاده ثم إن انقرضوا يعود إلى الجامع الأعظم "أنه حبس جميع الأراضي المذكورة على ولده المعظم المطلوب من الله تعالى بقاؤه وصلاحه وسعادته السيد محمد خاصة ثم من بعده يكون ذلك حبسا على أولاده ...فإن لم يكن فإلى أقرب قريب إليه فإذا انقرضوا عن آخرهم رجع ذلك للجامع العظم الكاين بسوق الجمعة داخل قسنطينة وللمدرسة التي هي بخرابه تصرف غلة ذلك جميع ذلك في مصالح الجامع والمدرسة المذكورين .

العقد 18 : هذا العقد يشير إلى مجموعة الكتب الموقوفة على مدرسة الشيخ سيدي الكتاني التي أنشئت سنة 1189هـ من طرف السيد صالح باي .

العقد 19 : ص22 : عقد تحبيس على الجامع الأعظم من طرف صالح باي ممثل في خراب قام ببنائه وإحاطته بسور ثم أوقفه على الجامع الأعظم "...سيدنا صالح بي أيده الله تعلى جميع الخراب المذكور بالبنيان من جهاته الأربعة وجعل له باب شرقي المفتح حتى الآن ثم الآن أشهد الله أيده الله تعلى أنه حبس جميع الخراب المذكور على الجامع الذي أحدث بنيانه بسوق الجمعة تصرف غلته في مصالح الجامع المذكور بعد إصلاح مايحتاج إلى إصلاحه..." .

العقد 20 ص71: عقد تحبيس على الجامع الأعظم من طرف صالح باي ممثلة في مجموعة من الأراضي حولت أو بنيت عليها قهوة وثلاث حوانيت يعود ريعها على الجامع المذكور " أن القطعة من البراح المشتملة على خمسة وعشرين ذراعا ...بنيت وصارت قهوة جوفية الباب وثلاث حوانيت جوفيات اثنان منها على يمين الداخل للقهوة وواحدة على يسار الداخل وفوق الكل دار المرضى وعلة جوفي الباب ملاصق لدار المرضى من جهة الشرق ... أنه حبس جميع الأنقاض المذكورة التي بناها على الجامع الأعظم الذي أحدث بنيانه بسوق الجمعة ...".

لدينا مجموعة من الأوقاف عبارة عن عقود معاوضة بين صالح باي وشخصيات متعددة من أعيان المدينة حيث يتم التبادل بمؤسسات مختلفة ثم يقوم صالح باي بوقف المؤسسة المستبدلة على الجامع الأعظم ، هذا نوع من أنواع الأوقاف المتواجدة في هذا الملف .

كل الأوقاف الخيرية المتواجدة لدينا ساهمت في تطوير هذه المؤسسة و توسيع حي سيدي الكتاني وكذا النسيج العمراني لمدينة قسنطينة ، حيث بلغت المدينة في هذه الفترة أقصى إتساع لها . وإذا أحصينا العقود المتواجدة لدينا فإننا نجدها عبارة عن منظومة متكاملة من المنشآت المتنوعة كل منها يكمل الأخرى فمثلا لدينا قطع أرض وكذا محلات تجارية وحمامات وفنادق ومقاهي وبساتين كلها تعود فوائدها على هذه المؤسسة .

– أوقاف صالح باي الذرية ومسائل المعاوضة :

الأوقاف لم تكن دائما لأغراض خيرية ، ففي أحيان كثيرة كان الناس يوقفون لحماية أملاكهم من الضياع أو لحمايتها من يد السلطة ، ومن حقهم أن ينصوا على أن يستفيد منها الأحفاد والفقراء وكانت النساء تستفيد من هذه الأوقاف ولاسيما عند الولادة أو اليتم أو الفقر ، وكثيرا ما كانت الأسر تلجأ إلى طريقة الوقف لعدم ثقتها في صلاح الورثة ولكن هذه الأغراض كانت ثانوية إلى جانب الغرض الرئيسي من الأوقاف وهو خدمة العلم ومساعدة الفقراء والمساكين ، وهذا مايسمى بالأوقاف الذرية [1].

1- جميع الدار الجوفية الباب المتوسطة بين الجامع الأعظم الذي أحدث هو بنيانه وبين مقعد زواوة داخل البلد (الجامع الأعظم) .

2- جميع الحانوت القبلية المفتح التي أحدث بنيانها بسوق الجمعة (عقد معاوضة) .

4- الرقعتين الكائنتين بعين الصهريج حيث احدث غراستها وكلا الرقعتين خارج قسنطينة (معاوضة) .

5- جميع أنقاض الحانوت القبلية المفتوحة على يمين المنحدر لمسجد الست فريحة على الجامع الأعظم .

6- جميع الأراضي الكاينة خارج قسنطينة بالناحية الجوفية منها المعروفة بكدية جمال وأبي الغمار وشراكات أبي وزان وشراك الخربة وأرض عريش الطبال وأرض الرملة .

8- عقد معاوضة مجموعة من الأراضي .

9- عقد معاوضة جميع الأراضي المعروفة بالسبابل وبووجهين مشوار مسعود – عين سليمان – أم السدارى – ذراع المثنان – الجنان الخالي – المخرطلة – مقيل المعيز – ، حيث أوقفها على نفسه مدة حياتهُ ثم على أولاده ثم على الجامع الأعظم والمدرسة .

---

[1] – أبو القاسم سعد الله ، محاضرات في تاريخ ، المرجع السابق ، ص161.

10- عقد تحبيس للرقايع المعروفة بالنقيرة وكيفان حمام ومرج غلام ، حيث حبسها على نفسه مدة حياته ثم على أولاده فإذا انقرضوا عن آخرهم رجعت على الجامع الأعظم والمدرسة .

11- الشركات المعروفة بالتوت العربي والشراك المعروف بالركاكب والشراك المعروف بمقيل المغرو والطلبة المعروفة باللوزة والشراك المعروف بالسهريج والشراك المعروف بالقصعة والأرض التي هي سيدي عبد الهادي كل ذلك تم وقفه على نفسه مدة حياته ومن بعده أولاده ثم على الجامع الأعظم والمدرسة .

12- جميع الأراضي بالمضمد المعروف بالسبابل وجميع ماعطف عليه من الأراضي على الوصف المذكور ، حيث أوقفها على نفسه ثم أبنائه فإذا انقرضوا ترجع إلى لجامع الأعظم .

13- الوطن المعروف بالنقرة حيث أوقفها على ابنه محمد دون البقية ثم على نسله فإذا انقرضوا عن آخرهم يرجع إلى الجامع الأعظم والمدرسة الملاصقة له .

14- حبس جميع القطعة من الأرض المعروفة بسمكين على نفسه مدة حياته ثم على ولده محمد خاصة دون أخواته وورثته فإذا انقرضوا ترجع إلى أخواته وورثتهم فإذا انقرضوا عن آخرهم ترجع إلى الجامع الأعظم والمدرسة الملاصقة له .

15- حبس جميع الدار الجوفية وجميع الجنينة المتطرق إليها وجميع الحوانيت التي خارج الدار وملاصقة لها وجميع الحمامين والممشا والإصطبلاط على ولده محمد وعقبه فإذا انقرضوا رجع ذلك على الجامع الأعظم والمدرسة الملاصقة له .

16- جميع الدار القبلية الباب الشهيرة سالفا بالذمي يوسف أنه حبسها على نفسه مدة حياتها ثم من بعده تكون على ولده وأعقابه فإذا انقرضوا رجع ذلك على أخواته وأعقابهم ، فإذا انقرضوا جميعا رجع كل ذلك إلى الجامع الأعظم والمدرسة الملاصقة له .

17- عقد عدة معاوضات كما أن صالح باي أوقف مجموعة من الأحباس على الضعفاء والفقراء في هذا العقد .

18- عقد إضافي للعقد السابق يبدأ في الصفحة 35 ، ويتمثل في حبس على الزاوية الشرقية التي بها ضريح الشيخ السيد عبد الكريم الفقون ولما ثبت ذلك فسخت المعاوضة المذكورة .

19- جميع الوطن المعروف بشعبة فاضل أحد أوطان بلد العناب الذي يحده قبلة تبادير ، حيث حبس جميع الوطن المذكور على نفسه مدة حياته ثم من بعده يكون حبسا على ولده السيد محمد وعقبه ثم على بناته وأعقابهم فإذا انقرضوا جميعا رجع ذلك إلى الجامع الأعظم والمدرسة الملاصقة له بقسنطينة .

لقد بينت لنا الدكتورة قشي في كتاب سجل صالح باي للأوقاف مجموعة العقود المتبقية والمسجلة بأسماء شخصيات من مدينة قسنطينة الذين حذوا صالح باي في عملية الوقف ، حيث كان صالح القدوة في تأسيس الأوقاف لصالح الجامع والمدرسة وكذا بعض الاستثناءات لمؤسسات أخرى كمؤسسة الحرمين وجامع البطحاء[1].

إذا تحدثنا عن الأوقاف الذرية فلابد من الإشارة إلى أن صالح باي قد غير سياسته المتمثلة في توزيع الأوقاف على كامل أبناءه وبناته ، حيث أنه بدأ ينزع الأوقاف من البنات ثم يتم وقفها على ابنه محمد والسبب غير واضح ولم تتحدث عنه المصادر التاريخية ، ومن وجهة نظري ربما يكون الباي مفضلا لإبنه محمد على بقية أبنائه وربما يكون تأثير والدة محمد على الباي ، وربما لأسباب أخرى نجهلها ، وهذا التفضيل أدى إلى ظهور بعض النزاعات بين صالح باي وأبنائه حول الوقف وابرز هذه النزاعات كان طرفاها صالح باي من جهة وابنته آمنة من جهة أخرى حيث تمثلت هذه القضية في مواجهة الحاكم لإبنته أمام القضاء في مسألة وقف أوقفه لصالحها وأراد التراجع عنه وقد تحدثت قشي عن هذه القضية باسهاب[2].

إن منازعة الحاكم في حقه في إلغاء وقف أوفسخه بعد مدة قد سبق لقضاة المدينة أن أفتوا بعدم جواز التراجع عن الوقف مهما كانت الأسباب وذلك من باب الحرص على الأوقاف كمؤسسة وعلى مصالح الناس المرتبطة بها ، وكان هذا المنطق وارد في مسألة آمنة بنت صالح باي ، وفي هذه الفترة فإن مواقف الباي تفيد بتفضيله لابنه محمد في مجمل عمليات الوقف بعد تاريخ محدد على بقية أولاده وهن البنات ومن سيأتي له من الأولاد ولو من الذكور .

1-ب- أوقاف المدرسة الكتانية :

لم نجد سوى عقد واحد صريح حبسه صالح باي مباشرة على المدرسة الكتانية ويتمثل في القطعة الأرضية التي بنيت عليها المدرسة .

العقد04: حيث يشتمل على القطعة الأرضية التي حبسها صالح باي لبناء المدرسة "..العلو المذكور صار مدرسة للجامع المحبس عليه بناه مدرسة المحبس المذكور ..."

1-ج- أوقاف ضريح سيدي الكتاني :

وفي السياق نفسه نجد أحد الأوقاف حبس على ضريح الشيخ الكتاني وأمر واقفه أن تصرف غلته على الضريح ، وقد جاء على الشكل الآتي :

---

[1] – فاطمة الزهراء قشي ، سجل صالح باي ، ص75-102.

[2] – فاطمة الزهراء قشي ، "قراءة في حياة صالح ، المرجع السابق ، ص67-85.

العقد14 : هذا العقد عبارة عن وقف ممثل في حانوت من طرف السيد صالح باي على ضريح الشيخ سيدي الكتاني حيث يوضع وكيل على الضريح يهتم بفتحه وغلقه وكذا الإهتمام بما يلزمه "...سيدنا صالح بي أيده الله تعلى جميع الحانوت القبلية المفتح الكاينة عند الجامع الأعظم الجامع الذي أحدث بنيانه والقريب جدا من ضريح الشيخ سيدي الكتاني الذي هو تحت الجامع المذكور الاستقرار التام ...أنه حبس الحانوت المذكورة على ضريح سيدي الكتاني المذكورة تصرف غلة الحانوت المذكورة لوكيل الضريح المذكور بعد إصلاح مايحتاح إلى إصلاحه من الحانوت المذكورة على أن الوكيل المذكور يكون متفقدا للضريح المذكور ويكون هو المتولي لغلقه وفتحه والإطلاع على مصالحه..." .

وتعد هذه الالتفاتة نحو ضريح سيدي الكتاني استثناء لأن كل أوقاف صالح باي انحصرت في جامعه ومدرسته .

– لقد تم تصنيف هذه العقود من طرف قشي على النحو التالي :

أما تصنيفها فهي تتوزع كما يلي :

– أوقاف خيرية حبسها صالح باي على المسجد والمدرسة 16 عقدا .

– أوقاف أهلية حبسها صالح باي على نفسه ثم من بعده على ذريته 12 عقدا .

– أوقاف خيرية حبسها بعض أعيان المدينة 04 عقدا .

– أوقاف أهلية لبعض أعيان قسنطينة 12 عقدا .

– معاوضات سبقت التحبيس 04 عقدا .

– مبيعات سبقت التحبيس 02 عقدا .

– عقود خاصة بأوقاف حبسها صالح باي على بنته آمنة ومحاولة التراجع عنها ورأي المحكمة فيها 10 عقدا [1].

تمحورت العقود المتواجدة لدينا حول أملاك الباي وأحباسه وهذا لا ينفي وجود أحباس أخرى يبدوا أنها وجدت هنا لرجوعها في المآل الأخير لصالح "المدرسة والمسجد" ولارتباط أصحابها بالإدارة المركزية للبايلك وقربهم من الباي نفسه. مع هذا اتسم هذا الملف بالتناسق فأعطى الصورة النموذجية للعملية التي تبناها صالح باي فاتخذت طابعا رسميا ، فبأمره تم تسجيل أوقاف المؤسسات الخيرية ورقابة تسييرها ومواردها ورعايتها .

---

[1] – فاطمة الزهراء قشي ، "قراءة في حياة صالح ، المرجع السابق ، ص81.

ترجع مجموعة الأوقاف التي اطلعنا عليها إلى سنة 1187هـ/1773م ، ولكن لم تذكر تفاصيل اقتناء المكان الذي بنيت فوقه المدرسة والجامع . والمعروف أن المدرسة بنت فوق ضريح سيدي الكتاني [1]. غير أن ابن النقاد في مخطوطه حول صالح باي ذكر بعض المعلومات المهمة حيث قال :"...فبنى الشارع بعد أن كان مراحا وأقام به دورا وبنا جامعه المشهور المسمى بسيدي الكتاني ...بنا مدرسته الجذابة وبنى دورا وحوانيت وحبسها على الجامع فأمد بذلك النفع الأخروي لأن ذلك من الأعمال لأن ذلك من الأعمال التي لاتنقطع بالموت"[2].

– انطلق صالح باي في تعمير المنطقة من هذا المجمع الديني الثقافي الذي أصبح مركزا تجاريا نشيطا بفضل تواجد محلات تجارية تصرف غلاتها على المؤسستين.

وهكذا أخذت منشآت صالح باي صورتها ومكانتها في السوق سنة بعد سنة وبالتدريج أصبحت مجموعة كبيرة من المحلات حبسا على الجامع [3].

إن المتتبع أيضا لموضوع أوقاف صالح باي على الجامع الأعظم والمدرسة الملاصقة له يدرك بما لافيه شك أن صالح باي أنشأ مؤسسة بكل المرافق التي تتبعها ، حيث أننا إذا عددنا هذه المنشآت الموقوفة على هذه المؤسسة ندرك أهميتها وعظمتها بالنسبة لصالح باي وسكان المدينة ، حيث أن جزءا معتبرا من النسيج العمراني للمدينة كانت مرافق تابعة لها وكذا مجموعة كبيرة من الأراضي الزراعية خارج أسوار المدينة كانت وقفا على هذه المؤسسة الدينية التعليمية ، كما نصل إلى استنتاج آخر ألا وهو التطور الكبير لمؤسسة الوقف في فترة صالح باي والمجهود المعتبر الذي قام بها لإصلاح والنهوض بهذه المؤسسة ، لأن المساجد والمدارس والزوايا وغيرها من المؤسسات الدينية والثقافية كان المورد المالي الرئيسي لها يتمثل في مؤسسة الوقف أو بعبارة أخرى ريع المنشآت الموقوفة عليها.

---

[1] – أنظر الصفحة رقم 282.

[2] – محمد الطاهر ابن النقاد ، المصدر السابق ، ص ص7-9.

[3] – فاطمة الزهراء قشي ، قسنطينة المدينة والمجتمع ، ص138.

ج-2- أوقاف جامع صالح باي بعنابة :

لقد ذكرت المصادر التاريخية وثيقة واحدة عن أوقاف جامع صالح بعنابة وهي عبارة عن مجموعة من الأراضي الصالحة للزراعة وكذا بعض البساتين التي يعود ريعها لصالح الجامع المذكور بالإضافة إلى دكانين بجوار الجامع .

د – محتوى الأوقاف :

معظم النسخ المتحصل عليها تدور مواضيعها حول أوقاف متمثلة في أراضي ومزارع وحوانيت وبساتين... وهذه الأملاك موقوفة من طرف باي الشرق (صالح باي) أو أحد الأعيان والشخصيات في مدينة قسنطينة [1].

فإذا محصنا هذا الملف وجدنا أن معظم هذه الأوقاف ابتدأت بالتعريف بنوع الوقف والأملاك الموقوفة ثم ذكر الأشخاص الذين يعود لهم الوقف في حالة وفاة الواقف الأصلي ، وإذا توفي جميع الأشخاص المعنيين بالوقف يؤول على ناظر المدرسة والجامع ، بحيث يصلح ما يمكن إصلاحه ويصرف الباقي في مصالح المؤسستين (الجامع والمدرسة)[2].

ويبرز القسم الثاني من الوقف أو الوثيقة أحكام الوقف وشروطه ومن أهمها الألفاظ الدالة على الوقف مثل (سبل وأبد وتصدق ..) ، كما يذكر تاريخ الوقف بالهجري وفي الأخير نجد ختم الواقف وهذا الختم يبرز لنا علامة السلطة أو البايلك في الأوقاف الخاصة بصالح باي ، أما الأوقاف الخاصة بالشخصيات والأعلام فنجد بها ختم الواقف إضافة لختم الباي[3].

ومن كل ما سبق فإن مراجعة هذه العقود تبرز لنا المعاملات في إطارها العام و ترسيم العمليات العمرانية و المشاريع التي نفذها صالح باي، وتظهر بصماتها في مختلف الأحياء ، وهكذا نلاحظ بأن أعماله العمرانية وإن مست جزءا كبيرا من المدنية إلا أنها تمركزت بين سوق الجمعة وسوق العصر والشارع وكانت قليلة في القصبة والطابية وباب الوادي (الخريطة 06) .

وما يدل عليه وضع صالح باي جل أحباسه على المدرسة والجامع الكتاني هو اهتمامه بهذه المؤسسة ، فقد وضعت هذه الأحباس في خدمة المدرسة وتوفير أجر العمال والمدرسين وكذا المنحة التي تقدم للطلبة وأعمال الصيانة بها [4].

---

[1] – عند تفحص دفتر صالح باي سنتتبع جل هذه العمليات خاصة الأوقاف التي حبسها الباي.

- أنظر: دفتر صالح باي للأوقاف ، ص ص286-290.

[2] – دفتر صالح باي للأوقاف ، ص 286-290-290

[3] – دفتر صالح باي للأوقاف ، ص 286-290-290.

[4] – رشيد بورويبة ، قسنطينة ، المرجع السابق ، ص127.

فصالح باي عند تأسيسه للمدرسة الكتانية والجامع أحاطهما بمورد دائم للأموال ، وهذا ما جعلها تستمر بالعطاء وتكوين الطلبة وتخريج أجيال من المثقفين ، وبالرغم من موت مؤسسها فإن هذه الأوقاف بقيت تصرف ريعها على هذه المؤسسة التعليمية.

لقد نظم صالح باي مؤسسة الأوقاف الشيء الذي ساعد جل المؤسسات الثقافية والدينية في الاستمرار والمضي قدما نحو الأمام.

لقد شملت هذه الأوقاف أراضي عديدة لكن مساحاتها غير محددة دور وفنادق بلغ عدد بيوت أحدها 77 بيتا وحوانيت واستبلاط وجنائن ، ورحى وطاحونة وحمام وكتب ... جلها على الجامع والمدرسة ، ولم يكن حظ الحرمين الشريفين إلا قليلا.

هـ- أهمية عقود الأوقاف في فترة صالح باي :

- لقد أشاد كل الدارسين السابقين بأهمية الأوقاف كمصدر للدراسات التاريخية وفي مختلف أوجه الحياة وكانت مادة وموضوعا لبحوث غيرت معرفتنا للمجتمعات .

- إن هذه العقود غنية بالمعلومات التي تفيد من الناحية الاجتماعية والعمرانية للمدينة وكذا استرجاع أعلام الأماكن التي ضاعت أو حرفت أو بدلت عدة مرات ، كما تسمح بدراسة مدى توسع إنجازات صالح باي والأحياء التي تركزت فيها جهوده العمرانية .

- وتسمح هذه الوثائق كذلك بتتبع الاتساع العمراني للمدينة وملاحظة كثافة العمليات في فترة قصيرة من الزمن لا تفوق العشر سنوات ، مما يدل على حركية كبيرة في الاقتصاد والسياسة أو المجتمع لتفاعل هذه الأطراف الثلاثة حول الأوقاف .

- سمحت هذه العقود من الكشف عن جوانب في سياسة صالح باي وشخصيته المتميزة حيث طبع المدينة والبايلك بمشاريعه العمرانية ، ونستشف من خلالها كيف تعامل الحكام مع الحبس كمؤسسة محورية في تلك الفترة .

ومن كل ما سبق فإن أوقاف صالح باي في مدينة قسنطينة عاصمة بايلك الشرق ساهمت بشكل كبير في تطوير هذه المدينة من الناحية العمرانية وكذا من النواحي الاجتماعية والاقتصادية والثقافية كما ترتب عن إقامة هذه المؤسسات واختيار موقعها أن انتقل وسط المدينة ومركزها إلى سوق الجمعة حيث دار الباي الجديدة والجامع الأعظم الذي يصلي به وكذا المدرسة التي بناها بمحاذاة الجامع .

الباب الثاني:

الدراسة الوصفية والمعمارية والتحليلية

الفصل الأول: الدراسة الوصفية

الفصل الثاني: وسائل الدعم والعناصر المعمارية

الفصل الثالث: الدراسة المعمارية التحليلية

الفصل الأول:

الدراسة الوصفية

1- مركب سيدي الكتاني

2- مركب سيدي محمد الغراب

3-مدرسة جامع سيدي لخضر

4- دار بن جلول

5- جامع صالح باي بعنابة

I- مركب سيدي الكتاني :

يعتبر المركب الديني المعروف بسيدي الكتاني من أهم المنشآت الدينية المشيدة من طرف صالح باي ، كما أنها تعتبر من أهم المنشآت المشيدة في الفترة العثمانية والمتبقية إلى اليوم الحاضر في الجزائر عامة وفي قسنطينة بصفة خاصة وهذا المركب الديني يتكون من جامع ومدرسة وضريح ، وهو عبارة عن منشأة واحدة ذات شكل مستطيل تتوسط الجزء الثاني للمدينة العتيقة (قسنطينة) أي أعلاها قريبا من جسر سيدي مسيد المعلق والمؤدي إلى المستشفى الجامعي (ابن باديس) وكذا بمحاذاة السوق الشعبي المسمى بسوق العصر (سوق الجمعة) الذي سمي بعد الاستقلال بساحة بوهالي السعيد ، يحدها من الشمال دار الإمام حاليا ومن الجنوب داره المعروفة بدار بن جلول ويفصلهما شارع ، أما من الشرق فيحدها سوق العصر ومن الغرب فتجاورها أحياء سكنية (الصورة 1-2). شيد هذا المركب الديني على تربة ضريح أحد الأولياء الصالحين المدفونين في هذا المكان والمعروف باسم سيدي الكتاني ومن ثم استمد الجامع والمدرسة هذه التسمية من الضريح ، حيث شيد الجامع والمدرسة في فترة زمنية واحدة وهذا ماتدل عليه طريقة البناء وكذا الزخارف المستعملة.

وفيما يلي وصف دقيق لكل منشأة من هذه المنشآت :

أ- جامع سيدي الكتاني :

1- الموقع :

يقع جامع سيدي الكتاني في وسط الحي الشعبي المعروف بسوق العصر يحده من الشمالي مدرسة سيدي الكتاني ومن الجنوب دار بن جلول ومن الشرق سوق العصر أما من الغرب فتجاوره أحياء سكنية ، وهو جزء من مركب سيدي الكتاني .حيث يقول ابن النقاد في مخطوطه حول الجامع مايلي :" ...فبنى الشارع بعد أن كان مراحا وبنى وأقام به دورا وبنا جامعه المشهور المسمى بسيدي الكتاني بناء عجيبا ...وبه صومعة حسنة.."[1].

2- أصل التسمية :

من المعروف في تلك الفترة أن جل المنشآت المشيدة بجوار ضريح عالم أو ولي صالح فإنها تأخذ نفس التسمية وهو نفس الشيء الذي طبق على هذا الجامع.

3- تاريخ التأسيس :

يرجع تأسيس هذا الجامع إلى سنة 1190هـ/1776م وهذا حسب الكتابة التذكارية المثبتة في أعلى المدخل الرئيسي للجامع بالجهة الجنوبية وقد جاء فيها مايلي :

---

[1] – محمد الطاهر بن أحمد النقاد ، المصدر السابق ، ص07.

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد

مطالع الخير جاءت من أفق شاو السعادة

وأشـــرق الجو منها بمسجد للإفـــــادة

بنـاه باي الزمـــان هو صالح ذو المجـادة

تراه في الخير يسعى ذخرا ليوم الإعـــادة

حباه ربي بيتـــا في جنـــة وزيـــــادة

إن رمت تاريخه قل – سنة 1190- ذا مسجد للعبادة

وقد بدأ في تشييد هذا الجامع قبل سنة 1188هـ/1774م حيث جاء في إحدى الوقفيات أن صالح باي أوقف تسعة حوانيت على الجامع المذكور[1] ، أما تاريخ 1190هـ/1776م هو تاريخ نهاية الأشغال .

4- الوصف العام :

أ- الوصف الخارجي للجامع :

أ-1- الواجهات : لجامع سيدي الكتاني وجهان رئيسيان هما الوجه الجنوبي والوجه الغربي ووجه ثانوي هو الوجه الشمالي :

* **الوجه الشرقي** : يقابل هذا الوجه الساحة التي يوجد بها سوق العصر ، يتقدمها مدخل بارز ذو ثلاثة أوجه مزخرفة فتح في الوجه الأمامي منها باب حديدي حديث ، وهو مخرم يشبه الشباك وضع لحماية الباب الأصلي للجامع الذي يقع خلفه على بعد مسافة تقدر بحوالي 5م وهو من الخشب ، ويتكون من مصراعين طول كل دفة 2.52م وعرضها 85سم وتحتوي كل واحدة على ثلاث لوحات : اللوحة الأولى هي مستطيلة عموديا ، مقاساتها (0.63x1.09م) تحتوي على أربع قوائم درابزين ، اللوحة الثانية مستطيلة أفقيا مقاساتها(30x67سم) تزينها وردة من اثني عشرة تتويجة من الخارج وستة تتويجات من الداخل تتمركز حول دائرة صغيرة . أما اللوحة الثالثة فمربعة الشكل مقاساتها (62x62سم) حدودها مزينة بأخاديد ويوجد مربع صغير في كل زاوية يحتوي كل مربع على زهرة ذات اثنا عشرة تتويجة وبداخلها أربعة تتويجات ، وتندرج تحت كل مربع من المربعات الصغيرة أربعة درجات ، عند إلتقائها تكون مربع متدرج في زواياه الأربعة تتخلله أخاديد على شكل زخرفة ، يتوسط هذا الشكل مربعين متقاطعين يشكلان نجمة ثمانية وفي مركزها زهرة تتكون من ثمانية عشر تتويجة وبداخلها زهرة أخرى من اثنا عشرة تتويجة ثم دائرة هي مركز الوريدات ، وهذه العناصر الزخرفية مكررة في الدفة الثانية للباب .

---

[1] – دفتر صالح باي ، المصدر السابق ، ص73.

وفوق هذا الباب توجد نافذة تشبه المشربيات ، مقاساتها (50x85سم) تتخللها قطع خشبية متقاطعة تكون معينات ويفصل بين كل معين وآخر قطعة صغيرة مربعة ، وتعلو الباب الخارجي السالف الذكر دائرة كبيرة لاتحتوي على أية زخرفة ، كانت بها كتابة تجديد الجامع من طرف "نابليون" ، وإلى الأعلى من هذه الدائرة زين الوجه بقوسين حذوية الشكل الواحد فوق الآخر وفوق القوسين توجد ثلاث دوائر صغيرة ، اثنتين في الجانبين والأخرى في الوسط ، الجانبيتان تحتويان على زخرفة هندسية عبارة عن مربعين متقاطعين ، مشكلا بتقاطعهما نجمة ثمانية الرؤوس وتحيط بها بعض المثلثات ، أما الدائرة الوسطى فهي أصغر من السابقتين ، إذ تحتوي على خطوط منحنية تلتقي في نقطة مركزية واحدة كونت بها زهرة ، وفوق هذه الدوائر نرى طنفا تعلوه نافذتين متجاورتين من الجص مخرمتين (شمسيات) زخرفتا بعناصر هندسية ، تكتنفهما ثلاث أعمدة ذات قواعد مربعة وأبدان أسطوانية تنتهي بتيجان تزينهم أوراق نباتية بسيطة ، بالإضافة إلى أشكال زخرفية حلزونية في جانبي كل تاج تعلو التيجان قوسان نصف دائريان وفوقهما توجد دائرة مضاعفة تحتوي على لوحة خشبية دائرية نقشت فيها نجمة كبيرة ، ينتهي هذا الجزء من الجامع بجهة مثلثة مكللة بزخرفة على شكل غصنين ملتويين شكلت قلب مقلوب تعلوه زهيرة ثلاثية الفصوص.

كما نلاحظ أيضا دعامتين موضوعتين على يمين ويسار الوجه الأمامي على جانب كل دعامة خطوط متموجة حلزونية على شكل زخرفي ، يعلوهما طنفين يرتكزان على حاملات ، وفوق الطنفين قاعدتين مربعتين تحمل زخارف هندسية ونباتية في مجملها عبارة عن مربعين متقاطعين شكلت بها نجمة ثمانية السنان تتوسطها وردة .

أما الوجهين الجانبيين للواجهة البارزة فإنهما متناظرتين من حيث الزخرفة والبناء ، فما نقوله عن الوجه الأيمن ينطبق على الوجه الأيسر وعلى نفس المحور الذي توجد به النوافذ السابقة الذكر توجد نافذة في كل جانب وبنفس المواصفات وأسفل النافذة توجد زخرفة تشبه ورقتين نباتيتين مقابلتين، أسفل منهما توجد ثلاث دوائر حلزونية متناظرة متحدة المركز حيث تشكل العبارة الدينية "ما شاء الله" .

أسفل تلك الكتابة نشاهد زخارف نباتية يفصل بينها وبين الدائرة شريط جصي استعمل كعنصر زخرفي وهو يستمر ليشمل الجهة الجنوبية والغربية للجامع ، تحت هذا الشريط توجد فتحتان صغيرتان من الجص تزينها زخارف نباتية على هيئة معين ، وعلى يمين المدخل ويساره في الجهة الجنوبية للجامع نرى نافذتين من الخشب نصف دائريتين مزينتين بقوسين مركبتين تحتوي زخارف نباتية وهندسية وهي ذات مصراعين صغيرين ، وأعلى النوافذ نجد طنفا يتركز على حاملات تعلوه شرفات مسننة جعلت على إفريز يطوف جدران الجامع من جهاته الثلاثة ، وهي تحيط بسقف بيت الصلاة من الجهة الخارجية وفي كل زاوية قبيبة بصلية مكللة بجامور ينتهي بهلال. وأسفل النوافذ السابقة الذكر شكل زخرفي نباتي عبارة عن غصنين ملتويين متقابلين هو نفسه الذي بالوجه الجانبي للواجهة البارزة تحت "ماشاء الله".

(الصورة 05)

* **الوجه الجنوبي**: قبل أن نبدأ في وصف الجزء الذي يقع في الجهة الغربية للمسجد يمكننا تقسيمه إلى قسمين: قسم توجد فيه النوافذ وتحتها الحوانيت ، وقسم يوجد فيه المدخل الآخر للجامع.

– القسم الأول : هو في نفس محور الشريط الزخرفي الجصي السابق الذكر نجد به خمسة نوافذ من الخشب لها نفس الصفات مع سابقاتها .

وكما سبقت الإشارة إلى الحوانيت التي كانت وقفا على الجامع أيام صالح باي ومازلت كذلك وهي متجاورة ، لها عدة وظائف كبيع المواد الغذائية والسجاد والألبسة ، توجد أسفل نوافذ بيت الصلاة أي في الطابق الأرضي للجامع .

– القسم الثاني (يتوسطه المدخل الرئيسي الثاني) :

المدخل : واجهته من الرخام وعتبته من الحجر الأسود طولها 2.85م وعرض النائمة 64سم والقائمة 19سم ، وفوق هذه العتبة يتربع الباب علوه 2.15م عرضه 2م يحتوي على إطار خشبي سمكه 12سم ، ومصراعين طول كل دفة 2.16م وعرضها 83سم عرض إطار الدفة 19سم وسمكها 5سم ونلاحظ لوحة خشبية مستطيلة على طول دفة الباب وهي ذات أخاديد أسطوانية وفي طرفيها مستطيل صغير تتوسطه زهرة ذات أربعة وريقات وهذه اللوحة تفصل الدفتين .

وتعتوا الباب نافذة على شكل نصف دائرة خشبية مزينة بقوائم الدرابزين تنطلق من نصف قرص مكون من ثلاث حنايا إحداها مزينة بزخرفة على شكل زاوية حادة متساوية الأضلاع ، وقد كان عدد قوائم الدرابزين في الأصل ثمانية أما الآن فهي سبعة ، هذه الحنايا التي تنطلق منها الدرابزين مزخرفة بخطوط منكسرة تشبه رؤوس نجوم .

في كل مصرع أو دفة ثلاث ألوح ، اللوحة العلوية مستطيلة الشكل توجد بها مجموعة من الزخارف هي أربع مربعات في الزاويا تتوسطها دساتير مقببة وهلال في الجزء السفلي من اللوحة ، تتمثل اللوحة الوسطى في لوحة مستطيلة بشكل أفقي مقاسها يزين هذه اللوحة شكلان هندسيان ذوي زوايا مقعرة وتتوسطها زهرة مشكلة من إثنا عشرة تويجة محيطة وستة تويجات مركزية ، أما اللوحة السفلى فهي مربعة الشكل مقاساتها محيطها مزين بأخاديد ، ونلاحظ بكل زاوية مربع صغير يحتوي على زهرة ذات عشرة تويجات بداخلها أربعة تويجات أخرى ، تنطلق من تحت كل مربع من المربعات الصغيرة خطوط منكسرة تشكل عند التقائها مربع مدرج في زواياه الأربع ، تتخلله أخاديد على شكل زخرفة ويتوسط هذا الشكل مربعين متقاطعين يشكلان نجمة ثمانية الرؤوس ، وفي مركز هذه النجمة توجد زهرة تتكون من ستة عشر تتويجة وبداخلها زهرة من إثنا عشرة تتويجة وبعدها زهرة صغيرة أخرى تمثل مركز الوريدات ، وكل هذه العناصر الزخرفية نجدها في المصرع الثاني للباب .

وكل ماقلناه عن الشكل الخارجي للباب ينطبق على شكله الخارجي وبخصوص أقفال الباب فعددها أربعة وكلها حديثة ، ويكتنف الباب عمودان رخاميان ذو قاعدة مربعة ارتفاعها 47سم طول ضلعها 43سم ، وعمود مربع طول ضلعه 40سم وارتفاعه 1.5م وعرضه 40سم ، أما التاج فهو خال من الزخرفة وهو يتبع شكل البدن ، وينطلق من التاج الأول إلى التاج الثاني قوس نصف دائري ذا صنجات أو فقرات تحمل اللون الأبيض والأخضر بالتناوب ويتوسطها القوس شبه منحرف في الهلال ، ويعلو القوس طنف من الرخام يتركز عليه عمودان مركبا البدن جزءهما السفلي مضلع مزين بأخاديد ، أما الجزء العلوي فهو على شكل حلزوني ينتهيان بتيجان مزخرفة بأوراق ثلاثية الفصوص ومزينين بحلزونين في كل تاج ، ويتوسط العمودين لوحة رخامية مربعة الشكل تحيط بها زخارف نباتية هي عبارة عن أغصان ملتوية متقابلة ومتجاورة وتزينها صنوبريات وهذه اللوحة الرخامية مقسمة إلى سبعة أقسام كتبت فيها أبيات شعرية تصف صالح باي وكذا سنة تأسيس المسجد ويعلوها طنف آخر مكلل بعنصرين نباتيين على شكل حرف S متقابلين ينتهيان بزهرة ثلاثية الفصوص . (الصورة 04)

*__الوجه الشمالي__ : وفي هذه الجهة توجد المدرسة الكتانية وهي ملاصقة لها ، وبذلك فهذه الجهة صماء وموصدة بالكامل .

* __الوجه الغربي__ : أما الجهة الغربية فهي تطل على طريق ضيق جدارها مصمت فتح فيه بابان ، أحدهما يؤدي إلى درج يوصل إلى مصلى النساء الذي يقع خلف الرواق بالطابق العلوي والثاني يفتح على الميضأة التي تقع في الطابق السفلي.

أ-2- المئذنة :

تقع بمحاذاة المدرسة في الجهة الشمالية الشرقية ، وهي ذات قاعدة مثمنة الشكل بارزة عن البدن تنتهي بطنف من القرميد الأحمر يليه البدن الأسطواني الشكل والذي يبلغ محيطه 7.47م عند الشرفة ، يعلوه طنف بارز تقوم عليه شرفة دائرية الشكل والتي ترتفع بـ1.63م وعرضها 0.72م معقودة بعقد حدوي متجاوز توج الجزء العلوي من الجوسق بطنف بارز مزخرف ، يليه سقف مخروطي خالي من الزخرفة يعلوه جامور به هلال ونجمة رباعية الأضلاع لقد زين البدن بمساحات معقودة حفرت حفرا غائرا ، كما زين البدن بخمس مزاغل مستطيلة الفتحة من الداخل واسعة تضيق كلما اتجهنا خارجا .

أما من الداخل فيتم الولوج إليها بعد إجتياز رواق صغير يفصلها عن بيت الوضوء عبر فتحة تتمركز بداخلها نواة خشبية أسطوانية الشكل ، يلتف حولها سلم صاعد من 75 درجة خشبية مثلثة الشكل طولها 83سم وعرضها يتراوح بين 43-50سم مع الإشارة إلى أن القاعدة أسطوانية الشكل من الداخل يوجد بالبدن فتحات للإضاءة والتهوية .(الشكل 1-ج-) و (الصورة 25-26)

أ-3- التسقيف:

بخصوص تسقيف الجامع من الخارج فهو تسقيف جملوني ومسطح (مستوي) ، معتمدين في ذلك على مادتي القرميد والملاط ولا ننسى مواد البناء الحديثة وهذا حسب الترميمات التي خضع لها الجامع .

ب- الوصف الداخلي :

ب-1- الطابق الأرضي :

* **الصحن** : يتواجد في الطابق الأرضي شكله مستطيل مقاساته(5.48x5.58م) تتوسطه نافورة وهي مازالت على أصالتها ترتكز على قاعدة من الآجر شكلها ثماني الأضلاع شديدة الارتفاع إذا ماقورنت بقواعد النافورات عموما ، يعلوا هذه القاعدة بدن يضم أشكالا وزخارف متنوعة منها أزهار مفصصة وأوراق معقوفة بارزة وعنصر البيضة واللسان وأشكال هندسية أطرت بها بعض الزخارف وهي منفذة بطريقة الحفر البارز والمائل وما نحت منها بشكل مجسم ، ويعلوه حوض كأسي الشكل مفصص الوسط وتنتهي بتويج يتميز بشدة ارتفاعه أيضا وهو بدوره يتخذ شكل الحوض الصغير (الصورة 06).

ولا ننسى ذكر شجرة البرتقال التي تتواجد قرب النوافذ ، ويحيط بالصحن من الجهات الأربعة أروقة (مجنبات) يحتوي كل رواق على بائكة تتكون من أربع دعامات مربعة الشكل تحمل أربع أقواس مدببة .

ويوجد في الأروقة نوعين من الدعامات على شكل حرف " L "كبيرة وصغيرة ، فالأولى في زوايا الصحن والثانية تتوزع على الأروقة وتبعد كل دعامة عن الأخرى مسافة 1.50م

– الدعامة الكبيرة : على شكل حرف "L" ، القاعدة مربعة الشكل إرتفاعها 46سم وعرضها 44سم وبروزها بانسبة للدعامة 2سم ، أما ارتفاع الدعامة فهو 1.5م وعرضها 40سم والإنزواء 28سم.

– الدعامة الصغيرة : القاعدة مربعة الشكل ارتفاعها 46سم وعرضها 44سم وبروزها بالنسبة للدعامة 2سم ، أما ارتفاع الدعامة قهو 1.5م وعرضها 40سم (أنظر الصورة رقم 06).

* **الأروقة :**

– الرواق الغربي: يفتح فيه الباب الرئيسي الذي سبق ذكره يبلغ طوله 11.56م وعرضه 2م بلاط الرضية حديث ، وفي الجهة الشمالية للرواق الغربي بني جدار صغير من الآجر تعلوه شرفة صغيرة حديدية تحمل دوائر متقاطعة حديدية ، وراء الجدار خزان للمياه وبعض أنابيب الغاز وأسلاك وعداد الكهرباء التي أدخلها عمال الكهرباء والغاز ، مما أخل بالمظهر العام لجدران الجامع .

– الرواق الشمالي: طوله 8.46م وعرضه 2.27م الأرضية مستحدثة أيضا ، يزين جدران الرواق ثلاث عقود صماء نصف دائرية عمقها 17سم وعرضها 1.87م ، والمسافة بين كل عقد وآخر 40سم وتعتبر هذه العقود

كخزانات جدارية توضع فيها رفوف الأحذية ، وفي النهاية الغربية للرواق الشمالي بنيت غرفة شملت الحيز الموجود بين الدعامتين أي 1.5م ، وفي الجهة الشرقية للرواق فتحت باب تؤدي إلى الميضأة الخاصة بالرجال.

– **الرواق الجنوبي** : طوله 12.63م وعرضه 2.57م ، فتح في جدار الرواق ثلاث أبواب ، باب يؤدي إلى قاعة التدريس وسيتم وصفها لاحقا ومدخل معقود يؤدي بدوره إلى رواق يوصل إلى بعض ملحقات الجامع من قاعة التدريس وبيت آخر للإمام وكذا المدخل الرئيسي ، أما الباب الثالث فهو في نهاية الرواق من الجهة الشرقية يؤدي بدوره إلى الميضأة (المخطط 01).

* قاعة التدريس: لها بابان خشبيان الأول فتح في جدار الرواق الشرقي المطل على الصحن ذو مصرعين يتكون من جزئين ، الجزء العلوي عبارة عن نافذة متشابكة وجزئه السفلي يزينه عقد أصم ومفصص ويتكون كل جزء منه في دفة على جانبيه نجمتين ، أما الباب الثاني فتح في الجهة الشرقية للغرفة وهو يطل على الرواق المؤدي إلى المدخل الرئيسي الخارجي وهو الآخر ذو مصراعين زين في كلا من مصراعيه بنفس العناصر الزخرفية من الداخل والخارج وتحتوي كل دفة على لوحتين مستطيلتين :

–اللوحة العلوية : ارتفاعها 66سم وعرضها 47سم تزينها أخاديد تحيط بكل اللوحة ويندرج في كل زاوية مربع تتوسطه وردة بسيطة ويأخذ المربعين المتقاطعين اللذين تتوسطهما وردة متعددة الأوراق مركز اللوحة العلوية .

–اللوحة السفلية :ارتفاعها 1.25م وعرضها 47سم وهي مزينة بقوس أصم دو فضوض على شكل علامة ضم على جانبي منبت القوس توجد وردة بسيطة أما في أعلى القوس يوجد زهرة ذات أربع ورقات ويتوسط اللوحة داخل هذا القوس دبابيس هرمية الرأس موزعة على ثلاث صفوف متوازية أفقيا وفوق الباب نرى لوحة مستطيلة تمتد أفقيا على عرض الباب ارتفاعها 22سم وتعلوها نافذة خشبية طبق فيها أسلوب التجميع عبارة عن خطوط خشبية متقاطعة شكلت بها شبكة من المعينات لتزيين كامل النافذة وارتفاعها 66سم وعرضها 1.25م ، أما الغرفة فهي مستطيلة ومقسمة إلى قسمين :

– **القسم الأول** : طوله 8.94م وعرضه 3.14م ، تحتوي على نافذتين في جدارها الشرقي وهي زجاجية ذات إطار خشبي.

– **القسم الثاني** : ينخفض عن القسم الأول بحوالي 1.38م وهي مدعمة بأربع درجات وهذا القسم مفصول عن القسم السابق بدعامة مربعة عرضها 78سم ارتفاعها 1.5م ، ترتكز على قاعدة مربعة عرضها 1.09م وارتفاعها 38سم تحمل نصفي قوسي كل نصف يلتحم بالحائط المقابل له طول هذا القسم 2.2م عرضه 2.53م وتوجد نافذتان لهما نفس الصفات وفي نفس الجهة وهذا الجزء له باب فتح في الجهة الشرقية منه وقد تم وصفه.

* غرفة آخرى ملحقة بالمسجد : تقع في مدخله في نفس الرواق وهي متناظرة مع باب قاعة التدريس من ناحية موقعه وهذه الغرفة بدورها تنقسم إلى ثلاث أجزاء :

– الجزء الأول: ينقسم إلى قسمين كل قسم يفصل عن الآخر بدعامة مستطيلة يحمل إما قوس أو نصف قوس ، أما القسم الثاني مستطيل الشكل مقاساته 2.4x7م تزينه نوافذ جصية وخزانات جدارية الخزانة الأوى تنتهي بقوس نصف دائري لها أربع رفوف خشبية وتبعد عن الثانية بـ 2.3م ، والخزانة الثانية تنتهي بقوس شبه مسطح ذات رف واحد .

ومن الجهة الجنوبية لهذا القسم نلج إلى قسم غرفة أخرى عن طريق مدخلين كونا بعمود رخامي ذو قاعدتين مربعتين ، ينتهي بتاج مستدير مزين بزخارف نباتية خاصة زهرة اللآله وإكليل من الحزات والأخاديد تحيط به من كل جانب أما من الأعلى فينتهي بوسادة مربعة طول ضلعها 30سم وسمكها 6سم مزين في كل ضلع بهلال ويحمل العمود قوسين نصف دائريين يندمج كل طرف منهما في الحائط ليشكل مدخلان معقودان يؤديان إلى القسم الأخير من هذه الغرفة وهي بسيطة الشكل ومستطيلة مقاساتها (2.7x6.22م). (أنظر المخطط رقم 01).

* **الميضأة** : تقع في الجهة الشرقية من الطابق الأرضي خاصة بالرجال فتح بها بابان خشبيان حديثان ، لها شكل مستطيل غير منتظم(2.48x6.1م) تتخلل جدرانها دعامات ملتحمة بالحائط تحمل قوس نصف دائري يتوسط الميضأة ، كما تحتوي هذه الأخيرة على حوض من الزليج الحديث مدعم بمقعد شغل مسافة 15سم عرضا ، ويكمل شكل الميضأة غير المنتظم قبو طوله 6.85م وعرضه 1.04م أما ارتفاعه 1.83م وهو معقود على الجانبين وهذه الميضأة معدنية لكننا نجهلها مادة صناعتها بسبب تغطيتها بالإسمنت في فترات لاحقة .أما المراحيض والحوض وصهاريج المياه فتقع في نهاية الرواق الشمالي . (المخطط 01).

–الرواق الشرقي : ينفتح في الجدار الشرقي محراب بجانبيه سلمين يؤديان إلى لطابق الأول .

– العنزة (المحراب الصيفي): يقع في الصحن وهو عبارة عن حنية نصف دائرية ، تنتهي بنصف قبيبة هي الأخرى مزينة بأخاديد تتكون عموما من إثنان وعشرين شعاع ، طليت باللون الأصفر الذهبي ، أما التجويف الذي بين الخطوط طلي باللون الأخضر ، وتنطلق هذه الأشعة من نصف قرص مزين بحنيتين مؤثثتين بعناصر نباتية عبارة عن أوراق أزهار ملونة ، يحيط بها شريط نصف دائري تتفرع منه تلك الأخاديد ، ويكسو المحراب مربعات خزفية مقسمة إلى قسمين باللون الأخضر و الأبيض تخلو من الزخارف ، مقاساته (11x11سم) وشغلت مساحة 1.49م في المحراب ، ويحتل المقعد الجزء السفلي للمحراب ، مصنوع من الرخام يرتكز على أربع حاملات تشكل حرف "S" لاتيني والمقعد أخذ شكل حنية ارتفاعه عن الرضية 46سم وعرضه إلى الحنية 36سم أما سمكه 5سم وعمق حنية المحراب 1.24م وعرضها 1.58م ، ويكتنف المحراب دعامتين على الجانبين مربعتي الشكل ذات قاعدة مربعة (الصورة 07).

– الدعامة :ارتفاعها 1.97م وعرضها 40سم وعلى جانبي المحراب نجد سلمين يتكون كل سلم من 10درجات مادة صنعها من الحجر الأسود .

* **السلالم** : – الدرجتين: الدرجة الأولى طولها 1.72م النائمة 34سم القائمة 18سم ، الدرجة الثانية 1.54م النائمة 34سم القائمة 18سم وهكذا بالنسبة لباقي الدرجات ، والجدران المحيطة على الجانبين تكسوها مربعات زخرفية في أسفل الجدار تجد مربعات خزفية أصلية ذات لون أخضر قاتم لامع من الخطاف التونسي ، وهناك نوع آخر تعلوها المربعات الخزفية تحتوي على زخارف نباتية موزعة على أرضية بيضاء وكل عنصر زخرفي في مربع وبالتقاء أربع مربعات تشكل لنا عنصر زخرفي كامل ، مقاساتها 20x20سم ينتهي السلمان إلى رواق ذا أرضية من الرخام والمتعارف عليه أنها أصلية ، طول الرواق 5.70م وعرضها 1.83م ، ثم نجد درج صاعد آخر للطابق الأول يتكون من 9 درجات رخامية مقاساتها النائمة 38سم القائمة 19سم ، وعلى جانبي السلم من الدرجة الأولى توجد نصفي دعامتين طول كل نصف 1.02م وعرضها 38سم ، تعلوها عمامة لها قاعدة مربعة ، ينطلق من الدعامتين درابزين من الحديد وهي حديثة تحتوي على أشكال هندسية عبارة عن دوائر متقاطعة (الصورة 08).وفي نهاية الدرج يوجد :

ب–2– الطابق الأول :

يتكون من عدة أقسام معمارية منها الأروقة ، بيت الصلاة ، مقصورة الإمام والميضأة :

* **الأروقة** : عددها أربعة تدور حول فضاء مربع يطل على الصحن في الطابق الأرضي ، يتكون كل رواق من أربع أعمدة رخامية ثمانية الشكل ، طول كل عمود 1.61م وطول كل ضلع 9سم يرتكز على قاعدتين ، التاج مضلع هو الآخر من الرخام ارتفاعه 19سم أقل ضلع فيه طوله 10سم وأكبر ضلع طوله 13سم ، يتوسط الأربع أضلاع منه التاج هلال يشغل هذا الأخير من التاج مسافة 7سم طولا ، وفوق التاج ينطلق قوس مسطح حديث الصنع ، ويتصل كل عمود وآخر بشرفة صغيرة ارتفاعها 44سم وسمكها 10سم صنعت من الآجر مكسوة بالملاط وهي اليوم مطلية بالدهان البني ، ويبعد كل عمود عن الآخر بمسافة 1.80م ، ويعلو الشرفة نوافذ ذات إطار حديدي يتوسطه زجاج وهي حديثة الصنع(المخطط 01) .

– الرواق الغربي : مقاساته 2.30x10.50م جدرانه تكسوه المربعات الخزفية في الجهة السفلية ، الصف الأول من المربعات ذات لون أخضر قاتم لامع خالية من أي رسوم ، يأتي فوقها صف آخر من المربعات الخزفية ذات لونين أخضر وأبيض وتستمر لتشمل كامل الأروقة . (الصورة 09).

أما أرضية الأروقة فقد تعرضت للتغيير ، فهي مبلطة بالزليج الحالي بعدما كانت من الرخام البيض .

– الرواق الشمالي : مقاساته (2.5x14.5م) فتح في جداره ثلاث نوافذ جصية معقودة بعقد مدبب تحوي على زخارف نباتية وأشكال هندسية عبارة عن مربعات متقاطعة ودوائر ونجوم ، تتربع النافذة على قاعدة من المربعات الزخرفية تحتوي على زخارف نباتية تتمثل في مجموعة من الأزهار البنفسجية والبنية والصفراء مع أوراقها موزعة على أرضية بيضاء وعند التقاء قطعتين تشكل عنصر زخرفي واحد احتوت الألوان التالية : الأصفر – البني – الأزرق الفاتح والقاتم –الأخضر – البنفسجي ، الأرضية بيضاء واستخدمت فيها طريقة الفريسكو (الألوان المائية).

وقد استحدثت في نهاية هذا الجدار من جهته الغربية سلم حديث يتكون من 17درجة ، وهذا السلم يؤدي إلى باب آخر ويعتبر كمدخل للجامع لكنه موصد في أيام الأسبوع عدا يوم الجمعة يفتح للنساء لأداء صلاة الجمعة واستعمل الإسمنت والحديد إضافة إلى الأخشاب .أما نهايته الشرقية فقد فتحت ميضأة حديثة خاصة بالنساء وتتكون من حوض فيه ماء ومقعد لجلوس المتوضئين وكسيا بالزليج الأبيض .

وباب هذا الرواق يتكون من عقد حذوي مفصص عند إغلاق دفتي الباب يصبح أصم يرتكز على عمودين خشبيين ذات أخاديد يلتصق العقد والعمودين الخشبيين في إطار الباب على جانبيه في الأعلى وردتان ذات ثمانية ورقات تتوسطها وردة أخرى من ستة ورقات ، ثم أخرى من أربع ورقات ثم مركز الوردة .

وإطاره شريط نباتي زخرفي من أوراق وأغصان وريدات تتفرع منها أغصان أخرى لتلتحم في وردة صغيرة ذات أربع بتلات لتتفرع منها في الجانب الآخر أوراق أخرى أغصان ملتوية وهكذا لتكون شريط زخرفي بديع يحيط بالباب في كل جوانبه وقد طليت هذه الزخارف البارزة التي نقشت في الباب باللون الأصفر الذهبي الذي أضفى عليه رونقا وجمالا ، واختلفت الوريدات وتنوعت من وردة إلى أخرى ، وفوق هذا الشريط شريط آخر أقل سمكا من الأول مزين بأخاديد وخطوط متموجة متسلسلة تشبه حبل.

أما المصراعين فأثث بأشكال هندسية وأخري نباتية ، الهندسية عبارة عن مربعات ومستطيلات ، المربعات تتوسطها وردة بسيطة الشكل طليت أيضا باللون الذهبي فوق أرضية بنية أما المستطيل فيتوسطه أشكال تشبه المستطيل لكن في أنحاء في الزوايا وقد جاءت هذه المستطيلات متقابلة ومتجاورة يتوسطها المربع السابق الذكر ، وهكذا لتملأ الفراغ الموجود في الباب (الصورة 09).

– مدخل المئذنة : مقاساته(1.69 x 74سم) وعمقه 64سم ، ولها سلم خشبي يدور حول وتر خشبي ينتهي السلم إلى باب آخر في أعلى المئذنة يفضي إلى الشرفة المخرمة ، أما سقفها فهو مخروطي الشكل واستعمل في بنائها الطوب – الآجر – الملاط – الخشب – الجير – الحديد .

– الرواق الشرقي : مقاساته 11.40x2.10م.

يتكون هذا الرواق من أربعة أعمدة رخامية مضلعة على طرفيه الشرقي والغربي ، به سلم يؤدي إلى الطابق السفلي وفي نهايته الجنوبية فتحت غرفة صغيرة تعرف بمقصورة الإمام.

مقصورة الإمام : مستطيلة الشكل (2.82x2.77م) في جدارها الجنوبي فتح باب يؤدي إلى بيت الصلاة وباب في نهاية جدارها الشمالي يوصل إلى غرفة ضيقة وصغيرة ذات شكل غير منتظم ،مقاساتها (2.54x1.14م) وضعت فيها بعض لوازم الجامع والإمام وتقوم على جدار من جدرانها المئذنة وهي السبب في تغير شكلها وسقفها مائل ومنخفض ، يعلو باب هذه الغرفة نافذة حديثة .

المدخل الرئيسي لغرفة الإمام (1.94x1.23م) يتكون الباب من مصراعين إن هذا الباب يشبه تماما الميضأة الخاصة بالنساء السابق الذكر والاختلاف في المستطيلات ذات المعينات التي تتوسطها وردات ذات أربع ورقات ويمتد من هذا الرواق إلى الرواق الشمالي ستار خشبي مستحدث فتح فيه باب خشبي والسبب هو لتخصيص جزء من البناء لصلاة النساء وعزلهن عن الرجال وبهذا فصلت الأروقة عن بعضها .

– الرواق الجنوبي : (14.20x2.5م) فتح في جداره الشمالي الموازي لجدار القبلة خمسة أبواب تؤدي إلى بيت الصلاة لها نفس المقاسات ارتفاعها 2.15م وعرضها 1.64م وعرض كل دفة 71سم ، ويبعد كل باب عن الآخر تارة بـ2.08 وأخرى 3.03م . (الصورة 09).

*** بيت الصلاة :**

بيت الصلاة مستطيل الشكل مقاساتها (15.12x18.60م) ، تتكون من خمس بلاطات عمودية على جدار القبلة أوسعها بلاطة المحراب وتشغل مسافة 3.50م .، تقطعها أربعة أساكيب(المخطط 02).

-1 الأبواب :

الأبواب كلها متشابهة من ناحية الزخرفة من الخارج وهي من الخشب نقشت عليها زخارف تزين وسط الدفتين قدة خشبية على شكل عمود تمتد على طول الدفة ، ذات أخاديد متموجة (يتوسطها) وعلى جانبيها مستطيل تشغله زهرة ثمانية التتويجات ، كل دفة زينة بلوحتين مستطيلتين ، اللوحة العلوية 53x67سم وهي أصغر من السفلى مؤثث بمربعين متقاطعين ثماني الأسنان تتوسطها ثلاث وريدات متحدة المركز ، وفي الزوايا نلاحظ مربعات تندرج فيها زهيرات ذات عشرة تويجات .أما اللوحة الثانية 0.53x1.17م يزينها قوس مفصص بفصوص على شكل علامة ضم ، وتوجد وردتين على جانبي القوس من الأعلى ، وفي كل جانب تجد ثلاث ورود متحدة المركز ، وفي منبت العقد أيضا نجد على جانبيه وردة صغيرة ذات أربع وريقات بداخل القوس تندرج بثلاث صفوف من دساتير صغيرة وأخرى كبيرة بالتناوب على شكل أفقي وعددها أربعة كبيرة وأربعة صغيرة . (الصورة 09) و(الشكل 08)

أما فوق الأبواب الأربعة فيحيط بها من الأعلى شريط من المربعات الخزفية من اللونين الأخضر والأبيض تعلو البواب الأربعة لوحة جصية كتبت على كل لوحة آية قرآنية من سورة النور الآية 36-37 بخط الثلث ، قالى تعالى "في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال (36) رجال لاتلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإيقام الصلاة وإيتاء الزكاة(37) .

تأتي هذه الآيات من اليمين إلى اليسار على الشكل التالي :

الباب الأول : بسم الله الرحمان الرحيم " في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه" .

الباب الثاني : "يسبح له فيها بالغدو والآصال".

الباب الثالث :"رجال لاتلهيهم تجارة ولابيع" .

الباب الرابع :"عن ذكر الله وإقام الصلاة وإتاء الزكاة ".

أما الأبواب من الداخل فيوجد بابان يختلفان عن بقية الأبواب ، والاختلاف يكمن في اللوحة العليا حيث يحيط بإطارها والمربعات التي في الزوايا والمربعين المتقاطعين مسامير صغيرة ، أما اللوحة السفلية فإن القوس وإطار اللوحة والورود أيضا تتوزع فيها مسامير صغيرة ، وصفوف الدساتير فهي ذات نوع آخر عبارة عن دساتير صغيرة مقببة ومفصصة تتناوب مع دساتير أخرى كبيرة مقببة ومفصصة بأخاديد صغيرة (الصورة 15).

– الأعمدة : كل أعمدة بيت الصلاة أخذت شكل واحد ويكمن الاختلاف فقط في الحجم ، وهي تتميز بأبدان ملساء قطرها السفلي أكبر من القطر العلوي والنوع الآخر من الأعمدة خشبية وهي حديثة التركيب .

هناك نوع آخر من الأعمدة أصغر حجما من الأول وهي أربعة أعمدة ميزتها أن جزئها السفلي يظهر مستحدث لوجود جزأين مختلفين في العمود فجزئه السفلي لايشبه العلوي بالإضافة أن التاج لايشبه التيجان الأخرى لأنه لايحمل أوراق الأكنتس وخال من أي زخرفة .

وهذا نموذج لهذا النوع من الأعمدة ارتفاعه 2.35م محيطه من الأسفل 76سم ، محيطه من الأعلى 64سم ، يتربع هذا الأخير على قاعدتين الأولى مربعة والثانية مستديرة .

القاعدة مستديرة تتكون من ثلاث طبقات ، وهناك أعمدة مدمجة مع الجدران وهي موزعة في الجدار الشرقي والغربي أعمدة صغيرة ، هناك نوعين من الأعمدة الرقيقة البدن ، مثل أعمدة المحراب وسوف يتم وصفها في المحراب ، والأعمدة التي تحمل مركز السدة وهي أربعة رخامية ذات قاعدتين مضلعتين.

الأعمدة الخشبية : (السارية) وهي أعمدة خشبية حديثة عددها 18 سارية تحمل السدة ، يبعد صف الأعمدة بـ2.88م ، ونورد نموذجا منها :

العمود الأول : طوله 2.30م وهو مضلع من الأسفل أضلاعه غير متساوية تتراوح مابين (9سم و4سم) ويأخذ شكل التربيع من الأعلى طول ضلعه الواحد 14سم وتزين هذه السواري الخشبية بعض الحزات في أعلى العمود .

القاعدة : يتكون كل عمود خشبي من قاعدتين الأولى رخامية والثانية خشبية ، القاعدة الرخامية لها تضليعات غير متساوية مقساتها بين 12سم / 7سم وسمكها 4سم القاعدة الخشبية تشبه البصلة مضلعة مرتفعة بلغ ارتفاعها 24سم وهذا النوع من السواري لايحمل التيجان الخشبية .

–**التيجان** : هناك خمسة أنواع من التيجان منها الصغيرة الحجم والكبيرة ومنها الرخامية والخشبية .

النوع الأول : وتحمله الأعمدة الكبيرة الحجم وهي رخامية ومستديرة ومفلطحة في جزئها العلوي ، ارتفاعها 18سم ومحيطها من الأسفل 80سم محيطها من الوسط 67سم ومن الأعلى 90سم وتحمل هذه التيجان أربعة أوراق من الأكانتس موزعة على كل محيطه وطليت هذه الأوراق باللون الذهبي وأرضية التاج بيضاء .

النوع الثاني : توجد على أعمدة رخامية جزئها السفلي مستحدث وهي أصغر حجما من الأولى ، وهي على الأرجح مستحدثة لأنها لاتحمل ورقة الأكنتس ، وطليت جوانبها باللون الأصفر الذهبي ومحيطها من الوسط أبيض ولها نفس المقاسات مع الأولى .

النوع الثالث : رخامية هي الأخرى وتختلف عن النوعين السابقين ، وتقع فوق أعمدة السدة الرخامية والصغيرة الحجم

وهي مستديرة من الأسفل تنتهي بشكل مربع من الأعلى ، ارتفاع جزئها المستدير 14سم ويزين هذا الجزء إكليل من الزخارف البيوضية وأنصاف دوائر وبعض الأزهار التي تحيط بالتاج وتعرف بزهرة الورد . وزين هذا الجزء المربع في كل جهاته بهلال . النوع الرابع :وهي خشبية وحديثة ، كل تاج خشبي يرتكز على ساريتين أو عمودين خشبيين وهي مستطيلة الشكل ، وترتكز على هذه التيجان السدة وقد جاءت فوق الصف الأول الموازي للجدار الشمالي لبيت الصلاة أما الصف الثاني فلا يحمل التيجان .

النوع الخامس : تحمله أعمدة المحراب وسوف نتعرض له .

– الأقواس : كل الأقواس الموجودة في بيت الصلاة أقواس نصف دائرية ماعدا أقواس النوافذ فهي مدببة وارتفاع القوس إلى منبته يقدر بـ2.10م وعرضه 3.25م وسمكه 47سم .

– السدة : يعتبر كطابق ثاني وقد شغلت البلاطة الرابعة والخامسة الموازية للجدار الشمالي لبيت الصلاة ، وترتفع عن أرضية بيت الصلاة بـ3.53م طولها 18.48م عرضها 5.82م مصنوعة من الخشب يتوسطها محراب صغير مضلع له خمسة أضلاع كل ضلع طوله 25سم تجويفه 44سم وعرضه 74سم وتطل على بيت الصلاة بواسطة شرفة تمتد على طول السدة ارتفاعها 64سم سمكها 6سم والمحراب بارز عن الشرفة بمقدار أضلاعه ، ويزين الشرفة التي طليت باللون البني قوائم الدرابزين صغيرة وأخرى كبيرة وفي أعلى القوائم نجد زخرفة على شكل قلب مقلوب بالإضافة إلى مشربيات أضيفت كعنصر زخرفي في الشرفات وتتخلل السدة أقواس البلاطات ، وللصعود إلى السدة يوجد سلمين على جانب السدة واحدة في جهتها الغربية والآخر في الجهة الشرقية ويتكون كل سلم من 15درجة ملتوية من الخشب ، توجد ثلاث درجات تختلف عن باقي الدرجات ، الدرجة الواحدة طولها 77سم النائمة 21سم القائمة 20سم الدرجة الثانية ومنها إلى الدرجة الثالثة عشر تضيق من جهة بـ 16سم وتتسع من جهة بـ 30سم وأما القائمة هي 12سم أما الدرجة 15 فهي مستطيلة يندمج الجزء النائم فيها مع أرضية السدة أما القائمة فهي 19سم (الصورة 15) .

وبخصوص الدرابزين المحيط بالسلالم فهي من الحديد وتشبه الرماح جزئها السفلي مزين في وسطه بصنوبريات نحاسية ، وفي الأعلى توجد وريدات صغيرة منغلقة وبعض العناصر النباتية المنقوشة والأرجح أن السلالم قد أضيفت مع السدة في الفترة الاستعمارية ، يزين السدة من الأسفل خاصة مركزها باقة من الزهور التي رسمت في وسطها في غاية الجمال ، الباقة تتكون من جميع أنواع الزهور الحاملة للألوان التاية الحمراء والصفراء والبنفسجية والخضراء والوردية ، من الأزهار زهرة السوس ذات اللون الأبيض مع أوراقها الخضراء وتتمركز هذه الباقة التي رسمت على أرضيت بيضاء بنية وسط دائرة بيضوية الشكل يحيط به مستطيل في زواياه زخرفة نباتية عبارة عن أغصان ملتوية وأوراق بالإضافة إلى أشكال هندسية (معينات) ويتوسط بعض المربعات أزهار مختلفة زينت باللون البرتقالي والأخضر والبني والأصفر وخارج الإطار يوجد شريط يحمل خطوات متموجة طلي باللون الأصفر الذهبي(الصورة 16) .

أما أطراف مركز السدة فقد استخدم فيها الحفر الغائر أين حفرت في جوانبها زخارف نباتية غاية في الروعة عبارة عن أزهار ذات أربع تتويجات تخرج منها أغصان تتفرع منها أوراق لتتصل بدورها بوردة أخرى وهكذا في كل جوانب مركز السدة الأربعة (الصورة 16) . ، وفي زوايا مركز السدة توجد تيجان خشبية زخرفت بنفس الزخارف تتركز على تيجان الأعمدة الرخامية التي سبق ذكرها ، وترتكز السدة بأكملها على أعمدة خشبية عددها ثمانية عشر عمودا ثمانية أعمدة في صف وعشرة في صف آخر (الصورة 15) .

– المحراب : محراب الجامع عبارة عن حنية مضلعة تحتوي على ستة أضلاع طول كل ضلع 49سم ، ويكتنفه أربعة أعمدة رخامية أسطوانية سوداء اللون والتي تتسع في الأسفل وتضيق في الأعلى في كل جانب يوجد عمودين وتتميز بقصر أبدانها ولذلك نجد قواعدها تستند على قاعدة أخرى شديدة الارتفاع(الصورة 10) و (الشكل 02)

– ارتفاع العمود : 1.24م محيطه من الأسفل 46سم ومن الأعلى 40سم يرتكز كل عمود على ثلاثة قواعد من الرخام الأبيض ، القاعدة السفلية الأولى مربعة مرتفعة بـ51سم أصغر ضلع فيها طوله 20سم وأكبر ضلع فيها 28سم ، القاعدة المربعة الثانية طوله ضلعها (20x20سم) سمكها 2سم ، القاعدة المستديرة الثالثة ارتفاعها 8سم محيطها من الأسفل 64سم ومن الوسط 48سم والأعلى 55سم وقطرها 16سم(أنظر الصورة رقم21ج)

– التيجان : ارتفاعها 20سم من الرخام الأبيض مزين قسمها العلوي بحلزونين جانبيين وصف من الزخارف البيضية محاطة بأربع أوراق أكنتس وبإفريز من زهور اللالة ، وقسمه السفلي مؤثث بستة عشر أخدود قائمة وإكليل من الأكنتس مكون من ثماني أوراق ، ويتوسط بعض المربعات أزهار مختلفة زينت باللون البرتقالي والأخضر والبني والأصفر وخارج الإطار يوجد شريط يحمل خطوات متموجة طلي باللون الأصفر الذهبي(أنظر الصورة رقم 23) . وفوق التيجان نرى وسادة أو قرمة التاج مستطيلة الشكل على طول التاجين طولها 56سم عرضها 33سم وسمكها 9سم ، وترتكز عليها قوس نصف دائري ارتفاعها عن الأرض 2.92م العرض 1.55م ، أما الحنية فكما قلنا مضلعة تكسوها مربعات خزفية تشغل مساحة 1.70م ارتفاعا ذات مقاسات (20x20سم) ، تحتوي على زخارف نباتية يكتمل العنصر الزخرفي منها عند التقاء بلاطات خزفية فكل بلاطة تحتوي على عنصر زخرفي معين فهي عبارة عن فسيفساء ، يحتوي مركزها على وردتين لها مركز واحد ذات لونين البني والأصفر ثم وردة أخرى زرقاء فيها نقاط بيضاء ثم يليها اللون الأخضر الذي يحيط بالوردة في كل جانب من الوردة تتشكل سلة زرقاء تحمل مجموعة من الأزهار وأوراقها وبعض الثمار وهي العنصر الرئيسي في المربعات الخزفية وفوق المربعات توجد ستة خراطيش من الرخام مثبتة

في الأضلاع الستة لكوة المحراب تبلغ مقاسات كل خرطوشة 42سم طولا و14سم عرضا ، ونقشت بداخلها كتابة جميلة جدا بخط الثلث القريب من الخط الفارسي[1] بأسلوب الحفر الغائر المملوء بالرصاص المذوب ضمنها النقاش نقط الإعجام وحركات الإعراب وتقع الكتابة في ستة أسطر ممتدة في خراطيش تزين كوة المحراب المضلع وهي تتكون من آيات قرآنية وتحمل اسم عمر بن القاسم الذي كتب هذه الكتابة ، والكتابة بلغ ارتفاع صواعدها الطويلة 6سم والمنخفضة 2سم وعرضها 3ملم ، وهي تتكون من خمسة عناصر البسملة ، التعوذ ، آية قرآنية ، توقيع الصانع ، تاريخ الصنع (الصورة 10)، وفيما يلي نص الكتابة :

الخرطوش الأول :" بسم الله الرحمن الرحيم فاستعذنا "

الخرطوش الثاني :"وأقم الصلاة طرفي النهار "

الخرطوش الثالث :"وزلفا من الليل إن الحسنات "

الخرطوش الرابع :"يذهبن السيئات ذلك ذكرى"

الخرطوش الخامس: "للذاكرين واصبر فإن"

الخرطوش السادس : "الله لا يضيع أجر المحسنين" عمر بن القاسم في سنة 1202هـ.

كل قسم موضوع في إطار محاط بأوراق الأكنتس مبسوطة أو مثبتة وفوق الكتابة يوجد شريط يتكون في مجمله من زخارف هندسية ونباتية نقشت بالحفر الغائر داخل مربعات ومستطيلات ، المربعات من اليمين إلى اليسار في كل مربع دائرة المربع الأول يتكون من زهرة ذات ثمانية معينات أما المربع الثاني فهي عبارة عن وردة تشبه المروحة.

أما المربع الثالث فهو يحتوي على نجمة خماسية الأضلاع تتوسطها دائرة لتحيط بها أخرى ، ثم المربع الذي يليه نجمة تتشكل من سبعة معينات وهي الأخرى تحيط بها دائرة ثم المربع الخامس يتكون من وردة ثمانية الورقات ثم نعرج إلى المربع السادس وهو بدوره يحمل مربع فيه مروحة وبعدها يليها مستطيل تتربع فيه ثلاث وردات متحدة المركز ، الأولى تتكون من ستة عشر تويجة الثانية نفس عدد الأولى ، والصغرى ثمانية تويجات لتنتهي بدائرة صغيرة ، توضع الوردة على أرضية ذات شبكات على شكل معين ثم مربع فيه نجمة خماسية يتوسطها هلال ويحيط بالنجمة دائرة ، وهذا المستطيل يعتبر كمركز تناظر لهذا الشريط .

---

[1] – عبد الحق معزوز ولخضر درياس ، جامع الكتابات الأثرية العربية بالجزائر ، الجزء الأول : كتابات الشرق الجزائري ، منشورات المتحف الوطني للآثار القديمة مطبعة سومر ، بئر خادم ، الجزائر ، 2000 ، ص182.

ويعلو الشريط خطوط متقاطعة شكلت عناصر هندسية عبارة عن مثلثات متقابلة ومتجاورة ومعينات ، بالإضافة إلى أشكال أخرى تحتوي على أزهار مختلفة الأشكال طليت بألوان مختلفة كالأصفر الذهبي والرمادي الفضي ، والوردي والأخضر الذهبي مع أوراق وبعض الفروع والأغصان الملتوية ، بالإضافة إلى عنصر زخرفي آخر شبيه بنعال الفرس موزعة في كل نصف قبة ، بالإضافة إلى بعض المثلثات الصغيرة والمعينات وبعض التشبيكات لأوراق الأزهار كلها طبقت بأسلوب الحفر الغائر وتعلو نصف القبيبة ثلاث أشرطة تكمل نصف القبة مقسم إلى ثلاث أقسام ، القسمين المتقابلين متناظرين بالنسبة إلى القسم الأوسط ، فالقسم الأول تتقدمه وردة ذات ثمانية معينات في آخر القسم وردة ذات ثماني تويجات تتوسطها ، أشكاله هندسية ونباتية مكونة من أشكال على هيئة نعال الفرس وتشبيكات من خطوط ومعينات وأوراق لأزهار.

وتستمر تلك الأشكال في القسم الثاني الذي يتوسطه وردة أخرى ، أما الشريط الثاني عبارة عن تشبيكات من معينات ونعال الفرس ووردة ذات ثماني فصوص أما الشريط الثاني عبارة عن مربعات تتوسطها دوائر في كل دائرة تتشكل وردة مختلفة ونجمة خماسية الأسنان يتوسطها شكل يشبه علامة الضرب (X) تتوزع علي أرضية من تشبيكات.

ويحيط بقوس المحراب من الخارج حنيتين مستديرتين الحنية الأولى مزينة بفقرات أوصنجات بارزة علي شكل شبه منحرف فوق معينات وهيمن ثلاث عشرة فقرة مؤثثة بزخرفة هندسية ، وفي الحنية الثانية تندرج قوس منحنية الشكل والزاويتان مزينتان بدوائر متحدة المركز مشبكة بزهيرة ذات تسعة فصوص مخرمة وعلى يمين ويسار الحنية نجد شريط مستطيل تزينه شبكات منحنية ودوائر مشبكة محاطة بإفريز من المعينات من جهاتها الأربع تتوضع فوقها نصف دائرة قسمها السفلي مؤثث ببائكة صغيرة تتكون من سبعة أعمدة صغيرة تحمل بدورها أقواس نصف دائرية ، وداخل الأقواس عناصر مختلفة أو موضوعة على أرضية مكونة من ورود رباعية الأسنان وشبكة من المربعات موضوعة على زاوية من زواياها ، تتمركز فيها زهرة سباعية الفروع تحيط بها دائرة ، يحتوي القسم العلوي لنصف الدائرة ثلاثة ألواح ، اللوحة الوسطى تزينها خطوط متقاطعة تشبه الشبكة ، واللوحة الجانبية اليمني تزينها أنصاف الدوائر متحدة المركز واللوحة الجانبية اليسرى تزينها وردة رباعية الفروع (الصورة 10).(والشكل 02) .

– المنبر : يبعد المنبر عن المحراب مسافة 1.85م وهو من الرخام جلبه صالح باي من مدينة ليفورن بإيطاليا كما قام بجلب معظم المواد البنائية النفيسة (الشكل 04).

وهو يحتوي على جميع أنواع الرخام التي استعملت لإغناء زخرفته وبني المنبر بعد 14سنة من بناء الجامع كما هو مذكور في كتابة تسجيلية نقشت أعلى مدخل المنبر بخط جميل شبيه بكتابة المحراب وقد كتبت بخط الثلث المنفذ بأسلوب الحفر البارز وجاءت في سطرين ونظمت على شكل أبيات شعرية ممتدة بداخل أربعة خراطيش متساوية المقاسات وخالية من نقط الإعجام بلغ ارتفاع صواعدها العليا 6سم والمنخفضة 2سم وعرضها بلغ 4ملم : والكتابة هي :

1- لاإلـه إلا الله محمد رسول الله.

2- بني منبرا بالعز والنصر صالح له سبيل الخيرات تاريخه رشد.

وتحمل الكتابة تاريخ صنع المنبر الذي كان في سنة 1204هـ/1789م

تحمل الكتابة اسم صالح باي وسنة بناء المنبر ، والشريط الكتابي في حشوة رخامية مستطيلة من بيتين ، الحروف فيه باللون الأصفر الذهبي علي أرضية زرقاء ويعتبر المنبر غاية في الجمال والرقة والفخامة وعقد بابه حذوي شبيه بمنبر الجامع الجديد بالجزائر (الصورة 12).

حلي ركناه بمروحة علي شكل بيضي مفتوح ويحتضن العقد من ركنيه إطار ضيق ترصعه على الجانبين مزهرية تنطلق منها لفيفة من المراوح النخيلية باللون الأبيض على أرضية حمراء وتنتهي الوجهة على هيئة عقد مدبب تتوسطها دائرة باللون الأزرق على جانبيه من القاعدة إلى منبت العقد بأوراق أكنتس كبيرة مركبة عموديا ، وأن وجهي المنبر الجانبيين علي شكل خماسي الأضلاع وزخرفة بعناصر مختلفة تتمثل في قوائم درابزين وأوراق أكانتس والسيقان والأغصان واللفائف تمتد على طول الحاجزين وتكون قاعدة من بائكة معقودة بعقود حذوية صغيرة داخل مستطيلات تتناوب مع لفائف من المراوح وفوق المستطيلات يوجد مثلث قائم الزاوية مزين بورقة الأكنتس كبيرة الحجم داخل إطارات مستطيلة ولونت بالأبيض والبني(الصورة 14) .

لقد فتح باب صغير معقود بعقد حذوي متجاور تحيط به لفائف نباتية وتعلوه حشوتين مستطيلتين مزينتين بهلال محاط بإطار من اللفائف بأسلوب الباروك ، وللصعود إلي جلسة الخطيب نصعد تسع درجات طول كل واحدة 65سم النائمة 30سم والقائمة 16سم ، والقائمة منها مزينة بالرخام الأبيض يتوسطه الرخام الأسود جاء في المستطيل ، وهي موزعة على كامل الدرجات يوصلنا سلم إلى جلسة الخطيب ، وتتكون من هيكل رخامي الشكل تزينه أغصان ولفائف ملتوية قاعدته ثمانية الزوايا تقوم عليها كتلة مستديرة مسلوبة تنتهي بهلال ، يرتكز الهيكل الهرمي على قاعدة مربعة تشبه ظلة وهي أيضا من الرخام ، تزينها وردة كبيرة بداخلها ، وعلى حوافها بعض الخطوط المتموجة ونصف دائرية تعتمد على أربعة مبرومة على شكل حلزوني تحمل اللونين الأبيض والبني بالتناوب وفي أعلاه على جانبيها حلزونين بارزين كالتاج .

– النوافذ : يتكون بيت الصلاة من تسعة نوافذ ، أربعة منها موزعة في الجدار الجوبي وخمسة في الجدار الغربي ، ونوافذ الجدار الجنوبي تختلف قليلا عن الجدار الآخر .

النوافذ معقودة بعقد مدبب يبلغ ارتفاعه 2.25م، عرضها 1.05م وترتفع النافذة عن أرضية بيت الصلاة ب93سم وهي تتكون من ثلاث أجزاء الجزء العلوي منها على شكل قوس عبارة عن مشربيات يتخللها الزجاج تحتوي علي زخارف هندسية وتمثل أشكال نجمية وتحمل الألوان الحالية الأحمر البرتقالي والأبيض الشفاف والأخضر ، أما الجزاء الأوسط فهوة عبارة عن إطار خشبي يتخلله نوع من البلاستك الحالي لونه أصفر ، أما الجزاء السفلي فيمثل نافذة ذات مصراعين وقد تعرضت للتغيير ، وهذا مالاحظناه من اللمسات الحديثة فيها كالعجين الذي يثبت الزجاج في النافذة والزرة الحديثة ، والنافذة عبارة عن إطار خشبي مجزأ إلى مربعات ومستطيلات يتخللها الزجاج الشفاف على جانب أحد الدفتين يوجد عنصر زخرفي وجد في الباب من قبل عبارة عن لوحة مستطيلة من الخشب على طول الدفة عرضها 5سم تحتوي علي خطوط متوجة نجد فيها مستطيلات صغيرة في الأعلى والوسط تزينه وردة بسيطة ومقاسات كل دفة ارتفاعها 86سم وعرضها 50سم وسمكها 3سم وعمقها في الجدار يقدر ب33سم ، وترتكز كل نافذة علي قاعدة رخامية من الرخام الأسود ، وتبتعد كل نافذة عن الأخرى ب2.65م أما نوافذ الجدار الغربي فتحمل نفس مقاسات النوافذ ، والاختلاف هو أن النافذة قسمت إلى قسمين ، الجزء العلوي كما النافذة الأولى ، والجزء السفلي عبارة عن دفة تكون ثلاثة صفوف من الأطر الخشبية التي يتخللها الزجاج موزعة في تسع مربعات في كل إطار ويبلغ ارتفاع كل دفة 1.34م وعرضها 50سم وباقي العناصر تم ذكرها سابقا (الصورة 18).

– الجدران : يكسو الجزء السفلي من جدار بيت الصلاة مربعات خزفية متنوعة في الألوان والأشكال والأحجام وتشغل مساحة 2.11م ارتفاعا يوجد ثلاث أنواع من المربعات ، النوع الأول ذات مقاسات (11x11سم) ، تحمل لونين الأبيض والأخضر والثانية ذات مقاسات (23x23سم) وتحمل اللون الأخضر القاتم وقد تم ذكرهما ، أما النوع الآخر فهو يتوسط المربعات الخزفية بمسافة 1.61م تمثل زخارف نباتية وأخرى هندسية تحمل ألوان متعددة تتراوح بين الأزرق والأخضر والبني وهي تمثل فسيفساء عند التقاء أربعة مربعات تشكل عنصرا واحدا ، فهي مزينة بعنصر بصلي الشكل ينطلق منه أغصان ينتهيان بزهرة سداسية الفصوص، وفوق المربعات الخزفية يوجد إفريز من الجص عرضه 23سم وطوله يمتد علي طول الجدران الأربعة لبيت الصلاة وقد طليت حوافه أو جوانبه من الأسفل إلى الأعلى باللون الذهبي ، أما وسطه فقد نفذت فيه أشكال هندسية عن طريق الرسم عبارة عن دوائر بيضاوية الشكل ملونة بالبني فوق أرضية بيضاء وقد كانت عبارة عن كتابة تمثل أبيات من البردة أما الآن فلا توجد.(الصورة 18)

– الأرضية : أرضية بيت الصلاة مستحدثة فهي مبلطة بالتبليط الحالي (القاشاني) .

– التسقيف : سقف بيت الصلاة بنوعين ، التسقيف بالقباب والتسقيف بشكل مسطح :

أ– القباب : شغل البلاطات الثلاثة الأولى للأسكوب العمودي على جدار المحراب تحمل قاعدة كل قبة التي تعلو المحراب تنطلق من القاعدة الرابعة إلى القاعدة الثانية بواسطة أقواس صغيرة مدببة تنطلق من وردة مروحية تحيط بها دائرة تنطلق من أخاديد باللون الأخضر الذهبي وتندرج هذه الصفة في شريط لوحة مستطيلة مزينة بزخارف وأشكال هندسية نفذت على الجص ، وبين العقود نجد ألواحا مستطيلة مرتبطة بعناصر مستطيلة ويحيط بها شريط من المعينات يقسمها إلى قسمين تحتوي اللوحة اليسرى على نوعان من الزخرفة موضوعان جنبا إلى جنب وهي تمثل دوائر وأنصاف مشبكة أما اللوحة اليمنى تشغلها دوائر مشبكة ومعينات نفذت هذه الزخارف على الجص بأسلوب الحفر الغائر تارة والبارز تارة أخرى ويعلوها إفريز .

المربعات الخزفية التي تحيط برقبة القبة تحمل أشكال هندسية معينة وزخارف نباتية عبارة عن ورود وأوراق أغصان وهي تحمل اللون الأخضر والأصفر والأحمر والأزرق تنطبق فوق أرضية بيضاء ، وفوق الشريط نجد القبة مقسمة إلى ثمانية أقسام زخرفية تتبع تضليعها ، وأكثر العناصر التي نجدها الصنوبريات والدوائر ذات أقطار مختلفة متقاطعة تشكل أنصاف دوائر وأشكال تمثل أيدي وزهور مستديرة ذات اثنتي عشر أو ستة عشر تتويجة وهي أيضا طبقت على الجص بنفس الأسلوب .

القبة الوسطى : فهي تشبه نوعا ما القبة الأولى والاختلاف موجود في صدفات القبة تنطلق أخاديدها من وردة تمثل أربعة معينات متقابلة تتوسط دائرة وتقع هذه الحنيات في شريط زخرفي يتكون من أشكال هندسية وورود رباعية الفروع وشبكة من المعينات متنوعة ومتداخلة يعلوها إفريز من البلاطات الخزفية الموجودة في جدران المحراب وفوق المربعات تقسم بدورها القبة إلى ثمانية أقسام بواسطة أنصاف دوائر تمتد فيها تخريمات زخرفية ويفصل كل نصف دائرة عن الأخرى أشكال مختلفة تنتهي بثلاث أنصاف دوائر وخمسة موضوعة في طرف الأصابع تنتهي في بعض الصنوبريات بدائرة صغيرة تندرج في ورقة مزدوجة الفصوص والجهة الأخرى من القبة نجد الأيدي تتناوب مع الصنوبريات .

أما القبة الثالثة : فهي الأخرى لاتختلف كثيرا عن الوسطى في العقود الصدفية تتفرع أخاديدها من دائرة تتوسطها نجمة ثمانية الأسنان وبداخل النجمة حرف لاتيني (X) وهي أيضا تتربع داخل شريط من المعينات وأنصاف الدوائر شطرنجية الترتيب ودوائرها متقاطعة ومشبكة والشريط الذي يعلوها من المربعات الخزفية مطابقة للمربعات الخزفية في القبة الوسطى وأعلاها نجد أشكال أيادي تتكون من ثلاثة أصابع تحمل دائرة صغيرة تتوزع على ألواح مستطيلة وأوراق بصلية الشكل ، وتنطلق من وسط كل قبة سلسلة حديدية طويلة تحمل الثريات التي تنير القباب وبيت الصلاة .

(الصورة 22) .

ب- التسقيف المسطح (المستوي) : فالسقوف تقع على يمين ويسار القباب ، فهي مستطيلة الشكل ويساوي عرضها ضلع قاعدة القبة كما يساوي نصف طول السقف .

البلاطة الأولى الموازية مباشرة لجدار القبلة مزينة بمعينات تتوزع في كل السقف تتوسطها وردتين متحدة المركز ، بالإضافة إلى شكل بيضوي يحمل زخارف نباتية عبارة عن أزهار متداخلة مع تفريعاتها وأغصانها وهي متشابهة ، أما البلاطة الثانية التي تلي الأولى فهي تحوي على نجمة سداسية الأسنان تتوسطها وردة وأجزائها الست تحتوي على زخارف نباتية متشابكة طليت باللون البني بالإضافة إلى المعينات التي تتوسطها وريدات .

أما البلاطة الثالثة فهي تحتوي على نفس المعينات بالإضافة إلى نجمة ثمانية الأسنان لها نفس الصفات مع النجمة السداسية ، والبلاطة الرابعة فهي تحتوي على النجمة السداسية طليت باللونين البني والأصفر وقد كانت تعلق فيها الثريات للإنارة والآن غير موجودة (الصورة 17) .

5 – أهم التجديدات :

إن المتمعن في الجامع من الخارج يلاحظ مدى التغيير الكبير الذي مست هذه المؤسسة الدينية خاصة ما تعلق بالواجهتين الخارجيتين الشرقية والجنوبية اللتين جددتا بالكامل ، فقد عرف الجامع تغييرات كبيرة مست أجزاء مختلفة منه ولكنها لم تمس الجوهر التخطيطي له ، وقد كانت أولى هذه التغييرات على يد نابليون الثالث سنة 1861م حين زار مدينة قسنطينة وقد مست تلك التغييرات الواجهة الخارجية لجدار القبلة [1]. كما ذكر مارسي أن هذا الجامع تعرض إلى تغييرات كبيرة من طرف الفرنسيين لكنه لم يذكر نوع هذه التغيرات [2].

أما داخل الجامع فقد جددت الملاحق المتواجدة أسفل بيت الصلاة والميضأة التي تقع في الطابق العلوي والباب الموجود في الركن الغربي الجنوبي والخاص بدخول النساء والسقف الذي يعلو الصحن وكذا السلم الصاعد إلى السدة في بيت الصلاة وكذا البلاطات الخزفية في السلم الصاعد إلى الطابق العلوي .

---

[1] – محمد المهدي شعيب ، المرجع السابق ، ص240.

[2]- Mericier(E.) ,Histoire de Constantine, édition braham , Constantine , 1903, P439.

ب- مدرسة سيدي الكتاني :

1- الموقع :

تقع مدرسة سيدي الكتاني في الجزء الثاني للمدينة العتيقة (قسنطينة) أي أعلاها قريبا من جسر سيدي مسيد المعلق والمؤدي إلى المستشفى الجامعي (ابن باديس) وكذا بمحاذاة السوق الشعبي المسمى بسوق العصر الذي سمي بعد الاستقلال بساحة بوهالي السعيد ، يحدها من الشمال دار الإمام حاليا ومن الجنوب جامع سيدي الكتاني وبهذا فهي جزء من مركب سيدي الكتاني (الصورة 01-02).

2- أصل التسمية :

واشتهرت منذ تأسيسها باسم المدرسة الكتانية نسبة إلى ولي صالح اسمه الكتاني دفن بتلك البقعة من أهل القرن 12هـ/18م ، وذلك لما جرت عليه العادة في ذلك الوقت على تسميت المساجد والمدارس والزوايا ، حيث تحمل أسماء رجال اشتهروا بالعلم تبركا ورغبة في الإقتداء بهم مثل مدرسة سيدي لخضر ومدرسة عمر الوزان ومداس أخرى [1]. وكانت المدرسة تلقن الطلبة التعليم في مختلف الفنون والعلوم (الفقه – الحساب – النحو والفلك..)[2].

3- تاريخ التأسيس :

أسس صالح باي مدرسة سيدي الكتاني سنة (1189هـ /1775م) بالجانب الشرقي من الجامع المعروف بسيدي الكتاني [3]. غير أن المخطوط الذي بحوزتنا لصاحبه ابن النقاد يشير إلى أن تاريخ تأسيس المدرسة يرجع إلى سنة واحد وتسعين حيث يقول :"...وفي عام واحد وتسعين بنا مدرسته الجذابة مشتملة على بيوت صلاة ومايضة وجعل فيها أربعا وعشرين طالبا يقرؤون القرآن صباحا ومساء يختمون القرآن مرتين في الشهر ويقرؤون دلايات الخير كا يوم خميس وجمعة يختمونه صباحا ومساءا ..." [4].

لقد لعبت هذه المدرسة منذ تأسيسها دورا كبيرا في تثقيف العامة وتكوين جيل جديد من المثقفين القادرين على إدارة الشؤون الداخلية للبايلك ، وقد عمد صالح باي بهذه المدرسة لمحاربة الزوايا والتصوف والطرقية بطريقة غير مباشرة . لقد بقيت محافظة على دورها حتى بعد الدخول الفرنسي للجزائر حيث ضمت هذه المدرسة إلى أملاك الدولة بعد الاحتلال الفرنسي لقسنطينة صباح يوم الأربعاء(14-7-1253هـ/13-10-1837م) بدعوى أنها من أملاك الباي الخاصة غير داخلة في الوقف العام في المسجد وتوقف بها كل نشاط تعليمي وثقافي[5].

(1) – محمد المهدي شعيب ، المرجع السابق ، ص385.

(2) – رشيد بورويبة ، المرجع السابق ، ص126.

(3) – أمقران السحنوني ، المعهد الكتاني بقسنطينة قرنان في خدمة الثقافة العربية الإسلامية (1787-1987م) ، عن "مجلة التراث" ، تصدرها جمعية التاريخ شركة الشهاب ، باتنة ، الجزائر ، 1989، ص128.

(4) – محمد الطاهر ابن النقاد ، المصدر السابق ، ص7-8.

(5) – أمقران السحنوني ، المعهد الكتاني بقسنطينة ، عن "مجلة التراث"، ص129.

وبمناسبة الذكرى الواحدة والستون للثورة الفرنسية في 14جويلية 1850 فتحت الإدارة الاستعمارية ستة مدارس أطلق عليها (المدارس الفرنسية العربية) في مدن: الجزائر- وهران- عنابة- البليدة- مستغانم- قسنطينة أين يكون فيها التعليم مزدوج[1].

وبموجبه أعيد فتح المدرسة الكتانية في 30سبتمبر 1267هـ/1850م ، بجعلها مقرا للمدرسة العربية الفرنسية وذلك بهدف تخريج موظفين عرب في مختلف المجالات (القضاء -الإفتاء - الترجمة) [2]، كما وضعت نظاما خاصا بالمدرسة وهو نظام إداري سلمي مالي وصحي وتم توظيف المدرسين الفرنسيين في هذه المدرسة إلي جانب المدرسين الجزائريين أمثال محمد الشاذلي *1.

إن هذه السياسة التعليمية الفرنسية قد أدت إلى ظهور طبقة منغلقة على نفسها تجاه المجتمع الجزائري متنكرة لوطنها وتاريخها وقوميتها ، ومتفتحة على الثقافة والحضارة الأوروبية.

ورغم ذلك حصلت نتيجة عكسية خلال إنشاء هذه المدارس العربية الفرنسية ، حيث كان الكثير من طلابها دعاة للإصلاح ، كما التحق العديد منهم في صفوف جبهة التحرير الوطني بعد اندلا ع الثورة التحريرية الكبرى .

وقد تحولت المدرسة الكتانية خلال الحرب العالمية الثانية إلى مقر للاتصالات ، لتصبح تابعة لجمعية العلماء المسلمين سنة 1947م .(الصورة 01)

وبعد الاستقلال عادت إلى وظيفتها الأولى وهي التعليم ، لتتدحرج في السقوط فأصبحت مقرا للنظافة تابع للمجلس الشعبي البلدي ، ثم مركز عبور يأوي 19عائلة ، وفي المدة الأخيرة تكفلت السلطات بترميمها وأعادت بعثها من جديد [3].

4- نظام سير المدرسة :

عمل صالح باي على تحسين المستوى الثقافي للعامة فأنشأ عدة مدارس ، حيث كانت مدرسة سيدي الكتاني تحوي عدة أساتذة يعينهم الباي بنفسه ، ويتم الدفع لهم من ميزانية المساجد يدرسون مختلف العلوم (النحو – الفقه – تفسير القرآن – التوحيد – علم الحديث و الحساب) [4].

---

[1] – خمري الجمعي ، حركة الشبان الجزائريين 1900-1930م ، مذكرة لنيل الماجستير في التاريخ المعاصر ، إشراف حماد حسين ، معهد العلوم الإنسانية والاجتماعية ، قسنطينة ، 1994، ص45.

[2] – أمقران السحنوني ، المرجع السابق ، ص139.

*1 الشيخ محمد الشادلي بن عيسى البوزيدي : هو أول مدير للمدرسة الكتانية بعد إعادة فتحها سنة 1850م حيث لعب فيها دورا كبيرا كمدرس ومدير ، توفي سنة 1877.

-انظر: محمد المهدي شعيب ، المرجع السابق ، ص ص293-299.

[3]- للمزيد من العلومات حول الوظائف شغلتها المدرسة أنظر : نفس المصدر ، ص386.

[4] – تقرير الوكالة الوطنية للآثار وحماية المعالم التاريخية ، الدائرة الأثرية لولاية قسنطينة – ميلة- جيجل رقم 280، قسنطينة 1999 ، ص3.

وقد استحدث صالح باي نظاما دقيقا يسمح لهذه المدارس بتأدية دورها ، وقد تقيد به الطلبة والمدرسون وذلك في شوال (1194هـ - 1780م) ، بلغ عدد الطلبة الداخليين ثمانية ، خصصت لكل طالبين حجرة واحدة كما كان لها وكيل مكلف بالميزانية بأجرة تقدر بثمانية ريالات ، وحارس للمدرسة الذي يقوم بكنس الفناء وإنارة قاعة الصلاة وأجرته سبعة ريالات ، أما المدرسون والمشايخ الذين يتولون التدريس بالمدرسة فأجرتهم مائة ريالا وكان أجرهم سنويا كما يأخذ الزيت من المدرسة ، بينما يدفع لكل طالب مبلغ قدره تسعة ريالات كل ستة أشهر كما يأخذ الزيت من المدرسة من أجل الإنارة [1].

كان الطلبة يستكملون التعليم بدراسة علم الحساب وقراءة المؤلفات الطبية مثل مؤلف ابن سينا ، وكان برنامج التعليم مسطرا ، فعلى المدرسين إلقاء ثلاثة دروس في اليوم :

-الدرس الأول : يبدأ عند مطلع الشمس ويدوم إلى الساعة الحادية عشرة.

-الدرس الثاني : يبدأ من منتصف النهار حتى وقت العصر.

-الدرس الثالث : يبدأ من العصر إلى غروب الشمس [2] .

وكان على التلاميذ قراءة أربعة أحزاب كل يوم : اثنان عند صلاة الصبح ، واثنان بعد صلاة العصر يختمونها بصلاة لله يدعون فيها لمؤسس المدرسة .

في شوال (1194هـ/1780م) ، أصدر صالح باي قانونا خاصا بالمدارس ومما جاء فيه أن الأستاذ يعين مباشرة من طرف الباي صالح نظرا لتقديره للعلم والمعرفة.

ومن أبرز القوانين التي أصدرها الباي في مجال التعليم وذلك بمساعدة أكبر علماء ذلك الوقت كالشيخ عبد القادر الراشدي مفتي الحنفية ، وشعبان جلول قاضي الحنفية ، والعباسي قاضي المالكية ، الذين وحدوا معارفهم لتزويد الناس بالفتاوى . وهذه القوانين تتمثل في [3] :

- لايمكن لأي طالب أن ينام خارج المدرسة دون عذر أو سبب مقنع يستلزم ذلك ، أو زيارة أهله وتكون العطل الممنوحة من عشرين إلى ثلاثين يوما ، وإذا لم يعد الطالب إلى المدرسة بعد انتهاء العطلة مباشرة يطرد ويعوض بطالب آخر. كما أنه إذا غاب شهرا كاملا عن المدرسة استبدل بآخر.

---

(1) – محمد الطاهر النقاد ، المصدر السابق ، ص8.

رشيد بورويبة ، المرجع السابق ، ص 127. لكن هناك إختلاف كبير فيما ذكره محمد النقاد ورشيد بورويبة ونظرا لعدم ذكر رشيد بورويبة للمصدر الذي إستقى منه االمعلومات فقد إعتمدت على مخطوط ابن النقاد .

(2) – عبد القادر حلوش ، المرجع السابق ، ص11-12 .

(3)- للمزيد أنظر :

-Vaysstte s , Histoire De Constantin,In (R .C) , p 355-357.

- لا يسمح للطلاب والعاملين غير المقيمين في المدرسة من المبيت فيها.
- أي طالب لا يولي اهتماما بالدروس يكون جزاؤه الطرد.
- لا يمكن إدخال المواد الغذائية وأدوات الطبخ إلى المدرسة إلا الضروري منها.
- كما يمنع غسل الملابس داخل المدرسة.
- تقدم لكل طالب منحة يشتري بها مايلزمه من المواد الغذائية المختلفة .
- كما أن الطلبة يدرسون القرآن والنحو في رجب وشعبان ورمضان ويدرسون الفقه والنحو وعلم الكلام في بقية الأشهر .

إن القوانين التي طبقت في عهد صالح باي ما تزال الأنظمة التعليمية والمدارس الداخلية تعمل بها إلى اليوم وهذا دليل واضح على بعد النظر والتطور الكبير التي وصلت إليه المدينة بصفة عامة والنظام التعليمي ممثل في المدارس بصفة خاصة[1].

5- الوصف العام :

تعتبر مدرسة سيدي الكتاني إحدى روائع الفن الجزائري في العهد العثماني ، ورد ذكرها مختصرة من طرف باحثين فرنسيين.

وتتميز المدرسة بطراز معماري ، أراد صالح باي أن يستوعب به حاجة الطلاب فبنى لهم في المدرسة مرافق مختلفة كالميضأة وحجرة التدريس (الصلاة) وكذا غرف الطلبة وكذا الحوض الرخامي الذي يتوسط صحن المدرسة ، وهكذا فإن صالح باي أنشأ مدرسة بكل المرافق التي تحتاجها .

أ-المخطط العام :

تتخذ هذه المدرسة شكلا مستطيلا بتوجيه نحو الشمال ، أما الجهة الجنوبية فتحدها دار الإمام حاليا تتوزع على طابقين ويتوسط تخطيطها صحن مكشوف حول ميضأة ، يغطي المبنى مساحة إجمالية تقدر بـ 496م^2 ، بحيث يقدر طولها بـ 31م وعرضها 16م ، تفتح هذه المدرسة على شارع سوق العصر بواسطة مدخلين .

ب- المظهر الخارجي :

ب-1- الواجهات :

تشرف المدرسة من الجهة الشرقية على حديقة مستطيلة يحيط بها صور مبني في الفترة الاستعمارية وهذه الحديقة مطلة على شارع سوق العصر، أما الجهة الشمالية فتحدها دار الإمام حاليا ، ويجاورها من الجهة الجنوبية جامع سيدي الكتاني ، والجهة الغربية مطلة على أحياء سكنية . الباب الخارجي للمدرسة استحدث في العهد الفرنسي ، يقابل هذا الباب مباشرة باب المدرسة (الصورة 27).

---

[1] – محمد الطاهر النقاد ، المصدر السابق ، ص8.

ب–2– كتلة المدخل :

ينقسم هذا الباب إلى ثلاثة أقسام ، يتقدم القسم الأوسط أربع درجات على جانبيه دعامتين مربعتين تعلوهما جلستين ، أما القسم الأيسر فبدوره ينحصر بين دعامتين تعلوهما جلستين أخريين ، بالإضافة إلى الجلستين السابقتين يصبح لدينا أربع جلسات تكون قاعدة تنطلق منها ثلاث عقود حذوية تتكون من ثلاث عشرة فصا غير أن هذين القسمين حاليا عبارة عن نافذتين نتيجة لما أدخل عليهما من تغيير فهي ترتفع عن القسم الأوسط بحوالي 1م . يعلو هذه الأقواس طنف صغير يفصل بين الطابق الأرضي والعلوي ، ويطل هذا الأخير بثلاث نوافذ متماثلة على الخارج (سوق العصر) ، ويعلو هذه النوافذ شريط من البلاطات الخزفية بطريقة منكسرة ينطلق من الدعامتين الكبيرتين ، وبعد ذلك يأتي السقف الذي تعلوه زيادة تزين واجهة الباب من الخارج وهي عبارة عن شريط من البلاطات الخزفية ذات الأشكال النباتية والهندسية باللون الأزرق والأبيض ، وعلى جانبي هذا الشريط وفي مستوى واحد من الدعامتين اللتين تحصران الباب زخرفة بسيطة داخل مربعين متقابلين يشكل تقاطعهما نجمة ثمانية بداخلها زهيرة تتكون من اثني عشرة فصا وهي منحوتة من الحجر .

أما على جانبي الباب من اليمين واليسار فتوجد في كل واحدة منهما نافذتين مستطيلتين ترتفع على أرضية الباب بحوالي 1.5م ، يعلوها قوس نصف دائري منحوت في الجدار ، زين في داخله بنصف دائرة من الخشب به خمسة أشرطة ، أما نوافذ الطابق الثاني فهي بسيطة سقفها هرمي الشكل مسقف بالقرميد الأحمر يعلوها جوسقين بهما هلال (الصورة 02) .

ب–3– المداخل :

للمدرسة مدخلين :

– المدخل الأول : حيث نجد الباب الرئيسي ينحصر بين دعامتين كبيرتين تستمران حتى الأعلى ، ونصل إلى هذه البوابة عبر الدخول من بوابة حديدية ذات مصراعين تشرف على حديقة مستحدثة في الفترة الاستعمارية وباب هذه الحديقة مفتوح على شارع موازي للبوابة الرئيسية (أنظر الصورة رقم 27).

– المدخل الثاني : فهو عبارة عن مدخل صغير في الحائط الشمالي مقابل للمقبرة مصنوعة من مادة الخشب وتوصل هذه البوابة عبر فناء آخر إلى دار المعلم [1].

يفصل بين البوابة الرئيسية والصحن حديقة تؤدي بدورها إلى باب آخر ذو مصراعين ومنه يلج الشخص الداخل عبر ثلاث درجات إلى رواق ، هذا الرواق توجد في نهايته من الجهتين اليمنى واليسرى باب توصل مباشرة عبر رواق آخر إلى صحن المدرسة.

---

[1] – دار الإمام (دار المعلم) : من المرجح أن يكون هذا المبنى قد شيد في فترة صالح باي لأنه أحاط المركب الديني لسيدي الكتاني بمنشآت مختلفة ، لكن لم تذكر المصادر التاريخية أي مبنى بجوار المقبرة العائلية ، وطراز هذا المبنى حاليا يعود للفترة الفرنسية بالجزائر.

تتكون مدرسة سيدي الكتاني من طابقين ، بها مدخل رئيسي واحد يتم الدخول عن طريقه إلى المدرسة كلها ويقع بالجهة الشرقية ، يقابله باب في نفس الاتجاه بينهما ردهة ثم سلالم مكونة من أربع درجات .

ب-4- السقيفة :

ندخل من الباب إلى رواق طوله 11.26م وعرضه1.85م ، به بابين في الطرفين في الجهة الشمالية والثاني في الجهة الجنوبية وشكل هذا الرواق مستطيل أعيد تسقيفه حديثا تتراوح مقاساتها مابين 2.16م و2.18م ويرتفعان عن الأرض ب25سم ، الأول شمالي والثاني جنوبي ، أرضيته مبلطة ببلاطات خزفية على علو 2.25م.
(الصورة 28).

ثم نجد في نهاية طرفي الرواق بابين متقابلين يؤديان إلى غرفتين ، الغرفة الجنوبية استعملت كمخزن لحجر المياه والشمالية لمبيت الحارس ، والملفت للانتباه في هذا الرواق وجود كتابة في الجدار الشرقي وهي عبارة عن شريط يعلو نافذتين إضافيتين ، إضافة إلى نص آخر مكتوب بخط الثلث يتوسط هذا الجدار.

- أما النص فنجد به البسملة والصلاة على الرسول عليه الصلاة والسلام وآية قرآنية ، كما نجد بها أبيات شعرية (سيأتي وصفها في فصل لاحق) ، ندخل من الباب الشمالي إلى رواق آخر طوله 16.33م وعرضه 1.60م أرضيته مبلطة ببلاطات مربعة الشكل حمراء اللون ، وأول ما نجده في هذا الرواق سلم يؤدي إلى الطابق العلوي مربع الشكل تبلغ عدد درجاته تسعة عشر درجة من الرخام الأبيض تتراوح مقاساته مابين 1.50م و1.05م يحيط بهذا السلم درابزين عبارة عن قضبان حديد لحماية مستعمليه. (الصورة 29).

ج- المظهر الداخلي:

إن التكوين الداخلي للمدرسة هو امتداد للكتلة الخارجية ، حيث نجد رواق يوصلنا للطباق الأرضي بالتحديد إلى الصحن.

ج-1 الطابق الأرضي:

يؤدي هذا الرواق إلى الصحن ، يحيط بهذا الأخير من الجهة الشمالية والجنوبية غرف الطلبة وفي الجهة الشرقية قاعة تدريس (بيت الصلاة حاليا) ، وبالجهة الغربية المقبرة.

وفي نهاية الرواق الشمالي نجد ثلاث درجات ترتفع عن الأرضية ب87 سم ، تؤدي هذه السلالم إلى قبوين كان يستعملان في تخزين المئونة.

1* الصحن : [1]

إن تخطيط الصحن في اغلب المدارس المغربية عبارة عن مستطيل يتقدمه من الجهة الجنوبية إيوان رئيسي [2] إلا أن صحن المدرسة الكتانية مربع الشكل طول ضلعه 8.29م يحيط به ثلاث أروقة تشرف عليه باثني عشرة عمودا رخاميا ثماني الشكل (الصورة 30-31) ، قاعدته وتاجه ثمانيان أيضا به أربعة أهلة في رقبته أربعة أزهار بين كل عمود وآخر قوس حذوي يبلغ عددها اثنا عشرة قوسا ، كما نجد روابط خشبية لتثبيت كل الأعمدة وظيفتها ربط وتمتين الأعمدة لمنع انفراجها المحتمل لثقل الحمولة على حواف الأقواس ، أرضيته مبلطة بالرخام الأبيض شكلها 30/30سم ويتوسط صحن المدرسة حوض رخامي به شجرة برتقال ، تحيط بها ثلاثة أروقة تشرف عليها بواسطة بوائك من ثلاث واجهات (الجنوبية والشرقية والغربية) يفصل بينها وبين الصحن صف من الأعمدة التي تحمل الطابق الثاني . ومن المحتمل أن هذا الحوض استعمل كنافورة وذلك سببه أن أغلب المدارس الإسلامية كانت لها نافورة في مركز الصحن وفي المدرسة الكتانية حذف هذا العنصر في عصور لاحقة واستبدلت بشجرة البرتقال حاليا (الصورة 30) ، والملاحظ وجود جدار في الجهة الغربية للصحن يبلغ ارتفاعه 1.06م .

والجدار الغربي تتوسطه ثلاث مجموعات من البلاطات الخزفية المستطيلة الشكل يبلغ طولها 1.6م وعرضها 60سم تتكون كل واحدة من 24 بلاطة خزفية محاطة بقطع رخامية مشكلة الجدار الغربي للصحن ، يعلوها شريط من الدرابزين الرخامي جدد بالجبس مكون من (21 BALUSTES) يفصل بين كل سبعة منها عمود رخامي وخمسة أعمدة في الجوانب ، يعلوا هذه الأقواس في الجدار الخارجي بلاطات خزفية (2x34) في كل جدار (الصورة 32).

2*- قاعة التدريس :

تعد من أهم عناصر المدرسة ، تقع هذه القاعة في الطابق الأرضي تتخذ شكلا غير منتظم الأضلاع ط1 7.35م ، ط2 7.37م ، ع1 16.96م ، ع2 6.94م ، ندخلها من باب خشبي ، لقد بقيت منه حشوة أعيد تركيبها في الباب المستحدث وهي مستطيلة الشكل يزينها إطار بارز تزينه مسامير صغيرة دائرية الرؤوس ، وفي أركان الحشوة يوجد مربع تتوسطه زهرة مفصصة ، ويحيط بالمربع في الجانب الداخلي للإطار مدرج من أربع حطات ، وفي وسط هذه الحشوة يوجد مربعان متداخلان تنتج عنهما نجمة ثمانية مفرغة الوسط في شكل علامة

---

(1)- من أبرز ما يميز العمارة الإسلامية بشكل عام والعمارة المغربية خاصة هو الصحن فقد اعتمده المعماري المغربي كمحور يستعمله في تخطيطه للعديد من المنشآت المعمارية كالمساجد والقصور وكذا المدارس ، ويعتبر الصحن منطقة اتصال وتوزيع بين قاعة التدريس وغرف الطلبة بجانب كونه منطقة إضاءة وتهوية مركزية.

(2)- محمد الكحلاوي ، المدارس المغربية دراسة أثرية معمارية ، مجلد 6 ، عن مجلة العصور ، دار المريخ للنشر ، لندن ، 1991 ص88.

زائد ، في أركانه مربعات بارزة والحشوة المركزية هذه تزينها مسامير كبيرة وأخرى صغيرة ذات رؤوس مدببة ومفصصة تتوزع في جهات مختلفة (الصورة 45-46). يفتح في الجدار المقابل للمحراب على يمين ويسار الباب نافذتين تطلان على الصحن ترتفعان على مستوى الأرض بحوالي 75 سم طولهما 2.1م وعرض هاتين النافذتين 1.1م ، ويقابلهما نافذتين أخريين في الجدار الشرقي ، يكسو جدران القاعة بلاطات خزفية مربعة مقاساتها 20/20سم على علو 1.2م وفي الأسفل نجد شريط مكون من بلاطات خزفية ذات لونين.

. والملاحظ أن سقف قاعة التدريس مجدد بالكامل ، وهو بسيط تتوسطه نجمة ثمانية منقوشة على الجص بها زخارف نباتية وهندسية تتوسطها ثريا مستحدثة .

- **المحراب** :

يعتبر أحد العناصر المعمارية في العمارة الإسلامية ، إذ لم يكن موجودا في المساجد الإسلامية الأولى وبالأخص في مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم ، حيث كان عبارة عن علامة في الجدار ترشد المصلين لاتجاه القبلة [1] ، لكن جاء ذكر المحراب في عدة آيات قرآنية [*1] .

- وقد اختلف الباحثون في أصل نشأة المحراب المجوف[*2] ، لكنهم أجمعوا على أن أقدم محراب مجوف يرجع إلى قبة الصخرة (72هـ/691م) ، ثم المسجد الأموي (88هـ/707م).

أما في المغرب الإسلامي فيرجع إلى مسجد القيروان (221هـ/836م) ، ومحراب جامع بوفتاته (223هـ/838م)، وجامع الزيتونة (250هـ/864م) [2] .

وفي الجزائر وجد مثل هذا المحراب في قلعة بني حماد ومسجد أبي مروان بعنابة والجامع الكبير بقسنطينة[3] وأيضا قاعة التدريس التي نحن بصدد دراستها.

- يشغل محراب المدرسة منتصف جدار القبلة في قاعة التدريس ، ويقدر عمقه 55سم وارتفاعه 2.04م ، يتوجه عقد نصف دائري على هيئة صدفة يبلغ عرضها 89سم ، فجوة العقد شكلها مفصص تنطلق من مركزها نجمة

[*1]- القرآن الكريم ، قال تعالى "**فخرج على قومه من المحراب فأوحى لهم أن سبحوا بكرة وعشيا**" سورة مريم ، الآية 11.

- قال تعالى : "**فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب أن الله يبشرك بيحيى مصدقا لكلمة**"، سورة آل عمران ، الآية 38 .

[1]-Golvin (L.) , Essai sur l'architecture religieuse musulmane , klinek siek , Paris , 1970 P.65.

[*2]- للمزيد من التوضيح أنظر : فريد الشافعي ، العمارة في مصر الإسلامية عصر الولاة ، مجلد1 ، ص ص224-227.

(2)- نفسه ، ص414.

[3]-Rachid (B.) , l'art religieuse musulman en Algérie , Alger , 1971 , P.37.

تنتهي عند تلك الفصوص ويؤطر هذا العقد من الداخل شريط به كتابة قرآنية.(الصورة 34-35). يكتنف المحراب عمودان رخاميان باللون الأسود يقومان على قاعدة مربعة ، ونجد هذه الظاهرة في معظم المساجد الجزائرية كالجامع الكبير بتلمسان ومسجد سيدي بلحسن وجامع سيدي إبراهيم[1] ، وهذان العمودان على شكل مخروط مقطوع الرأس أو منتفخ الوسط أسود اللون وهو مصنوع من الرخام ، عرض قاعدته 15سم وارتفاعها 5سم ، يعلو هذين العمودين تاجان ذا أوراق مفصصة على هيئة زهرة متفتحة يعلوهما مربعين بهما لفظ الجلالة كما تعلوهما جلستين يرتكز عليهما قوس نصف دائري شكل عليه شريط نقشت به آية قرآنية.

(الصورة 33).

– **النوافذ** :

تتميز نوافذ قاعة التدريس المطلة على الصحن بأنها مستطيلة الشكل تتكون من مصراعين خشبيين بسيطين طولها 1,93م وعرضها 1,09م ، وهي مستحدثة من الفترة الإستعمارسة.

***3- غرف الطلبة** :

من أهم وأبرز ما يدخل في تخطيط عمارة المدرسة المغربية هي حجرات الطلبة ، فجاءت هذه الحجرات مكونة من طابقين أو ثلاثة أدوار شبيهة إلى حد كبير بالفنادق . وقد عرفت المدارس المغربية ثلاث أنواع من الحجرات أو الغرف :

-النوع الأول : يتمثل في توزيع الحجرات على جانبي الصحن.

-النوع الثاني : يتمثل في وجود كتل الغرف على هيئة طبقات متعددة تشغل زوايا متعددة بحيث توزع كل واحدة حول صحن داخلي مستقل.

-النوع الثالث : يتمثل في وجود كتلة الحجرات ممتدة على واجهة المدرسة الرئيسية من الخارج.

وهكذا جاءت غرف المدرسة الكتانية بحيث نجد ثلاث حجرات بالجهة الجنوبية وحجرتين بالجهة الشمالية تطلان على الصحن ، وفي الطابق الأول نجد ثلاث حجرات شمالية وأربعة جنوبية .(المخطط 03-04)

***4- الدرج** :

قبل الصعود من الطابق الأرضي لابد من المرور على الدرج للوصول إلى الطابق الأول وهو يتكون من تسعة عشر درجة مصنوعة من الرخام الأبيض يحيط بها درابزين لحماية الصاعدين من السقوط وهو مصنوع من الحديد (الصورة 29).

---

[1]-Doukali (R.) , les mosques de la période turque aAlger , Alger ,1974 , P.50

ج-2- الطابق الأول :

- أما في الطابق العلوي فنجد أربعة أروقة مطلة على الصحن ، ويوجد في الجهة الشمالية والجنوبية غرف للطلبة أما في الجهة الغربية فهي عبارة عن حائط للمقبرة ، وفي الجهة الشرقية نجد نادي للطلبة أو مكان الترفيه كما اصطلح تسميته.

- أول ما نجده عند نهاية الدرج المؤدي إلى الطابق الأول هو رواق تنفتح عليه خمسة أبواب لخمسة غرف عند الخروج من هذا الرواق نجد أروقة تحتوي على غرف وزعت كالتالي:

أ- الرواق الشمالي: يتكون من ثلاث غرف تفتح عليه أبوابها ونوافذها والملاحظ هو وجود غرفة كبيرة منكسرة في نهاية الرواق فتحت نافذتها عليه من الجهة الغربية ، نصعد إليها بواسطة سلم مكون من ثلاث درجات مقاساتها مابين 1.60م ، 1.65م وعرضها 29سم.

ب- الرواق الغربي: بسيط ليست فيه فتحات لأن جداره تابع للمقبرة.

ج . الرواق الجنوبي: به ثلاث غرف ونافذتين.

د . الرواق الشرقي: يتوسط جدار هذا الرواق باب مركب من دفتين ، يبلغ طوله 2.17م وعرضه 64سم يحيط بهذا الرواق نافذتين ترتفعان عن الأرض بحوالي 75 سم عرضها1.1م ، طولها2.05م .

- أرضية الأروقة مبلطة ببلاطات حمراء اللون حديثة مربعة الشكل مقاساتها (20×20سم) يفصل بين أرضية الأروقة أربعة أشرطة من الرخام ذات شكل مستطيل.

يشرف الطابق العلوي على الصحن من خلال درابزين يحيط بالرواق من جهاته الأربع ، يبلغ ارتفاعه 90سم يعلوه اثني عشرة عمودا أربعة منها في كل جهة طولها 1.8م تشبه تماما أروقة الطابق الأرضي ، نلاحظ أن سقف أروقة الطابق العلوي للمدرسة من الخشب مائل الشكل وهو حديث (الصورة 40)، كما نلاحظ بروز قواعد أسفل الأعمدة ارتفاعها 90سم ذات شكل مربع ، أما الجدران الخارجية للغرف المطلة على الأروقة فهي مغطاة ببلاطات خزفية مربعة وحديثة ، يبلغ ارتفاعها على مستوى الأرض 1.6م.

كما نجد في الرواق الشرقي قاعة تعلو غرفة التدريس ، وهي في الوقت الحالي عبارة عن نادي مساحته 36.83م^2 ، لها باب ذو مصراعين ، وهي حديثة البناء.

أروقة الطابق الثاني مغطاة ببلاطات خزفية متشابهة ومستحدثة ، مطابقة لبلاطات الطابق الأرضي.

غرف الطابق الثاني ذات مساحات مختلفة أصغرها 4.48م^2 ، وأكبرها21.19م^2 .

6- أهم التجديدات :

إن المتمعن في المدرسة من الداخل يلاحظ أن المدرسة جددت تقريبا بالكامل باستثناء بعض العناصر ك (المحراب بكل زخارفه المتنوعة ، وكذا الكتابة الموضوعة في رواق المدخل الرئيسي وكذا الحشوة الخشبية التي أعيد تركيبها في الباب الجديد بقاعة التدريس بالإضافة إلى الأعمدة الرخامية المتواجدة في الصحن) ، أما بقية العناصر المعمارية الأخرى فهي مجددة بالكامل ومن الصعب إثبات كيف كانت المدرسة الكتانية في الفترة العثمانية قبل التجديدات التي استحدثت عليها في الفترة الاستعمارية الفرنسية ، وحسب د. دحدوح فإن المدرسة الكتانية كانت تتكون من طابق واحد وذلك استنادا إلى القانون الذي وضعه صالح باي حول سير المدرسة والذي جاء فيه أنها تحتوي على خمس غرف وقاعة للدرس تستخدم في نفس الوقت للصلاة وميضأة وحجرة صغيرة ، وكذا باستناده إلى اللوحة الفنية التي وضعها Sourdeval للمدرسة عند زيارته للمدينة في سنة 1857م .(الصورة 42-43).

أما الرأي الثاني فقد تزعمه فايست (VAYSSETTES) في مجلة قسنطينة (R.C) أن المدرسة كانت تتكون من تسعة غرف أربعة منها لسكنى الطلبة وهذا يرجح فكرة أن المدرسة منذ نشأتها كانت تتكون من طابقين (أرضي وأول)[1] . ولكن لا يمكننا معرفة التجديدات قبل معرفة الأصل الحقيقي لمخطط المدرسة .

كما أشار محمد المهدي شعيب إلى وجود كتابة اندثرت كانت على وجهها الموالي للشارع ، هذه الكتابة العربية تدل على إصلاحات أدخلها نابليون الثالث على المدرسة والمقبرة حين زار قسنطينة في عام 1281هـ/1864م للمرة الثانية [2]. للأسف لم نتوصل إلى وثائق تبرز هذه التغييرات أو التجديدات التي قام بها هذا الحاكم الفرنسي ومهما يكن من أمر فمن الممكن أن هذه التغييرات كانت مؤثرة على طابعها المعماري والزخرفي .

كما أضيفت لها الحديقة التي نصل عن طريقها إلى الباب الرئيسي بالإضافة إلى البوابة الحديدية الخارجية المضفية إلى سوق العصر.(اللوحة02-27).

لقد ساهمت الدراسة التي قامت بها إحدى مؤسسات الهندسة المعمارية التابعة لولاية قسنطينة سنة 1989م إلى بعث مشروع ترميم هذا المعلم الأثري والتاريخي في نفس الوقت ، وبالرغم من تأخر المشروع 12سنة كاملة إلا أنه استطـاع إعادة بعث هذا المعلم من جديد ، كـانت انطلاقـة أشغال الترميم في المدرسة في بداية سنة 2001م على

---

(1)- Vayssettes (E .) , Histoire De Constantine , (R .C) , P. 357 .

(2)- محمد المهدي شعيب ، المرجع السابق ، ص386.

أساس إنهائها في فترة لاتتجاوز سنة ، وقد وضعت لها ميزانية قدرت بثلاثة ملايين دينار جزائري ، إلا أن واقع الترميم وهشاشة المبنى أخرت العملية إلى سنة أخرى ووصلت ميزانيتها إلى حوالي ملياري سنتيم ، وانتهت فيها الأشغال نهائيا في أفريل 2003م.

لم تغير هذه الترميمات من الجوهر الرئيسي للمدرسة ألا وهو تشكيلها من طابقين بالإضافة إلى قاعة للتدريس في الطابق الأرضي وصحن يليها مباشرة ، وأهم التغييرات التي أجريت عليها هي :

*الطابق الأرضي :

-فتح بوابة (ثانوية) للمدرسة تربطها بدار المعلم عن طريق فناء كبير ، وهذه البوابة كانت من قبل تؤدي إلى غرفة صغيرة.

*الطابق الأول :

- إزالة الجدار الذي يقسم النادي إلى قسمين ، حيث تم تحويلها إلى قاعة كبيرة واحدة.
- فتح بوابة ثانية في الغرفة التي تلي الدرج مباشرة جهة اليمين.
- تحويل القاعة الكبرى في هذا الطابق والتي تتموقع يسار النادي ، إلى حمام وفتحت فيه عدة أبواب.

* الجانب الزخرفي : بالنسبة لهذا الجانب فقد تم تغييره بالكامل ، حيث استبدلت البلاطات الخزفية الأصلية بأخرى مستحدثة (جديدة) ، باستثناء (كما ذكرنا سابقا) محراب قاعة التدريس.

ج- المقبرة العائلية: [1]

1- الموقع :

تقع المقبرة العائلية لصالح باي ضمن نطاق المدرسة أو داخل المدرسة في القسم الشمالي منها وهي تحتل مساحة صغيرة داخل المدرسة .

2- تاريخ التأسيس :

أسست المقبرة العائلية لصالح باي في نفس الوقت الذي بنيت فيه المدرسة 1190هـ/1776م وقد ذكر هذا التاريخ في الكتابة التأسيسية التي ذكرناها سابقا .

3- الوصف :

لقد كان القاضي والمحتسب من المكلفين بالإشراف على المقابر في المدن الإسلامية كما أنهما يقومان بإنشاء مقابر جديدة عند ازدياد عدد الوفيات بين المسلمين ، وكانت المقابر في المدن الإسلامية قبل القرن6هـ/ 12م تتموقع داخل المدن بالقرب من الأسوار ونظرا لما ظهر من عيوبها من الناحية الوقائية والصحية ، فقد أخذت أمكنة أخرى بعيدة عن التجمعات السكنية .

وعلى غرار ما سبق نجد بمركب سيدي الكتاني مقبرة نصل إليها من باب بالجدار الجنوبي للمدرسة ، وهذه المقبرة هي الشيء الوحيد الذي مازال على أصالته الأولى (لم تحدث به تغييرات كبيرة) بالمدرسة ، المقبرة تتواجد في مستوى أعلى من أرضية الصحن ونصعد إليها بثلاث درجات توصلنا إلى باب مصنوع من الحديد ذو مصراعين وهي بوابة أصلية يوجد بها هلال وصفيحة من النحاس مكتوب عليها (مقبرة صالح باي) ومساحة غرفة الأضرحة 30م^2. (الصورة 43)

وأول ما نجده عند دخولنا من البوابة أربعة عشر قبرا للقضاة والمعلمين الذين كانوا بها وكذا قبر صالح باي وعائلته وهذه القبور نجد تسعة منها 9 بلوحات شاهدية و5مجهولة ، والملفت للنظر هو وجود بعض القبور مغطاة بالرخام الأبيض ، عكس قبور أخرى مغطاة بالخشب ، أما النوع الآخر فهي المغطاة بالبلاطات الخزفية ، أما الأرضية بين القبور فهي مغطاة بالرخام الأبيض وجل هذه البلاطات في المقبرة أصلية (المخطط 05).

لقد توزعت على الشكل الآتي : - في الواجهة الشرقية للمقبرة عبارة عن ثلاث تجميعات من بلاطات خزفية متناسقة وقد زخرفت الجدران الثلاث للمقبرة بمجموعة متناسقة من البلاطات.

أما القبور المكسية بالبلاطات الخزفية أو أجزاء منها فهي لا تشكل تجميعات بل هي عبارة عن بلاطات منفردة لكن بتناسق كبير وهذه القبور هي :

[1]- هي إحدى متطلبات المجتمع لدفن موتاهم ، وتعتبر من العناصر الضرورية لأي عمران بشري كما أنها من أقدم القضايا المرتبطة بالمجتمع التي واجهها الإنسان ماعدا في بعض الحضارات التي تقوم بحرق جثث الموتى وبعثرتها في الماء كالهنود ، كان بناء المقبرة في الإسلام عاملا مرتبطا بالعقيدة له ثوابه في الآخرة مثل باقي الأعمال ذات الفائدة العامة.

1- قبر زهرة بنت السيد محمد.

2-قبر بجانب القبر الأول مجهول الاسم.

3-قبر خدوجة بنت عبد الله.

4-قبر آمنة بنت صالح باي.

كما نجد ثلاثة قبور محلات بنفس البلاطات مكررة مشكلة تجميعة وهي على التوالي :

1- قبر يا منة بنت محمد الخلف بن صالح باي.

2- قبر مجهول.

3- قبر خدوجة بنت صالح باي . (المخطط 07)(الصور من 50إلى68).

كما يحيط بهذه القاعة شريط كتابي على طول الجدران الثلاث (الشمالي – الشرقي – الغربي) ، ونجد في الحائط الشرقي نافذة تطل على الرواق ، وهذه النافذة مصنوعة من الحديد عبارة عن تشبيكة على النمط العثماني هذه الجدران الثلاث مغطاة ببلاطات خزفية تعلوا عن الأرض بـ 1.89م ، والملفت للانتباه أيضا هو وجود مجموعات خزفية مشكلة من عدة بلاطات يبلغ عددها سبعة تحتوي كل مجموعة على:

أ- في الجدار الشمالي : اثنان في كل واحدة ستة عشر بلاطة .

ب- في الجدار الغربي : أربع مجموعات ، الأولى بها عشرين والثانية ستة وخمسين ، والثالثة سبعة وأربعين والرابعة أربعة وعشرين.

ج- في الجدار الجنوبي : يحتوي على مجموعتين ، الأولى بها عشرين وحدة والثانية أعيد ترميمها وبذلك فإن عددها غير واضح . يعلوا هذه البلاطات الخزفية لوحة من الكتابة عبارة عن قصيدة من تسع أبيات مكتوبة بخط الثلث محفورة حفرا بارزا سنتحدث عنها في فصل لاحق.

تعلو هذه المقبرة قبة ترتكز على قاعدة مربعة محمولة على أربعة دعامات تحمل عقودا حذوية ، وفي أركان قاعدة القبة نجد أربع محارات تحتوي كل واحدة على عشرين فقرة وتعلوا هذه الأخيرة رقبة القبة ، في كل زاوية من زوايا أضلاع رقبة القبة تنطلق خطوط لتنتهي في مركزها ، وهي عبارة عن دائرة بها زخارف هندسية قوامها مثلثات ونجوم ، والقبة مجددة من الداخل (الصورة 44).

- ويوجد بالجدار الجنوبي باب يؤدي إلى غرفة صغيرة فيها قبران أحدهما لزوجة صالح باي والثاني لإحدى بناته والقبر المتواجد في الجهة الشرقية مغطى ببلاطات خزفية من الخطاف التونسي من نفس النوع ، أما القبر الثاني فهو مغطى بمادة الخشب وفي منتصفة صندوق خشبي صغير ، وهذه الغرفة تحتوي على نافذة صغيرة في الجدار الجنوبي وهي مسدودة.(الصورة50).

وأهم مايميز هذه المقبرة هو روعة الكتابات التي تحتويها شواهد القبور وكذا التكسية بالبلاطات الخزفية.

4- أهم التجديدات :

لقد حافظت المقبرة العائلية لصالح باي على معظم أجزائها المعمارية والفنية ، ولكن بالرغم من ذلك فقد غيرت بعض أجزائها حيث فقد اللوحة الكتابية المجاورة للنافذة المطلة على رواق المدرسة كما جددت القبة الضريحية ، إزالة أعمدة القبة واستبدالها بدعامات وكذا اندثار الكتابة التي كانت موجودة في الجدار الشمالي الشرقي للمقبرة من الداخل (الصورة 42-43) ، حيث جدد بالكامل كما جددت بعض تجميعات البلاطات الخزفية التي سقطت من أماكنها كما تم إعادة ترميم بعض الأجزاء من الشريط الكتابي الذي يلف بالمقبرة بسبب تعرضه للهشاشة التي سببتها الرطوبة حيث أفقد هذا التلف بعض الكلمات التي لم نستطع قراءتها.

وبالرغم من هذه الترميمات الأخيرة إلا أن المقبرة تعرضت للتصدع خاصة سقف الغرفة الجنائزية الصغيرة التي تحتوي على قبرين (بنت وزوجة صالح باي) ، الذي سقط بالكامل منذ عدة أشهر فقط ، الشيء الذي أدى إلى تلف كبير في البلاطات الخزفية التي تغطي قبر عائشة زوجة صالح باي ، لذالك نطالب السلطات المعنية بترميم هذا الجزء قبل أن يعم التلف كامل المقبرة.

II- مركب سيدي محمد الغراب :

1- الموقع :

يقع المركب الديني لسيدي محمد الغراب في نواحي قسنطينة في قرية قريبة من المدينة تبعد عنها بحوالي 06 كلم كانت هذه القرية تعرف في الأصل بالغراب وهو الاسم الذي لا يزال عامة الناس يعرفونها بها ، إلا أنه تم إطلاق تسمية ثانية عليها وهي "صالح باي" ، يقع المركب بالقرب من جامع القرية إلى الشرق من الطريق الرئيسي للمدينة ، وهي تحتل موقع منحدر الأرضية ارتفاعه مابين 1549-1555م فوق سطح البحر ، وهذه القرية تقع في الشمال الغربي لمدينة قسنطينة يتم الوصول إليها عبر منفذ أساسي يربطها بها.

يعتبر هذا المركب المنشأة الثانية من حيث الأهمية ، ولكن للأسف الشديد هدمت معظم مكوناته خاصة في فترة التسعينات من القرن الماضي ، ويتكون هذا المركب الديني من مسجد وضريح ومنزل وحمام ، وبذلك فهو مركب بكل معنى الكلمة ، وللأسف لم يتلقى هذا المركب العناية اللازمة من حيث الدراسة والترميم .

2 – أصل التسمية :

يعود أصل تسمية هذا الضريح بالغراب إلى الشيخ محمد الزواوي الحنصالي الذي اغتيل في مكان تأسيس المركب وبذلك سمي باسمه أما تسمية الغراب فتعود إلى الأسطورة القائلة بتحول جثة هذا الولي الصالح إلى غراب .

3-تاريخ اتأسيس :

يعتبر مركب محمد الغراب من أهم العمائر الدينية في عاصمة الشرق الجزائري رغم الإهمال وقلة الدراسات والأبحاث عنها ، إلا أن تاريخ تأسيسها لايزال غير معروف لعدم وجود لوحة تأسيسية تدل على ذلك.

لقد دارت التخمينات أنها تأسست ما بعد 1787م وذلك فيما تبقى من حكم صالح باي [1].

وقد كان من أهم حكام قسنطينة الذين عملوا على إرضاء رعيتهم ، ومع تطور التصوف وشيوعه أنشأ لهم العديد من مراكز التصوف ، لكنه تغير في أواخر حكمه وصار يحارب أصحاب الزوايا[2] ، وفي هذا الصدد يجدر بنا ذكر حادثة اغتيال سيدي محمد الزواوي الحنصالي[3] ، وقد سمي الضريح والزاوية باسم "محمد الغراب"، وذلك بسبب حادثة

---

[1]- Derdour (H .) , op.cit, p.143.

[2] – محمد الصالح ابن العنتري ،المصدر السابق ، ص82-83.

[3]- Derdour (H .) , op.cit, p.143.

وقعت بين صالح باي والشيخ محمد الزواوي وملخصها أن جيوش الباي قاموا بمواجهة الشيخ بقرار منه والذي حكم عليه بالإعدام ، وهذا الأخير كان معارضا لمواقف صالح باي وذلك لتراجعه عن الإعفاءات التي كانت تستفيد منها الزوايا ، وهذا عندما احتاج لمزيد من المال لانجاز مشاريعه العمرانية داخل المدينة وعبر المقاطعه.

فأقدم على توحيد نظام الضرائب مما أزعج من كانوا لا يدفعون ، أدى هذا إلى خلاف كبير فحكم على الشيخ الزواوي بالإعدام ، وشاع انه دعي عليه أمام الملأ فقطعت رأسه في رحبة البلد ، وكانت آخر كرامة للشيخ هي أن طارت جثته في شكل غراب وحطت بجناين صالح باي على يمين موقع الحامة ، فأعتبر الباي لهذه الكرامة وندم على فعلته وأسس له ضريحا وزاوية باسمه أصبحت تدعى منذ ذلك الحين بزاوية وضريح محمد الغراب ، كما أصبحت المنطقة ككل تحمل اسمه حيث اشتهر هذا الثائر بتصوفه ، وعرف كذلك بمناوئته للأتراك [1].

وعرف هذا المكان بكثرة الزيارات للتبرك بالولي[2] ، وتعرف هذه الزيارات "بالنشرة" حيث يقوم المريض أو أهله بشراء ديك حسب أوصاف معينة يحددها الحراز الذي يكتب التمائم من أجل الاستشفاء ، ثم يذبح هذا الديك بالقرب من قبة سيدي محمد لغراب ، وأثناء الطهي يجتمع الحاضرون للغناء والرقص وبعد الأكل يقوم أهل المريضة بدفن عظام الديك وريشه ، والظاهر أن هذه العادة التي انتشرت في البيوت القسنطينية هي من العوائد والتقاليد النوميدية القديمة متأثرة بالديانات اليهودية وعادات اليهود التي تحرم أكل البيض وتقديس الديك ولا يزال بعضهم يحتفلون بدفن عظام الديك في بعض المواسم حتى الآن[3] ، فالمجتمع القسنطيني مجتمع يؤمن بكرامات الأولياء الصالحين خاصة النساء اللواتي يطلبن الحماية والرزق منهم ، فهن يلجأن للولي الصالح ليمنحهن بركته خاصة في حالة العقم والزواج والمرض. حيث مازالت النساء إلى اليوم يحضرن الحناء والعطور والمكسرات وكذا الدجاج أثاء زيارتهم للضريح وتوضع هذه الأشياء في ركن مخصص لهذا الغرض ، كما كانوا يتوجهون ويقفون أمام قبره بخشوع وخضوع يقولون "بربي والناس لملاح ، بربي والصالحين ، بربي وسيدي فلان" [4].

---

[1] – فاطمة الزهراء قشي ، قسنطينة المدينة والمجتمع ، ص107.

[2] – أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، المرجع السابق ، ج1 ، ص217.

[3] – عبد العزيز فيلالي ، دولة برغواطة ، عن مجلة سيرتا ، العدد الثاني ، نوفمبر 1979 ، ص51-52.

[4] – احمد محمود الجزار ، الإمام المجدد ابن باديس والتصوف ، دار المعارف ، ط1 ، الإسكندرية ، 1999 ، ص37-38.

4- الوصف العام للمركب :

يتكون مركب سيدي محمد لغراب من ضريح ومسكن ومسجد وحمام ، وللأسف الشديد لم يتبقى من هذا المركب سوى الضريح الذي حافظ على أصالته ، أما بقية العمائر الأخرى فقد تعرضت للهدم والتخريب خاصة في العشرية الأخيرة من القرن الماضي ، فقد تهدم سقف المسجد كما تهدمت أروقته ولم يبقى منه سوى الجدران والمحراب، أما الحمام فقد غمر بالكامل بمياه الأمطار حتى غطيت كامل أجزائه المعمارية وهذا ما جعل دراسته مستحيلة ، أما المسكن والذي خصص في الوقت الحالي لسكن القيم عن الضريح حيث فقد أجزاء كثيرة أصلية.

ندخل إلى هذا المعلم عن طريق مدخل واحد في الواجهة الجنوبية الغربية ، في حين كان المدخل الأصلي للزاوية في الجهة الجنوبية الشرقية وهو مسدود حاليا وعند المدخل مباشرة يصادفنا فناء واسع مستطيل الشكل يبلغ طول جداره الجنوبي الشرقي 15.65م أما الجدار الشمالي الغربي الذي به مداخل كل من الضريح والمسكن بـ15.45م أما الجدار الشمالي الشرقي الذي يؤدي إلى صحن المسجد طوله 6.7م .(المخطط 08 والصورة 91)

ويتكون مركب سيدي محمد الغراب من :

أ- المسجد :

1- الموقع : يقع في الجهة الشمالية الشرقية للمعلم .

2- أصل التسمية : أخذ تسميته من تسمية المركب .

3- تاريخ التأسيس : أسس في نفس فترة تأسيس المركب .

4- الوصف :

يتكون من بيت صلاة وصحن وميضأة وهو شبه مربع أضلاعه متقاربة في الطول حيث نجد جدار القبلة طوله12.2م أما الجدار الشمالي الشرقي 12.5م والجدار الجنوبي الغربي 12.48م أما الجدار الشمالي الغربي 12.8م ، حيث يتم الدخول إليه عبر باب يقع في الضلع الجنوبي الغربي عرضه 2.10م ، يعلوه طنف خشبي مستطيل الشكل . وعند الدخول للجامع نجد ممر يؤدي إلى الصحن ثم بيت الصلاة.

4-أ-بيت الصلاة : وهي ذات شكل مربع قريب من المستطيل لها مدخل بالجهة الجنوبية الغربية عرضه 1.45م وارتفاعه 1.90م كما توجد يسار الباب نافذة مربعة الشكل 92x90م .(المخطط 08).

– المحراب : محراب الجامع الذي يتوسط جدار القبلة (الجدار الجنوبي الشرقي) يقدر ارتفاعه بـ1.1م وعرضه 1.45م أما عمق تجويفه 0.8م ، وفي الجزء العلوي من تجويفه توجد زخارف هندسية بسيطة عبارة عن شريط عريض يتوسطه خط آخر رفيع منكسر مرسوم بطلاء أسود وكذلك شريط آخر أزرق اللون مرسوم وسطه خط مستقيم رفيع أسود اللون ، كما يتوسط تجويفة المحراب أخدود نصف دائري بارز ، وفوق المحراب مباشرة نافذة تعلوه بـ20سم كما توجد أخرى على يمينه وواحدة على يساره ، ويبلغ اتساع كل منها 1م وتبعدان عن المحراب بـ2.4م.

كما توجد في الجدار الشمالي الشرقي نافذتان تقابلان النوافذ الموجودة بجدار القبلة.

علما أن الجدار الشمالي الشرقي والجدار الشمالي الغربي مهدمان تقريبا ونفس الحال بالنسبة للتقسيمات الداخلية فلم يعد يظهر منها غير بعض الأعمدة والدعامات منها الأسطوانية والمربعة ويبلغ سمكها 0.4م والمسافة بين الدعامة والأخرى حوالي 2.25م ، ولم أتمكن من تحديد عدد البلاطات والأساكيب واتجاهاتها نظرا لتغطيتها بأغصان الأشجار والنباتات الطفيلية التي نبتت في المسجد وغطت معظم الآثار المتبقية منه . أما تسقيف بيت الصلاة الهرمي فهو مهدم بالكامل ولم يتبقى منه سوى آثار لحوامل خشبية أغلب الضن أنها أيضا من العرعار.

4–ب– الصحن:

أما صحن المسجد فهو شبه مستطيل طول جداره الجنوبي الغربي 12.6م والجدار الشمالي الغربي 5.5م والجدار الجنوبي الشرقي 6.15م والجدار الشمالي الشرقي 12.48م .

والصحن ندخل إليه عبر مدخل في الجدار الجنوبي الغربي وعلى يسار الداخل إلى الصحن توجد دكة مستطيلة الشكل طولها 3.8م وعرضها 1.17م ، علما بأن الباب الأصلية له والجدار الذي به الباب مهدم كليا لم يبقي منه سوى سلم مكون ثلاث درجات منخفضة ، وعند المرور بتلك الدرجات تقابلنا ثماني دعامات موازية لها ، ولم يبقى منها سوى بعض قواعدها (الصورة 97) .

4–ج– الميضأة:

تقع في الجهة الجنوبية الشرقية بالنسبة للباب الأصلي للمعلم وهي مكونة من ثلاث غرف مستطيلة الشكل ذات مداخل مقوسة يقدر ارتفاعها بحوالي 1م وعرض بابها 0.7م والغرفة الثالثة تهدم منها الجدار الشمالي الشرقي وهذا ما كشف بأن سقف الميضأة من الداخل كان على شكل أقبية وعلى يمين الميضأة توجد بحيرة كانت تستمد الماء منها ، وتعلو الميضأة مساحة مكشوفة مستطيلة الشكل كانت تستغل كمصلى في الصيف.

ب- الضريح :

يقع في الجهة الشمالية الغربية خلف صحن المسجد وهو يحتل موضعا متوسطا بين المسجد والمسكن ، يتم الدخول إليه عبر باب فتح في الضلع الجنوبي الشرقي عرضه 1.22م وارتفاعه 1.98م ، به باب خشبي أخضر اللون ذو مصراعين ، وبه مقبض نحاسي وهو حديث الصنع ، ولاجتياز المدخل يصعد الداخل عبر درجتين تنتهيان بدكة عريضة ، تعلو المدخل من الخارج سقيفة متوضعة على الجدار الجنوبي الشرقي ، وهي مصنوعة من هيكل حديدي حديث يغطيه قرميد حديث هو الآخر.

الضريح في مخططه مربع الشكل مقاساته (6.66x6.7م) (المخطط 08) فتحت به أربع نوافذ صغيرة تتوسط كل واحدة منهن جدار ، وهي مقابلة لبعضها البعض تتوسط العقود النصف دائرية الصماء ، التي تقوم عليها حنايا ركينة ، وتنتهي الحنايا بقاعدة مثمنة تقوم عليها خوذة القبة بشكل دائري أملس ومكسوة بالجير الأبيض ، تحتوي على أربعة ثريات ثابتة للإنارة واحدة حديثة وثلاثة منها قديمة بيضاوية الشكل ، وهي زجاجية ومختلفة الألوان واحدة بيضاء ، وأخرى خضراء وواحدة مكسورة لم يبقى منها سوى الحامل النحاسي الذي يوصلها بالسقف (الصورة 96).

يحتوي الضريح على إحدى عشرة قبرا ، منها قبر واحد يرجع إلى الفترة العثمانية والمتمثل في:

- قبر صاحب الضريح وهو سيدي محمد الغراب في حين ترجع باقي القبور إلى فترة لاحقة ، وهي كلها لعائلة بن جلول كما هو مبين في مايلي :

-القبرالأول: لمحمد الغراب والشاهد الذي فوق القبر لاتوجد به أية كتابة تبين سنة وفاة أو الاسم الكامل لمحمد الغراب. (الصورة 95).

- القبر الثاني : لعائشة بنت شعبان ءاغة المتوفية سنة 1280هـ/1865م.وهو أقدم شاهد قبر في الضريح بعد ضريح الغراب الذي يخلوا من سنة الوفاة.(الصورة 94)

-القبر الثالث : لمحمد بن السيد عمر بن مصطفى الشيخ بن عبد الجليل المتوفي سنة 1350هـ/م.

-القبر الرابع : السيد احمد بن السيد محمد بن جلول المتوفى سة 1332هـ.

-القبر الخامس : للسيد محمد بن عبد الجليل المتوفى سنة 1353هـ.

-القبر السادس : لحانيفة بنت العلامة الشيخ الزواوي لعقون المتوفية سنة 1372هـ/1952م.

-القبر السابع : لبن جلول محمد الخليفة المتوفى سنة 1370هـ/1951م.

-القبر الثامن: لبن جلول مصطفى بن حسان المتوفى سنة 1988م.

-القبر التاسع : السيد عبد الكريم بن جلول المتوفى سنة 1375هـ/1955م.

القبر العاشر : كتب على شاهد القبر الذي به بن جلول المتوفى سنة 1373هـ/1953م.

وهذه القبور توجد في الجهة الجنوبية الغربية بالنسبة للحاجز الخشبي الموجد بمبنى الضريح ، وفي الجهة الجنوبية الشرقية وعند الدخول مباشرة يوجد قبرين آخرين هما:

-القبر الحادي عشر: وهو لبن جلول محمد الحاسن بن مصطفى المتوفى عام 2000م ، والذي يبعد عن المدخل بـ 67سم.

- القبر الثاني عشر: بن جلول محمد بن الحاج مصطفى المتوفى سنة 1968م .(المخطط 10)

إن معظم هذه القبور يتراوح طولها مابين 1.65م إلى 1.90م ، ويبعد كل قبر عن الآخر ب40سم، ومعضمها مصنوعة من رخام ، وهي مقسمة إلى قسمين بحاجز خشبي أخضر وأبيض مصنوع بطريقة فنية جميلة ، وفيما يخص قبر محمد لغراب صاحب الضريح ، يبلغ طوله 1.63م، وعرضه 38سم ، وارتفاعه عن مستوى سطح الأرض 28سم ، تعلوه تركيبة خشبية خضراء اللون طولها 1.75م ، وعرضها 38سم ، وارتفاعها 20سم ، بها شاهدان ارتفاعهما 49سم ، وعرضهما 39سم ، والمسافة بين قبر محمد لغراب والجدار الجنوبي الشرقي تقدر بـ 1.53م ، كما وجدت شموع معلقة على الجدار الجنوبي الغربي وحناء مطلية على الجدار ، وهذا القبر مغطي بالعديد من الأقمشة خضراء ووردية اللون مصنوعة من الحرير والكريستال ، كما يوجد شاهدان لقبرين في الحائط الشمالي الغربي للضريح ، شاهد لعائشة بنت المرحوم السيد شعبان آغة المتوفية سنة 1280هـ والشاهد الآخر للسيد محمد بن عبد الجليل 1329هـ. وتوجد مباخر مختلفة الأحجام والأشكال أمام القبور وفوق تركيبات القبور خاصة أمام ضريح محمد الغراب. (الصورة 93)

ج- المسكن:

يقع المسكن الذي يقطن به القيم عن الزاوية حاليا في الجهة الجنوبية الغربية من المعلم ككل بمحاذاة المدخل الرئيسي (المخطط 08)، لا يزال محافظا على جانب كبير من أصالته المعمارية باستثناء بعض الزيادات التي أضيفت له. يطل المسكن من الخارج على فناء في واجهته الجنوبية الشرقية ونجد أيضا في هذه الواجهة بوابة المسكن وعلى يمينه توجد نافذة صغيرة أما الجهة اليسرى فهي مدمجة في غيرها من البنايات الأخرى للمركب ، وقد سقف المسكن ككل بسقف هرمي الشكل مغطى بقرميد أحمر ياجوري .(الصورة 92).

أما من الداخل فالمسكن مستطيل الشكل ، وهو يظم صحنا وثلاث غرف تتوزع خلف الأروقة ومطبخ ومرحاض يتم الدخول إليه عبر باب عرضه 1.10م ، وارتفاعه 2.20م ، به باب حديدي حديث الصنع.

عند الدخول مباشرة يقابلنا رواق مستطيل مقاساته (5.40م x2.12م) ، وفي الجدار الذي على يمين الداخل توجد نافذة صماء مربعة الشكل مقاساتها (82سمx1م) ، وعلى اليسار يوجد باب عرضه 1م وارتفاعه 1.9م يؤدي إلى رواق مستطيل الشكل (3.63x2.25م) وبه دعامة عرضها 0.5م وسمكها 0.35م ، وفي نهايته باب عرضه 0.8م نلج عبره إلى الغرفة الأولى .

-الغرفة الأولى: مستطيلة الشكل طول الجدار الجنوبي الشرقي 3.9م وبه نافذة مستطيلة الشكل (0.35x0.55م) والجدار الشمالي الشرقي 2.65م وعند اجتياز الرواق الذي يعقب المدخل الرئيسي مباشرة نجد بابا اتساعه 0.82م وارتفاعه 1.90م ، وهو مفتوح على صحن مكشوف يتوسط المسكن ، يحيط به رواقان واحد في الجهة الجنوبية الشرقية والآخر في الجهة الجنوبية الغربية .

وعلى يمين الداخل إلى الصحن يوجد باب الغرفة صغيرة طرأت عليها تغيرات حديثة ، وهي تستعمل حاليا كدورة مياه ،وعلى يمين الداخل عند اجتياز الرواق الجنوبي الغربي المفتوح على الصحن نجد باب عرضه 1م وارتفاعه 2.1 ، وهو يؤدي إلى الغرفة الثانية التي لم نتمكن من الدخول إليها وذلك لخصوصيتها بالنسبة للقيم عن الزاوية ، إلا أنها أكبر الغرف في المسكن .

وفي نفس الرواق نجد بابا ثانيا بالجهة الشمالية الغربية للصحن عرضه 0.82م وارتفاعه 2.1م وعند اجتيازه يقابلنا باب آخر بنفس الاتساع وبنفس الجهة يبعد عنه بـ2.05م ، يؤدي إلى الغرفة الثالثة : وهي مستطيلة الشكل (5.6مx2.65م) وبالجهة الشمالية الشرقية للباب نفسه يوجد رواق طوله 4.65م به نافذة عرضها 0.8م تجاورها دعامة عرضها 0.5م وسمكها 0.35م مقابلة تماما للدعامة الأولى ، علما بأن جدار الرواق حديث ، أي أن الدعامتين كانتا تتوسطان الصحن ، والجدار الشمالي الغربي للرواق مقاسه 4.75م .

ويحتوي هذا الركن على دورة المياه الأصلية ، وهي مربعة الشكل (1.3x1.2) وهي لاتقوم بغرضها واستغلت مساحتها لأغراض أخرى .(المخطط 09).

د- الحمام :

يعتبر الحمام من ملحقات المركب ، ندخل إليه عبر باب بالجهة الشمالية الغربية اتساعه 96سم ، وارتفاعه 1.95م ، والحمام في تخطيطه مستطيل الشكل ، طول جداره الشمالي الغربي 3.36م ، وجداره الشمالي الشرقي 8.20م ، وهو يحتوي على مصطبة حجرية مستطيلة الشكل ، اغلب الضن أنها كانت تستعمل لغرض استراحة الناس بعد الاستحمام ، أما الجدار الجنوبي الشرقي فطوله 3.94م.

الجدار المقابل لمدخل الحمام يوجد بجانبه انحناء بالأرض عمقه 30سم ، يتم به ذبح الدجاج الذي يأتي به بعض الزوار إلى الضريح ، وهناك آثار للدماء حديث وآثار للحناء ، الجدار الجنوبي الغربي طوله 8.37م مزين ببلاطات خزفية خضراء وبيضاء اللون حديثة الصنع وبه بابان يؤديان إلى الحمام الممتلئ بالماء الدافئ ، الباب الأول يبعد عن الجدار الشمالي الغربي بـ 2.10م وعرضه 1.14سم ، ويبعد عن الباب الثاني بـ 1.60 ، ومقاساته 1.13م ، وهما مغطيان بشبابيك من حديد ، وسطحه من الأعلى مكسو ببلاطات من الآجر الأحمر وهو مستطيل الشكل ويبلغ طوله 12.25م ، وعرضه 5.25م .(المخطط 08)

والحمام في السنوات الأخيرة غمر بالمياه تماما بسبب الفيضانات التي مست المنطقة وهذا ما جعل دراسته من الداخل مستحيلة .

5- أهم التجديدات في المركب :

لقد طرأت على المركب الديني لسيدي محمد الغراب إضافات وتغيرات متعددة لكنها لم تمس بالمخطط العام فالمركب حافظ على معظم أجزائه المعمارية ، أما الزيادات التي تبدوا ظاهرة للعيان فنجدها خاصة في المسكن الذي غير تقسيمه الداخلي ، وأضيفت له بعض الزيادات من أبواب ونوافذ وبعض الجدران ، أما الحمام فمن الخارج فقد جدد بصفة كلية ، والمسجد لم نستطع تحديد الزيادات التي أضيفت له بسبب الخراب الذي لحق به . أما الضريح فقد حافظ على أصالته بالرغم من مرور الزمن بإستثناء القبور الحديثة التي وضعت داخل الضريح ، كما يمكننا ذكر تغير البوابة الأصلية للمركب والتي كانت في الجهة الجنوبية الشرقية والتي سدت بواسطة الإسمنت وفتحت بوابة جديدة في الجهة الجنوبية الغربية .

III – مدرسة جامع سيدي لخضر :

1– الموقع :

تقع مدرسة سيدي لخضر في رحبة الصوف أو ما يسمى بحي الجزارين أو قديد صالح رقم 165 ، وبذلك فالمدرسة تقع في وسط المدينة أو القصبة القديمة ، وهذه المدرسة تنفتح على الساباط الذي يربط بين نهج سيدي لخضر ونهج بن صغير عبد الوهاب المفتوح على رحبة الصوف .

2– أصل التسمية :

اشتهرت المدرسة منذ نشأتها باسم مدرسة جامع سيدي لخضر نسبة إلى الشيخ سيدي لخضر الذي كان أول عالم في المسجد المجاور للمدرسة فسميت باسمه وقد كان معروفا في تلك المنطقة على أنه ولي صالح وهو الآن مدفون في التربة التي كانت مجاورة للمسجد ، إلا أن ضريحه قد أتى عليه الزمان فلم يبق منه شيء ولا حتى أثر وذلك لما جرت عليه العادة في ذلك الوقت على تسمية المدارس والمساجد والزوايا بأسماء الشخصيات التي اشتهرت بالعلم والصلاح ، فنجد أن الكثير من المساجد والزوايا والمدارس تحمل أسماء رجال اشتهروا بالعلم تبركا ورغبة في الإقتداء بهم[1].

3– تاريخ التأسيس :

أسس صالح باي مدرسة سيدي لخضر سنة 1193هـ/1779م ، ويستشف هذا من الكتابة التي كانت تزين قاعة الدرس والتي انمحت مؤخرا ولم يعد لها وجود وقد قيد هذه الكتابة شاربونو وقال بأنها كانت في شكل شريط مقاساته (32.72مx15سم) ، كما ذكرها رشيد بورويبة بشيء من الفوارق البسيطة ، وفي هذه الكتابة مجموعة من الحكم والنصائح والإرشادات تدعوا الطلبة إلى التقوى والصبر والورع ومحاربة الأهواء ومحاربة الإنسان لنفسه وتنتهي بتاريخ بناء المدرسة وها هو نصها :

"فاز بالسعادة من أخلص العبادة ...رحم الله أمرا جعل الصبر مطية زاده والتقوى عدة وفائه ...رحم الله من قصر الأمل وبادر الأجل واغتنم المهل وتزود من العمل ...ذكر الله نور الإيمان ومطردة الشيطان ...ذكر الله شعار المخلصين وشيمة المتقين ...العاقبة في الذكر حياة القلوب وفي رضى الله نيل المطلوب ...وفي الطاعة كنوز الأرباح وفي الغروب عن الدنيا درك النجاح ...ذكر الله مجالسه ...العز لله ...خالف الهوى تسلم واعرض عن الدنيا تغنم ...ذكر الله ينير البصائر والضمائر... ذكر الله أجل العادة وأجمل مادة ... جهاد النفس ثمن الجنة ... فمن جاهد نفسه ملكها وهي أكـمل ثواب الله لمن عرفها ... جاهد نفسك وقدم توبتك وأغلب شهوتك أمنع طاعة غضبك يكـمل

---

[1] – رشيد بورويبة ، قسنطينة ، المرجع السابق ، ص126.

عقلك وتستكمل ثواب ربك ... طوبى للمنكسر قلوبهم من أجل الله ... طوبى لمن شغل قلبه بالفكر ولسانه بالذكر يارب اجعل رجائي غير منكسر لديك واجعل حسابي غير منحزم ... العز لله ... في تم بناء هذه المدرسة في ذي الحجة سنة 1193 والحمد لله رب العالمين[1].

4- النظام التعليمي بالمدرسة :

كان في مسجد سيدي لخضر أساتذة يعينهم صالح باي بنفسه ويؤجرون من ميزانية المساجد فكانوا يدرسون النحو والفقه وتفسير القرآن والتوحيد على الحديث ، وقد أصدر صالح باي قانونا خاصا بالمدارس في سبتمبر 1194هـ/1780م جاء فيه مايلي: " ستحتوي المدرسة على مسجد وهو قاعة تستعمل في نفس الوقت كبيت للصلاة وكغرفة للتدريس وعلى خمس حجرات أحدهما للأستاذ والأربعة الأخرى للطلبة وعلى ميضأة وحجرة صغيرة[2].

5- الوصف:

5-أ- التخطيط المعماري للمدرسة :

تتكون مدرسة جامع سيدي لخضر من طابق واحد لها مدخل رئسي وعبر سلم صاعد نصل إلي الصحن الذي تحيط به أربعة أورقة في الأصل ، غير انه تم إدماج رواقين في استحداث مرافق جديدة بالمعلم ، وفي الجهة المقابلة توجد قاعة الدرس ، في حين تقع ثلاث غرف خاصة بالطلبة في الجدار الشرقي وغرفة أخرى ربما كانت تستغل كمخزن تقع بالجدار الغربي فوق السلم ، ومطبخ وبيت للوضوء بالجهة الشمالية ، أما بالجهة الغربية فهي تمثل جدار مشتركا بين المدرسة والجامع كان به باب مسدود حاليا (المخطط 12).

5-ب- الواجهات

تقع مدرسة جامع سيدي لخضر في رحبة الصفوف ، كما أشرنا سابقا ، وهي تتوسط المدينة القديمة ونظرا لطغيان البنايات والدكاكين والتصاقها بجهاتها تعذر علينا وصفها من الخارج وتبقي الإشارة إلي الجدار المحاذي للشارع ، فهي تتكون من مدخل وسطح يحتوي علي باب خشبي ذو مصراعين تتكون من أخاديد تكون مستطيلات ملتصقة ببعضها البعض وهو خال من الزخرفة وتعلوها نافذة محمية بشباك حديدي وهذه النافذة من الخشب ذات دفتين يتخللها الزجاج وعلى اليمين توجد أخرى بنفس مواصفات النافذة الأولى وهي تخص قاعة التدريس .

---

[1]- Cherbonneau (A .) , «Inscriptions Arabes de la Medrasa de Sidi L-Ahdar a Constantine», in Revue Africaine, 1858, P 472.

أنظر : رشيد بورويبة ، قسنطينة ، المرجع السابق ، ص126.

[2] – نفسه ، ص126.

5-ج-المدخل :

مدخل رئيسي واحد يتم الدخول عن طريقه إلى المدرسة يقع بالجهة الشمالية الغربية ، وكما أشرنا سابقا أنه باب خشبي يتكون من مصراعين وهو ذو لون أخضر ومباشرة عند دخولنا نجد سلم يتكون من 12درجة تتراوح مقاساتها بين قائمة 0.25م والنائمة 1.50م وبسطة 1.50م تتخلله درابزين من الناحية اليسرى وهو قضيب حديدي يمتد على طول السلم واسطواني ملصق بالحائط بقطع حديدية تدمج في الحائط وهو أسود اللون ، ويؤدي بنا هذا الدرج إلى رواق عبر مدخل معقود بعقد مفصص . ومنه نصل إلى الأروقة التي تحيط بالصحن .(الصورة 71).

5-د-الأروقة :

يبلغ عدد الأروقة أربعة تحيط بالصحن في كل جهة رواق ، هذه الأروقة تقوم على أربعة أعمدة تقع في أركان الصحن وفوقها عوارض خشبية مستقيمة ، فهي خالية من العقود والأقواس ، مما يدل على التواضع المعماري للمدرسة على عكس المدرسة الكتانية التي تحيط بصحنها أروقة من ثلاث عقود فى كل جهة ، وربما أيضا يرجع إلى المساحة الصغيرة المخصصة للمدرسة مقارنة بمدرسة سيدي الكتاني(المخطط 12) .

5-هـ-الصحن :

يعد الصحن من أهم العناصر المعمارية التي تكون عمارة المدرسة بشكل عام ولهذا اعتمد عليه المعمار المغربي في التخطيط للمدرسة المغربية والعثمانية خاصة ، واعتبرها منطقة التوزيع والاتصال بين الإيوان الرئيسي وكتلة الخلاوي وكذلك لكونه منطقة الإضاءة والتهوية المركزية ، ولهذا اعتبر وجود الصحن عنصر أساسيا داخل المدرسة نفسها ومكوناتها الداخلية هذا ويعد الصحن العنصر الفريد الذي استغل فيه الفنان المغربي واجهات المباني المطلة عليه من الداخل لينظموها وفقا لأساليب معمارية فريدة .

إن تخطيط الصحن في أغلب المدارس المغربية مستطيل الشكل يتقدمه من الجهة الجنوبية إيوان رئيسي ، إلا أن صحن المدرسة مربع الشكل طول ضلعه 4.25م ، يحيط به رواقين وهذا ما نلاحظه حاليا إلا أنه في الأصل كان محاط بأربعة أروقة من الجهة الشمالية الغربية يوجد بزواياه الأربع أعمدة ، عمود مشكل من قاعدة مثمنة والبدن حلزوني يعلوه تاج دوري من مادة الرخام يستند على رقبة دائرية ينتهي بشكل شبيه بورقة الأكنتس به زخارف بارزة متمثلة في خطوط على واجهاته الأربعة ، وعليها يرتكز السقف مباشرة في شكل مستقيم تتوج واجهاته المطلة على الصحن بقراميد خضراء اللون أضفت على الصحن رونقا وجمالا .(المخطط 12 و الصورة 76) .

أرضية الصحن مبلطة بالإسمنت الحالي ، وفي الزاوية الشمالية الغربية منه يوجد حوض مائي مبني بالآجر وعلى حوافه مربعات خزفية مربعة الشكل وصغيرة الحجم بها زخارف هندسية عبارة عن مستطيلات وأشكال مخروطية يتوسطها في المركز شكل هندسي سداسي الأضلاع طليت باللون البني أو البرتقالي ، تبلغ مقاسات كل ضلع منها 20سم ويرتفع هذا الحوض على الأرض بـ 0.77م وسمكه 0.8م وعرضه 0.87م ، وفي الجهة الشرقية للصحن نجد جدارا به نافذة عرضها 1.47م .

-و- قاعة التدريس: تعد قاعة التدريس من أهم عناصر عمارة المدرسة المغربية نظرا لكون هذه الأخيرة تشتمل على قاعة واحدة وتشغل مساحة كبيرة قد حجبت قاعة التدريس بالكامل والتي تشرف علي الصحن في جميع المدارس المغربية ، وقد اكتفى المعمار بإيجاد باب صغير يغلق عليها ، ويعد حجب إيوان القبلة بهذا الشكل أسلوبا متأثرا بتأثيرات شرقية ، أما تخطيطها من الداخل فقد تنقسم قاعات الدرس في المدارس المغربية العثمانية إلي قسمين وقد أدى تقسيم القاعة لإيجاد روافع يرتكز عليها السقف من أعلي .

أما قاعة التدريس بمدرسة سيدي لخضر تقع في الجهة الجنوبية الشرقية للمدرسة ندخلها من باب واحد مصنوع من الخشب ، يتكون من دفتين يؤطره عقد مدبب خشبي هو الآخر بمنبته فتحات صغيرة ، ويحتوي الباب من الداخل على زخارف نباتية متعددة ، تتكون في مجلها من أوراق وفروع ملتوية متدخلة تشمل إطار الباب ككل ، وفوق العقد أغصان ملتوية ويحيط بالباب شريط رفيع عبارة عن أخاديد تشبه الحبل ، كما أطر المدخل من الخارج بمربعات خزفية هي الأخرى صغيرة الحجم زينت بزخارف نباتية وهندسية لونت بألوان متعددة.

وعلى يمين الباب وفى الجدار الشمالي للقاعة توجد نافذة أما الجدار المقابل للباب فإن به نافذة وباب يؤدي بنا إلى فناء مستطيل مكشوف .وعلى يسار الباب في الجدار الغربي يقابلنا باب يؤدى بنا إلى غرفة يفترض أنها كانت مكتبة ، وهي في الحقيقة مستحدثة حيث تم اقتطاعها من قاعة التدريس .

وقاعة التدريس مستطيلة الشكل يبلغ طوالها 6.30م وعرضها 5.2م بها ثلاث بلاطات عمودية على جدار القبلة ، كل بلاطة تتشكل من بائكة من قوسين نصف دائريين يرتكزان على عمودين رخاميين بدنهما أسطواني يرتكزان على قاعدة مستديرة يعلوهما تاج مستدير خال من أي زخرفة ، غير أنه تم اقتطاع البلاطة الثالثة واستحدثت غرفة فيها في الناحية الشرقية (المخطط 12 و الصورة رقم77) ، كسيت القاعة بدهن حديث ومن الملاحظ أيضا أن سقف قاعة التدريس مستحدث فهو مشكل من ألواح خشبية بسيطة (الصورة 72) .

والملاحظ على قاعة الدرس أنها خالية من المحراب ، ربما لأنها متصلة بالمسجد فهي تستغني عن المحراب لأن المسجد يؤدي وظيفة الصلاة .

5-ي- خلاوي الطلبة

تعتبر الخلاوي من أهم العناصر الأساسية التي تدخل في تكوين عمارة المدرسة والتي نجد أن المعمار أفرد لها أكثر من جهة على الصحن الداخلي وتكون هذه الخلاوي في بعض العمائر المكونة من دورين أو ثلاثة وذلك لضيق مساحة المدرسة وقد عرفت المدرسة بثلاثة نماذج لتخطيط الخلاوي :

- النوع الأول : تمتد الخلاوي على جانبي الصحن وهو النوع السائد في مجمل المدارس المغربية .
- النوع الثاني : توجد كتل الخلاوي على شكل طبقات متعددة تشغل زوايا المدرسة .
- النوع الثالث : نجد أنها تمتد على ثلاثة أضلاع من الصحن الداخلي إلا أن الكتلة الرئيسية من الخلاوي ممتدة على واجهة المدرسة الرئيسية من الخارج .

أما مدرسة جامع سيدي الأخضر فعددها ثلاثة نجدها بالجهة الشرقية من المدرسة كانت في الأصل تطل على الصحن لولا بناء الجدار الفاصل بين الرواق والصحن وهذه الغرفة بسيطة لا توجد بها أي زخرفة وبها نوافذ تطل كلها على خارج المدرسة وهي مستطيلة الشكل تختلف مقاساتها من غرفة لأخرى حيث يبلغ طول الغرفة التي على جانب المطبخ 3م وعرضها 2.05م والغرفة الثانية التي تقع في الجهة الجنوبية الشرقية للغرفة الأولى طولها 4.12م وعرضها 3م وبكلتا الغرفتين يتوضع بابان من الجهة الغربية ، الغرفة الثالثة تقع بجانب قاعة الدرس وهي مستطيلة الشكل مقاساتها كما يلي 3x 4.12م .(المخطط 12و الصورة 77) .

5-ر- المطبخ :

ككل المدارس في الإسلام نجد المطبخ الذي يمتاز بأهميته بحيث أنه المكان الوحيد المخصص للطبخ وتحضير الغذاء للطلبة والأساتذة .

يقع في الناحية الشمالية غير منتظم الشكل (المخطط 12) ، في زاويته الغربية يوجد فرن وأما في الزاوية الجنوبية من الأعلى نجد فتحة مربعة صغيرة على شكل نافذة ، أما السقف فهو خشبي واستعمل فيه قصب العرعار والملاط ، وفتح في وسط هذا السقف فتحة مربعة من الأسفل وتضيق نحو الأعلى لتصبح فتحة يحيط بها إطار خشبي يتخلله زجاج شفاف سميك أي على شكل هرمي مفتوح بنيت من الآجر واستخدم الملاط لتكسيتها .

5-ز- بيت الوضوء :

يكون في المدارس في أغلب الأحيان محاذيا للمرافق المعيشية وتحت السلالم ، ويعرف مكانه بواسطة العين الجدارية وكذلك أبوابه التي تقوم على أطر من الرخام أو الحجر الجيري ، والتي تكون أصغر حجما من الأبواب الرئيسية وكذلك نجد الكنيف الذي يكون مدخله منكسر وملتوي ذو انكسار واحد أو انكسارين يؤدي إلى حجرة ضيقة تشغل عمقها فتحت الكنيف وعلى يمينها حوض صغير ضيق ملاصق للحائط متصل بمجرى مائيي جاري .

تحتوي مدرسة جامع سيدي الأخضر على بيت للوضوء تقع في الجهة الشمالية للمدرسة وهي مكونة من جزئين لهما باب رئيسي واحد (الصورة 76) ، نجد الأولى التي على يمين الداخل كانت تمثل المرحاض أما الثانية والتي على يساره يحتمل أنها كانت مخصصة لإتمام الوضوء ، غير أنه لا توجد بها أي أحواض كما هو معهود في بيت الوضوء في عمارة المسجد والمدارس الإسلامية عامة .

6- أهم التجديدات بالمدرسة :

إن الزائر لمدرسة سيدي لخضر يدرك مباشرة الإضافات التي ألحقت بالعناصر الأصلية لأنها ظاهرة للعيان ومن السهل التعرف عليها فقد اقتطع من الصحن الرواق الشمالي ليستغل كمطبخ وجزء من قاعة الدس استغلت كغرفة كما هدم المحراب الذي كان موجود في هذه القاعة وأزيلت الكتابة التأسيسية والتي من حسن الحظ أنها حفظت لنا في الكتب ، كما أضيفت أبواب ونوافذ جديدة وتم استحداث السقف الداخلي .

أما بالنسبة للمخطط العام للمدرسة فإنه لم يتغير كثير وذلك عكس ماحدث لمدرسة سيدي الكتاني.

IV- دار بن جلول :

1- الموقع :

تقع دار بن جلول[1]. في حي القصبة إلى الجانب الغربي من جامع ومدرسة سيدي الكتاني تطل على سوق العصر، وهي تطل على سوق العصر من الناحية الشمالية .

2- أصل التسمية :

لقد أخذت هذه الدار تسمية دار صالح باي في أول الأمر ثم تغيرت التسمية بعد ذلك لتأخذ اسم دار بن جلول والحقيقة أنه لاتوجد معلومات تاريخية قد تحدثت عن سر هذا التغير .

3- تاريخ التأسيس:

لقد تم بناؤها في عهد حكم صالح باي خلال نفس الفترة التي بنا فيها الجامع والمدرسة[2].

4- الوصف :

4-أ- الواجهات :

تحتوي الدار على واجهتين، فالواجهة الشرقية تطل على جامع سيدي الكتاني وجزء من ساحة سوق العصر، فتحت بها ستة نوافذ خشبية مستطيلة الشكل كبيرة الحجم ملونة بالأزرق، أسفلها أربعة نوافذ هي الأخرى خشبية صغيرة الحجم ،كما فتحت بها أيضا مجموعة من الحوانيت التجارية ذات وظائف مختلفة أما الواجهة الشمالية فهي الرئيسية يتوسطها المدخل الرئيسي للدار وهي عبارة عن سباط مرتفع السقف (الصورة 78)، يؤدي إلى جامع سيدي الكتاني ، كما فتحت به ثلاثة حوانيت اثنان في نهاية السباط من الجهة الشرقية والآخر في الجهة الغربية هذا الأخير به أربع نوافذ خشبية مربعة الشكل إحداها مشبكة بقضبان حديدية ، وعلى العموم تظهر على هذه الواجهة مواد البناء المستعملة والمتمثلة في الحجارة الكبيرة المصقولة،واستعمل الملاط في الربط بين أجزائها ، أما الواجهة الغربية فهي ملاصقة في المدرسة الابتدائية "البنت المسلمة"ونفس الشيء ينطبق على الواجهة الجنوبية التي لاتظهر للعيان.

4 -ب- الطابق لأرضي :

ب-1- المدخل :

يتوسط الواجهة الشمـــالية المدخل الرئيسي للدار وهو عبــارة عن باب خشبي ضخم ذو دفة واحدة تقــدر

---

[1]- أصل هذه العائلة من المغرب استوطن أبناؤها مدينة قسنطينة منذ القرن السادس عشر ، تداولوا على الوظائف والخطط المخزنية فمنهم القاضي والعدل في عهد صالح باي وبعده. أنظر:

- فاطمة الزهراء قشي قشي ، قسنطينة المدينة والمجتمع ، المرجع السابق ، ص 120.

[2]- زهيرة حمدوش ، البلاطات الخزفية بمدينة قسنطبنة خلال العهد العثماني ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الأثار الإسلامية معهد الآثار ، جامعة الجزائر ، 2008-2009 .

مقاساته بـ (265×162)سم ، فتحت به نافذة في الأعلى مشبكة بقضبان حديدية ، تؤطره ألواح رخامية تعلوها عقد نصف دائري هو الآخر من الرخام ، يتوسط مفتاحه ورقة الأكنتس فوقها هلال متجه إلى الأعلى (الصورة 78) ، يفضي المدخل إلى سقيفة أجريت عليها إضافات وتغييرات من طرف الساكنين بها وذلك ببناء جدار في الجهة الشرقية ،حيث شكلت رواق مستطيل الشكل تقدر مقاساته بـ (350×168)سم مبلط ببلاطات خزفية حديثة ، في نهايته من الجنوب فتح باب شبيه بباب المدخل مقاساته (25×155)سم ،نزع مصراعه الخشبي وعوض بباب حديدي هذا الأخير يؤدي إلى الصحن.

ب-2- الصحن :

يتخذ الصحن الشكل القريب من المربع (740×740)سم ، ينخفض بحوالي 10سم عن أرضية الأروقة يتوسط أضلاعه 12عمودا رخاميا مضلعة الشكل يبلغ طول كل عمود 177سم ،حاملة لتيجان مزينة بالهلال والحلقات البيضوية والورود ، تعلوها وسائد خشبية تنطلق منها 12عقدا منكسرا (أنظر اللوحة"ه" الصورة06-08)وقد بلطت أرضية الصحن ببلاطات الرخام المربعة الشكل (50×50)سم .

ب-3-الأوقة :

ويتقدم الصحن أربعة أروقة مسدودة بالإسمنت تتوزع خلفها الوحدات السكنية[1]. فتحت في الرواق الغربي والجنوبي أبوب مستحدثة من الخشب والحديد ، فأما الباب الغربي فيؤدي إلى الحمام والبابان الشرقيان فيفضي كل واحد منهما إلى غرفة ، كما فتحت في الركن الشمالي الشرقي مدخل الكنيف وهو عبارة عن باب خشبي ذو دفة واحة تقدر مقاساته بحوالي (150×180)سم مزين بزخارف قوامها الشكل المضلع داخل مربع وعلى جانبيه ألواح رخامية ينطلق منها عقد شبيه بالعقود الرخامية السابقة(الصورة 82).

نصعد إلى الطابق العلوي بواسطة سلم منكسر،يعلو مدخله ساكف من الخشب أما مخرجه فهو مؤطر بألواح رخامية متوجة بعقد نصف دائري من الرخام أيضا (الصورة 80) ، بلطت أرضيته ببلاطات حديثة أما جدرانه فقد كسيت بمجموعة من المربعات الخزفية مختلفة المواضيع الزخرفية وبألوان متعددة، جاءت في شكل منفرد وتجميعات متبادلة ومتكررة ، والشيء الجميل في السلم أيضا هو سقفه الخشبي الذي شكلته ألواح متقاطعة يتخللها فراغ مربع (الصورة 83).

---

[1]- تعذر علينا وصف غرف الرواق الجنوبي والشرقي لأن الساكن بها لم يسمح لنا بذلك

من هذا السلم نجد مدخل يوصل إلى الطابق الأول الذي تحيط به أروقة تتقدمها درابزين خشبية على شاكلة المنازل المدروسة ، وهو اليوم مسدود بمواد بنائية حديثة الصنع ، وهذا الطابق شبيه إلى حد كبير بالطابق الأول وذلك في دار الدايخة بنت الباي.

ج- الطابق الثاني :

نصل إلى الطابق الثاني حيث نجد أربعة أروقة شكلتها لنا 12 من أنصاف أعمدة رخامية شبيهة بأعمدة الطابق الأرضي (الصورة 87)، تعلوها 12عقدا نصف دائريا موزعة بالتناظر والتقابل،كما أن بداية ونهاية كل رواق معقودة بعقد هو الآخر نصف دائري ، تربط بين الأعمدة وجدران الأروقة أوصال خشبية كما تتوضع في الأسفل درابزين من الجص وهي حديثة الصنع (الصورة 81-82) بلطت أرضية الأروقة ببلاطات خزفية حديثة ، أما سقفها فمن الخشب على شاكلة سقف السلم الملون بالبني .

تنفتح على الأروقة أبواب الغرف الخشبية المكونة من دفة واحدة مزينة بزخارف نباتية وهندسية ، قوامها الورود والسيقان المتداخلة والمتشابكة داخل مربعات ومستطيلات ودوائر ، تؤطرها ألواح تعلوها عقود نصف دائرية من الرخام (الصورة 79)على جانبيها فتحت نوافذ خشبية كبيرة الحجم تطل على أروقة الصحن.

فتحت على جوانب الأروقة أربعة غرف كبيرة وثلاثة أخرى في الأركان ، اشتملت على خزائن جداريه معقودة بعقود إهليليجية،كما تتوضع مدفئة في الغرفة الغربية ، تتوسط الغرفة الجنوبية الشرقية ثلاثة أعمدة رخامية مضلعة الشكل ينطلق منها عقدين نصف دائريين ، زينت بواطنها وواجهاتها تجميعة من أربع مربعات خزفية قوامها زهرة القرنفل (الصورة 86) ، كما كسيت أجزاء من جدران الغرف بشريط من المربعات الخزفية في شكل منفرد وتجميعات متعددة الأشكال خاصة في الغرفة الغربية (الصورة 86-أ- 90) ، أما سقفها فنجد نوعين من التسقيف النوع الأول مسطح والثاني خشبي نفذت عليه زخارف متنوعة بأسلوب فني غاية من الروعة والجمال ، تبرز مهارة الفنان في الأعمال الخشبية (الصورة 85) ، ومقابل المدخل نجد إيوان معقود بعقد مفصص عليه زخارف هندسية ومن الداخل كسيت أعلى جدرانه إفريز من المربعات الخزفية ، وكذا سقفه الخشبي شبيه بسابقيه . وللإشارة أن السلم الرئيسي يتواصل إلى الأعلى حيث يتكون من درجات خشبية تقودنا إلى غرفة السطح .

5- أهم التجديدات :

لقد تعرضت الدار إلى تغييرات كبيرة خاصة في عناصرها المعمارية ، فقد أضيفت لها بعض العناصر والزيادات غيرت كثيرا في أصالتها الأولى خاصة فيما يتعلق بالواجهات فقد تغيرت كثيرا في الفترة الاستعمارية ، بالإضافة إلى الصحن الذي أزيلت منه النافورة الرخامية واستبدلت بعض الأعمدة الرخامية بأخرى من الإسمنت ، أما الأروقة فقد فقدت الكثير من رونقها ، والغرف تغيرت معالمها الأولى أما الأبواب فقد استبدلت معظمها بأخرى خشبية مشابهة للأصلية أو بأبواب حديدية ، أما الجانب الزخرفي فقد حفظ معظمه من التلف وأبرز الأشياء التي بقيت شاهدة على أصالة هذا المبنى هي البلاطات الخزفية.

V- جامع صالح باي بعنابة :

1- الموقع :

يقع الجامع في قلب مدينة عنابة وبالضبط في الناحية الشرقية من مساحة العرض العسكري بوسط مدينة عنابة والمعروفة بحارة سيدي شريط (سابقا) ساحة 19 أوت 1956م حاليا. (الخريطة 02).

2- أصل التسمية :

لقد سمي بجامع الباي نسبة لمؤسسه صالح باي بن مصطفى الذي أسسه وزاوج فيه بين المذهبين المالكي والحنفي ، وسبب تأسيس هذا الجمع يرجع إلى الصراع الذي دار في مدينة عنابة بين المالكية والأحناف .

3- تاريخ التأسيس :

لم يختلف الباحثون في تاريخ تأسيس هذا الجامع لأن ذلك محدد في الكتابة التذكارية التي توجد في الجدار الشمالي للجامع بشارع مبروك علي ، حيث ذكر اسم مؤسس الجامع ، كما كتب تاريخ تأسيسه رمزيا في جملة من الكلمات ، ثم بالأرقام في آخر نص القصيد ، وهو :

" فمذ أسس البيت الرفيع على الهدىّ أأرخه للخير برك جامع"

سنة1206هـ

وقد حدد تاريخ التأسيس بإحصاء الحروف التي تتركب منها جملة "بالخير برك جامع" ، وهذا حسب الطريقة المغربية أو المشرقية[1].

والمجموع هو 1206هـ الموافق لـ 18 أوت 1792م ، وهذه الفترة تسبق قتل صالح باي بأيام قليلة ، أما بالنسبة لوثيقة الوقف المؤرخة بسنة 1185هـ الموافق لسنة 1781م فإنها توكد عزم صالح باي بناء هذا الجامع قبل هذه الفترة بكثير . لقد ذكر ابن النقاد هذا الجامع في مخطوطه حيث وصفه كما يلي :"وبنى جامعا ببونه بناء متقنا "[2].

---

[1]- Paier (AL.)La Mosqueè de Bone , in Revu Africaine , N°34-1 , o.p.u , Alger 1985 , p.264.

[2] – محمد الطاهر ابن النقاد ، المصدر السابق ، ص10.

4- وصف مخطط المسجد :

يتميز جامع صالح باي بعدم انتظام مخططه العام تبلغ مساحة الجامع الإجمالية بـ1187.76 م^2 .

بيت الصلاة في الجامع من النوع الذي يتميز بالقبة المركزية المحاطة بقبيبات صغيرة ، وهو يتخذ الشكل المستطيل وله جزء مركزي تعلوه قبة تقوم على حنايا ركنية وتحيط بهذا الجزء أروقة واحد منها مواز لجدار القبلة وهو في مؤخر المسجد بينما الرواقان الآخران عموديان على الجدار و يكتنفان الجزء المركزي و تحدهما بائكتان بكل منهما ثلاثة عقود محمولة على دعامة و كتيفتين و زوج من الأعمدة ، أما البائكة الموازية لرواق المؤخر فهي متكونة من خمسة عقود يحملها كتفان و دعامتان و مجموعتان من الأعمدة الثلاثية و يتوسط جدار القبلة محراب مجوف ، اتخذ تجويفه شكل مربع واعتمدت وسيلة التغطية على ثلاثة أنواع هي القبة المركزية كبيرة الحجم و القبيبات الصغيرة و الأقبية البرميلية في مؤخرة بيت الصلاة ، ويتم الدخول إلى الصحن من الباب الرئيسي .

5- الوصف العام :

أ – الوصف الخارجي :

الجامع عبارة عن مضلع غير منتظم مثل بعض الجوامع في مختلف المدن الجزائرية ، مثل جامع علي بتشين وجامع كتشاوة ومسجد سيدي عبد الرحمن الثعالبي ومسجد سيدي أبي مدين .

فعرضه أكثر من عمقه ، حيث يبلغ عرضه 4.40م ويبلغ عمقه 29.40م ، وتبلغ مساحته 1187.76م^2 [1].

(المخطط 13) .

1- الواجهات : الجامع محاط بأربعة شوارع وبالتالي فيه أربع واجهات وهي :

1-1 الواجهة الغربية : وتمثل الواجهة الرئيسية للجامع ، حيث تطل على ساحة 19أوت 1956م[1*] وتتضمن مدخلا عبارة عن بوابة تؤدي إلى رواق طويل[2] يطل على الساحة نفسها من خلال بائكة من عقود منكسرة متجاوزة تحملها دعامات ، وبكل دعامة عمودان ، تتخللها حواجز حديدية[3] ، ويتم الدخول إلى هذا الرواق بعد تخطي ستة أدراج (الصورة 99).

1-2 الواجه الشرقية : وتطل على شارع بوروغة Bourougha ، وتتضمن بروزا مضلع الشكل الذي هو المحراب من الخارج ، حيث يبلغ بروزه 1.25م ،كما توجد في أعلى جدار هذه الواجهة ثلاثة نوافذ بشبابيك .

(المخطط 17) .

---

[1]- Rachid (B.)Apport de L'Algèrie à l'architecture Arabo - Islamique , o.p.u , Alger 1985 , p.17.

[1*] وتعرف في السابق بساحة السلاح .

[2] – وقد أضيفت هذه الواجهة إلى الجامع سنة 1269هـ/1853م بتخطيط ورسم بشرون M.Becheron ، مهندس معماري وطالب قديم وخريج مدرسة الفنون الجميلة.

[3] – نجد نفس النموذج في الجامع الكبير بالعاصمة .

1-3 الواجهة الشمالية : وتطل على شارع مبروك علي ، وهي تتضمن ثلاث مداخل (الشكل 09-ب-) ، مدخل يؤدي إلى الرواق الطويل ، وهو عبارة عن بوابة صغيرة ، ومدخل يؤدي إلى القاعة المستطيلة وهو عبارة عن باب معقود بعقد نصف دائري يبلغ عرضه 1.23م وطوله 2.23م ، ويتم الدخول منه بعد تخطي عتبه ارتفاعها 22سم.

أما الباب الثالث فيدخل إلى ممر يؤدي إلى الصحن ، مقاساته هي نفس مقاسات الباب المؤدي إل القاعة المستطيلة وهو معقود بعقد نصف دائري .

وما يلفت الانتباه في هذه الواجهة هو وجود لوحة تذكارية رخامية*[1] تعلو هذين البابين الأخيرين ، وهي تحمل أبيات شعرية ، وعرض هذه اللوحة 80سم وارتفاعها 50سم. وهي كالتالي :

سطر(1) : - لعمرك بيت الله للسر جـــــامع - مشيد الأركان به النور ساطع

سطر(2) : - بدت دونه زهر الكواكب رفعـــه - به بنوه للسعد منهـــا مطع

سطر(3) : - به جاء تاج الدين و المجد صـــالح - إلى درج العلياء راق و طـالع

سطر(4) : - أمير البرايا زاد ضفرا و نصـــــرا - مؤيد دين الحق للشرع تـــابع

سطر(5) : - فمذ أسس البيت الرفعى الهـــدى - أأرخه للخير برك جـامع سنة 1206م.

وفي نفس الجدار توجد فتحة نصف دائرية ونافذة ذات شبابيك ، وهي خاصة بالقاعة المستطيلة وتبرز قاعدة المئذنة في هذه الواجهة عن جدار الجامع بـ 2م ، كما توجد كذلك ثلاث نوافذ ذات شبابيك خاصة ببيت الصلاة (الصورة 100) .

1-4 الواجهة الجنوبية : وهي التي تطل على شارع نيغرو، وتتصمن مدخلا يؤدي إلى القاعة الملحقة ببيت الصلاة ، مقاساته 1.14م عرضا و2.10م ارتفاعا ، ويتم الدخول منه بعد تخطي ستة أدراج ، كما يعلوه إطار زخرفي.

ويوجد كذلك في الطرف الغربي من هذه الواجهة بوابة أخرى تؤدي إلى الرواق الطويل ، كما توجد ثلاث نوافذ خاصة بالغرف الملحقة للجامع ، كذلك توجد فتحة ذات شباك في أسفل الجدار ، وهي خاصة ببيت الوضوء .

---

*[1] هذه اللوحة لم تعلق في عهد صالح باي ، فقد تم تعليقها بعد وفاة الباي مصطفى الوزناجي.

وتعلوا الواجهة الرئيسية حواجز وقائية ، كما تعلوا كذلك أركان باقي الواجهات ، وعرض هذه الحواجز 32سم بينما ارتفاعها 1.15م .

2- السطح : من خلال المخطط يظهر سطح الجامع مسطحا في الصحن والملحقات ، بينما كله مقبب في بيت الصلاة ، حيث تعلوه قبة رئيسية كبيرة تتقدم المحراب وهي ذات رقبة مثمنة تنفتح فيها ثمانية نوافذ ذات شبابيك. ويحيط بهذه القبة من الناحية الشمالية والغربية والجنوبية تسع قبيبات ثانوية تغطي باقي مساحة بيت الصلاة وهي قائمة على قواعد دائرية.

3- المآذن : تنتصب مأذنة في الزاوية الشمالية الغربية من بيت الصلاة[1] ، بارتفاع يصل إلى 15.34م وتقوم على قاعدة مضلعة أما بدنها فهو ذو شكل أسطواني تتخلله مجموعة من الفتحات عددها أربعة على خط شاقولي لتخفيف ضغط البناء من جهة ، وتسرب النور والهواء من جهة أخرى على غرار معظم المآذن عموما وعرض هذه الفتحات من الداخل 20سم وارتفاعها 29سم ، وتضييق في الخارج حتى يصبح عرضها 8سم وارتفاعها 22سم ، وهي بذلك تشبه المزاغل ، مما يوحي أنها خاصة للمراقبة والتهوية معا .(الصورة 101) .

ويتم الدخول إلى المئذنة عبر باب عرضه 70سم وطوله 1.42م وهو معقود بعقد نصف دائري ، وهذا بعد تخطي عتبة ارتفاعها 22سم.

أما من الداخل فتحتوي على نواة مركزية أسطوانية يدور حولها سلم دائري يتكون من تسع و خمسين درجة عرضها 27سم وارتفاعها 26سم ، ويتم بواسطتها الوصول إلى الجوسق الأسطواني ، وهذا الدرج عرضه ، وطول الدرج الواحد 67.5سم بينما ارتفاعه 24سم.

يتم الدخول إلى قاعدة الجوسق عن طريق باب عرضه 59سم وارتفاعه 1.55م ، وهو معقود بعقد نصف دائري أيضا. توجد شرفة في الجزء العلوي من البدن يعلوها جوسق ينتهي بقبيبة مخروطية الشكل مما يجعل هذه المئذنة شديدة الشبه بالمآذن العثمانية وهي ذات شكل مخروطي مما يجعل المئذنة تأخذ شكل القلم[1*] المتوج بهلال. (الشكل 1- أ-).

---

[1] – مثل مكان مآذن الجامع الكبير بندرومة ومسجد أولاد الإمام ، والجامع الكبير والجامع الجديد بالجزائر العاصمة.

[1*]- وبذلك أخذت مصطلح المئذنة القلمية وكذا مصطلح آخر المئذنة الرمحية أو الأسطوانية.

لقد ذكر ابن النقاد هذه المئذنة في قوله :" وبه منارة عجيبة حتى قيل أن لم يرى مثلها "[1] .

ويوجد أيضا أمام المدخل الرئيسي للجامع وفوق منتصف الرواق الطويل برج مبني على شكل مئذنة متوازية المستطيلات يبلغ ارتفاعه من 5 إلى 6 أمتار [2] وطول ضلعه 2.33م ، وتعلوه قبة منخفضة الشكل ، وتعلوه 20 شرفة ، وقد أقيم هذا الدرج لوضع الساعة[3] . (الصورة 102 والشكل 1-ب-)

كما توجد في الجهة الجنوبية الشرقية بقايا قسم سفلي لمئذنة ثالثة ذات طابع مغربي *1.

ومن خلال هذا الوصف الخارجي نستطيع القول بأن جامع صالح باي ينفرد بتصميم خاص يميزه عن بقية الجوامع الإسلامية أو العثمانية بصفة عامة.

ب – الوصف الداخلي :

1– الصحن : يتم الدخول إليه عن طريق رواق طويل يؤدي بدوره إلى بلاطة هي الأخرى نصل بواسطتها إلى الصحن ، وهذا بعد تخطي عتبة الباب التي ترتفع بـ4.5سم ، وعرض هذا الباب 1.45م وارتفاعه 2.80م ، ومن البلاطة يتم الصعود إلى الصحن بعد تخطي ثلاث أدراج .

وهذا الصحن يقع في محور بيت الصلاة ، وهو ذو شكل مضلع غير منتظم ، عرضه 17م وعمقه 10م.

وللصحن رواقان موازيان لجدار القبلة ، أحدهما محاذي لبيت الصلاة به سبع أعمدة تحمل ستة عقود ، والآخر يلي المدخل الرئيسي وهو يحتوي على ست أعمدة تحمل خمسة عقود ، ومن هذا الأخير وعلى يمين المدخل الرئيسي يتم النزول إلى بيت الوضوء المستحدث عبر أربعة عشر درجا ، وتعلوا كل عمود بلاطة خزفية ذات زخارف هندسية.

كما يرتفع هذان الرواقان عن الصحن بـ7.5سم من الجهة الشمالية وينخفضان إلى 4سم في الجهة الجنوبية ، وهذا لانحدار أرضية الصحن في اتجاه المسكوكة حتى تتجمع المياه فيها ، وبالتالي تنتقل عبر هذه الأخيرة إلى الماجل*2 والذي هو حاليا عبارة عن بيت للوضوء.(المخطط 16).

وأرضية الصحن كلها مغطاة ببلاطات مربعة حديثة الصنع ، كما كانت تتوسطها ميضأة.

---

[1] – محمد الطاهر ابن النقاد المصدر السابق ، ص9.

[2]– Paier (AL.)op.cit , p.313-314.

[3]–Ibid , p.314.

*1 - هي مئذنة قديمة للمالكية أزيلت سنة 1796م وهذا بعد مجيء الباي مصطفى الوزناجي ، الذي أزال عن المسجد مظاهر العمارة المغربية ، ولم يترك إلا الطابع التركي ، وهكذا لم يبق من هذه المئذنة إلا القاعدة .

*2 - وهو بمثابة خزان للماء .

ومن الجهة الشمالية للصحن يوجد بابان يؤديان إلى القاعة المستطيلة مقاساتها 58سم عرضا و 1.87م ارتفاعا الباب الأول يلي مباشرة المدخل الرئيسي للصحن ، والثاني في وسط الجدار الشمالي للصحن ، ويتوسطهما عمودان ذا عقد نصف دائري وتتوسط هذا العمودان نافذة ذات شباك.

كما يوجد منفذ يؤدي إلى شارع بوروغه ، وهو مابين قاعدة المئذنة والقاعة المستطيلة ، وفي الطرف الشمالي من الرواق المحاذي لبيت الصلاة يوجد مدخل يؤدي إلى قاعدة المئذنة ، وسلم يؤدي إلى سطح الصحن .

أما الجهة الجنوبية للصحن فهي تحتوي على أربع غرف استعملت كملحقات للجامع .

وفي الزاوية الجنوبية الشرقية من الرواق المحاذي لبيت الصلاة يوجد باب يؤدي إلى ملحقة بيت الصلاة التي كانت بيتا للوضوء سابقا[1].

كما أن الجزء السفلي من جدار هذا الرواق مكسي كباقي جدران الصحن بمربعات خزفية خالية من الزخرفة[2] في نفس الجدار توجد أربع نوافذ ذات شبابيك ، يتوسطها المدخل الرئيسي لبيت الصلاة. (الصورة 109-110).

2- بيت الصلاة : من وسط الرواق المحاذي لبيت الصلاة ، يتم الدخول إلى هذا الأخير عبر باب رئيسي ، وهذا بعد تخطي عتبة عرضها سم وارتفاعها 8سم . وهذا الباب هو المدخل الرئيسي لبيت الصلاة ، حيث يدخل مباشرة إلى الرواق الموازي لجدار المحراب ، ويتوسط الجدار الغربي لبيت الصلاة ، وهذا مايجعله على محور مع المحراب.

وهذا الباب يحتوي على مصراعين كما يعلوه عقد نصف دائري ، يبلغ عرضه 1.45م أما ارتفاعه 2.40م (الشكل 09) ، وبيت الصلاة يتقدم الجامع نحو الشرق ، وهو مستطيل الشكل نسبيا ، وعرضه أكثر منه عمقه حيث يبلغ عرضه 14.50م ، أما عمقه 12.70م ، ومساحته 184.15م^2 .

وهو يشتمل على ثلاث أروقة تتوزع على الجهات الشمالية والجنوبية والغربية ، مما يشكل مع جدار القبلة بلاطة المحراب.

---

[1] – عبد العزيز شهبي ، مقارنة بين ثلاث مساجد في الشرق الجزائري ، رسالة ماجستير ، الجزائر ، 1980 ، ص159.

[2] – وهذه البلاطات الخزفية ليست أصلية ، فالبلاطات الأصلية كانت ذات زخارف هندسية على مستوى الجدار المحاذي لبيت الصلاة .

فالرواق الغربي الذي يلي المدخل الرئيسي لبيت الصلاة والموازي لجدار القبلة عرضه 3.10م ، وبه تسع دعامات واثنتا عشرة عمودا ، منها ستة أعمدة خماسية الأضلاع وأربع أعمدة منفوخة وعمودان ثمانيا الأضلاع ، كما تقطع هذا الرواق أربع عقود ذات أخاديد . وترجع كثافة هذه الأعمدة والدعامات في هذا الرواق لحمل الدكة التي تعلوه ، والتي يتم الصعود إليها عن طريق سلم ذو اثني عشرة درجا في الطرف الشمالي من هذا الرواق .

كما يوجد باب في الطرف الجنوبي من نفس الرواق يؤدي إلى ملحقة بيت الصلاة ، ويبلغ عرضه 1.86م بينما ارتفاعه 2.59م ، وبه مصراعان .

والدكة مبنية بالخشب يبلغ عمقها 3.86م وعرضها 3.10م، وتتخللها عقود نصف دائرية قائمة على الجدارات[1*] التي تعلو السرايا والدعامات.

وهذه الدكة تطل على باقي مساحة بيت الصلاة من خلال الدرابزين في اتجاه حائط القبلة ، يتوسطه بروز خماسي الأضلاع[2*] قطره 1م ، أما الرواقان العموديان على جدار القبلة فهما مكونان من بائكة من ثلاث عقود محمولة على ثلاث دعامات وعمودان منفوخان ، ويبلغ عرض هذين الرواقين 3.25م .

وعلى إثر هذا التصميم الذي يتميز به بيت الصلاة تتشكل البلاطة الرئيسية التي يتقدمها المحراب ، حيث يبلغ عرضها 6.16م وعمقها 7.82م ، وبالتالي فهي تشغل معظم مساحة بيت الصلاة .

والمحراب عبارة عن تجويف خماسي الأضلاع يتوسط الجدار الشرقي لبيت الصلاة ، يبلغ عمقه 1.33م بينما عرضه 2.11م ، وقد زخرف جزؤه السفلى ببلاطات زخرفيه ذات زخارف نباتية ، بينما جزؤه العلوي أملس.

ويقوم على طرفي المحراب عمودان أسطوانيان مصنوعان من المرمر ، يعلوهما تاجان هرميان ارتفاعهما 27سم .

والمحراب متوج بقوس منخفضة ، وهي قوس افتتاحية وهذه الأخيرة محاطة بحافة منحنية على شكل حلزوني ، ثم يليها إطار فيه كتابة تحمل آية قرآنية . (الصورة 105والشكل 05)

وعلى الجانب الأيمن من المحراب يوجد المنبر ، حيث يبلغ طوله 3.37م وعرضه 0.93م ، بينما ارتفاعه 2.75م وبه ثماني درجات.

وجدران بيت الصلاة ترتفع إلى 4 أمتار وقد كسي قسمها السفلي بمربعات خزفية ذات زخارف نباتية ، ويعلو هذا القسم شريط خال من الزخارف بينما يبقى جزؤها السفلي أملس. (الصورة 103-104 والشكل 03).

---

*1- الجدارة مصطلح ورد لدى أحمد فكري والمقصود منه عمود صغير يستعمل أعلى التاج لرفع السقف إلى المستوى المطلوب .

*2- وفي هذا البروز كان يقف المسمع أثناء الصلاة .

وقد أدمجت في هذه الجدران أنصاف دعامات ، وبكل دعامة يوجد شمعدان. كما فتحت في أعلى هذه الجدران نوافذ موزعة تحت القبيبات ، ثلاث منها في الجدار الشمالي وثلاث في الجدار الجنوبي وثلاث في الجدار الشرقي ، وهي ذات شبابيك .

وفي الجدار الغربي أي سطح الدكة توجد خمس نوافذ سدت أربع منها ، ولم تبق سوى تلك الموجودة في أقصى شمال هذا الجدار.

كما فتحت في أسفل هذا الجدار كذلك أي أسفل الدكة ست نوافذ ذات شبابيك ، ثلاث منها على يمين المدخل الرئيسي لبيت الصلاة وثلاث على يساره.

وفي أسفل الجدار الجنوبي توجد أربع خزائن جدارية كانت عبارة عن نوافذ سابقا ، وفي أقصى شرق الجدار نفسه يوجد باب عرضه 85سم أما طوله 1.87م[*1].

وسقف بيت الصلاة مقبب ، فالأروقة الثلاثة سقفت بتسع قبيبات ، أما بلاطة المحراب فسقفت بقبة رئيسية .

وكل هذه القباب تعتمد على الأعمدة والدعامات وهذا مايفسر كثافة هذه الأخيرة .

والقبة الرئيسية تعتمد على قاعدة مربعة ، تنتقل إلى القاعدة الدائرية عن طريق مثلثات تتوسطها مشكاوات وهي خالية من الزخرفة. (الصورة 107-108) وهذه القبة كاملة البناء ، مقطعها الهندسي من العقد الحدوي قطرها 6م وارتفاعها 4.10م .

أما القبيبات الباقية فتنتقل من القاعدة الدائرية بدون مشكاوات كما أنها كذلك خالية من الزخرفة .

3- المرافق : تعددت المرافق في جامع صالح باي بتعدد وظائفها ، حيث أدمجت بالجمع وأصبحت كملحقات به ولكل منها وظيفتها وهي كالتالي :

3-1- القاعة المستطيلة : كانت تستعمل كمدرسة قرآنية وهي تقع في الجانب الشمالي من الصحن يبلغ عرضها 2.5م وطولها 13.5م وتنفتح فيها خمسة أبواب ، بابان في الجدار الجنوبي يؤديان إلى الصحن وبابان في الجهة الغربية يؤديان إلى الرواق الطويل ، وباب في الركن الشمالي الشرقي يؤدي إلى غرفة ، كما توجد آثار لباب في الركن الشمالي الغربي ، وتوجد نافذة تطل على الرواق الطويل (المخطط 15) . وهذه القاعة مغطاة بقبواة أسطوانية تتوسطها من الناحية الشمالية فتحة للإضاءة والتهوية

3-2- الغرف : توجد أربع غرف في الجهة الجنوبية من الصحن وهي متفاوتة المقاسات ، ويبدو أنها استعملت في إيواء العلماء والأئمة والطلبة وكمخازن حاليا .

- الغرفة الأولى : وهي في أقصى جنوب الرواق الغربي من الصحن ، يبلغ عرضها 2.07م وعمقها 4.65م ،

[*1] وحسب أقوال بعض الأشخاص المسؤولين على الجامع ، فإن الباب كان يدخل منه الإمام ، وهذا ما يجعلنا نفكر بوجود مقصورة خلف هذا الباب قبل أن تتحول إلى بيت للوضوء ، ثم إلى ملحقة لبيت الصلاة .

ينفتح بها باب في الجدار الغربي يؤدي إلى الرواق الطويل.

– الغرفة الثانية : تلي الغرفة الأولى من الناحية الشرقية ، يبلغ عرضها 3.14م وعمقها 3.44م ، بها دعامتان في الجدار الشمالي وبكل دعامة عمود ويربط هذان العمودان عقد نصف دائري.

– الغرفة الثالثة : تلي الغرفة الثانية من الناحية الشرقية حيث يبلغ عرضها 2.76م وعمقها 3.62م .

– الغرفة الرابعة : وهي في أقصى جنوب الرواق الجنوب الشرقي المحاذي لبيت الصلاة ، وتلي الغرفة الثالثة من الناحية الشرقية ويبلغ عرضها 2.62م وعمقها 1.75م .

كما توجد غرفة في أقصى شمال القاعة المستطيلة يبلغ عرضها 2.30م وعمقها 3.60م ، وينفتح بها باب في الجدار الغربي يؤدي إلى الرواق الطويل(المخطط 15) .

3-3- بيت الوضوء : يقع بيت الوضوء تحت صحن الجامع فقد كان يستعمل سابقا كماجل تتجمع فيه المياه يتم النزول إليه بعد تخطي سلم من خمسة عشر درجا ، وهذا السلم يوجد بشمال الرواق الغربي وبالتالي فهو يلي المدخل الرئيسي للصحن . وقد سقف بيت الوضوء بقبوات أسطوانية كغيره من المواجل .

وتوجد في أقصى الجدار الجنوبي لبيت الوضوء فتحة ذات شبابيك تطل على شارع نيقرو .

د- ملحقة بيت الصلاة : تقع في الجهة الجنوبية لبيت الصلاة وهي ذات شكل مضلع غير منتظم ، يبلغ عرضها 9م وعمقها 7.80م ، وتنفتح فيها ثلاث أبواب ، باب في الجهة الجنوبية يؤدي إلى شارع نيغرو وباب في الجهة الشمالية يؤدي إلى بيت الصلاة[1*] وهذا بعد تخطي درجين رخاميين ، الدرج الأول هو الدرج السفلي عرضه 31.5سم وارتفاعه 17.2سم أما الدرج الثاني وهو الدرج العلوي يبلغ عرضه 41سم بينما ارتفاعه 18.5سم . أما الباب الثالث فهو موجود في الجهة الغربية حيث يؤدي إلى الصحن ، ويبلغ عرضه 1.60م أما ارتفاعه 2.52م.

كما توجد بالجدار الشمالي وعلى يمين الباب المؤدي إلى بيت الصلاة أربع نوافذ ذات شبابيك . كما توجد فتحة في وسط السقف المسطح لهذه الملحقة .

4- الرواق الطويل : يوجد في الجهة الغربية من الجامع حيث يشكل الواجهة الرئيسية وهو مستطيل الشكل يبلغ طوله 39.57م أما عرضه 3.60م ، ويطل على ساحة 19 أوت 1956م من خلال بائكة من اثني عشرة دعامة وأربع وعشرين عمودا يحمل أحد عشر قوسا منكسرا ، وكل دعامة من هذه الدعامات تقابلها نصف دعامة في جدار المسجد.

وفي الجدار نفسه توجد ستة أبواب يتوسطها المدخل الرئيسي للجامع ، منها بابان مسدودان وتعلو هذه الأبواب أقواس منكسرة. ويرتفع الرواق على ساحة 19 أوت 1956م بـ1.05م ، حيث يتم الصعود إليه بعد تخطي ستة أدراج.(المخطط 15).

[1*] مقاساته مذكورة في وصفنا لبيت الصلاة .

ج – أهم التجديدات :

لقد بنى صالح باي الجامع بطراز خاص وهو الطراز التركي المغربي ، حيث مزج بين العمارتين التركية والمغربية وهذا بعدما نشب نزاع بين أصحاب المذهب الحنفي وأصحاب المذهب المالكي[1].

وعلى هذا أقام مئذنة ذات طراز مغربي مربعة الشكل ومئذنة ذات طراز تركي أناضولي وهي تعد أول مئذنة مستديرة في الجزائر .

وبالرغم من هذا الخليط المعماري وعدم التناسق في الهندسة والبناء فإن مظهر الجامع كان جميلا ومما زاد في أناقته هو إضافة منارة ثالثة وثبتت بها ساعة كبيرة.

وبهذا الإنجاز الفريد من نوعه التقت فيه رغبة المالكية بالأحناف وفي عام 1796م جاء الباي مصطفى الوزناجي فأزال عنه مظاهر العمارة المغربية ولم يترك إلا الطابع التركي .(المخطط 13).

وأمام هذا الشطط والتجاوز خضع المالكيون للأمر الواقع وعلى مرأى منهم أزيلت المنارة ذات الطراز المغربي[2] ولم يبقى منها إلا القاعدة .

وبعد وفاة مصطفى الوزناجي علقت قطعة تذكارية على الباب الخلفي من الجامع ، عليها أبيات شعرية تشيد بفضل وعلو مكانة صالح باي .

وفي سنة 1269هـ-1853م أضيفت له واجهة جديدة تتمثل في الرواق الطويل الذي يشكل الواجهة الرئيسية للجامع.(المخطط 14) .

وهذا الجامع يعتبر آخر إنجاز قام به صالح باي ، وقد بقي على المذهب الحنفي حتى سنة 1838م ، ويطلق عليه أهل المدينة أحيانا اسم الجامع الكبير ، وقد بقي طيلة قرن وعشرة سنوات المسجد الوحيد لإقامة صلاة الجمعة ، لأن جامع أبي مروان حولته فرنسا إلى مستشفى.

---

[1]- Derdour (H.),op.cit , p.155.

[2]-Ibid , p.155.

الفصل الثاني:

وسائل الدعم والعناصر المعمارية

1- وسائل الدعم والرفع

2-عناصر التغطية

3-عناصر الاتصال والتهوية

4-الوحدات المعمارية

تزين منشآت صالح باي مجموعة من الزخارف المعمارية المتنوعة من أعمدة و سواند حائطية و تيجان و عقود فضلا عن الأسقف الخشبية ، لقد اختلفت طبيعة هذه الزخارف وفق حاجيات ومستلزمات هذه المنشآت وهي كالتالي :

I- وسائل الدعم والرفع :

1- الأعمدة [1]:

العمود هو ما يحمل السقف ، وهو الجزء الداعم لسقف أو جدار أو عقد ، ويختلف مقطعه بين الدائري أو المربع أو المستطيل أو البيضاوي أو نصف الدائري أو أكثر من النصف وما إلى ذلك [2] . وقد أخذ عدة تسميات فهو عمود في المشرق وسارية في المغرب ، ولقد اعتمد المسلمون على أنماط كثيرة من الأعمدة فمنها المضلعة والمثمنة التي شاع استعمالها في عصر قايتباي بمصر أضلعها مزينة بالزخارف النباتية [3] . وقد صنعت الأعمدة من مواد متعددة منها الحجارة والخشب والرخام [4] ، ويعد الرخام أكثر المواد المستخدمة في هذا المجال .

استعمل العمود في العمارة الإسلامية بصفة واسعة فلم نكد نجد أي مؤسسة من دون أعمدة ، حيث استخدمت لرفع السقوف وكذا القباب ، كما استعملت في تزيين واجهات المداخل وغيرها.

أما العمارة في الجزائر فقد اعتمدت اعتمادا كليا على الأعمدة باختلاف مواد بنائها نظرا لتبنيها طريقة بناء الأروقة المتكونة عادة من صف أو صفين (أي الأعمدة) ، مع اختلاف عددها من مبنى لآخر حسب اتساعه أو ضيقه [5].

---

[1] – الأعمدة : يمكن تعريف الأعمدة لغويا بأنها عبارة عن وسائل دعم ورفع ، مفردها عمود أو أعماد وهي بمعنى آخر عبارة عن ركيزة عمودية مكونة من جذع مستدير وملحقة بتاج وقاعدة . استعمل العمود في الفترات القديمة منها الإغريقية والرومانية بأشكال عدة وفي أماكن مختلفة.

أول ما استعمل في العمارة الإسلامية كانت عبارة عن جذع نخيل بسيطة وضعت ونصبت في مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم بالمدينة ، وفي خلافة عثمان بن عفان "رضي الله عنه" استعملت الأعمدة الحجرية وتطورت بعد ذلك حيث استبدلت الأعمدة القديمة بأخرى من الآجر المجفف في الشمس ، ثم جاءت بعدها الأعمدة الجيرية.

أنظر:

- Rachid (B.), Apport de l'Algérie,pp73-78.

[2] – قتيبة الشهابي، زخارف العمارة الإسلامية في دمشق ، منشورات وزارة الثقافة دمشق ، 1996 ، ص237.

[3] – نجاة يونس ، العمود في العمارة الإسلامية ، عن مجلة سومر ، الجزء الأول والثاني ، المجلد الخامس والأربعون ، 1987-1988م ، ص142.

[4] – زكي محمد حسن ، فنون الإسلام ، ج3 ، دار الرائد العربي ، بيروت لبنان ، 1401هـ/1981م ، ص152-153.

[5] – ويمكن رؤية ذلك في قصور القصبة وبيوتها خاصة (قصر الداي ، دار عزيزة ..) .

إن عنصر العمود قد استخدم في جل المنشآت المشيدة من طرف صالح باي حث نجده في مركب سيدي الكتاني في بيت الصلاة بالجامع تحمل عليه الأروقة وكذا في محراب بيت الصلاة وجل هذه الأعمدة مصنوعة من مادة الرخام ، كما نجدها في الغرفة الملحقة بالجامع في طابقه السفلي ، أما أعمدة المدرسة الكتانية فهي ثمانية الشكل خالية من أي زخرفة ، بسيطة لا تعقيد فيها ونجدها في الأروقة السفلية المطلة على الصحن وكذا الأروقة العلوية ، بالإضافة إلى وجودها في المقبرة وبالتحديد في الجهة المطلة على الصحن وهي من نفس النوع وبالرغم من أنها تبدوا مستحدثة إلا أنها جاءت مشابهة للأصلية في الشكل والنوع. (أنظر الصورة رقم 39 و الشكل 12-ج-).

-أما في مركب سيدي محمد الغراب فقد استخدمت الأعمدة أيضا في بيت الصلاة بالمسجد إلا أن معظمها مهدمة ولم يبقى منها سوى بعض آثارها التي تدل على أنها أسطوانية البدن وأخرى مربعة .

- أما بالنسبة لمدرسة سيدي لخضر فإنها تضم نوعين من الأعمدة ، حيث أننا نجد في صحن المدرسة أعمدة تقوم على قواعد مختلفة الأحجام والأنواع وهناك ما لا قاعدة له ، واختلفت كذلك أحجام أبدانها فمنها الكبيرة والصغيرة البدن ويقدر عددها بـ6 أعمدة منها 3 ذات قاعدة ثمانية الشكل في الصحن ولها بدن مثمن من الأسفل وحلزوني من الأعلى (أنظر الصورة رقم 73-ب- والشكل 12-د-)، أما العمودان الموجودان في قاعة التدريس فهما من النوع المستدير (أنظر الصورة رقم 73-ج-).

- و في دار بن جلول فقد وظفت في تزيين مداخل الأبواب كما استعملت أيضا داخل الغرف حيث نجد فيها بائكة من عقدين في الغرفة التي تحتل الزاوية الشمالية الشرقية تقوم على عمود رخامي(أنظر الصورة رقم 78-79-80).

- كما توجد في جامع صالح باي بعنابة ثلاثة أنواع من الأعمدة تتمثل في الأعمدة المنفوخة والأعمدة المضلعة والأعمدة الأسطوانية.:

* الأعدة المنفوخة : توجد ثمانية أعمدة مزدوجة من هذا النوع ، وهي التي تقوم عليها القبة المركزية بيت الصلاة ، مثل ما هو موجود في جامع القيروان الذي يحتوي على أعمدة مزدوجة وخماسية . علما أن هذا الأخير كان له التأثير على الكثير من العمائر الدينية في مختلف أقطار العالم الإسلامي وخاصة الجزائر[1]. (أنظر الشكل رقم 12-هـ-) ، كذلك الحال بجامع المهدية وصفاقص ، إضافة إلى بعض الجوامع الجزائرية كجامع أبي مروان والجامع الكبير بقسنطينة[2]. وأبدان هذه الأعمدة منفوخة الشكل ، وهي مصنوعة من المرمر ومزينة بأخاديد مثل أبدان أعمدة الجامع الكبير بقسنطينة .

* الأعمدة المضلعة : هناك عمودان ثمانيي الأضلاع ، وستة أعمدة خماسية الأضلاع ، وهي التي تعتمد عليها أقواس وقباب الأسكوب الموازي لجدار القبلة . (أنظر الشكل رقم 12-ب-ج-).

---

(1)- Rachid (B.), Apport de l'Algérie a.p.78.

(2)-Rachid (B.), L'art religieuse, P.31.

* االأعمدة الأسطوانية : توجد في الصحن وعددها خمسة عشر موزعة على ثلاثة صفوف ، صف يحتوي على سبعة أعمدة ، وصف يحتوي على ستة أعمدة ، وهي التي تعتمد عليها أقواس وسقف رواقي الصحن . وصف ثالث يتكون من عمودين محاذيين للجدار الشمالي ، وكل أبدانها أسطوانية (أنظر الصورة رقم 109-110 والشكل رقم 12-أ). ومن كل ما سبق فالأعمدة في كل المنشآت المدروسة حيث نجدها في بيوت الصلاة وفي المحاريب حيث تكتف المحراب كما نجدها في الأروقة المطلة على الصحون بالإضافة إلى بعض غرف دار بن جلول .

2- التيجان :

التاج مصطلح أطلق على مجموعة من العناصر تعلو الأعمدة والدعامات ، وهو يلعب دورا هاما في تهيئة مساحة واسعة ليرتكز عليها منبت العقد . إذا فالتاج عنصر أساسي في المباني وله صلة وطيدة مع العمود ، حيث ظهر نتيجة ضرورة معمارية فرضها العمود ، بل أصبح يشكل مع العمود والقاعدة طرازا كاملا حيث استعمل عنصر التيجان منذ القديم [1] ، ويعود الفضل في إبتكار الأعمدة الكاملة والتيجان الكورنثية إلى الإغريق والرومان[2] ، وفي هذا المجال لم تكن العمارة الإسلامية تتمتع بأسلوب معماري خاص كالرومان والإغريق فقد استخدم المسلمون هذه التيجان في مبانيهم[3] وخصوصا في العصر الأموي ، حيث استعملوا التيجان الكورنثية والمركبة وذلك في قبة الصخرة والجامع الأموي بدمشق وغيرهم من المباني المعاصرة.

وفي العصر العباسي صاغوها في قالب إسلامي تشع منه الروح الجمالية التي إستمدت أصولها من الدين الإسلامي ، حيث ابتكروا التيجان البصلية والتيجان المكونة من وريقات النبات تتصل بالتاج ، كما عرفوا التيجان المكونة من المقرنصات ، والتي وجدت بكثرة في قصور الأندلس ، كقصور الحمراء بغرناطة[4].

---

[1] – اعتمد الرومان على طراز الإغريق مع التصرف في نسبها وتفاصيلها ، فجعلوا لها طابعا رومانيا وجمعوا بين العناصر الرئيسية في كل من الأيوني والكورنثي حيث برز النوع المركب .

أنظر :

- Rachid (B.), L'art religieuse , p.94.

[2] – فريد الشافعي ، المرجع السابق ، المجلد 01 ، ص95.

[3] – كمال الدين سامح ، العمارة العربية في مصر ، هـ.م.ع.ن ، مصر ، ط3 ، 1974 ، ص63.

[4] – أقدم تيجان في العالم الإسلامي تعود لجامع الكوفة ، الذي أنشأ من طرف حاكم العراق زياد بن أبية تحت سلطة الخليفة الأموي معاوية ابن أبي سفيان ، بعدها ظهرت تيجان قبة الصخرة بالقدس والجامع الأموي بدمشق التي اشتقت من التيجان الرومانية ، أما التيجان العباسية التي تعود لسامراء فتشبه التيجان المصرية التي تتخذ شكل زهرة اللوتس ، أما تيجان الجامع الأموي بقرطبة فمعظمها ذات طراز مركب . أنظر :

- كمال الدين سامح ، المرجع السابق ، ص152.

أما الفترة العثمانية عرفت التيجان استعمالا واسعا في المساجد والقصور لاسيما مساجد وقصور الجزائر وقسنطينة.
وفيما يخص منشآت صالح باي فقد احتوى جلها على عنصر التاج المصاحب للأعمدة في معظم الأحيان ، وتنوعت التيجان في المنشآت المذكورة ويمكن تصنيفها إلى عدة أنواع فمنها :

*التاج الدوري : اعتمد على التاج الدوري الذي ظهر عند الإغريق ، وهو ثماني الشكل في جوانبه الأربعة زهرة ثمانية الفصوص وفي الجوانب الأربعة الأخرى هلال تعلوهما الأحاديد .

ونجده في صحن مدرسة سيدي لخضر ويتميز بالبساطة إذا ما قورن بأنماط التاج الدوري المتطورة وهي تتشكل من ثلاثة أجزاء وقد زينت واجهاتها بأهلة (أنظر الصورة رقم 109-110 والشكل رقم 10-ب-).

* التاج الأيوني : ونجده في في جامع ومدرسة سيدي الكتاني وكذا في دار صالح باي ومن أهم مميزاتها احتوائها على حلية السبحة والأقراص البيضية والسهم . (أنظر الصورة رقم 109-110 والشكل رقم 10-ب-).

* التاج ذو الطراز التركي : أطلق على التيجان التي تتخذ شكلا ناقوسيا تزين واجهاتها في أسفل الحلزونيات الأربع الركنية أوراق عريضة وقد تلتحق بها زخارف أخرى متنوعة كالأهلة ونجد مثال ذلك في جامع سيدي الكتاني وبالتحديد في المحراب[1].

* التيجان المركبة : ونجد منها أمثلة متعددة وهي التي تحتوي على تركيبة من التيجان السابقة الذكر :

- التاج المقولب : وهو يوجد في بيت الصلاة في جامع صالح باي بعنابة ، حيث يعلو الأعمدة الثمانية والخماسية الأضلاع وهو على شكل هرم مضلع مقلوب ، ففي الأعمدة الثمانية الأضلاع يكون بثمانية أضلاع وبه ثلاثة عشر قولبة ، بينما في الأعمدة الخماسية الأضلاع فهو ذو خمسة أضلاع ويحتوي هو كذلك على ثلاثة عشر قولبة.
وترجع أصوله إلى الفترات السابقة للإسلام ، فقد استعمل في الكثير من الكنائس المسيحية [2]. (أنظر الشكل رقم 10-ي-).

- التاج ذو صفين من ورقة الأكنثة : ويوجد في بيت الصلاة في جامع صالح باي حيث يعلو الأعمدة المنفوخة ، وفيه صفان من أوراق الأكانتثة . ففي الأعلى توجد أربعة من أوراق الأكانتثة ذات الشكل الحلزوني ، تفصل بينهما مثلثات. كما تعلوا هذا الصف وردة ذات خمسة فصوص ، أما الصف السفلي فتوجد به كذلك أربع أوراق الأكنتثة المحورة (أنظر الشكل رقم 10-ر-).

وهذا النوع من التيجان يعلو أعمدة الصحن إلا أنه يختلف عن تلك الموجودة في بيت الصلاة من حيث الزخرفة ، إذ يذكرنا بتلك التي استعملت بالجامع الكبير بالقيروان وبجامع أبي مروان[3]. (أنظر الشكل رقم 10- ز-).

---

[1] – عبد القادر دحدوح ، مدينة قسنطينة خلال العهد العثماني دراسة عمرانية أثرية ، إشراف.عبد العزيز لعرج ، رسالة دكتوراه في الآثار الإسلامية ، جامعة الجزائر ، 2009-2010 ، ص621.

[2] – عبد العزيز شهبي ، المرجع السابق ، ص83.

[3]- Rachid (B.) , L’art religieuse musulman , p.33.

– التاج ذو قسمين : يوجد بالرواق الطويل في جامع صالح باي يعلو الأعمدة الأربعة والعشرين التي تطل على ساحة 19 ماي 1956م .

وهذا النوع من التيجان ينقسم إلى قسمين ، قسم علوي وهو متوازي المستطيلات وقسم سفلي أسطواني الشكل[1].

وتزين القسم العلوي زخرفة تشتمل على أوراق الأكنثة المحورة ، أما القسم السفلي فيزينه إفريز متعرج كالذي وجد بجامع تلمسان ومسجد سيدي أبي الحسن ومسجد سيدي الحلوي[2]. (أنظر الصورة رقم 109-110)

– تيجان على هيئة منفرجة استعملت في الجامع والمدرسة الكتانية واتخذت شكل السلة بقاعدة دائرية تتجه من الأسفل إلى الأعلى وزينت بأربع ورقات أكنثا .

– تيجان تزينها أقنية : يوجد مثال واحد عنه بمحراب مدرسة سيدي الكتاني . (أنظر الصورة رقم 33 والشكل 10-ج-)

– تيجان بلفائف جانبية مصحوبة بأوراق : حيث تتعدد الفصوص في الأوراق ونجدها في جامع صالح باي تحوي على شكل زهرة مفصصة بالإضافة إلى ورقة الأكنثا ، أما في جامع سيدي الكتاني فقد زين بشريط من الأشكال البيضية وآخر بحبيبات اللؤلؤ بالإضافة إلى أوراق الأكنثا .

3- الدعامات :

الدعامة جمع دعائم ودعمه جمع دعم بكسر الدال : خشبية أو عمود من الحجر من قطعة واحدة أو مبني من عناصر بنائية مختلفة[3] .

وهي العماد الذي يعتمد عليه السقف وتتكئ عليها الجدران حتى لا تسقط ، وقد اتخذت عدة أشكال منها المربعة ومنها المستطيلة والدائرية ونصف الدائرية[4] .

تعتبر من أهم وسائل الدعم ، التي تختص بحمل المبنى إذ اقترن ظهورها بظهور المنشآت الضخمة كالمساجد والقصور ، فالدعامة عنصر معماري وجد منذ القدم في المباني فهو ليس من ابتكار المسلمين ، إذ حلت محل السواري ونجد الدعامة في شكلها المنتظم في أمثلة متعددة كمباني الأمويين حيث استخدمت أول الأمر في قبة الصخرة سنة 691م وفي الجامع الأموي بدمشق سنة 706م وفي قصر الأخيضر سنة 778م ، وانتشرت في الفترة العباسية ، حيث كانت تبنى بالقطع الحجرية أو الآجرية الصغيرة حيث نجدها في جامع سامراء الكبير سنة 849م أما في بلاد المغرب فنجدها قد استخدمت بطريقة نظامية في مسجد مدينة سوسة[5] ومنها انتشرت في جميع المباني

[1] – عبد العزيز شهبي ، المرجع السابق ، ص85.

[2]- Rachid (B.) , L'art religieuse musulman , p.77.

[3] – عبد الرحيم غالب ، المرجع السابق ، ص189.

[4] – محمد عاصم رزق ، معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية ، مكتبة مدبولي ، ط1 ، 2000 ، ص108

[5] – أحمد فكري ، آثار تونس الإسلامية ، دار المعارف ، تونس ، 1949م، ص28.

المشرقية والمغربية ، حيث ظهرت في مسجد ابن طولون إذ استعيض عنها بالدعامات فأصبح المسجد أكثر اتساعا[1] .كما نجدها في جامع القرويين في المغرب الأقصى[2].

أما في الفترة العثمانية فقد شاع استخدامها حيث نجدها في جامع أحمد باشا 1552م وكذا جامع رستم باشا باستانبول 1561م ، وفي الجزائر فنجدها في جميع المباني على اختلاف الفترات حيث فرض استعمالها ، ومن أبرز أمثلتها جامع الباي حسن بقسنطسة وجامع كتشتاوة وكذا في المساكن القسنطينية التي ترجع إلى الفترة العثمانية فقد احتوت على دعامات لحمل سقف البيوت غير منتظمة الشكل ، بنيت من مادة الآجر أجريت على البعض منها عدة تغيرات وهذا بإضافة مادة الإسمنت الحديث .

أما في النماذج المدروسة فنجد أمثلتها في المركب الديني لسيدي الكتاني فقد وجدنا الدعائم الحجرية بالرواق المحيط بصحن جامع سيدي الكتاني في الطابق السفلي وهي تتشكل من حجارتين إلى ثلاثة مستطيلة أو مربعة الشكل تتموضع بشكل عمودي(أنظر الصورة رقم 06) .

أما المقبرة العائلية لصالح باي فقد جاءت الدعامات على شكل مربع حيث ترتكز عليها القبة ، وهي عبارة عن أربعة دعامات ذات شكل واحد وهي مرممة. (أنظر الصورة رقم 43) .

أما في مركب سيدي محمد الغراب فقد استخدم هذا العنصر بكثرة في المسكن حيث نجد به دعامتان كبيرتان مربعتا الشكل مشيدة بالآجر تتوسط صحن المسكن وأخرى حاملة لسقف المسكن وثلاثة أخرى مهدمة في صحن المسجد وتنوعت أشكالها بين المربعة والأسطوانية (أنظر الصورة رقم 97) .

وبجامع صالح باي نجد في بيت الصلاة دعامتين مستطيلتين وهما تقعان في ملتقى الأساكيب الثلاثة ، كما أن جدران بيت الصلاة مدعمة بأنصاف دعمات تبرز عن الجدران وتوجد دعامة أخرى في الباب الرئيسي للصحن وكما توجد بالرواق الطويل في الواجهة الرئيسية للمسجد 12 دعامة مربعة مصنوعة من المرمر ، تتخللها أعمدة وتقابل كل دعامة من هذه الدعامات نصف دعامة بالجدار المقابل. (أنظر الصورة رقم 109) .

4- السواند الحائطية :

ترتكز جدران المقبرة على ساندتين ، هاتان الساندتان هما الوحيدتين في المدرسة والمقبرة ، وهي بسيطة مستحدثة بعد الترميمات الحديثة التي تعرضت لها المدرسة والمقبرة ، كما نجدها في القبة الضريحية لسيدي محمد الغراب حيث تستند عليها أيضا الجدران . (أنظر الصورة رقم 93) .

---

[1] – أحمد فكري ، مساجد القاهرة ، المرجع السابق ، ج1 ، ص8-9.

[2]- Ricard (P.) , Pour comprendre l’art musulman dans l’afrique du nord et en Espagne Paris, 1954., P.95.

5 – العقود: [1] :

هي الأقواس النصف دائرية والحدوية وعلى أشكال أخرى ، والتي تربط بين الأعمدة والدعامات ليقوم عليها السقف ، سواء كان السقف مسطحا أو عبارة عن أقبية أو قباب ، وهو يعتمد على نقطتي ارتكاز.

اتخذ المسلمون أقواسا كثيرة ذات أنواع وأشكال مختلفة فمنها العقد المزخرف بالمقرنصات ونجده في الطراز الإسباني المغربي [2] ، والعقد النصف دائري والعقد المدبب بنوعيه: العقد ذي المراكز الأربعة وظهر هذا النوع من العقود أول مرة في باب بغداد بمدينة الرقة والعقد ذي المركزين بالجامع الأموي بدمشق ، كما عرف المسلمون العقد الشبيه بحذوة الفرس [3] في الشام والمغرب ، وتعد العقود من أهم مميزات عمارة الجزائر خاصة وأن العقد المرتكز على الأعمدة له ميزة أكثر شيوعا في الفن المعماري الجزائري .

وقد عرفت جل العمائر العثمانية أنواعا عدة من العقود ، حيث أصبح بكل منشأة أكثر من نوع واحد من هذه العقود .

وقد استعملت في جل المؤسسات المشيدة المدروسة أنواع مختلفة من العقود نذكرها فيما يلي :

* العقد النصف الدائري :

وقد كان هذا النوع من العقود هو شائع الاستعمال في فجر الإسلام ، حيث وجد بالجامع الأموي بدمشق[4].

كما كان منتشرا في جميع الطرز المعمارية في العالم القديم والوسط الحديث ، وليس من السهل الوصول إلى أول من ابتكره ولا العصر الذي ابتكر فيه [5].

والعقد النصف دائري يتميز بأن تقوسه ولا يتجاوز الخط الأفقي الذي يقع عليه مركز العقد ، أي انحنائه يساوي 180^0 . هذا النوع من العقود نجده في جل منشآت صالح باي حيث استعمل بكثرة في هذه الفترة ، وأمثلته في جامع سيدي الكتاني وفي أروقة صحن المدرسة الكتانية وعقود القبة بنفس المقبرة ويبلغ عددها اثنتا عشر عقدا تحيط

---

[1] – يطلق مصطلح العقود على كل مجموع حجري أو آجري أو ملاطي مخصص لاجتياز فضاء يكون كبيرا ، يتوسطه شكل منحني يعرف بالعقد . ومعماريا تعني قبو ذي شكل كامل برابطة قوية أو عدة أقواس لجزء من دائرة.

أنظر : فريد الشافعي ، المرجع السابق ، ص115.

[2] – زكي محمد حسن ، المرجع السابق ، ج3 ، ص150-151.

[3] – يدعى بهذا الاسم أو العقد البيزنطي ، وهو النوع الذي له صلة بالاستدارة لأنه لا ينكسر في أعلاه وإنما يضيق في بداية أرجله ومركزه يكون تحت نقاط الإشعاع ، وقد شاع استخدامه بكثرة في عمارة المغرب الإسلامي . غير أنه لا يوجد بكثرة بالمباني في العهد العثماني.

انظر : – أبو صالح الألفي ، المرجع السابق ، ص136.

- Dictionnaire technique du battement et des travaux publics , Paris , 1988 , p.15.

[4] – أحمد فكري ، مساجد القاهرة ، المرجع السابق ، ج1 ،ص20.

[5]- Rachid (B.), Apport de l'Algérie, p.128.

بالصحن ، بالإضافة إلى عقود بائكتي مدرسة سيدي لخضر وعقود أروقة دار بن جلول ، كم نجده في ضريح سيدي محمد الغراب وفي الميضأة والحمام ، كم وجد أيضا في بيت الصلاة بجامع صالح باي حيث يعتمد عليه سقف الأساكيب الثلاثة العمودية على جدار القبلة. (أنظر االشكل رقم 7-هـ-) .

* العقد الحذوي : وقد عرف هذا العقد في بلاد المغرب باسم العقد المنفوخ ، لأن التجاوز يضفي عليه مظهر الإنتفاخ . وقد ظهر في العصر الساساني بالعراق في مار يعقوب[1]، كما استعمل في الشام وآسيا الصغرى في العصر المسيحي. (أنظر االشكل رقم 7-و-ج-) .

أما في العصر الإسلامي فقد استعمل لأول مرة في عقود صحن الجامع الأموي بدمشق سنة 96هـ/714م ، والنوافذ التي تعلوها كما شاع استعمالها في الأندلس وبلاد المغرب[2] ، حيث ظهر في المحاريب المرابطية والزيانية والمرينية[3]. واستعمل كذلك في الفترة العثمانية كما هو الحال في جامع الداي وجامع سوق الغزل بقسنطينة[4]. أما النماذج المدروسة فنجده في جامع صالح باي حيث يوجد في واجهة المسجد حيث يبلغ قطره 2020م وهو أكثر من 180^0، إذ أن ارتفاعه يفوق نصف القطر.

*العقد المفصص : وهو المتعدد العقود أو الفصوص يتألف من أنصاف دوائر تلتف على بطن العقد وتنفتح مع فتحه وقد يكون بفصوص ثلاثة يطلق عليه متعدد الخانات أو المصفح أو المفصص وقد انتشر أولا في بلاد المغرب والأندلس ومنها انتقل إلى بلاد المشرق وظهر أول الأمر في القصر الأموي بخربة المفجر والقصر العباسي بالأخيضر والملاحظ أن هذا العقد لم يعرف تطورا يذكر إلا في الجامع الكبير بقرطبة[5] ، وهو يتكون من دوائر تلتف على بطن العقد[6]. ونجد أمثلته في محراب المدرسة الكتانية بقاعة التدريس.(أنظر الشكل رقم 07-ي-)

*العقد المصنج : لقد عرف هذا النوع من العقود في فترات سابقة للإسلام وبالتحديد في تيماء شمال الحجاز ، كما عرفه الرومان والبيزنطيون من بعد ، وفي الإسلام ظهر أول مرة بجامع قرطبة 785م ثم في اشبيلية 829-830م ومن ثم تطور وانتشر في مختلف المناطق الإسلامية مشرقا ومغربا[7].

ونجد أمثلته في مدخل جامع سيدي الكتاني وهو مصنوع من مادة الرخام يتعاقب فيه اللونين الأبيض والأسود بالإضافة إلى عقد المحراب لنفس الجامع (أنظر الصورة رقم 03-10)

* العقد النصف إهليليجي :

ويبدو أن هذا النوع من العقود مستوحى من العقد الإيراني الذي ظهر في رباط مالك في النصف الثاني من القرن

---

[1] – فريد الشافعي ، المرجع السابق ، ص148.

[2] – زكي محمد حسن ، المرجع السابق ، ج3 ، ص150.

[3]- Rachid (B.), Apport de l'Algérie, p129.

[4]- ibid , p.128.

[5]- ibid , p.134.

[6] – يحي وزيري ، موسوعة عناصر العمارة الإسلامية ، الكتاب الثاني ، مكتبة مدبولي ، ص61.

[7] – فرد الشافعي ، المرجع السابق ،ص209-211.

الحادي عشر ميلادي[1]. كما استعمل في الهند ، وفي مسجد الشاه بأصفهان ، وفي بعض العمائر بمصر[2]. وبالجامع الكبير بقسنطينة ، ومسجد قلعة بني حماد . وبما أن هذا العقد ظهر في الجزائر فقط وبالتحديد في الفترة العثمانية فيمكننا تسميته بالعقد الجزائري العثماني[3] . وهو الذي يعتمد عليه سقف الأسكوب الموازي لجدار المحراب في جامع صالح باي ويتفرد هذا الجامع دون غيره باستعماله لهذا النوع من العقود ، وهو عبارة عن قوس يحصل عليها بثلاثة مراكز في النصف ، وهو ذو أخاديد مما جعله يشبه يد السلة. (أنظر االشكل رقم 7-ي-) .

* العقد المشعر : ويتميز هذا النوع بوجود أسنان شبيهة بأسنان المنشار تتدلى منه وهي شبيهة أيضا بالشعيرات الصغيرة ومن أمثلته مئذنة جامع تنكز 1318م بدمشق[4] ، ونجد أمثلته في دار بن جلول . (أنظر االشكل رقم 7-ر-) .

* العقد المنخفض : وهو يعلو المحراب إذ ارتفاعه أقل من نصف القطر ، وقد استعمل كثيرا في المباني العثمانية . وقد استعمل في جامع صالح باي .

II- عناصر التغطية :

نجدها في العمارة الإسلامية عامة وفي عمارة المدارس والمساجد خاصة أنواع عديدة من التسقيف وذلك بسبب المواد المستخدمة فيه ، فمنها السقف المغطى بأقبية وسقف مغطى بقباب وهناك ماغطيت أسقفه بألواح خشبية .

1- القباب :

نوع من البناء المحدودب الذي له شكل كرة مشطورة عند وسطها كما قد تكون القبة في شكل بيضاوي مشطور عند وسطه أو في شكل مخروطي أو حلزوني و القبة هي الغلاف النصف الدائري المقعر في الداخل والمفلطح في الخارج ، تعتبر القباب عنصرا معماريا يدخل في نطاق عملية تسقيف المباني المعمارية ، فظهر بأشكال وأحجام مختلفة منها المثمنة والدائرية والمستطيلة والبيضوية وذات القاعدة المربعة والقبة على شكل نصف كره ، والقبة المدببة والمخروطية والبصلية والمتعددة الأضلاع وغيرها[5].

وتعتبر عنصرا أساسيا من عناصر العمارة الإسلامية ، فقد لعبت دورا هاما في تصميم المنشآت المعمارية المختلفة واتخذت في كل إقليم طابعا خاصا يميزها ويحدد تاريخ إنشائها[6].

[1] - كمال الدين سامح ، المرجع السابق ، ص152.

[2]- Rachid (B.), Apport de l'Algérie, p131.

[3] -.Golvin.L, « Demeures d Alger: la Qasba d Alger », in L'Habitat Traditionnel dans les Pays Musulmans Autour de la Méditerranée, Rencontre d'Aix-Provence (6-8 JUIN 1984), le Caire, 1988.p.195.

[4] – قتيبة الشهابي ، مآذن دمشق ، منشورات وزارة الثقافة ، دمشق ، 1993 ، 9-13.

[5] –زكي محمد حسن ، المرجع السابق ، ج3 ، ص103-104. عبد الكريم عزوق ، القباب والمآذن في العمارة الإسلامية ، د.م.ج الجزائر ، 1996 ، ص10.

[6] - كمال الدين سامح ، "تطور القبة في العمارة الإسلامية" ، عن مجلة كلية الآداب ، جامعة الملك فؤاد ، 1950 ، ص94.

وهي ليست ابتكارا إسلاميا فقد عرفت في الحضارات السابقة للإسلام والتي كانت في شبه الجزيرة العربية ، لكن معرفتهم لإنشاء القباب بالطوب والحجر كانت محدودة جدا ، فالقبة كانت تتجسد في شكل خيمة مرفوعة بأعمدة خشبية [1]. ولم تذكر المصادر التاريخية كيف دخلت القبة في أبنية المعابد الدينية ، والمصادر التي بين أيدينا تشير إلى أن هذا الشكل الهندسي الفريد كان يبنى قديما فوق الهياكل الوثنية ومنها انتقل إلى معابد الأديان السماوية المعروفة اليهودية والنصرانية والإسلام[2].

وتعد قبة الصخرة أول قبة ظهرت في الإسلام[3]، وذلك سنة 72هـ/691م من طرف "عبد الملك بي مروان" ليغطي بها المساحة الموجودة بين الصخرة المقدسة التي عرج منها الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهي على شكل بناء دائري يحمل قبة ومن ثم حذا المسلمون في الأمصار حذو الخليفة عبد الملك إذ أن الناس على دين ملوكهم وشرعوا في اتخاذ القباب العالية في مساجدهم منذ ذلك الوقت[4].

ثم تلتها بعد ذلك قباب أخرى مثل قبتي الحجرة الساخنة في حمام "قصر عمرة" و "حمام الصرخ" ، ثم قباب "خربة المفجر" و "قصر المشتى وقصر الأخيضر"وغيرها[5].

أما في العصر العثماني فقد ظهرت القباب النصف كروية ، وهي عبارة عن قبة في الوسط تحيط بها قباب وأنصاف قباب صغيرة .

ففي منشآت صالح باي نجد عدة أنواع من القباب :

أ- القباب النصف كروية :

نجد أمثلتها في القبة التي تتقدم المحراب بجامع صالح باي في عنابة بالإضافة إلى قبة ضريح كل من صالح باي وسيدي محمد الغراب بقسنطينة ، فهي تقوم على مربع تليه منطقة الانتقال التي تتشكل من مثلثات في وسطها مشكوات صدفية الشكل كما تحيط بها قبيبات صغيرة كما هو الحال بجامع الباشا بوهران[6] ، وهي مجردة من الزخرفة مثل قبة جامع سوق الغزل بقسنطينة تساعد على الانتقال من المربع إلى المثمن ، ثم تعلوها رقبة القبة ذات الشكل الدائري حيث تنفتح فيها ثماني نوافذ ، مثل رقبة قبة جامع القيروان* ثم يعلوها غطاء كروي الشكل .(أنظر الشكل 06 -أ-ب) .

---

(1) – عبد الكريم عزوق ، المرجع السابق ، ص09.

(2) – طه الولي ، المرجع السابق ، ص274.

(3)- Golvin (L) , La mosquée ses origines et sa morphologie , ses diverses fonction , institut d'études supérieures islamique , léger , 1960.P.71.

(4)-Grandit , Architecture et urbanisme islamique , o.p.u , Alger ,1992 , p5-12.

(5) – عبد الكريم عزوق ، المرجع السابق ، ص09.

(6) – نفسه ، ص11.

* وهو نمط للقبة العريقة للعمارة الساسانية والإسلامية .

ولهذه القبة أهمية كبيرة بما توحيه من خشوع وسموا لارتباطها بالمكان الذي تقوم عليه ، فهي تعلو المحراب وهو أقدس مكان في الجامع . ولهذا فقد راع المعماري المسلم طريقة بنائها حيث استعمل مواد أصعب من الخشب[1].

والقباب أمام المحراب استعملت منذ العصور الأولى للإسلام حيث وجدت في الجامع الأموي بدمشق وجامع القيروان كذلك المسجد الجامع بتلمسان من العصر المرابطي.

والقباب النصف كروية قد عرفت في مصر منذ العصر الفاطمي (358-567هـ/969-1171م) مثلما هو الحال في قبة الجيوشي وقبة الحافظ بالأزهر واستمرت بها إلى غاية الفترة العثمانية ، وقد انتشرت بشكل كبير في الفترة العثمانية كجامع كتشاوة (1209هـ/1794م) [2].

ب- القباب المخروطية :

يعد هذا النوع من التأثيرات الفنية والمعمارية التي دخلت مع العثمانيين وقد انتشر هذا الطراز خلال العهد العثماني أكثر من أي وقت سابق ، إن هذا النوع قليل في العمارة الإسلامية بصفة عامة وفي الجزائر في الفترة العثمانية بصفة خاصة . حيث نجده موجود في مئذنة جامع سيدي الكتاني وهي مضلعة (أنظر الصورة رقم26 والشكل 01-ج-) ، أما في منبر نفس الجامع فهي رمحية الشكل . بحيث نجد أمثلتها قليلة في الجزائر فهي في قمة مئذنة سيدي لخضر وكذا في دار الدايخة بنت الباي .

وهذا النوع في النماذج المدروسة تتخلل تضليعاته أشكال زخرفية بسيطة ملونة أو محفورة .

ج- القباب المضلعة :

لقد جاءت تضليعات هذه القبة تتشكل من ثمانية أضلاع حددت في البعض منها بواسطة أشرطة زخرفية ، كما تقوم على منطقة انتقال من المربع إلى المثمن على قاعدة صغيرة تقوم عليها محارة وهذا ما نجده في القبتين الضريحيتين بمقبرة صالح باي وكذا في ضريح سيدي محمد الغراب وهي متطابقة في الشكل تطابقا تاما أنظر الصورة رقم 44-96 والشكل 06-أ-)كما أننا نجد قبة في جامع سيدي الكتاني ذات ثمانية تضليعات شبيهة بالقبتين السابقتين (أنظر الصورة رقم 22).

تعتبر القباب المضلعة الأكثر استعمالا في الفترة العثمانية في الجزائر ونجدها في عدة منشآت أبرزها مساجد جامع صفر (941هـ/1535م) وجامع علي بتشين (1032هـ/1622م) وجامع محمد الباي الكبير بمعسكر (1195هـ/1780م) وفي ضريح سيدي محمد (1206هـ/1791م) [3].

---

[1]-Ernest (D.) , L'Art de L'islam , petite bibliothèque , paris , S.D , p07.

[2]- Rachid (B.) , Apports de l Algérie, op-cit, P242

[3] – بن بلة خيرة ، المنشآت الدينية بالجزائر خلال العهد العثماني ، رسالة دكتوراه دولة في الآثار الإسلامية ، أشراف.عبد العزيز لعرج ، جامعة الجزائر ، 2007-2008 ، ص263 . أنظر :

- Rachid (B.), Apports de l Algérie, op-cit, P245.

2- الأقبية :

إن التسقيف بالأقبية لا تختلف وظيفته عن وظيفة القبة سواء من الناحية المعمارية أو الجمالية ، لكنه يختلف عن القبة من حيث الشكل إذ يأخذ شكلا أسطوانيا محمولا على جدارين متوازيين.

إن وجود هذا النوع من التسقيف ليس بابتكار جديد إذ أن التغطية به عرفت منذ عصور قديمة حيث وجد لأول مرة في مدينة طيبة الفرعونية وتنسب إلى رمسيس الثاني(1225-1292ق.م) [1]. كما وجد في آثار خورساد في مدينة الموصل وهي تنسب إلى عصر الملك سرجون. كذلك في العمارة الساسانية في بغداد[2].

أما في العمارة الإسلامية فوجد في قبة الصخرة وأروقة المسجد الأموي ، كما غطيت بها بعض المرافق في العمارة المدنية وبالضبط في القصور العباسية[3].

أما في الجزائر فاستعمل في جامع سيدي لخضر حيث غطيت به الأروقة المحيطة بالفناء وكذلك في الجامع الجديد بتقرت [4].

لقد استعمل في المنشآت المدروسة التسقيف الأسطواني والمعروف أيضا بالبرميلي ونجد هذا النوع من التسقيف في المدرسة وبالتحديد في المخزن الذي يتموقع مقابلا للمقبرة التي تطل عليه بواسطة نافذة ، وهو على شكل غرفتين غطيتا بهذا النوع من التسقيف. بالإضافة إلى حمام مركب الغراب ، كما غطيت القاعة المستطيلة وبيوت الوضوء في جامع صالح باي بعنابة بقبوات أسطوانية تشبه قبوات قصر البحر في قلعة بني حماد .

ويعود أقدم ما وجد عن هذه الأقبية الأسطوانية في جامع سوسة بتونس (236هـ/850م) وقد شاع استخدامه في بلاد المشرق والمغرب حيث استعمله الفاطميون ومن بعدهم الأيوبيون في عمائرهم[5] ،كما استخدمه أهل المغرب في جامع بوفتاتة وفي قلعة بني حماد وفي المنشآت المرينية والزيانية في تلمسان[6].

3- التسقيف الخشبي :

هو غطاء البيت سقف البيت يسقفه سقفا[7] ، وقد تنوعت طرق التسقيف عند المسلمين وتعددت أشكالها وأنـواعها وموادها أيـضا ، حيث استعملت الأسقف المسطحة في مسجد قـرطبة وفـيما يخص السقوف الخشبية فهي

---

[1] – فريد الشافعي ، المرجع السابق ، ص198-199.

[2] – ثروت عكاشة ، المرجع السابق ، ص344.

[3] – كمال الدين سامح ، تطور القبة ، المرجع السابق ، ص32.

[4] – عبد العزيز شهبي ، المرجع السابق ، ص250.

[5] – فريد الشافعي ، المرجع السابق ، ص197-199.

[6] – عبد العزيز لعرج ، المباني المرنية ، ج2 ، ص604-606-669.

[7] – أبي الفضل محمد ابن منظور ، لسان العرب ، تحقيق.عبد الله الكبير وآخرون ، م13 ، دار المعارف ، بيروت ، ط1، 1990 الجلد 3 ، ص166.

تتكون من عروق وألواح يتم تثبيتها بوضع طبقة من الحصير تعلوها طبقة من الطوب وبلاطات الحجر الجيري ، يتم تقسيم المسافات بين العروق بواسطة ألواح خشبية صغيرة إلى مربعات ومستطيلات ، ثم تلون هذه المسطحات والعروق بنقوش نباتية وهندسية كما يتم في بعض الأحيان تغطية العروق الخشبية من أسفل بألواح حيث يظهر السقف كسطح واحد ويتم الإنتقال من المربع إلى الدائرة بعمل المقرنصات[1].

ويشرح ابن خلدون عملية بناء السقف فقال بأن "تمد الخشب المحكمة النجارة والساذجة على حائط البيت ومن فوقها الألواح كذلك موصلة بالدساتر ، ويصب عليها التراب والكلس ، ويبلط بالمراكز حتى تتداخل أجزاءها وتلتحم ويعالى عليها الكلس كما على الحائط"[2].

وبنفس الطريقة التي ذكرها ابن خلدون كان تسقيف عدة أجزاء من مركب سيدي محمد الغراب ، حيث استعمل الخشب في تسقيف المسكن بشكل مسطح من الداخل وهرمي من الخارج يغطيه القرميد ، في حين فقد المسجد سقفه (أنظر الصورة رقم 91-92).

كما استعمل التسقيف الهرمي في المسكن المرفق بالضريح ، وهو مصنوع من الخشب (العرعار) على جوانبه عوارض خشبية وفي منتصفه ثلاث دعيمات حاملة له موزعة بشكل منتظم وذلك لتوزيع ثقل السقف عليها الدعيمات مشيدة بالآجر ، وهي تتفاوت في الارتفاع بحيث أن المتطرفتان أقل ارتفاعا من الوسطى ، وتحمل كل واحدة من هذه الدعميات جهة من السقف الخشبي ، وهو من الجهة الخارجية مغطى بالقرميد واحتفظ بشكله الهرمي .

أما في مركب سيدي الكتاني فنجد التسقيف المسطح في الطابق العلوي بالمسجد حيث تقع بيت الصلاة فوق سقف مسطح خشبي كما نجد في بيت الصلاة لنفس الجامع التسقيف الهرمي غير المتدرج حيث زين هذا التسقيف بزخارف متنوعة بأشكال هندسية من معينات تتوسطها أزهار مفصصة ، أما الأروقة فقد استعمل فيها التسقيف الخشبي الذي يتميز باستوائه ، وهذا باتخاذه ألواح مستوية تستند على روافد خشبية موضوعة بطريقة عمودية على طول الرواق ، بحيث يتم تثبيت طرفيها على حسب سمك الجدران ، وهذا مع احترام المسافة بين الرافدة والأخرى ونجد هذا التسقيف في الأروقة (أنظر الصورة رقم 09) . كما نجد التسقيف الخشبي الجمالوني في مدرسة سيدي لخضر وهي مسقفة بألواح خشبية وقصب العرعار والملاط وهو جملوني الشكل وقد كسي السطح بالقرميد الأحمر (أنظر الصورة رقم 72-76) . ونلاحظ أن أجزاء المدرسة يخلو سقفها من أي زخرفة وقد لحق به خراب كبير إذ تظهر الألواح الخشبية من خلال السقف في أماكن غير مكسوة ويظهر ذلك خاصة في الأروقة والمطبخ وكذا بيت الوضوء .

[1] – صالح لمعي ، التراث المعماري الإسلامي في مصر ، الجامعة العربية ، بيروت ، 1975 ، ص107

– يحي وزيري ، المرجع السابق ، الكتاب الثالث ، ص33.

[2] – عبد الرحمان ابن خلدون ، كتاب العبر ديوان المبتدأ و الخبر في تاريخ العرب و البربر و من عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر دار الفكر، بيروت، لبنان ، 1421هـ / 2000م ، ج7 ، ص366.

وأما في دار بن جلول فقد استخدمت في تغطية سقف الأروقة والسلم الصاعد إلى الطوابق العلوية ، وقد تمت عملية بنائه بطريقة التقاطع بتركيب ألواح خشبية ، وضعت بطريقة أفقية وطولية ثبتت بالمسامير وهذا مع احترام المسافة بين عارضة وأخرى ،كما انفرد سقف غرف الطابق العلوي في دار بن جلول بالتسقيف الخشبي الذي يأخذ الشكل المسطح مزين بزخارف نباتية وهندسية ملونة بالبني (أنظر الصورة رقم 81-82).

4- الشرافات :

نوع من أنواع الزخارف المعمارية عادة يتوج المباني الهامة وهي تتكئ على دورة عالية ، لقد عرف هذا النوع من الزخارف قبل الإسلام في العمائر الساسانية والرومانية ، وأول استعمال لها في المباني الإسلامية في قصر الحيرة الشرقي وفوق مدخل قصر الحيرة الغربي وعلى الجدار الجنوبي لصحن الجوسق الخاقاني (قصر المعتصم) والعامة يطلقون على الشرافات العرائس لأنها في بعض الأحيان تشبه أشكالا آدمية تجريدية تتلاصق أيديها وأرجلها ورغم استخدام الشرافات في العمارة الدينية إلا أنها كانت في البداية تستخدم لوظيفة عسكرية ومع مرور الوقت أصبحت عنصرا زخرفيا استخدمت في جميع أنواع العمارة الإسلامية من جوامع وقصور ومدارس وقلاع وحصون وغيرها ، وبقيت الشرافات مستخدمة في مختلف المناطق الإسلامية حتى العصر العثماني[1].

وقد أخذت الشرافات أشكالا مختلفة من أشهرها الشرافات المسننة كما هو الحال في الجامع الأزهر واستمر استعمالها في العصر الأيوبي والمملوكي[2]. نجد هذا النوع في أعلى جامع سيدي الكتاني وكذا في المنبر وهو عبارة عن ورقة ثلاثية الفصوص (أنظر الصورة رقم05). أما النوع الذي نجده في جامع صالح باي بعنابة هي الشرافات المورقة ، وهي تعلوا جدرانه الخارجية وخصوصا جدار الواجهة الرئيسية (أنظر الشكل رقم 16).

---

[1] – محمد الطيب عقاب ، قصور مدينة الجزائر في أواخر العهد العثماني ، رسالة دكتوراه من الدرجة الثالثة ، جامعة الجزائر ، 1985 ، ص185.

[2] – يحي وزيري ، المرجع السابق ، ج2 ، ص135.

III- عناصر الاتصال والتهوية :

1- المداخل :

المدخل هو الفتحة أو الباب الذي يدخل منه إلى المنزل ونحوه ، وهو عنصر معماري وجد مع معرفة الإنسان للبناء وقد لعبت المداخل دورا هاما في تكوين واجهات العمائر الإسلامية ، حيث تميزت المداخل الرئيسية بضخامتها وغالبا ما ارتفعت حتى بلغت علو جدران الواجهة وربما تجاوزتها ارتفاعا[1].

لقد تميزت العمارة الإسلامية منذ البداية بتعدد المداخل في الحائط الواحد وكانت تؤدي إلى الصحن مباشرة ونرى ذلك واضحا في جامع عمر بن العاص وكذا بجامع بن طولون ، لقد تعددت المداخل في العصر الفاطمي ، لقد كان أول مدخل صريح في العمارة الإسلامية يعود إلى الفترة الفاطمية في مصر هو المدخل الغربي الواقع في محور جامع الحاكم (380-403هـ/990-1012م) وهو مشابه لمدخل جامع المهدية بتونس(308هـ/920م)[2].

لقد تطورت المداخل بتطور العمارة الإسلامية فنجد في بلاد المغرب قد وصلت إلى أقصى درجات التطور خاصة في الفترة الزيانية والمرينية حيث نجد أمثلتها في المداخل البارزة في سيدي الحلوي وسيدي بومدين وكذا في الأندلس في الفترات المختلفة. وتتكون المداخل من قسمين :

أ- الأبواب :

الباب هو المدخل في سور أو واجهة مسجد أو قصر أو جدار بيت أو بين الغرف ويتكون الباب من مصراع واحد أو اثنين أو أكثر، وقد برع المسلمون في الأعمال الخشبية والمعدنية واستغلوا ذلك في صناعة الأبواب[1].

أما في النماذج المدروسة فنجده على عدة أشكال ففي مركب لغراب نجد مداخل بسيطة وجلها مستحدث ، أما في مركب سيدي الكتاني وكذا المدرسة فجل الأبواب مستحدثة .

أما في الفترة العثمانية فلم يصلنا الكثير من أبواب هذه الفترة لأنها استحدثت في فترات لاحقة عدا باب قاعة التدريس في مدرسة الكتاني الذي يتكون من مصراعين وبه مستطيل تشغله زهرة ثمانية التويجات ، مصراعه مزين بلوحتين مستطيلين مختلفتي الارتفاع ، اللوحة العلوية هي الصغرى مؤثثة بمربع ثماني الأسنان محاطة بصليب ذي إرجاعات عديدة وفي الزوايا نلاحظ مربعات يندرج فيها شكل صليبي تتوسطه زهرة وفي زواياه الأربعة دبابيس من النحاس وهي أصلية أما اللوحة السفلية فمزينة بقوس صماء ذات فصوص على شكل علامة الضم وفي ثلاثة صفوف من دبابيس هرمية الرأس .

وهذا الباب مشابه لما هو موجود في الجامع الكتاني من أبواب ، وهذه اللوحة مستحدثة (القسم السفلي) ، لقد وجدنا أمثلة مطابقة لهذا الباب في مسجد سيدي الكتاني وهذا دليل على أن صناعتها تمت على يد صانع واحد أو مصنع واحد (أنظر الصورة رقم 45-46 و الشكل 08). أما بقية الأبواب فهي حديثة الصنع .

---

[1] – عاصم محمد رزق ، المرجع السابق ، ص267.

[2] – يحي وزيري ، المرجع السابق ، ج 1، ص39.

وبجامع سيدي الكتاني في منتصف الجدار الشرقي نجد نوعا من المداخل يعرف بالمداخل البارزة وهذا النوع غير موجود في جل المنشآت المدروسة وكذا في جل منشآت مدينة قسنطينة (أنظر الصورة رقم 05). وقد عرف هذا النوع النمط من المداخل ببلاد المغرب خلال العهد الفاطمي بجامع المهدية بتونس (303-305هـ/915-917م) ، وانتشر بعد ذلك في كامل أرجاء المغرب الإسلامي والأندلس حتى العصر الحفصي والزياني والمريني[1]. أما المدخل الثاني للجامع فهو من نوع المداخل ذات الفتحات المعقودة المصنجة(أنظر الصورة رقم 03).

– لقد كانت بمدرسة جامع سيدي لخضر أبواب ومنها مدخل رئيسي وهو من نوع المداخل ذوي الفتحة الواحدة في الجهة الجنوبية الشرقية الذي يقودنا إلى السلم ومنه إلى رواق الذي تتخلله أبواب(أنظر الصورة رقم 71) ، باب من الجهة الغربية وهو مدخل مغلق كان يؤدي في بادئ الأمر إلى الجامع وباب في الجهة الشرقية يؤدي إلى الكنيف أما الباب الثالث فهو في الجهة الشمالية استعمل كممر للمطبخ وخلاوي الطلبة والباب الرابع والأخير في الجهة الغربية يؤدي إلى قاعة التدريس ونجد أن هذه الأبواب كلها بسيطة لا زخارف عليها ما عدى باب غرفة التدريس فإنه يتكون من مصراعين يحتوي إطار الباب على عقد مفصص على جانبيه زخارف نباتية من أغصان وأوراق ملتوية تتفرع عنها أوراق أخرى ويحيط به شريط عبارة عن أخاديد تشبه الحبل.

– أما في جامع صالح باي فقد تعددت المداخل نظرا للموقع الذي بني فيه إذ تحيط به أربع شوارع والغرض من هذا التعدد وهو تقريب المسافة للمصلين ورفع الضغط عن المدخل الرئيسي(أنظر الاشكل رقم 09-ب-).

وظاهرة تعدد المداخل وجدت في المساجد الأولى للإسلام كما هو الحال في مساجد سوريا التي بها ثلاثة مداخل عدى الجانب الذي به القبلة . وأيضا تعددت المداخل في المساجد العراقية ، كما هو الحال في مسجد سامراء وجامع أبي دلف من العصر العباسي. كذلك الحال بالنسبة للمساجد في مصر الإسلامية[2] وشمال إفريقيا.

أما الباب الرئيسي المؤدي لبيت الصلاة ، فقد جاء على محور المحراب ، وهذه الظاهرة موجودة كذلك في المساجد الأولى للإسلام ، مثل المسجد الجامع بدمشق والمساجد الفاطمية كجامع الحاكم بأمر الله والأزهر الشريف.(الصورة 110و الشكل 09-أ-)كذلك وجدت هذه الظاهرة بالمغرب الإسلامي ، كما هو الحال في جامع القيروان وجامع الزيتونة ، والمساجد الموحدية كمسجد تازا ومسجد تنملل وبعض المساجد الزيانية والمرينية.

كما توجد أبواب ثانوية في جامع صالح باي في الصحن وفي بيت الصلاة كالباب الذي يؤدي إلى ملحقة بيت الصلاة . والبعض من هذه الأبواب تعلوها أطر رخامية ذات زخارف ، حيث تعلوا المدخل الرئيسي للجامع ، والباب المؤدي إلى ملحقة بيت الصلاة في الواجهة الجنوبية والمدخل الرئيسي لبيت الصلاة .

---

[1] – عبد العزيز لعرج ، المباني المرينية ،ج2 ، المرجع السابق ، ص567-575.

[2] – كمال الدين سامح ، العمارة العربية في مصر ، المرجع السابق ، ص32.

أما في العمارة المدنية فتعد الأبواب أو المداخل من العناصر المعمارية الأساسية المفترض تواجد ها في كافة المنشآت السكنية ، ويظهر جليا أثر الفقه الإسلامي في مداخل المنازل القسنطينية وهو عدم مواجهتها لبعضها البعض كما أنها تفتح على الأزقة الضيقة بعيدة عن مواجهة الشارع ، وذلك حفاظا على حرمة المنزل وتفادي رؤية ما بداخله.

لقد صنع مدخل دار بن جلول من مادة الخشب ، تتكون من دفتين مؤطرة بأعمدة حجرية أو ألواح رخامية تعلوها عقود نصف دائرية إما من الجص أو الحجر والرخام وقد زينت بزخارف نباتية وهندسية ورمزية. (الصورة 78).

كما احتوت على مزلاج لتثبيت الأبواب ، وبالمدخل أيضا فتحة مربعة مسيجة بقضبان حديدية تساعد على الرؤية نحو الخارج ، وهي شبيهة بقصور ومنازل الجزائر العاصمة في العهد العثماني[1]. ويظهر على أبواب الغرف والمرافق المعيشية تشابها كبيرا في مظهرها وشكلها العام في كل المبنى،حيث في أغلبها تتكون من مصراع واحد أو مصراعين صنعت هي الأخرى من مادة الخشب تفتح على الداخل ، زينت بأنواع مختلفة من الزخارف النباتية والهندسية كما تأطر دفتي الباب عقود مفصصة .

ب- أطر الأبواب :

هو الجزء الذي يكون الباب بداخلها أو الجزء الذي يحتوي الباب ويكون يحتوي على مجموعة متنوعة من الزخارف ويكون مصنوعا إما من مادة الرخام وهي السمة الغالبة في جل المنشآت الإسلامية التي تحتوي مثل هذا العنصر وكذا المصنوعة من الحجارة . ونجد الأطر تزين الواجهة الأمامية لمدخل جامع سيدي الكتاني (الصورة 03) ، ونجدها أيضا في دار بن جلول سواء في الباب الرئيسية للدار (الصورة 78) أو بداخل المبنى تفضي إلى السلا لم (الصورة 80) ، كما استعملت في مداخل الغرف (الصورة 79) .

أما عن شكل هذه الأطر فجاء عبارة عن ألواح وأعتاب رخامية ، وقد كان هذا النمط معروفا ومنتشرا في مناطق عدة من العا لم الإسلامي .

2- الصحون :

هو ساحة وسط الدار والجمع صحون ، والصحن والصرحة ساحة الدار وأوسعها[2] ، ويعتبر الصحن أو الفناء العصب الحيوي والمجال المركزي للمسكن الأصيل ، فهو صحن في المنزل وفناء في المسجد وبالتالي فهو القلب النابض بالحركة الداخلية للأفراد[3] ، ويختلف شكله من منشأة إلى آخر حسب مساحة المنشأة ، قد يكون مربعا أو مستطيلا

[1]- عبد القادر حلمي علي ، مدينة الجزائر نشأتها وتطورها قبل 1830م ، دراسة في جغرافية المدن ، المطبعة العربية لدار الفكر الإسلامي، الجزائر ، ط 1 ، 1982 ، ص 222.

[2]- أبي الفضل محمد ابن منظور ، المصدر السابق ، م3 ، ص245.

[3]- محمد عقاب الطيب، مساكن قصر القنادسة الأثرية دراسة معمارية أثرية ، دار الحكمة ، الجزائر ،2007 ، ص 89-91.

- أنظر أيضا : محمد الطيب عقاب ، لمحات عن العمارة والفنون الإسلامية في الجزائر ، مكتبة زهراء الشرق ، القاهرة ، ط1 ،2002 ص109.

يفتح عليه مكونات الدور الأرضي بينما في الأدوار العليا يفتح عليه الشبابيك والغرف[1]. وتتميز صحون المنشآت المدروسة بأنها مكشوفة على الفضاء الخارجي وهي بذلك تستجيب لمتطلبات وظيفتها التي تستدعي الحفاظ على الجو الملائم في كل الفصول .

– أما فيما يخص صحون عمائر صالح باي فإن معظمها أنشأت في مركز المنشأة باستثناء جامع سيدي الكتاني الذي جاء صحنه في الركن الجنوبي الغربي (أنظر المخطط رقم 01).

و شكل الصحون المدروسة فهي مربعة مع اختلاف في المقاسات(أنظر المخطط رقم 03) ، وفيما يخص صحن جامع سيدي الكتاني فهو يتميز عن الصحون الأخرى بوجود نافورة في الوسط (أنظر الصورة رقم 06) .

أ – النافورة :

بالنسبة للنافورات في المنشآت المدروسة فلم يتبقى لنا إلا نافورة واحدة ممثلة في نافورة جامع سيدي الكتاني ، أما فيما يخص مادة صناعتها فهي في ظاهرها تبدوا مصنوعة من مادة الرخام لكنها في الحقيقة مصنوعة من المعدن وغطيت بطبقة رفيعة من الرخام ونجد هذا النوع المصنوع من المعدن موجود في العام الإسلامي عامة ومن أمثلتها ببلاد المغرب نافورة جامع القرويين من العصر الموحدي (أنظر الصورة رقم 06).

ب– الأروقة :

هو مايحيط بالصحن في جميع الأبنية الإسلامية من مساكن ومساجد ومدارس وغيرها ، هذه الأخيرة عبارة عن مساحة مسقفة تحيط بالصحن من الجهات الأربعة ، تتشكل من ممرات للساكنين أو الدارسين أو العابدين حسب نوع المنشأة ، حيث يتحركون من خلالها ذهابا وإيابا وولوجا نحو الغرف أو نحو الصحن ، ومنها يمكن الصعود إلى الطوابق العلوية ، وتعطي هذه الأروقة للمبنى توازنه ، حيث تتخذ بمثابة حمل يقوم عليه ممر الطابق العلوي وسقوفه أيضا[2]، وتسمح بمرور الهواء تلطيفا للأجواء ، وكثيرا ما تستعمل للجلوس في أوقات الحر بما توفره من غطاء يحجب أشعة الشمس.

وتمتاز أروقة المساكن باختلاف مقاساتها وذلك تبعا لحجم المبنى ، كما أن أرضيتها تكون في كثير من الأحيان مبلطة بالرخام المربع والمستطيل الشكل والآجر ذي الأضلاع الخماسية ، ترتفع عن الصحن بمقدار صغير وتمتاز أيضا بوجود أوصال من الخشب تلتصق بالجدران والدعامات والأعمدة[3] وهذا في دار بن جلول تسميها النساء"لوتار" وضعت

---

[1]– محمد رفعت موسى ، الوكالات والبيوت الإسلامية في مصر العثمانية ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ، ط1 ، 1993م ص 223.

[2] – عبد الرحمان فورجان الأيوبي ، رسالة وجيزة في المساجد الإسلامية ، مطبعة المعارف ، بغداد 1377هـ/1975 ، ص276.

[3] – محمد الطيب عقاب ، " المدخل إلى المسكن العربي الإسلامي بمدينة الجزائر"، المؤتمر العاشر للأثار في البلاد العربية، تلمسان، الجزائر، 1982، ص 08.

من أجل تثبيت الستائر ، وتستعملها النساء أيضا من أجل نشر الغسيل وتعليق كل ماتردن أن يجف تحت أشعة الشمس مثل الفلفل واللحم والغسيل (الصورة 81-82)[1].

ج- السلالم :

هي بناء مركب من درجات تساعد على الانتقال من مستوى لآخر ونظرا لعدم إعطاء هذه النقطة الهامة حقها في العمارة الإسلامية فقد كانت الدراسة والتحليل ناقصة في هذا المجال ، بالرغم من أن استعمالها في العمارة يعود إلى منشئي العمارة القديمة ومنذ قرون غابرة .

وقد شاع استخدام هذا العنصر المعماري بكثرة في العمارة الإسلامية بصفة عامة وفي الفترة العثمانية خاصة وهذا بحكم التكوين الطبوغرافي ، زيادة إلى ربط الطوابق الأرضية بالطوابق العلوية .

أما هذا العنصر فنجده في كل النماذج المدروسة وخاصة تلك التي تتكون من طابقين كجامع ومدرسة سيدي الكتاني ودار بن جلول بالإضافة إلى وجودها أيضا في المباني التي تتكون من طابق واحد ، حيث نجدها تتقدم المباني أو الغرف وكذا القاعات التي تكون مرتفعة كمدرسة سيدي لخضر وضريح سيدي محمد الغراب أو منخفضة عن مستوى المبنى كحمام ضريح لغراب .

أما فيما يخص سلالم جامع ومدرسة سيدي الكتاني و دار بن جلول ، فهي من نوع السلالم المنكسرة وترتفع على دورات متعاقبة عموديا (الصورة 08-29-83-80) . وقد راعى المعماري في تطبيقه لهذا العنصر عدة نقاط تتمثل في عدة فتحات :

الفتحة الأولى : يمثل مدخل السلالم حيث يمكن الصعود إلى الأعلى.

الفتحة الثانية : تتمثل في النوافذ للإضاءة والتهوية.

الفتحة الثالثة : هي باب الطابق العلوي أي منطقة الوصول [2].

أما بقية العمائر الأخرى فسلالمها مباشرة ، أي تفضي مباشرة للمبنى دون انكسارات .ويتكون السلم معماريا من :

- المساند – الشاحط – الدرجات – الدرابزينات .

د- الدرابزينات :

لفظة فارسية للكلمة اللاتينية Baustrade وهي كلمة دخيلة أصلها فارسي وتعريبها "جلفق"، وهو عبارة عن قائم يعلوها متكأ [3] ، أو هو كل حاجز مكون من قوائم رئيسة وقضبان أفقية من الخشب عادة أو الحجر أو

---

[1]-Graf(M),Lintérieur de la maison Arab à Constantine,Revue Africaine,T2,au siége de la société Historique Algérienne,Alger,1938, p.522.

[2] – بما أن السلالم تخضع لضخامة أو صغر المبنى ، فلا يستحسن أن تكون جد واسعة ولا ضيقة ولا يمكن أن تتجاوز أربعة أقدام حيث إذا التقى شخصان كان من اليسير عليهما المرور .

-انظر : فريد الشافعي ، العمارة في مصر الإسلامية ، المرجع السابق ، ص205.

[3] – عبد الرحيم غالب ، المرجع السابق ، ص 184.

الحديد ، يركب الدرابزين للسلالم والأسطح وحواف الأروقة في الطوابق العلوية المشرفة على الصحن والتي تسمى قوائم الدرابزين[1].

وهو السياج الذي يحد الدرجات على ارتفاع معين بحيث يمنع من الوقوع عن السلم ، وهو نوع من العناصر المعمارية والزخرفية المرتبطة بالسلم أو الشرفات لحماية الأشخاص من السقوط [2].

لقد عرف ظهوره في العمارة اليونانية باعتبارهم السباقين لهذا الاستخدام حيث صنعوها من مادة الحجر وانتشرت بعدها في سائر العمائر الأخرى وفي العمارة الإسلامية فقد عرف منذ وقت مبكر ، حيث نجده في أقدم ما وصلنا من العمارة الإسلامية ومن أمثلته ما وجد في قصر الحيرة الغربي ومنبر الجامع الكبير بدمشق وجامع ابن طولون في مصر وغيرها[3].

أما في النماذج المدروسة فهي متنوعة الأشكال فمنها المزدوجة حيث نجدها في دكة المبلغ في جامع سيدي الكتاني(أنظر الصورة رقم 15) . ونجد النوع الثاني ألا وهي المنفردة والتي تكون في الغالب في صف واحد ومن أمثلتها دار بن جلول (الصورة 84).

حيث استخدمت في دار الدايخة في الطابق العلوي عبارة عن أشكال قباب مخرومة تبرز مهارة الفنان في تشكيل القطع الخشبية بطريقة فنية رائعة ، كما تحيط بها درابزين حديدية حديثة الصنع .

كما اختلفت من حيث مواد تشكيلها فمنها المصنوعة من الخشب وهي كثيرة الاستعمال ومنها المصنوعة من الرخام ونجدها في الرواق الغربي المطل على الصحن .

3- النوافذ :

النافذة هي فتحة في الجدار ، أو صفة للطاقة إذا كانت تخترق الحائط من جانب لآخر كما هي عنصر معماري مهم لا يمكن الاستغناء عنه ، لأنه مصدر للتهوية والإضاءة[4] ، والطاقات من نوعين : صماء ونافذة فالأولى للزخرفة وحفظ المتاع والأدوات والثانية للتهوية والإضاءة والإشراف على الخارج لتوسيع زاوية الرؤية من جهة وتخفيف كمية الإضاءة ومنع الأشعة المباشرة من الدخول[5] ، وفي المساكن الإسلامية كانت النوافذ الواسعة تطل على

---

(1) – سامي نوار محمد ، الكامل في مصطلحات العمارة الإسلامية من بطون المعاجم اللغوية ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر الإسكندرية ، 2000 ، ص65.

(2) – حسين محمد جودي ، العمارة العربية الإسلامية ، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة ، عمان ، ط1 ، 1998 ص68.

(3) – عاصم محمد رزق ، المرجع السابق ، ص104.

(4) – يحي وزيري ، المرجع السابق ، ج1 ، ص65.

– أحمد زينب طابع ، عناصر الإضاءة الطبيعية ووسائلها الصناعية في العصور الإسلامية ، دراسات وبحوث في الآثار والعمارة الإسلامية ، صادرة عن مجلة كلية الآداب ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر،الإسكندرية،ط1، 2005، ص 41.

(5) – حسن الباشا ، موسوعة العمارة والآثار والفنون الإسلامية ، المجلد الأول ، أوراق شرقية للطباعة والنشر والتوزيع ، ط1 1420هـ/1999م ، م1 ، ص211.

الصحن الداخلي والنوافذ الضيقة في الجدران الخارجية وذلك لأغراض مناخية واجتماعية فلا يجوز أن يتعرض داخل الدار لأنظار الفضوليين [1] ، لذلك نجدها من الخارج في أعالي البيوت من أجل الحرص على حرمة الأهل داخل بيوتهم[2] .

– إن أهم ما تتميز به العمارة الجزائرية هو قلة النوافذ خاصة في الطابق الأرضي ، حيث اكتفى المعماري بفتحات صغيرة شأنها في ذلك شأن العمارة في بلاد الأندلس[3] .

لقد اتخذت النوافذ المدروسة عدة أشكال وأحجام ، فمنها المستطيلة استطالة عمودية على الجدار وهذا النوع موجود في معظم المنشآت المدروسة والاختلاف بينها يكمن الأحجام ، كما نجد النوافذ التي تنتهي بعقود سواء كانت حذوية أو نصف دائرية ومن أمثلتها نوافذ جامع سيدي الكتاني(الصورة 18) ، ومنها ما نجده واسع من الداخل وضيق من الخارج وهذا ما نجده في نوافذ المآذن (الشكل 01–ج–).

في حين نجد النوافذ المطلة على الخارج (الشوارع) تكون مغطاة بشبابيك وذلك لغرض الحماية من اللصوص ، وقد كانت هذه الشبابيك تصنع من الحديد أو الخشب .

4– المشربيات :

هي عبارة عن شرفة بارزة عن جدار المنزل أو المبنى وتلعب دور النافذة في الطوابق العلوية ويرى من في داخل المسكن خارجه دون أن يرى بفضل فتحات المشربية الضيقة ، وهي تصنع من قطع خشبية صغيرة وبالإضافة إلى دورها الاجتماعي فإنها تقوم بأدوار أخرى مثل التخفيف من قوة النور الداخل إلى المنزل وكذا السماح بدخول الهواء .حيث نجدها في دار بن جلول . كما نجد المشربيات قد استعملت لغرض وظيفي كستائر لفصل الأضرحة في ضريح سيدي محمد لغراب (الصورة 98) .

5– الكوة :

هي عنصر معماري لم نجده بالصدفة بل جاء في العمارة القديمة لطبيعة الوظيفة التي يؤديها وهي عبارة عن حنية في الجدار تأخذ أشكالا مختلفة تتوزع على الغرف حسب الحاجة إليها ، ونجدها في العمارة الدينية لحفظ الكتب ووضع الشموع للإنارة وكذلك لوضع البخور ، ونجد أمثلة عنها في ضريح سيدي محمد لغراب وكذا في المقبرة العائلية لصالح باي وبالتحديد في الغرفة الصغيرة التي تحوي على قبرين وقد أخذت شكلا مستطيلا ، وكان الهدف منها هي وضع الشموع للإنارة وكذلك البخور . وكذا نجدها في عدة غرف في دار بن جلول لغرض وضع الأشياء المختلفة بها.

---

[1] – يحي وزيري ، المرجع السابق ، ج1 ، ص65.

[2] – حسين محمد جودي ، المرجع السابق ، ص68.

[3] – محمد الطيب عقاب ، قصور مدينة الجزائر ، ص12.

IV–الوحدات المعمارية :

1– المآذن :

بالفتح من الإنارة وهي الاشتعال حتى تضئ ومنه سميت منارة السراج ، وتسمى مئذنة ، تجمع على مناور على القياس وعلى منائر على قياس (المنارة) التي يؤذن عليها . والمنارة أيضا ما يوضع فوقها السراج وهي مفعلة في الإستنارة بفتح الميم والجيم (المناور) بالواء لأنه من النور [1] . هي البناء المرتفع الذي يرتقي إليه المؤذن ليعلن حلول أوقات الصلوات الخمس عند المسلمين[2] .

والمئذنة هي اسم مكان للفعل أذن ومنه اشتق الآذان الذي اختلفت الآراء حول ظهوره . وقد استعملت للمئذنة تسميات مختلفة من ذلك (المنارة) وهي لفظة مشتقة أساسا من فعل أنار أي المقصود بها أشعل وأضاء ، وهذا يجعلنا نسلم بأن المئذنة استعملت كأبراج ترسل الإشارات بواسطة إشعال النار ، وكذا هداية الناس إلى الطريق الصحيح كما هو الحال في منار كل من رباط سوسه والمونستير[3] .

ومن المصطلحات الدالة كذلك على المئذنة ، الصومعة وهي اسم أطلقه العرب على أبراج المتعبدين والزهاد ، وقد استعمل هذه اللفظة ابن جبير في وصفه للمسجد الأموي بدمشق في قوله: " وللمسجد ثلاثة صوامع ، واحدة في الجانب الغربي وهي كالبرج المشيد" [4] ، كما عرفت المئذنة عند بعض أهالي المغرب باسم "عساس" أي مكان المراقبة والحراسة[5] ، وتعتبر المئذنة العنصر المعماري الوحيد الذي يستطيع أن يقاوم مختلف العوامل الطبيعية ، وذلك راجع إلى شكلها وطريقة بنائها المتقنة ، فحتى لو تهدم المسجد فإن المئذنة تبقى قائمة ، كما هو الحال في قلعة بني حماد ومئذنة المسجد الجامع بآغادير بتلمسان ومئذنة مسجد المنصورة من العصر المريني[6] .

أ– المآذن الأولى في العالم الإسلامي :

لقد تضاربت الأقوال و اختلفت الآراء حول أصل أول مئذنة في الإسلام وساد الاعتقاد عند معظم الباحثين الغربيين بأن المآذن الإسلامية الأولى عبارة عن تقليد لأبراج الكنائس المسيحية التي تحتوي على حجرة صغيرة للنداء للصلاة حتى أصبحت المئذنة هي المظهر الخارجي المرئي للجامع ، فنرى المئذنة أحيانا في ناحية محاذية للبناء و ذلك أن المسلمين قد حولوا الكثير من الكنائس إلى مساجد في البلاد المفتوحة ، كما حدث ذلك في المسجد الأموي[7].

---

[1] – عبد الرحمان فورجان الأيوبي ، المرجع السابق ، ص08.

[2] – طه الولي ، المرجع السابق ، ص242.

[3] – عبد الكريم عزوق ، تطور المآذن في الجزائر ، مكتبة زهراء الشرق ، مصر ، 2006 ، ص 17 ، 18 .

[4] – أبو الحسن محمد ابن جبير ، الرحلة ، ط2 ، مدينة ليدن المحروسة ، 1907 ، ص 54 .

[5] – زكي محمد حسن ، " تطور المآذن " ، مجلة الكتاب ، عدد سبتمبر 1946 ، مجلد ، دار المعارف للطباعة والنشر ، مصر ص 717 .

[6] - Marcais (G) , L'art en Algérie , imprimerie Algérienne , Alger , 1906 , P 99 .

[7] – صالح بن قرية ، المئذنة المغربية الأندلسية في العصور الوسطى ، المؤسسة الوطنية للكاتب ، 1986 ، ص 10 .

و إذا أخذنا برأي الكاتب (كريزويل) فإن المئذنة الإسلامية الأولى بنيت على نمط الأبراج المربعة في الكنائس السورية ، و يتفق الدكتور السيد عبد العزيز سالم معه في أن الطراز السوري للمآذن انتقل إلى مصر و بلاد المغرب و الأندلس ، وأتيح له الانتشار في غربي العالم الإسلامي ، و مع ذلك فقد تأثرت بعض مآذن المغرب بمنار الإسكندرية[1] .

و لعل أقدم المآذن الإسلامية تلك التي شيدت في عهد معاوية بن أبي سفيان وهي مئذنة جامع البصرة 665 م ، ومآذن جامع الفسطاط الأربع في مصر سنة 672م[2] .

والجدير بالملاحظة أن أولى المآذن في المساجد الجامعة هي المآذن الأربعة بجامع عمرو بن العاص بالفسطاط التي أقامها مسلمة بن مخلد الأنصاري سنة 53هـ ، في حين يعتبر كل من الدكتور زكي محمد حسن و الأستاذ جولفان الأبراج المربعة في المعبد الوثني بدمشق أول نواة لبداية فكرة المآذن .

و من جهة أخرى إذا صنفنا المآذن وفق ظهورها زمنيا يتبين لنا أن أول مئذنة في الإسلام هي مئذنة جامع البصرة باعتبار أن جامع البصرة أول مسجد شيد بعد الفتح الإسلامي للعراق ، و إن كنا لا نملك أي نص يثبت وجودها ، و ثاني المآذن بجامع عمرو بن العاص بالفسطاط و هي الصوامع الأربعة التي بناها مسلمة بن مخلد و التي لم يصل إلينا منها أي أثر ، و ثالث المآذن مئذنة المسجد الجامع الأموي بدمشق التي أقامها الوليد بن عبد الملك 78هـ ، ورابعها مآذن مسجد الرسول صلى الله عليه و سلم بالمدينة المنورة التي بناها عمر بن عبد العزيز 88هـ و خامسها مئذنة جامع القصبة بالرملة في فلسطين التي بناها هشام بن عبد الملك 105هـ . ثم تأتي سادس مئذنة و هي مئذنة جامع القيروان في عهد هشام بن عبد الملك[3] . و يظهر جليا من خلال هذا التسلسل الزمني لظهور المآذن أن أول ظهور للمئذنة كان في المشرق الإسلامي ثم انتقلت إلى المغرب الإسلامي من خلال مئذنة القيروان التي تعد النموذج الوحيد المحافظ على خصائصه المعمارية الأولى و قد أخذت عنها المآذن في المغرب و الأندلس كالكتبية في مراكش و مئذنة المسجد الجامع في اشبيلية [4] .

ومن النماذج التي جاءت بعد جامع عقبة بن نافع بالقيروان جامع صفاقص الذي تأثرت مئذنته بمئذنة جامع القيروان من خلال تخطيطها و موضعها المشابه[5] .

---

[1] – عبد الكريم عزوق ، تطور المآذن ، المرجع السابق ، ص 21 .

[2] –حسين محمد جودي ، المرجع السابق ، ص 72 .

[3] – كاظم إبراهيم الجنابي ، المآذن نشأتها و تطوها في آثار العراق حتى نهاية العصر السلجوقي ، جامعة الإسكندرية ، 1964 ص 32.

[4] – جمعة أحمد قاجة ، موسوعة فن العمارة ، دار الملتقى للطباعة و النشر ، بيروت ،لبنان 2000 ، ص348.

[5] - Golvin (L) , Op.cit, P 32.

أما في الأندلس فمئذنة جامع قرطبة فقد جاءت على نفس الشاكلة حيث أمر الخليفة عبد الرحمان الناصر (340هـ/ 950م) ببناء صومعة جديدة للمسجد بعد أن وسع صحنه ، و ذلك بعد أن تصدعت مئذنة هشام وآلت إلى السقوط و التي كان بها سلم واحد فأضيف لها سلم ثان ، وتعد هذه الإضافة ابتكارا جديدا في العمارة الإسلامية حيث صارت تنقسم المئذنة إلى قسمين يفصل بينهما جدار مشترك و يوحدهما سطح علوي و يدور كل درج حول دعامة مركزية [1].

وفي مصر انتشرت طرز مختلفة للمآذن حتى يمكن اعتبار القاهرة مركزا لمعظم أنواع المآذن التي عرفتها العمارة الإسلامية ولذلك سميت القاهرة بالمدينة ذات الألف مئذنة .

أما في الفترة العثمانية فقد اشتهرت المساجد التي أنشأها العثمانيون في تركيا بتعدد مآذنها حتى بلغت في المسجد الكبير الذي بني بأمر السلطان أحمد بأسطنبول ، ست مآذن في نفس المسجد المذكور ومثال هذه المساجد منتشرة في جل العالم الإسلامي . أما في بلاد المغرب الإسلامي في الفترة العثمانية إن المآذن بنيت في المغرب (شمال إفريقيا) خلال العهد العثماني روعي فيها أن تدل على واحد من المذهبين المالكي أو الحنفي فالمساجد ذات المآذن المربعة تدل على الموالك والمساجد ذات المآذن المدورة تدل على الأحناف وهذا في الغالب[2] .

ب– الأقسام المعمارية للمئذنة

جرت العادة أن تكون للمئذنة أقسام معمارية محددة متعارف عليها بين المسلمين نوردها كالآتي :

ب–1– القاعدة : هي الجزء السفلي من المئذنة و نقطة ارتكازها ، وقد تكون مربعة أو مثمنة أو أسطوانية المسقط ، ويجب أن تبنى فوق أرضية صلبة لإمكانية رفع البدن عليها ففي النماذج المدروسة نجد أن في جامع سيدي الكتاني قد جاءت القاعدة ذات مسقط مربع هذا النوع من القواعد المربعة ظهر منذ العصور الإسلامية المبكرة (الشكل 01–ج–) ، أما فيما يخص جامع صالح باي بعنابة فنجد أن قاعدة مئذنته الأسطوانية جاءت مضلعة الشكل بارزة نحو الخارج (الصورة 101) ، كما نجد بنفس الجامع أمام المدخل الرئيسي برج مبني على شكل مئذنة ذات قاعدة مضلعة أيضا (الصورة 102)، كما نجد بنفس الجامع قاعدة مربعة لمئذنة ثالثة ذات طراز مغربي .

ب–2– البدن : يعلو القاعدة ويعد أهم جزء في المئذنة وأكبرها عادة ، تعددت أشكاله في العالم الإسلامي ، ومن هذه الأشكال ما عرف انتشارا ورواجا كبيرا كالمربع أو الأسطواني والمثمن ، ومنه ما كان نادرا أو شاذا كالنجمي أو الحلزوني أما في النماذج المدروسة فبدني الجامعين أسطوانيين والمعروفة بـ (قلم الرصاص) وهذه

---

[1] – عبد الكريم عرزوق ، تطور المآذن ، مرجع سابق ، ص 27–28 .

[2] – طه الولي ، المرجع السابق ، ص256–257.

أنظر أيضا : عبد الرحمان فورجان الأيوبي ، المرجع السابق ص09–10.

النماذج تعد من التأثيرات الوافدة على العمارة الجزائرية لأنها لم تعرفها قبل الفترة العثمانية لقد غلب استعمال هذا الشكل في مساجد إيران منذ القرن 5ه / 11م أين كانت واجهاتها تزين بزخارف هندسية وتكسى بالقاشاني ، وفي أعلاها ردهة قائمة على مقرنصات[1]. والملاحظ أن الطراز الأسطواني أو القلمي الذي عرفته عمارة المآذن بكل من قسنطينة (جامع سيدي الكتاني) و عنابه (جامع صالح باي) قد وفد متأخرا . وربما يرجع ذلك إلى عدم نضج النموذج الأسطواني محليا ، أو أن ذلك يرجع إلى أن النموذج الأول لا يمكن مقارنته بما أقامته الدولة العثمانية بمراكز الإشعاع الفني بأدرنة و إسطنبول و السليمانية .(الشكل 01-أ-ج-)وابتداء من القرن 9 ه /15 م أصبح للمسجد مئذنتان تحفان مدخله [2] . وانتشر هذا الطراز في الهند حيث المآذن الأسطوانية التي تضيق كلما ارتفعت ومن الأمثلة الباقية مئذنة جامع (1153م-1203) بجبال أفغانستان ، وقطب منار بدلهي في الهند (1193م-1199م) والتي يبلغ ارتفاعها 72.5م وقطر قاعدتها 14م طوابقها الثلاث السفلية مبنية من الحجر الأحمر أما العلويتان فمن الرخام الأبيض ، واشتمل المنار على كتابات وأشرطة زخرفيه رائعة [3]. أما في العهد العثماني فقد عمل العثمانيون على زيادة ارتفاع المئذنة عما عرفه السلاجقة وأصبحت المئذنة عندهم أسطوانية طويلة ممشوقة تعلوها قمة مخروطية مدببة على شكل قلم رصاص مبري ، وزاد عدد المآذن في المسجد العثماني حسب أهمية المسجد ولقد انتشر الطراز العثماني للمآذن في سائر البلاد الإسلامية ، ومن أبدع طرز هذه المآذن مئذنتا مسجد محمد علي بالقلعة في القاهرة [4] .

ب-3- الشرفة : هي المكان الذي يقف عليه المؤذن للأذان ، وهي تشرف على المدينة وتوجد عادة في أعلى المئذنة حول الجوسق والمعروف أن توجد بالمئذنة شرفة واحدة ، ولكن هذا لم يمنع من تعدد الشرفات في المئذنة كما هو الحال في مآذن تركيا لكن معظمها جمالية لا وظيفة لها ، وكلما ارتفعت صغرت مساحتها.أما في النماذج المدروسة فشرفتي الجامعين (سيدي الكتاني و صالح باي) تتموقعان في أعلى البدن ولا يمكن الوصول إليهما إلا بواسطة سلم مصنوع من الخشب وذلك لتخفيف الثقل عن القاعدة ، وكلا الشرفتين مثمن الشكل حيث نجد هذه الظاهرة متبعة في جل مساجد الجزائر[5] . كما تميزت مارة مساجد صالح باي بوجود شرفة واحدة في كل مئذنة عكس المآذن المرينية والزيانية بتلمسان وكذا ببروزها عن البدن (الشكل 01-أ-ج-).

ويعلو شرفات بعض المآذن مضلات من الخشب على شكل ، وذلك في المناطق المطيرة ، وقد تكون مكوة في المناطق الجافة .

---

[1] – أحمد فكري ، مساجد القاهرة و مدارسها ، الجزء الاول ، المرجع السابق ، ص 149.

[2] – زكي محمد حسن ، الفنون الإيرانية في العصر العباسي ، دار الرائد العربي ، بيروت ، 1981 ، ص 51 .

[3] – زكي محمد حسن ، فنون الإسلام ، ج3 ، ، ص 150 .

[4] – جمعة أحمد قاجة ، المرجع السابق ، ص 351 .

[5] – عبد العزيز لعرج ، مظاهر التأثير العثماني على المنتجات الفنية بالجزائر ، المؤتمر الخامس لجمعية الآثاريين العرب ، دراسات في آثار الوطن العرب 3 ، الندوة العلمية الرابعة ، القاهرة ، 2002 ، 532.

ب–4– الجوسق : يتوسط الشرفة تعلوه قبة أو سقف مخروطي ، في قمته يوجد سفود أو جامور بارز ويحمل بدوره كرات على شكل تفاحات وغالبا ما تنتهي بهلال ونجمة ، وفي بعض الأحيان نجد الهلال فقط ، وقد نشاهد في بعض المآذن جوسقين ، وقد يتعدى إلى أربعة مثل مئذنة الغوري بالغورية ، وتتعدد أشكاله ففي بعض المآذن نجده مربعا أو أسطوانيا ينتهي بسقف مخروطي مثل مئذنة مسجد صفر بالجزائر ، و للجوسق وظيفة تتمثل في حمل الذروة أو القلنسوة أو القبة ونحوها ، وقد يكون محمولا على أعمدة فيعرف حينئذ باسم الجوسق المعومد. وفي النموذجين المدروسين نجد أنه أسطواني الشكل (الصورة 26–101و الشكل 01). وفي الجزائر فإن الجوسق يتبع شكل البدن في جل الأمثلة[1] .

ب–5– القبيبة : وهي العنصر الذي يعلوا الجوسق وهو موجود في معظم المآذن في العالم الإسلامي وفي النموذجين المدروسين نجد أن القبيبة جاءت قلمية الشكل متبعة في ذلك شكل المئذنة . وتوج المئذنة سفود يختلف من مئذنة لأخرى ففي النموذجين نجد تفاحة في كل جوسق تنتهي بهلال(الشكل 01–أ–ج–).

ب–6– السلم : يرتقي منه المؤذن إلى الشرفة للآذان ، وغالبا ما يكون داخليا وقد يكون خارجيا كما هو الحال في مئذنة الملوية بسامراء أو يكون مزدوجا بالداخل وكل سلم يؤدي إلى شرفة أو لها ثلاث سلالم كما في المئذنة ذات ثلاث شرفات بمسجد أوج شرفلي بتركيا. وكما قلنا فالسلم يربط بين القاعدة والجوسق ولا يمكن الوصول إلى الجوسق إلا باستعمال هذا السلم ، ويكون في أغلب الأحيان مصنوعا من الخشب وذلك لخفة هذه المادة للتقليل من الثقل على القاعدة .

- يختلف موقع المئذنة من مسجد إلى آخر فقد تكون في مقدمة المسجد أو مؤخرته وقد تكون على جانب منه أو ركن من أركانه ، وقد تنتصب مستقلة عن صحن المسجد وبيت الصلاة وقد تكون ملتصقة بالجدار الخارجي[2] . وعموما فإن موضع المئذنة بالنسبة للمسجد لا يخضع لأي نص شرعي حيث توضع المئذنة في مكان يكون فيه صوت المؤذن مسموعا[3] . وفيما يخص موقع المآذن المدروسة فإن مئذنة جامع سيدي الكتاني تقع في الزاوية الجنوبية الشرقية ومئذنة صالح باي في الزاوية الشمالية الغربية وربما الإختلاف في الموقع سببه الغرض الوظيفي .

– أما فيما يخص مادة بناء المآذن فقد تنوعت واختلفت حسب المكان الذي شيدت فيه فمثلا استعمل في مصر والأندلس والشام وآسيا الصغرى الحجر و استعمل الآجر و القرميد في العراق وبلاد فارس وأفغانستان أما في الهند فقد استعمل كل من الحجر والآجر ، أما بالنسبة للمغرب فقد شاع استخدام الطوب ، وقد بنيت مئذنة سيدي الكتاني وكذا صالح باي من الآجر المحروق وذلك لصلابته وخفة وزنه وسهولة استخدامه .

ومن أبرز الملاحظات عن المآذن المدروسة مايلي :

---

[1] – عبد العزيز لعرج ، مظاهر التأثير العثماني ، ص532.

[2] - Lambert (E.) , L'art musulman d'occident , des origines a la fin du xv siècle , Paris , 1966 P33.

[3]-Rachid (D.) , Les mosquées de la période turque à Alger , SNED , Alger , 1974 , P 41.

– تجدر الإشارة أيضا إلى أن جميع النماذج المدروسة المحلية منها والوافدة قد اقتصرت على مئذنة واحدة على عكس ما عرفته العمارة العثمانية في الأناضول ولاسيما في النماذج الأسطوانية من تعدد في المآذن كجامع السلطان أحمد باسطنبول الذي يضم ستة مآذن ، وربما مرد ذلك إلى تأثير محلي على النماذج الوافدة إذ عرفت المساجد في الفترات السابقة للعصر العثماني وجود مئذنة واحدة .

– نجد كل من مئذنتي سيدي الكتاني وصالح باي قد جاءت متوسطتا الارتفاع وكذلك فإن المآذن الأسطوانية جاءت قصيرة مقارنة مع مثيلاتها في العمائر العثمانية الأخرى في الأناضول ، وربما يرجع ذلك إلى عدم التحكم في شكل البناء وتناسبه .

– لقد استعملت الدخلات المعقودة بعقود مفصصة كعنصر زخرفي في واجهة مئذنة صالح باي بعنابة وهو من تأثيرات زخارف المآذن الزيانية على المئذنة العثمانية.

– اختلفت تغطية هذه الجواسق من سقف مخروطي في كل من جامع سيدي الكتاني وصالح باي .

–وفيما يخص جامع صالح باي فإنه يعتبر الجامع الوحيد في الجزائر وكذا في العالم الإسلامي الذي ضم نوعين من المآذن (أسطوانية ومربعة) حيث يعتبر فريدا من نوعه ، وبالرغم من تهدم المئذنة المربعة الشكل إلا أن قاعدتها مازالت بارزة للعيان ، لقد زاوج صالح باي بين الطراز المغربي المحلي (المئذنة المربعة) والطراز العثماني الوافد (المئذنة الأسطوانية) وهذا بعدما نشب صراع بين أصحاب المذهبين الحنفي والمالكي ولفض النزاع قام ببناء مئذنتين بهذين الطرازين في هذا الجامع .

2– بيوت الوضوء :

هي أحد المرافق الضرورية الملحقة بالعمائر الدينية كالمساجد والمدارس وغيرها ليتوضأ منها المصلون ، وتتكون في العادة من عنصرين مهمين هما الحوض والمراحيض :

أ– الحوض :

والذي يعرف أيضا بالفسقية فهو المكان المعد للوضوء والاغتسال وكانت الفسقية تتوسط المساجد وبالتحديد بجوانب النافورة وتشيد فيها كراسي لجلوس المتوضئين وبه صنابير مياه ، وتكون هذه النافورات على أشكال مختلفة فمنها الدائرية كالموجودة في جامع سيدي الكتاني وكذا المثمنة أو النجمية وغيرها ، كما وجدت هذه النافورات تتوسط المساكن والقصور الإسلامية خاصة في العصرين المملوكي والعثماني[1] .

---

[1] – للمزيد حول الفسقية أنظر :– عاصم محمد رزق ، المرجع السابق ، ص213–214.

لقد كان السلاطين والحكام وسواهم من أعيان المجتمع الإسلامي يتأنقون في صنع أحواض الوضوء ويبالغون في تحسين عمارتها وتزيينها بأبدع النقوش وأجمل الرسوم ، ويوصون المهندسين الذين يصممونها بأن يعتنوا بشكلها حتى تبدوا فتنة للناظرين [1] .

كما أن الفسقية مكان يكون في وسط المنشأة على هيئة قبة صغيرة ترتكز على أعمدة رخامية أو حجرية أو خشبية وتكون مزودة بصنابير يستخدمها المصلون في الوضوء .

وفيما يخص ميضآت المنشآت المدروسة فإن جلها قد جدد بالكامل وكسيت ببلاطات مستحدثة ، فميضأة المدرسة الكتانية مستحدثة بالكامل أم ميضأة مدرسة سيدي الأخضر فقد حافظت على تقسيمها المعماري والملاحظ عليها هو خلوها من حوض الوضوء ، وفيما يخص ميضأة الجامع الكتاني فإن ميضأة الرجال قد حافظت على شكلها بالرغم من التجديد الكبير الذي مس الجهة الجنوبية الغربية ، وتتكون من نافورة دائرية مملوءة بالمياه وكذا مجلس دائري لجلوس المتوضئين يدور على كامل الميضأة وهذه الظاهرة نجدها معروفة في الجزائر وخارجها كما هو الحال في جامع صفر وجامع الباشا بوهران (الصورة 06)، وفيما يخص ميضأة النساء فهي مستحدثة والضوء منها كان مباشرة من مياه الصنبور وذلك بسبب عدم جواز المذهب الحنفي من التوضؤ بمياه الماجل .

أما فيما يخص جامع صالح باي بعنابة فبيت الوضوء به يوجد أسفل صحن الجامع فقد كان سابقا يستعمل كماجل لتجمع مياه الأمطار وقد سقف بقبوات أسطوانية ، فالمذهب المالكي يجيز التوضؤ بمياه المواجل عكس المذهب الحنفي [2]. (أنظر المخطط رقم 15)

ب- المراحيض :

الجدير بالذكر أن المسلمين أول من تفطن إلى ضرورة وجود هذه المرافق سواء في معابدهم أو في بيوتهم[3].

حيث تبنى المراحيض في العمارة الإسلامية بصفة عامة ومكان إنشائها يخضع لاعتبارات مختلفة منها الدينية فمثلا لايجوز أن تكون متجهة نحو القبلة ، وكذا لاعتبارات صحية حيث لايصح أن تكون في موضع إذا هبت الرياح تنقل الروائح الكريهة المنبعثة إلى داخل بيت الصلاة في المساجد أو قاعة الدرس في المدارس أو الغرف في المساكن .

---

[1] – طه الولي ، المرجع السابق ، ص311.

[2] – محمد السيد أبو رحاب ، العمائر الدينية والجنائزية في عهد الأشراف السعديين ، دار القاهرة ، 2008 ، ص478-480.

[3] – طه الولي ، المرجع السابق، ص310.

3- المحراب :

يقصد به الموضع الذي يتفرد به الإمام في المسجد ، وقيل سمي المحراب محرابا لإنفراد الإمام به[1]. ومنه يقال فلان حرب لفلان أي بينهما بعد وتباغض ، والمحراب صدر المجلس ومنه محراب المسجد والمحراب أيضا للغرفة[2].

- ارتبط معنى كلمة محراب بمفهوم السمو والرفعة والشرف ، سواء بالنسبة للمكان أو الإنسان . ففي الجاهلية لم يكن لهذه الكلمة معنى التعبد وهو المعنى الذي كسبته بعد ظهور الإسلام[3] .

كما يعتبر المحراب عنصرا هاما من عناصر العمارة الإسلامية ، بالرغم أنه لم يكن موجودا في المساجد الأولى للإسلام فقد كان عبارة عن مجرد علامة في حائط القبلة ترشد المصلين لاتجاه القبلة[4]. ولم يستحدث إلا في عهد عمر بن عبد العزيز "رضي الله عنه"[5]. الذي شكل حنية مجوفة في مسجد الرسول "صلى الله عليه وسلم" بالمدينة المنورة.

وقد ذكر المحراب في القرآن الكريم في عدة آيات منها :قوله تعالى:"فنادته الملائكة وهو قائم يصلي في المحراب أن الله يبشرك بيحي مصدّقا بكلمة من الله وسيدا وحصورا ونبيا من الصالحين[6].

وقوله تعالى " فخرج على قومه من المحراب فأوحى إليهم أن سبحوا بكرة وعشيا"[7].

ومن خلال هذه الآيات يتبين لنا مدى قداسة المحراب ، فهو مكان التعبد والاتصال بالله سبحانه وتعالى ، ولهذا حرص المسلمون على هذا العنصر الروحي فأبدعوا فيه أشكالا مختلفة تراوحت بين المسطح والمتوسط التجويف وعميقة[8].

لقد تضاربت الآراء والتأويلات حول أصل نشأة المحراب وتطوره ، فمنهم من يرجعها إلى المعابد الهندية[9] وآخرين إلى أصل يهودي ، والأغلبية الساحقة من المستشرقين ومن بينهم كريزويل[10] التي ترى أن هذا العنصر من

---

[1]- عبد الرحمان فورجان الأيوبي ، المرجع السابق ، ص 10.

[2]- أبي الفضل محمد ابن منضور ، المصدر السابق ، م3 ، ص245.

[3]- طه الولي ، المرجع السابق ، 215.

[4]- Golvin.(L.), Essai sue l architecture , p.65.

[5]- فريد الشافعي ، لمرجع السابق ، ص586.

[6]- قرآن كريم ، سورة آل عمران ، الآية 38 .

[7]- قرآن كريم ، سورة مريم ، الآية 11.

[8]- فريد الشافعي ، لمرجع السابق ، ص586.

[9]- Golvin.(L.), Essai sue l architecture , p.65.

[10]-Kresswell (K.A.L.) , Early Muslim architecture umayod, oxford , the clarendon , press , 1969 p.62.

المساجد مشتق من الكنائس القبطية بمصر ، وأنه محور عن شرقياتها بدعوى أن الأقباط شاركوا في اعادة بناء مسجد المدينة المنورة ، وأدخلوا هذا العنصر المعماري عليه حنية أيام الوليد بن عبد الملك في ولاية عمر بن عبد العزيز سنة 88هـ/707م[1].

لكن في الحقيقة لاتوجد هناك صلة بين شرقيان الكنائس والمحراب ، لأن الأول عبارة عن فناء كبير في صدر الكنيسة ، والثاني عن جوفة في حائط القبلة لا تتسع لغير ركوع الإمام وسجوده ، والمذبح يرتفع عن أرضية الكنيسة بينما المحراب بمستوى أرضية المصلى .

وبما أن المحراب فكرة عملية دينية الغرض فوظيتها الدلالة على اتجاه القبلة ، إلا أنه لا يستوجب أن يكون مجوفا من أجل هذا الغرض ، ولهذا فإن له وظيفة أخرى تتمثل في دخول الإمام إليه في صلاته حتى لايحتل صفا بأكمله لوحده وبهذا يتسع هذا الصف لعدد آخر من المصلين .

وقد تعددت المحاريب في بعض المساجد ، كالمسجد النبوي ومسجد ابن طولون والجامع الأموي بدمشق، وحسب الدكتور أحمد فكري فإن الغرض من هذا التعدد في المحاريب هو غرض زخرفي فقط[2].

يعتبر محراب جامع عقبة بن نافع بالقيروان الذي اختطه سنة (50هـ/670م) أول محراب مجوف[3]، وهو يعزز الرأي في أصالة هذا العنصر وارتباطه الوظيفي بعمارة المسجد . يليه محراب قبة الصخرة (72هـ/691م) ثم المحراب الأوسط بالجامع الأموي بدمشق (87هـ/706م) ، وقد استخدمت محاريب خشبية في العصر الأموي توضع في المكان المراد من جدار القبلة ويغير مكانه إذا اقتضى الأمر ذلك ، أي أنها كانت محاريب متنقلة وربما كان هذا الطراز من المحاريب سابقا عن استعمال محاريب الحنايا في عصر الوليد بن عبد الملك [4].

أما في العصر الفاطمي فقد استمر استعمال المحاريب الخشبية إلى جانب المحاريب المجوفة في الحائط واستعمل الرخام في تكسيتها[5].

أما العصر المملوكي البحري والشركسي فقد كسيت المحاريب بالرخام واستعملت الفسيفساء بأشكال هندسية ونباتية مختلفة ، وفي نهاية العصر الجركسي وجدت محاريب حجرية مزينة بزخارف نباتية وهندسية بارزة كما وضع المحراب داخل قوصرة وتعدد في بعض المباني بجدار القبلة[6].

---

(1)- Sebag (P.) , La Mosquée se Kairawane , Delpire , Paris , 1963 , p.123.

(2)- أحمد فكري ، مساجد القاهرة ، المرجع السابق ،ص175.

(3)- Golvin.(L.), Essai sue l architecture , p.65.

(4)- حسين مؤنس ، المساجد ، عالم المعرفة ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، عدد 37 ،1401هـ/ 1981م ص80.

(5)- مصطفى صالح لمعي ، التراث المعماري الإسلامي في مصر ، الجامعة العربية ، بيروت ، 1975 ، ص43.

(6)- نفسه ، ص44.

أما في المساجد العثمانية فقد ظهرت المحاريب العثمانية مبالغ في تزيينها ، وقد استخدم في هذه المحاريب القاشاني المتعدد الألوان أو زخارف الجص بأسلوب النقش البارز لرسم النصوص الكتابية والتفريعات النباتية[1].

أما فيما يخص النماذج المدروسة فهي على النحو الآتي :

محراب جامع صالح باي يتوسط جدار القبلة ، وهو عبارة عن تجويف مضلع (سداسي الأضلاع) (أنظر الصورة رقم 105 والشكل 05)، ونفس الشيء يقال عن محراب جامع سيدي الكتاني ، وحسب بورويبة فإن المرابطين هم أول من أعطوا المحراب شكلا مضلعا ، وذلك في كل مساجد تلمسان ، وأقدم محراب مضلع هو محراب الجامع الكبير بتلمسان 530هـ/1136م ، كما أنه يرى بأن التجويف المضلع في مساجد الغرب الجزائري بصفة خاصة هو تأثير من قرطبة[2].(الصورة 10 والشكل 02).

وبقي هذا النوع من المحاريب في بعض المساجد العثمانية ، مثل جامع علي بتشين بالعاصمة وجامع الباشا بوهران.

كما أن محراب جامع صالح باي تكتنفه أعمدة أسطوانية الشكل مصنوعة من المرمر وهذه الظاهرة هي من أهم المبتكرات والظواهر التي تتصل بالمحاريب الإسلامية . وأقدم مثال على ذلك الأعمدة التي تكتنف محراب قبة الصخرة ، ثم تليها تلك الموجودة في محراب المسجد الأموي بدمشق .

وفي المغرب الإسلامي ظهرت في محراب جامع بوفتاتة بسوسة ، وجامع القيروان وجامع الزيتونة بتونس[3] والجامع الكبير بتلمسان ، ومنها انتشرت في معظم المحاريب في المساجد في الفترة العثمانية.

وجوف المحراب ينقسم إلى قسمين قسم علوي أملس وقسم سفلي مزخرف بمربعات خزفية ، كما يعلو المحراب إطار زخرفي يحمل آية قرآنية وشهادة التوحيد .

كما نجد محراب ثاني في صحن جامع سيدي الكتاني مقابل للنافورة وهو متجه نحو الشمال وهو من المحاريب النصف دائرية جزؤه السفلي عبارة عن جلسة هذه الجلسة تتبع المحراب في دورانها ، أما الجزء العلوي فهو عبارة عن نصف قبة جاءت على شكل محارة ذات ألوان بديعة ، ومن الممكن أن يكون هذا المحراب قد استعمل لجلوس المدرس أو المعلم للتدريس في هذا القسم من الجامع ، كما يمكن أن يكون تدريس الذكور في المدرسة أما تدريس الإناث فيتم في هذا المكان و يتميز هذا المحراب بخلوه من الأعمدة كما يجهل تاريخ تشييده(الصورة07).

– محراب المدرسة عبارة عن تجويف نصف دائري ، طاقيته زينت بخطوط مشعة من المركز تشبه المحارة ويلتف حولها من الأعلى شريط كتابي عبارة عن آيات قرآنية ، أما جزؤه السفلي فقد زين ببلاطات خزفية ، كما وضع في منتصف هذا الجزء تجميعة خزفية ذات أشكال بديعة . ويفصل بين القسم السفلي والعلوي شريط كتابي عبارة عن آية قرآنية.

---

[1]– محسن محمد عطية ، موضوعات في الفنون الإسلامية ، دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة 2 ، 1994 ، ص72.

[2]- Rachid (B.) , L’art religieuse , op.cit , p.113.

[3]– فريد الشافعي ، لمرجع السابق ، ص620.

والأعمدة المدمجة التي تكتنف المحراب تتميز بالأبدان السوداء المصنوعة من البازلت . (أنظر الصورة رقم33).

– أما فيما يخص محراب جامع مركب سيدي محمد الغراب فهو أيضا من النوع السابق (المحاريب النصف دائرية) يتوسط جدار القبلة ، وهو ذو تجويف نصف دائري يتوسطه أخدود بارز وتزينه زخارف هندسية ، وينتهي بعقد نصف دائري .

– وهذا النوع من المحاريب النصف دائرية هو الأكثر انتشارا في العالم الإسلامي بصفة عامة وكذا في محاريب المساجد الجزائرية في الفترة العثمانية بصفة خاصة ومن أمثلته محراب محراب جامع ابن طولون ومحراب مشهد آل طباطبا بمصر ومحراب خان الخرنيني بالعراق[1]، أما في بلاد المغرب فنجد محراب مسجد رباط المنستير (180هـ/796م) ومحراب رباط سوسة (180-206هـ/796-821م) ومحراب جامع المهدية (303هـ/916م) بتونس ومحراب جامع قلعة بني حماد ومحراب الجامع الكبير بقسنطينة (530هـ/1135م) [2] وكذا محراب جامع صفر ومحراب ضريح سيدي محمد بالجزائر[3] .

4– المنبر :

أغلب الضن أن أصل كلمة منبر عربية الأصل وهي ترجع إلى اليمن دخلت قريش بعد ذلك وهم يشتقونه من "النبر" وهو العلو والارتقاء في الصوت وفي رسم الحروف خاصة ، والنبرة عندهم هي الهمزة سواء بسواء ، وفيما عدا هذه الاستعلامات القليلة للمنبر بمعنى الإرتفاع لا نجد له ذكرا في اللغة ، واللفظ لا وجود له في القرآن الكريم[4].

وهو عبارة عن منصة من حجر أو خشب ، تتسع لوقوف وجلوس الخطيب وتقع قرب المحراب ، تعلوها قبة صغيرة أو جوسق ، يصعد إلى المنبر بدرج له درابزين عن جانبيه وباب بمصراعين في الأسفل ، تعلوه شرفات تحملها صفوف من المقرنصات ويتعامد مسقط الدرج مع جدار القبلة[5].

لقد وجب أن تكون كل المساجد الجامعة مزودة بمنصب مرتفع نوعا ما يسمى المنبر وهو موضوع على يمين المحراب ، ووظيفته الأساسية تكمن في السماح للإمام على الإشراف الحسن على المستمعين ، حيث يصل صوته إلى أبعد حد ممكن . كما يمكّن كل المؤمنين من رؤيته وسماع خطبه وتتبع حركاته . وقد أدخل هذا العنصر الإسلامي في المساجد الإسلامية منذ فجر الإسلام ، فقد كان الرسول "صلى الله عليه وسلم" في مكـة قبل الهجرة يحض المـؤمنين

---

[1]– أحمد قاسم جمعة ، المحراب رحلة أربعة عشر قرنا ، عن مجلة المنهل ، العدد 554 ،المجلد 48 ، 1987 ، ص271-272.

[2] - Rachid (B.) , Apports de l Algérie, op-cit, P 148.

[3]– خيرة بن بلة ، المرجع السابق، ص205.

[4]– حسين مؤنس، المرجع السابق، ص82-83.

[5]– خيرة بن بلة ، المرجع السابق ، ص304 . للمزيد أنظر : – عبد الرحيم غالب، المرجع السابق، ص406.

واقفا وهم حوله جالسون على الأرض ، أما في المدينة فقد كان يستند على سعفة نخيل ،وفي أحدى أسفاره قام بإلقاء خطبة من أعلى تل ، وهذا ليتمكن من الإشراف على جميع المؤمنين ، كما ألقى خطبته في عرفات وهو جالس فوق جمله حيث وجد عليه الإشراف على المسلمين من مكان عال [1].

كما أن الرسول صلى الله عليه وسلم كان إذا خطب قام فأطال القيام ، فكان يشق عليه قيامه فأتى بجذع نخلة فحفر له واقيم إلى جنبه قائما للبن . وكان إذا خطب فطال القيام عليه استند فاتكأ عليه . فبصر به رجل كان ورد المدينة فرآه قائما إلى جنب ذلك الجذع فقال لمن يليه من الناس : لو أعلم أن محمدا يحمدني في شيء يرفق به لصنعت له مجلسا يقوم عليه فإن شاء جلس ماشاء وإن شاء قام . فبلغ ذلك النبي فقال ايئتوني به فأتوه فأمر أن يصنع له هذه المرافي الثلاث أو الأربع هي الآن في مسجد المدينة فوجد النبي ف ذلك راحة ...) وكان عمل هذا المنبر سنة 07هـ وقيل سنة 08هـ[2].

– أما فيما يخص مساجد الأمصار فإن أول منبر هو منبر مسجد عمر بن العاص بالفسطاط وذلك عندما بني الجامع سنة 21هـ/738م [3].

وهكذا أصبح الرسول "صلى الله عليه وسلم" يعتلي المنبر أثناء خطبته ، ومنع عمر بن الخطاب "رضي الله عنه" أن يتخذ المنبر في مساجد العالم الإسلامي غير مسجد المدينة والسبب يرجع إلى أن المنبر كان له ذلك المعنى القديم الذي يتمثل في أنه العرش المقدس لخليفة الرسول "صلى الله عليه وسلم"[4].

ويعتبر منبر جامع القيروان أقدم منبر باق حتى الآن في العالم الإسلامي ، والذي لا يزال في حالة جيدة على الرغم من أن تاريخه يعود إلى أكثر من إحدى عشر قرنا[5].

والمنبر معماريا يتكون من :

– الواجهة :تحتوي على قائمين يحصران عقدا حذويا يعلوه إطار أو شريط كتابي أو بدونه وينتهي بطنف ، وكثيرا ما تزخر واجهات المنابر بزخارف متنوعة .

– الدرج الصاعد :يتصل بباب الواجهة ويصعد على درجاته إلى جلسة الخطيب ، وذلك عبر حاجزين واقيين .

– الريشتان : تحصران الدرج الصاعد وتتخذان شكلا مثلثا قائم الزاوية في مؤخرته ، وتكسى الريشتان كليا أو جزئيا بزخارف متنوعة .

– جلسة الخطيب : تتصل بالدرج الصاعد وبالريشتين في الخليفة بهيكل مكعب مستطيل الشكل عمودي قائم كقاعدة للجلسة ومرتفع وتعلوا هذه القاعدة جلسة الخطيب التي يعلوها قبيبة تتناسب وحجم المنبر .

---

[1]- Golvin.(L.), Essai sue l architecture , p.73.

[2]– عبد الرحمان فورجان الأيوبي ، المرجع السابق ، ص07.

[3]– طه الولي ، المرجع السابق ، 196.

[4]– فريد الشافعي ، لمرجع السابق ، ص626.

[5]–نفسه ، ص633.

إن منبر جامع صالح باي مصنوع من الخشب ويتكون من مدخل مشكل من قاعدة وعارضتين يعلوهما عمودان يحملان عقد حدويا مفصصا نصف دائري والذي بدوره محاط بإطار زخرفي تتوسطه كتابة تتضمن شهادة التوحيد ويلي هذا المدخل السلم الذي يقف عليه الخطيب ، وهو يتكون من عشرة درجات أكبرها الدرجة التاسعة .

وجانبا المنبر مزينان بزخرفة هندسية ، وفي الطرف الأخير من كل جانب يوجد مدخل يعلوه عقد مفصص حذوي وفي أعلى المنبر توجد أربعة أعمدة صغيرة تحمل عقودا مفصصة تعلوها قاعدة مربعة الشكل تحمل قبيبة مثل منبر سوق الغزل بقسنطينة .

أما طنف المنبر فقد جاء مزينا بصف من المقرنصات وقد تأثر في ذلك بمنبر جامع سوق الغزل ، حيث يرجع استخدام المقرنصات بالمنابر إلى عهود سابقة للفترة العثمانية ، حيث نجد أمثلة عنه في منبر حرم الخليل وهو مؤرخ بسنة (484هـ/1091م) وكذا منبر جامع ابن طولون (696هـ/1296م) [1]. (الصورة 103 والشكل03) . لقد سادت المنابر الخشبية في بلاد المغرب والأندلس منذ الفترات الأولى بداية من منبر جامع القيروان . ومنبر جامع قرطبة والقرويين بفاس ومنبري جامع ندرومة بتلمسان والجامع المرابطي بالجزائر ، ومنبر جامع القصبة بمراكش ومازال عدد كبير من المنابر من العهد الحفصي والمريني والزياني[2]. كما تميزت معظم هذه المنابر بوضع عجلات لها في الأسفل وذلك بغرض نقلها من مكان لآخر داخل الجامع .

أما قبة الجوسق فهي مطابقة أيضا لما هو موجود بجامع سوق الغزل ، وهي تتميز بشكلها المضلع من أربع تضليعات تنتهي بقمة مدببة .

أما الهيكل المستطيل القائم كقاعدة لجلسة الخطيب ، فقد فتح باب في قاعدته عقد حدوي متجاوز تحيطه لفائف نباتية ، وتعلوه حشوتين مستطيلتين بعنصر من القرون على شكل هلال محاط بإطار من اللفائف بأسلوب الباروك.

جلسة الخطيب تتكون من هيكل رخامي هرمي الشكل قاعدته ثمانية الزوايا تقوم عليها كتلة مستديرة مسلوبة تنتهي بهلال ، وتعتمد على أربعة أعمدة مبرومة على شكل حلزوني (الصورة 103-104 والشكل03).

- أما فيما يخص جامع سيدي الكتاني فهو منبر رخامي غاية في الروعة والجمال وهو من التأثيرات العثمانية على العمارة الجزائرية ، حيث يختلف عن الطراز المحلي في مادة الصنع (الرخام) وكذا الثبات في مكان واحد يمين المحراب وعقده حدوي الشكل شبيه بعقد منبر الجامع الجديد بالجزائر.

يتميز بابه بوجود كتابة تأسيسية داخل حشوة مستطيلة الشكل كما زين من القاعدة إلى ركني العقد بأوراق أكانتس مركبة عموديا . (الصورة 12-13-14والشكل 04).

---

[1] – عبد القادر دحدوح ، المرجع السابق ، ص591.

[2] – عبد العزيز لعرج ، مظاهر التأثير العثماني ، المرجع السابق ، ص 534.

لقد عرف هذا النوع من المحاريب عند السلاجقة في قونيا وديفرن وماردين منذ القرن 6هـ/12م[1] . ولم يبقى منها في الجزائر غير منبري جامع سيدي الكتاني ومنبر الجامع الجديد بالعاصمة كما نجد أمثلة عن المنابر الرخامية في تونس كمنبر جامع القصبة (992هـ/1584م) ومنبر جامع يوسف داي (1023-1024هـ/1614-1615م) ومنبر جامع حسين بن علي (1139هـ/1727م)[2] . وبليبيا نجد منبر جامع شائب العين (1110هـ1698م)[3] .

5- دكة المبلغ :

هي البناء المرتفع المسطح ويستعمل للجلوس عليه ، تجمع على دكك والدكان من البناء مشتق من الدكة ، والدكة معربة من الفارسية ، وقد ساد إطلاق اسم الدكة المبنية بالمسطبة . حيث ترتفع هذه المنصة على أعمدة يقف فيها المبلغ لترديد عبارات الركوع والسجود خلف الإمام لإسماعها إلى كافة المصلين[4].

ظهرت في الفترة الأموية ، ومثال أهم الدكات في المساجد الإسلامية دكة جامع الحاكم بأمر الله وجامع الأزهر بمصر[5].

أما من الناحية المعمارية فالدكات تشترك في ثلاث عناصر أساسية وهي :

* الأعمدة : رفعت الدكات على ثلاث أنواع من الأعمدة (خشبي أملس- رخامية مركبة – رخامي ذو بدن أسطواني)

* الكوابل : الكابولي هو ذلك المسند الذي يحمل الشرفة أو الدرابزين وأشهر أنواعه ذات اللفائف ، واستعملت الكوابل الصغيرة الحجم على هيئة صفوف على طول امتداد الأضلاع الأربعة للدكة وذلك لحمل الدرابزين .

* الدرابزينات : على اختلاف أنواعها[6].

أما فيما يخص دكة المبلغ في جامع سيدي الكتاني فهي تقع في موقع مقابل للمحراب في البلاطة ما قبل الأخيرة مصنوعة من الخشب ترتفع بواسطة أعمدة رخامية ذات بدن أسطواني أملس ، وتاجه على هيئة السلة المزينة بوريدة في وسط كل ضلع ، وهذه الدكة تتميز بالرشاقة ويحيط بها سياج من الدرابزين من النوع المزدوج إذ نجد بين كل قائمتين عقدا يتوسطهما ، وتتميز هذه الدكة بالرشاقة والدقة في زخرفتها المحفورة والملونة ويتقدمها بروز بشكل محراب (الصورة 15).

---

[1]- عبد العزيز لعرج ، مظاهر التأثير العثماني ، المرجع السابق ، ص535.

[2]-عبد العزيز الدولاتي ،المرجع السالق ، ص150.

[3]- عبد القادر دحدوح ، المرجع السابق ، ص 584.

[4]- عاصم محمد رزق ، المرجع السابق ، ص108-109.

[5]- Golvin.(L.), Essai sue l architecture , p.77.

[6]- للمزيد حول الدكة أنظر:- خيرة بن بلة : المرجع السابق ، ص319-324.

ففي العصر العثماني وجدت الدكة في الحائط المقابل للقبلة وعلى ارتفاع كبير ويمكن الوصول إليها عن طريق سلم في هذا الحائط ، وتعمل من الخشب وتحمل إما على أعمدة أو كوابل خشبية[1].

ودكة جامع صالح باي ذات طراز حنفي ، مثل دكة الجامع الجديد بالجزائر[2].حيث ترتفع بـ3م ، وهي تشرف على بيت الصلاة بواسطة الدرابزين ، وهو الحاجز الذي يفصلها عن باقي مساحة بيت الصلاة وله دور وقائي وقد عني المعماريون بزخرفته ونقشه خصوصا في القصور ، حيث يتكون من قوائم رأسية منتظمة تعلوها كوبستة* وبكل قائم حشوات زخرفية .

---

[1]- صالح لمعي ، التراث المعماري الإسلامي ، ص46.

[2]- Golvin.(L.), Essai sue l architecture , p.77.

*كوبستة : فضيب من الخشب أو المعدن يثبت على درابزين أو حاجز الدرج أو الشرفة .

الفصل الثالث:

الدراسة المعمارية التحليلية

1- المساجد

2- المدارس

3- الأضرحة

4- المساكن

5- الزوايا

6- العناصر الزخرفية

I- المساجد :

1- تطور تخطيط المسجد :

أصبح للمساجد الإسلامية نظام لا تخرج عنه مستمد في أساسه من المسجد الأول الذي أقامه النبي صلى الله عليه وسلم في المدينة وهو الذي يعتبر مصدر تخطيط المساجد في العلم الإسلامي ، ومن هذا المنطلق فقد قام المسلمون ببناء المساجد وجعلوها كمراكز بناء للمدينة الإسلامية ككل ، وقد استعملت المساجد كمراكز للتعليم منذ العصر الإسلامي الأول .

لقد تلت مسجد المدينة المنورة مساجد أخرى وفي بقاع مختلفة كمسجد البصرة 16هـ والكوفة 17هـ وكذا مسجد الفسطاط 21هـ الذي شيده عمر بن العاص وكذا مسجد عقبة بن نافع بالقيروان 50هـ . وعلى غرار المسجد النبوي بنيت المساجد الأولى ، حيث كانت تتكون من فناء ذي أربة اضلاع تشتمل جهة القبلة على ظلة .

لقد تميزت جل المساجد الأولى للإسلام بالبساطة وخلوها من التعقيدات الزخرفية التي ظهرت في وقت لاحق وكان المسجد الأول (مسجد قباء) على بساطته يمثل البساطة والتقشف اللذان يميزان جوهر العقيدة الإسلامية مناسبا لإقامة شعائر الصلاة التي يشترط في إقامتها الجماعة أن يصطف المسلمون صفوفا مستقيمة ، حيث كانت تمثله مساحة مكشوفة تحدها جدران أربعة[1].

فالمساجد الأولى كانت تخلوا من المحاريب ومن المنابر والمآذن على غرار مسجد الرسول صلى الله عليه وسلم .

ومن الطبيعي ألا يبقى المسجد على طبيعته وتخطيطه الأول التي بني عليها في عهد الرسول – صلى الله عليه وسلم – والخلفاء الراشدين ، بل بدأ يعرف تطورا يتواكب مع الحضارة الإسلامية وبدأت مظاهره تبرز مع الدولة الأموية التي تأثرت كثيرا بعمارات الأقوام الأخرى[2].

أ- في المشرق الإسلامي :

لما انتهى عهد الخلفاء الراشدين وانتقلت الخلافة إلى بني أمية 41هـ/661م بدأ الأمويون يفكرون في تشييد مساجد توازي في عظمتها الكنائس المسيحية بحيث تليق بعظمة المسلمين وحكمهم الجديد ، وقد اعتمد المسلمون على الفنيين والصناع من أهل البلاد المفتوحة في إطار فلسفة العقيدة الجديدة ، وهكذا نشأ الطراز الأموي الذي ظل يسود معظم البلاد الإسلامية طوال القرون الثلاثة الأولى للهجرة ، ومن أبرز أمثلة هذا العهد قبة الصخرة 72هـ والمسجد الأموي بـدمشق الذي شيـد بين (77-96هـ/707-714م) . أما في بلاد المـغرب فقد شيـد بها أول

---

[1] – حسن الباشا ، المرجع السابق ، المجلد 01، ص220.

[2] – سعاد ماهر محمد ، مساجد مصر وأولياؤها الصاحون ، ج1 ، ص17.

مسجد في سنة 50هـ وهو جامع عقبة بالقيروان ، وتميز بمئذنته المربعة الشكل وكذا بشكله المستطيل وأغلب المساجد في الفترة الأموية تميزت بكبر الحجم واستخدم في بنائها الحجارة [1] .

ولمعظم المساجد جزء أوسط سمي بالصحن وهو سماوي في الغالب وتحيط به أروقة بها بوائك أكبرها رواق القبلة وفيه المحراب وعلى يمينه المنبر ، ويحمل السقف عقود تقوم على أعمدة من الرخام أو الحجر أو على أكتاف من البناء[2] ، كما يحتوي كل مسجد على محراب أو أكثر ومئذنة وميضأة في أغلب الأحيان ، أما عن التخطيط فإن أغلبية مساجد العراق وفارس كانت مربعة المسقط أما في مصر والشام وشمال إفريقيا فكانت مستطيلة .

وعندما انتقلت الخلافة لبني العباس 132هـ/750م وبانتقالهم إلى بغداد تأثرت عمارة المساجد بالعمارة المحلية والمتأثرة بالعمارة الساسانية حيث كانت مساجدهم عظيمة الاتساع وكانت سقوفها محمولة على أكتاف أو أعمدة مباشرة دون استعمال للعقود كما نرى في بغداد وسامراء وأبي دلف وأحمد بن طولون ، كما نجد أيضا المساجد التي استعملت التغطية بالأقبية كمسجد الرباط في سوسة ومسجد سوسة الكبير ، كما استعمل أيضا عنصر القبة أمام المحراب .

وفي القرن السادس الهجري ظهر نمط جديد لتخطيط المساجد الإسلامية ويتمثل في تخطيط المسجد بصحن أوسط مكشوف أو مسقف تحيط به أربعة أواوين مسقفة بأقبية وهو تصميم تطور عن نمط المدارس الذي يرجح أنه أنشأ بإيران[3] .

ثم حدث تطور في هذا الطراز في إيران وذلك بتزويد رواق القبلة بقبة باعتبارها مظهرا من مظاهر التأكيد على هذا الرواق ويتضح ذلك في جامع أصفهان الذي يحتمل أنه أدخل في رواق القبلة به قبة فيما بين سنتي 1076-1088م ومن المعروف أنه أول جامع في إيران أدخل عليه هذا العنصر[4] .

أما المساجد في العصر الفاطمي فترتبط بابن طولون في استعمال الأكتاف وبسيدي عقبة في استعمال المجاز المرتفع الذي يقطع رواق القبلة ، أما في العهد المملوكي فقد روعي في بناء المساجد تصميم المدارس والأضرحة بدون أن يترك تماما تصميم الجوامع ذات الإيوانات والأعمدة والأكتاف ، ومن أمثلة ذلك مسجد الظاهر بيبرس (1266-1269م) وكذا مسجد ومدرسة السلطان حسن 1365م وكذا مسجد ومدرسة السلطان الظاهر*[1] برقوق 1348-1386م.

---

[1] – أبو صالح الألفي ، الفن الإسلامي ، ط2 ،ص161.

[2] – نفسه ، ص122.

[3] – حسن باشا ، المرجع السابق ، المجلد 1 ، ص220-221.

[4] – نفسه ، ص128-129.

*[1]- الظاهر برقوق : وهو أول السلاطين الشراكسة .

أما المسجد السلجوقي فيتميز بكونه له إيوان عالي مقبب يتوسط دعائم واجهة كل ضلع من أضلاع الصحن كما يظهر بالواجهة طابقان أما إيوان القبلة فيتميز بزيادة اتساعه عن بقية الأواوين الثلاثة ، وعلى الرغم من ارتباط الفن المعماري السلجوقي في تركيا بفن السلاجقة بإيران إلا أننا نلاحظ فيه تميزا واضحا[1] .

ب- في بلاد المغرب الإسلامي :

أما في بلاد المغرب والأندلس فقد تطورت العمارة أيما تطور خاصة في الأندلس التي ظلت مركزا للثقافة الفنية في غرب العالم الإسلامي إلى عصور متقدمة جدا ، أما طراز المساجد في المغرب والأندلس والذي عرف فيما بعد بالطراز المحلي فقد ظل محافظا على أصالته الأولى والمتمثلة في تخطيط جامع القيروان ، فمنه استمدت معظم المساجد في هذه المنطقة من العالم الإسلامي تخطيطها وعناصرها المعمارية ، حيث ظل تخطيط المسجد كما هو صحن مكشوف تحيط به أروقة أكبرها رواق القبلة ومجاز مرتفع عمودي على حائط القبلة ، وتبنى المئذنة على الضلع المقابل لحائط المحراب سواء في وسطه أو أحد طرفيه وتكون على قاعدة مربعة على شكل برج مرتفع تزينه شرافات مسننة ، ويعلوا هذا البرج برج آخر صغير فوقه قبة صغيرة ملساء أو مضلعة[2] .

فقد أخذت كما قلنا سابقا طابعها الخاص والمستمد من جامع عقبة بن نافع بالقيروان ، كما أضفى الأغالبة طابعهم الخاص على الفن المعماري الإسلامي حيث اعتمدوا على التقشف والبساطة في التعبير الفني .

واستمر نفس الشيء في العهود اللاحقة ففي العهد المرابطي استمر على نفس الشاكلة وعلى نفس العناصر المستمدة من جامع عقبة بن نافع بالقيروان وكذا جامع قرطبة أما التغيير الذي حدث في عهد الموحدين فقد تجلى باستبدال الأعمدة بدعامات من الحجر وعقود على هيئة حذوة الفرس المستديرة كما تمكن المرينيون وإلى حد بعيد من الاحتفاظ بصفات ومميزات الطراز المغربي الأندلسي مع تغييرات طفيفة اقتضتها الحاجة [3] .وبقي الأمر كذلك حتى دخل المغرب والجزائر في فترة ضعف نسبيا ركدت فيه الحركة المعمارية والفنية ونسيت الأساليب والتقنيات الصناعية ، ففسد الإنتاج الفني وتشوه وضعف[4] .

ج- في الفترة العثمانية :

كانت العمائر الدينية خلال القرن الرابع عشر تستند إلى العمارة السلجوقية ومازال هذا واضحا في مدينة بروصة ، فقد تأثروا في عمارة المساجد أول الأمر بالطراز السلجوقي فكان طراز المساجد يقوم على أروقة محمولة على أكتاف وعلى كل مربع قبة صغيرة ومن أمثلة هذه الجوامع "أولو جامعي" في بروسه أواخر القرن 14م ومنذ فتح

---

[1] – رؤوف الأنصاري ، عمارة المساجد ، دار النبوغ للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ،1996 ، ص126.

[2] – أبو صالح الألفي ، الفن الإسلامي ، 214-215 .

[3] – رؤوف الأنصاري ، المرجع السابق ص77-111-112.

[4] – عبد العزيز لعرج ، مظاهر التأثير العثماني ، المرجع السابق ، ص527.

القسطنطنية تأثرت المساجد العثمانية بآيا صوفيا فأنشئ مسجد محمد الفاتح وكذا مسجد السلطان بايزيد 1507م والعصر الذهبي لعمارة المساجد العثمانية قامت على يد المهندس سنان باشا الذي وضع تصميم جامع السليمانية بين عامي 1550-1556م وجامع سليمية الذي شيده في أدرنة بين سنتي 1570-1574م وهو أهم أعماله ، حيث يتكون من صحن سماوي تحيط به بوائك تغطيها قباب صغيرة وله أربعة أبراج كبيرة [1].

تمتاز المساجد التركية بصفة عامة بمآذنها الرفيعة والطويلة ذات الرؤوس المدببة والمخروطية وبها عدة شرفات وتصميمها غالبا ما يشبه تصميم كنيسة آيا صوفيا ، فهي ذات قاعدة مربعة تعلوها قبة مستديرة يحيط بها أنصاف قباب صغيرة مثل جامع السلطان ومسجد السليمانية في مدينة إستامبول .

د- تخطيط المساجد في الجزائر العثمانية :

أما في الجزائر فالعمارة في الفترة العثمانية كانت مزيجا بين طرازين الأول محلي : وهو وليد التقاليد المغربية الأندلسية وعصور الازدهار فيه ، والذي يقوم فيه بيت الصلاة على الأعمدة والدعامات سواء كان يشتمل صحن أوسط أو يخلو منه ، ويغطى بسقف مسطح ومعظم هذا النوع من المساجد متوسطة أو صغير الحجم ، منتظم التخطيط أو غير منتظم وينتشر في معظم المدن .

أما الطراز الثاني فهو وافد : من إسطنبول أو مدن عثمانية أخرى ، حيث تعددت أنماطه المعمارية وتنوعت أشكاله التخطيطة ويمكن حصرها في ثلاثة أنماط تخطيطية :

- مساجد قاعة الصلاة فيها مربعة مغطاة بقبة مركزية قاعدتها مثمنة ورواق يحيطها من جميع جهاتها مقسم إلى فراغات مربعة غطي كل منها بقبيبة صغيرة مثل جامع علي بتشين (1033هـ/1622م) وجامع كتشاوة (1209هـ/1794-1795م) .

- مساجد بيوت صلاتها مربعة تغطيها قبة مركزية تقوم على حنايا ركنية مثل جامع سفير (941هـ/1534-1535م) .

- مساجد نمط التخطيط فيها على هيئة صليب أحد أضلاعه أكثر امتدادا من الأخرى ، وغطي فيه الفراغ المربع الكبير بقبة مركزية تحيط بها قبيبات صغيرة ، بينما غطيت أضلاع الصليب الصغرى بأقبية أسطوانية والضلع الصغير بمجموعة من الأقباء الأسطوانية المتتابعة وهذا النمط نجده بالجامع الجديد بالعاصمة [2] . غير أننا نلاحظ أن المساجد الجزائرية أخذت من الطراز الوافد بيوت الصلاة فقط دون أن يتعدى ذلك إلى الحرم والصحن الخارجي المفصول عن بيت الصلاة .

---

[1] – آرنست كونل ، الفن الإسلامي ، ترجمة.أحمد موسى ، دار صادر ، بيروت ، 1966 ، ص162-166.

[2] – عبد العزيز لعرج ، مظاهر التأثير العثماني ، المرجع السابق ، ص530-531.

2- تخطيط مساجد صالح باي :

تشترك المساجد المدروسة في عدة أمور كما تختلف في أمور أخرى وبالرغم من أن المساجد الثلاثة المدروسة بنيت بعد سنة 1622م أي بعد تأثر العمارة الجزائرية بالطراز الوافد ، إلا أننا نجد فيها تزاوجا كبيرا بين الطراز المحلي والطراز الوافد ، ويمكننا دراستها على النحو الآتي:

- مخططه الجامع بصفة عامة : غير منتظم في جامع صالح باي وهذا لوجود المرافق كما هو الحال بجامع سيدي أبي مروان بعنابه ، وجامع صفر ومسجد علي بتشين بمدينة الجزائر ومسجد سوق الغزل بمدينة قسنطينة ، ومسجد سيدي محمد ببلكور[1]. أما جامع سيدي الكتاني ومسجد مركب لغراب فهي مستطيلة الشكل .(أنظر المخطط رقم 01-08)

- يمكننا تصنيف تصنيف المساجد المدروسة إلى صنفين :

* مساجد ذات طابق أرضي : ويتميز هذا النوع بتكوينه من طابق واحد ونجده في جامع صالح باي بعنابه وكذا في مسجد مركب سيدي محمد الغراب ، وهذا النوع هو الغالب في معظم الأقطار الإسلامية وكذا في الجزائر .

* مساجد ذات طابقين (المعلقة) : وتتمثل في المساجد التي تبنى في طابقين ، حيث يخصص الطابق الأرضي لإقامة دكاكين ومرافق تجارية توقف في كثير من الأحيان على المسجد وأبرز مثال عليه هو نموذج جامع سيدي الكتاني ، فقد شيد صالح باي جامعه في وسط حي تجاري لذلك أنشأ في قسميه الجنوبي والشرقي ستة حوانيت يتوسطهما المدخل وخلفهما صحن ينفتح في ضلعه الشمالي على الميضأة بينما خصص الطابق العلوي لبيت الصلاة .

ولم يعرف هذا النوع في الجزائر قبل الفترة العثمانية ، حيث يعد من تأثيرات الطراز الوافد وأول أمثلته في الجزائر هو جامع علي بتشين1622م بالعاصمة الذي يعد نقطة التحول الرئيسية في العمارة الجزائرية في الفترة العثمانية وتحولها من الطراز المحلي إلى الطراز الوافد[2] .

- تتميز بيوت الصلاة بالمساجد المدروسة باتخاذها نوع واحد من المساقط وهي المسقط المستطيل ونجد أمثلته في جامع سيدي الكتاني وكذا في مسجد مركب سيدي محمد الغراب بالإضافة إلى جامع صالح باي بعنابة .(أنظر المخطط رقم 01-08-15).

كما ظهر نوع من بيوت الصلاة مع الدخول العثماني إلى الجزائر وهو تقليد لبعض المساجد العثمانية بتركيا مع إدخال بعض التأثيرات على مخططاتها ، حيث نجد قبة مركزية محاطة بأروقة تعلوها قبيبات وأقبية فقط وذلك بالأضلاع الأربعة أو بثلاثة أضلاع ، حيث نجد في جامع الباي بعنابة القبة المركزية تتقدم المحراب وتحيط بها الأروقة من جهاتها الثلاثة فقط واحد بالجدار المقابل لجدار القبلة وآخر على يمين المحراب وآخر على يساره .

(أنظر المخطط رقم 15).

---

(1) -.Marçais (G.), L' Architecture Musulmane, op-cit, P427.

(2)- Rachid (B.),, Apport de l'Algérie, p .41.

يتكون بيت الصلاة في جامع الباي من بلاطات عمودية على جدار القبلة وأسكوب موازي له ، وهذه البلاطات والأساكيب تشكلت نتيجة لكثرة الأعمدة والدعامات وهذا العدد الهائل من الأعمدة والدعامات جاء لضرورة فرضها سقف بيت الصلاة ، إذ أن سقفه كله مقبب ، وهذا نتيجة لمخطط بيت الصلاة القريب من المربع.

أما في جامع سيدي الكتاني فنجد بلاطتان عموديتان على جدار القلة وخمسة أساكيب موازية لها . أما المسجد الثالث فقد تعذر علينا معرفة نظام البلاطات والأساكيب به وذلك لتهدمه ، وقد كان هذا التقليد قي المغرب في فترة سابقة للعصر العثماني حيث نجده في مسجدي القرويين ومسجد الأندلسيين بفاس[1] .

تتشابه بيوت الصلاة الثلاثة المدروسة بوجود المحراب في وسط جدار القبلة ، وهو تقليد شاع في أغلب المساجد في العالم الإسلامي ، كما يتشابه مسجدي صالح باي وسيدي الكتاني في وجود القبة أمام المحراب وهو أيضا قديم الظهور وأقدم أمثلته في بلاد المغرب الإسلامي نجده في جامع القرويين والمؤرخة سنة (221هـ836م) واستمر في المساجد اللاحقة كجامع المهدية بتونس(303هـ/916م) والجامع الكبير بتلمسان(530هـ/1136م) ومسجد سيدي أبي مدين(747هـ/1347م) وسيدي الحلوي (754هـ/1353م) [2] .

– أما فيما يخص الصحن فإن المساجد الثلاثة تحتوي على صحون ففي الجامع الكتاني يتوسط المبنى لكون هذا الأخير من المساجد المعلقة وفي مسجد لغراب نجد الصحن في الركن الجنوبي الغربي أما في جامع الباي فهو يقع في محور بيت لصلاة إذ تحيط به الأروقة والمرافق التابعة للجامع ، وإليه يكون الدخول بعد تجاوز المدخل الرئيسي للجامع كما هو الحال في بعض المساجد والقصور العثمانية. (أنظر المخطط رقم 01-08-15).

– أما فيما يخص الوحدات المعمارية فنجدها كما يلي : وجود الميضآت منفصلة عن بيت الصلاة في المساجد الثلاثة حيث كانت تنفتح على الصحن في جامع سيدي الكتاني ، أما في جامع الباي فنجدها تحت صحن الجامع أما في مسجد لغراب فتقع في الجهه الجنوبية الشرقية للباب الأصلي للمركب .

– أما فيما يخص المآذن فنجد نوعين من المساجد :

* ذات مئذنة واحدة : وهذا مانجده في جامع سيدي الكتاني وهو يتكون من مئذنة واحدة أما في مسجد لغراب فقد اندثرت المئذنة ، وهي من نوع المآذن الوافدة من بلاد الآناضول وتعرف بالمآذن القلمية.(أنظر الشكل: 1.ج)

* ذات أكثر من مئذنة : ونجد هذا النوع في جامع الباي حيث بنى صالح باي الجامع بطراز خاص وهو الطراز التركي المغربي ، حيث مزج بين العمارتين التركية والمغربية ، وعلى هذا أقام مئذنة ذات طراز مغربي مربعة الشكل أزالها الباي الوزناجي سنة 1796م ومئذنة ذات طراز تركي أناضولي وهي تعد أول مئذنة مستديرة في الجزائر .

ويعد هذا الجامع فريد من نوعه في الجزائر وفي العالم الإسلامي ككل والذي ضم نوعين من المآذن مغربية وعثمانية فلم نجد له أي مثيل . (أنظر الشكل: 1.أ.ب)

---

(1) -.Marçais (G.), L' Architecture Musulmane, op-cit, P427.

(2) – عبد العزيز لعرج ، المباني المرينية ، ج2، المرجع السابق ،ص483-485

II-المدارس :

1- المخطط العام للمدارس المدروسة :

تميز تخطيط المدرسة الكتانية بتكوينه من صحن أوسط مكشوف على الفضاء الخارجي تتوسطه نافورة رخامية حولت في وقت سابق إلى شجرة برتقال ، تحيط به ثلاثة أروقة تشرف على الصحن بواسطة أعمدة وتحيط بهذه الأروقة من كل الجوانب أبنية متكونة من طابقين أرضي وأول ، هذه الأبنية عبارة عن غرف للطلبة بالإضافة إلى غرف الأساتذة وكذا المطبخ والحمام وغرفة المؤونة ، وقد بنيت قاعة التدريس باتجاه القبلة وذلك لتقوم مقام المسجد بالنسبة للطلبة ، هذا إضافة إلى مقبرة دفن فيها صالح باي وأفراد عائلته وبعض مشايخ المدرسة وذلك في المكان المخصص للرواق الرابع في الجهة الشمالية . (أنظر المخطط رقم 03-05)

أما فيما يخص تخطيط مدرسة سيدي لخضر فهي تتكون من طابق واحد يتم الدخول إليها عن طريق باب واحد يربطها مباشرة بالشارع ومدخل ثانوي يربطها بالجامع مسدود حاليا ، وتتكون من صحن أوسط مكشوف على الفضاء الخارجي تحيط به أربعة أروقة ، يتقدم الصحن من جهة القبلة قاعة الدرس وهو نفس الشيء الذي نجده بمدرسة سيدي الكتاني وهي مشكلة من ثلاث بلاطات عمودية على جدار القبلة ، والملاحظ على هذه القاعة غياب المحراب وربما يكون قد أزيل بعد تجديد بعض أجزائها وفي الضلع الغربي نجد المطبخ والميضأة أما في الضلع الشمالي تنفتح ثلاث غرف أما الضلع الجنوبي فيتميز عن الجهات الأخرى بضيقه حتى يكاد يلتصق بجدار المخزن (أنظر المخطط رقم 12) .

2- الدراسة التحليلية للمخططات :

أ- قاعات الدرس :

تميزت المدرسة الكتانية باحتوائها على إيوان للقبلة أو قاعة للدرس واسعة نوعا ما ، إضافة إلى المحراب المجوف الذي يتصدر الجدار وهو ما يجعلنا نطلق عليه اسم إيوان القبلة ، وتتميز هذه القاعة بكبر المساحة مقارنة بالقاعات الأخرى (أنظر المخطط رقم 05).

أما قاعة الدرس بمدرسة سيدي الأخضر فهي تقع في نفس موقع قاعة الدرس بالمدرسة الكتانية أي تحتل إيوان القبلة وتتميز هذه القاعة مقارنة بالأولى بصغر الحجم نوعا ما ، وكما قلنا سابقا نجد بها غياب المحراب بعد إزالته في فترة سابقة(أنظر المخطط رقم 11-12) .

ب- الأروقة :

جاءت الأروقة بمدرسة سيدي الكتاني منتظمة نوعا ما لكن عدد أروقتها ثلاثة فقط وكما ذكرنا فمكان الرواق الرابع تتموقع فيه المقبرة ، (أنظر الصورة رقم 31) أما فيما يخص مدرسة سيدي الأخضر فتتكون من أربعة أروقة لكنها غير منتظمة الأضلاع وأطوالها مختلفة من ضلع لآخر.

ج- المداخل :

الباب الحالي للمدرسة الكتانية مستحدث بالكامل لا يتميز فنيا ، ما عدا بعض الحشوات الخشبية التي استغلت في صناعة بابه الخشبي الحديث ، بينما يتميز باب مدرسة سيدي الأخضر بأنه بسيط ذو مصراعين خال من أية زخرفة فنية ، وهذا الشيء عكس المدارس المغربية قبل الفترة العثمانية التي تتميز مداخلها بالفخامة (أنظر الصورة رقم 27- 71) .

- كما تتميز هاتين المدرستين بخلوهما من المئذنة ، وربما سبب غياب المئذنة راجع لكونها واقعتان ضمن نطاق الجامع أي ملاصقة للجامع حيث استغنى المعمار عن المئذنة لوجودها في الجامعين الملاصقين للمدرستين .

وهذه الظاهرة معروفة منذ وقت بعيد فنجدها في الفترة الأيوبية في الحجاز حيث أن مدارسها خالية تماما من المآذن ولا توجد أية إشارة إلى ذلك العنصر ، باستثناء نموذجين فقط يرجعان إلى العهد المملوكي ونجدها بمدرسة قايتباي بمكة المكرمة والمدينة المنورة [1] .

د- الصحن :

تتميز كلتا المدرستين بإتباع نظام الصحن الأوسط المكشوف وتحيط به الأروقة وهو النظام المتبع في تخطيط المدارس الإسلامية بصفة عامة ، والاختلاف بينهما يتمثل في وجود مقبرة في مدرسة سيدي الكتاني في الرواق الشمالي عكس مدرسة سيدي الأخضر التي نجدها قد ألحقت بالجامع في فترة لاحقة فالمدرسة والجامع لم يبنيا من طرف باي واحد ، أما فيما يخص مدرسة سيدي لخضر فأضرحته جاءت داخل الجامع الأخضر الذي شيده الباي حسن بوكمية قبل تشييد المدرسة من طرف صالح باي ، وذلك عكس المدرسة الكتانية التي جاءت قبتها الضريحية داخل المدرسة(أنظر المخطط رقم 05-12) ، وقد كان هذا التقليد معروفا ببلاد المغرب قبل الفترة العثمانية وبالتحديد في الفترة الحفصية (625-981هـ/1228-1573م) بتونس ، حيث يذكر أن الحاجب ابن تافركين دفن في مدرسته بتونس 766هـ/1364م[2] .

لم يخرج تخطيط مدارس صالح باي عن المألوف فتخطيط المدارس سواء في المشرق أو المغرب مشابه لها باستثناء صغر الحجم الذي ميزها خاصة عن المدارس في مصر أو المغرب الأقصى التي كانت تتميز بالضخامة ، وفيما يلي سنتتبع بعض النماذج عن مخططات المدارس في المشرق والمغرب الإسلاميين.

---

[1] – عدنان محمد فايز الحارثي ، عمارة المدرسة في مصر والحجاز (في القرنين 9هـ/15م) دراسة مقارنة ، جامعة أم القرى 1418هـ/1997م ، ص409-410.

[2] – محمد الباجي بن مامي ، مدارس تونس من العهد الحفصي إلى العهد الحسيني القرن السابع إلى القرن الثالث عشر هجري المعهد الوطني للتراث ، تونس ، 2006 ، ص187.

3- تخطيط المدارس الإسلامية :

أ- التخطيط العام للمدارس في المشرق الإسلامي :

لقد اعتمد تخطيط المدارس المشرقية على نظام الأواوين ، حيث يتكون نظام المدرسة من صحن أوسط مكشوف تحيط به وتشرف عليه في آن واحد أربعة أواوين أكبرها إيوان القبلة الذي يتخذ كمصلى للمدرسة وعلى جوانب الأواوين وأعلاها تقام حجرات الطلبة وغرفهم وملاحق أخرى كالمطابخ أو المطاعم أو المخازن وكان هذا النظام المعماري هو السائد في مدارس إيران والعراق والشام ومصر.

و كانت بداية هذا الطراز منذ ظهور المدارس الأولى في بغداد والشام كالمدرسة النظامية (457هـ/1065م) التي من المحتمل أنها كانت شبيهة بالمدرسة المستنصرية (631هـ/1233م) التي تتوفر على صحن أوسط مكشوف وحوله أروقة تتوزع خلفه مختلف العناصر والمرافق ، والمدرسة الشرابية (628هـ/1230م) ببغداد ، وفي الشام نماذج كثيرة منها المدرسة النورية الصغرى في دمشق (549-569هـ/1154-1174م) ومدرسة خان أتوان في حلب (564هـ/ 1168م) [1] .

لقد اعتمد المستشرقون في دراستهم للنظام المعماري لمدارس المشرق ربطه بالمذاهب القائمة فيه والمتبعة بين سكانه (المالكي – الشافعي – الحنبلي والحنفي)[2]. .

لقد ظهرت المدارس في مصر في أواخر الفترة الفاطمية ، وازدهرت في الفترة الأيوبية على يد صلاح الدين الأيوبي ، تعتبر مصر أهم مركز لإنشاء المدارس وبذلك سنتتبع بعض الأمثلة عن تخطيط المدارس بها :

- لقد تميزت جل المدارس في مصر بكتلتها الإنشائية الضخمة ، حيث اعتمدت على نظام الأواوين ، وقد كانت نواة جل المدارس هي الأضرحة ، حيث يشيد حولها مركب (مسجد ومدرسة وضريح)[3].

- كما تتميز أضرحتها باحتوائها على محراب مجوف ، وفي بعض المدارس نجد مئذنة من دورتين كمدرسة السلطان قلاوون 683-684هـ / 1284-1285م[4].

توجد في مصر أكبر مدرسة أنشئت في الإسلام لتدريس المذاهب الأربعة ، تتكون من أربعة طوابق وهي مدرسة وضريح السلطان حسن 757-776هـ/1356-1362م[5].

---

[1] – كامل حيدر ، المرجع السابق ، ص ص31-34-49-63-74-100-101-103.

[2] – عبد العزيز محمود لعرج ، المدارس الإسلامية ، المرجع السابق ، ص117.

[3] – أحمد فكري ، مساجد القاهرة ومدارسها ، ج2 ، ص121.

أنظر : محمد رزق عاصم ، أطلس العمارة الإسلامية والقبطية بالقاهرة ، ج1، مؤسسة حسن جواد ، بيروت ، لبنان ط1 ، 2003 ، ص121 .

[4] – محمد رزق عاصم ، نفس المرجع ، ج1 ، ص129-131.

[5] – نفسه ، ج2 ، ص1141-1147.

كما حافظت المدارس في عصر المماليك على الطابع القديم لتخطيط المدارس المتكون من أربعة أواوين وأبرز أمثلتها مدرسة السلطان الغوري 909هـ/1503م.

في حين نرى بمصر في الفترة العثمانية أن أحجامها ظلت تتناقص تدريجيا واقتصر كثير منها على إيوان واحد وعدت أفنيتها ضيقة مسقوفة بالخشب مثل مدرسة قايتباي بالقاهرة 1485م وانحصرت عنها تلك الفخامة السابقة حتى أصبحت أشبه بقاعات الاستقبال في الدور الخاصة وهكذا تدهور مبنى المدرسة المصرية وعاد أدراجه إلى ما كان عليه وقت نشأته[1].

أما ناحية الأناضول وإيران فقد كانت المدرسة والمسجد يشيدان متجاورين ، ويتجه المسجد وحده ناحية القبلة .

ب- التخطيط العام للمدارس في المغرب الإسلامي :

أدخل نظام المدارس في المغرب على يد السلطان الموحدي يعقوب المنصور وهذا هو الغالب عند كل الدارسين لتاريخ المدارس في بلاد المغرب ، وبعكس المشرق فإن بلاد المغرب والأندلس تميزت بخلوها من الاختلافات المذهبية وإتباعها المذهب المالكي وهذا ما أثر على تخطيط المدارس بها ، حيث أن معظمها يتكون من إيوان واحد لتدريس المذهب المالكي كما أن تصميم المدارس بها يجسد وحدة الفن المعماري في العالم الإسلامي[2].

وتخطيطها يتكون من صحن مربع يحيط به إيوان أو أكثر وتكون ملحقة في بعض الأحيان بضريح وجامع وتتكون من عدد من الغرف موزعة على طابقين لسكنى الطلبة ، أي عبارة عن مركب ديني وهناك أمثلة كثيرة في المغرب الإسلامي عن هذا النوع من المركبات نذكر منها (سيدي بومدين- سيدي الحلوي ...)وفي بعض الأحيان يضم المركب أيضا زاوية لأتباع صاحب الضريح في المركب الذي يضم أيضا مدرسة وجامعا .

جل المدارس تتشابه من حيث عناصرها المعمارية فالمدخل يؤدي في غالب الأحيان مباشرة نحو الداخل مثلما هو عليه الحال بالنسبة للمساكن العمومية باستثناء المدرسة الأبي عنانية وصحونها بلطت بالرخام ، كما كسيت جل أجزائها بالزليج (مدرسة العطارين ومدرسة الصهريج)، وتتخذ شكلا مستطيلا باستثناء صحن المدرسة الأبي عنانية والمصباحية[3].

أما قاعات الصلاة فهي تختلف من مدرسة لأخرى من حيث الشكل والأبعاد ، غير أن الشكل المستطيل هو الأكثر شيوعا ، واحتوت بعض المدارس على منابر مما يدل على إقامة صلاة الجمعة بها ، واستعمل المعمـــاري المغربي عنصر

---

[1] – ثروت عكاشة ، المرجع السابق ، ص140-142.

[2] – عبد العزيز محمود لعرج ، المدارس الإسلامية ، ص118.

[3] – هجيرة تمليكشت ، المدرسة البوعنانية دراسة أثرية معمارية فنية ، رسالة لنيل درجة الماجستير في الآثار الإسلامية ، معهد الآثار جامعة الجزائر ، 2001-2002 ، ص189.

العقد في جل المدارس ونجده في الواجهات التي تعلوا المداخل والنوافذ والشمسيات ، لقد شاع استعمال العقد المنكسر المتجاوز [1].

ويلاحظ أن بناء المدارس في بلاد المغرب لم يؤثر على بناء المساجد .

ج- تخطيط المدارس العثمانية :

إن تخطيط المدارس السلجوقية لم يخرج على التقاليد (التخطيط ذو الأربعة إيوانات) [2].

وفيما يتعلق بالمدارس فإننا نرى الأبنية الضخمة التي عرفناها على عهد السلاجقة وقد استبدل تخطيطها بأخرى جديدة ، ذات قدرة على مواجهة الاحتياجات العلمية التي يتطلبها العصر ، والتي تتناسب وظروف التعليم في تلك المرحلة الجديدة مثال ذلك نجده في مدرسة بايزيد الأول التي بنيت في بروسة سنة1400م نموذجا مسبقا للمدرسة السلجوقية . ثم هناك المدرسة الخضراء أسسها محمد جلبي سنة 1414م ، حيث تحول مكان الإيوانات الأربعة فيها إلى غرف للدرس بارزة نحو الخارج وتعلوها القباب ، ومن حول ذلك أقيمت غرف الطلاب ، هذا التخطيط يختلف على تخطيط المدارس السلجوقية من حيث وجود مئذنة تعلو مداخل المدارس[3].

وقد ظهر هذا النوع من المدارس ذات القباب بعد تغطية الصحن بالقباب أو القبة علما أن أول ظهور للمداس بالأناضول كان بهذا الشكل وتعتبر مدرسة كمشتكين في بصرى بسوريا أول أمثلة هذا النوع ولا تزال باقية إلى اليوم ، على أن هذا النوع من المدارس التي أقيمت بالأناضول بعد ذلك مهدت لظهور تخطيط الجامع العثماني[4].

إلى جانب عمل تلك المدارس كمؤسسات لدراسة الدين الإسلامي وتشريعاته فإنها قامت كذلك بالعديد من المهام الأخرى كمعاهد لتعليم الطب وممارسة العلاج والانشغال بدراسة الفلك ورصد الكواكب أيضا ، وبعبارة أخرى فإن تلك المدارس لم تقف عند حد الاكتفاء بالدراسات الدينية وحدها .

لقد أخذت المدرسة في تركيا دورا أساسيا في المجتمع دون أن ترتبط بالمسجد وعلا شأنها حتى ظفر كل من تلقى العلم بمدارس تركيا العثمـــانية بمكانة مرموقة يغدوا على إثـرها شيخا في إحدى مدارس اسطنبول مثل المدرسـة

---

(1)- Golvan , la madrasa mèdival , dépôt légal , 4eme triméstre imprimer en France , 1954 P . 283.

[2] – أوقطاي أصلانابا ، فنون الترك وعمائرهم ، ترجمة. أحمد محمد عيسى ، مطبعة (نكلر) ، اسطنبول ،1407هـ/1987م ص47.

[3] – نفسه ، ص184.

[4] – نفسه ، ص95-96.

السليمانية ، أو يتقلد منصبا هاما في الحكومة العثمانية ، وتتجلى أهمية المدرسة في مساحتها وأحجامها [1].

4-العناصر المشتركة لأنظمة تخطيط المدارس :

نستخلص من مقارنة أنظمة تخطيط المدارس المختلفة أنها تشترك في عناصر رئيسية أبرزها :

- جدار القبلة : لقد اعتمدت جل المدارس الإسلامية جدار القبلة قاعدة لتخطيط البناء بصفته الكلية ، وأن حدودها الداخلية تنتظم في مستطيل أو مربع قائم على خط هذا الجدار[2].

- قاعة التدريس (بيت الصلاة) : نجد هذا العنصر في كل المدارس الإسلامية ، ويكون موقعها في الجهة القبلية من المدرسة ، وهي أكبر قاعاتها أهمية واتساعا وغالبا ما يكون امتدادها بموازاة جدار القبلة ، كما أن مساحة بيت الصلاة تفوق أية غرفة أخرى من المدرسة ، ففي بعض المدارس اتخذت فيها قاعة الصلاة صفة المسجد الجامع [3].

- البهو (الصحن) : يتوسط المدارس فناء (صحن) مكشوف يساهم في إدخال الضوء والهواء إلى سائر المرافق الأخرى ويكون شكله عادة مربعا أو مستطيلا وموقعه دائما خلف بيت الصلاة ليكون مكملا له.

- يحيط بالصحن المكشوف أبنية مختلفة الأشكال والأحجام ، وتشتمل هذه الأبنية على جميع مرافق المدرسة من قاعات وحجرات وغرف صغيرة ، وهذه الحجرات والغرف تتوزع في طابق واحد أو طابقين ، وقد جعلت بيوتا للسكن يتفاوت عددها من مدرسة لأخرى ولكنه يتناسب مع حجمها وسعة بنائها وبيت صلاتها ، أما القاعات الفسيحة فقد صممت لكي تتناسب مع الغرض الذي أعدت له باعتبارها قاعات للدرس ومخازن مختلفة وقاعات جلوس المدرسين ، تضم كل مدرسة من هذه المدارس مباني داخل حدودها وفي جانب من جوانبها أو ركن من أركانها تصلح كمطبخ أو مطعم أو حمام وغير ذلك من المنافع العامة [4].

- كما يلاحظ أن معظم المدارس تضم ضريحا أو أكثر ، وينحصر هذا الضريح في أحد أركان المدرسة ، ويكون متوسط المساحة ، وأصبحت هذه الظاهرة متبعة في جل البلاد الإسلامية حتى ما كدت تبنى مدرسة إلا وأعد فيها مكان ضريح لمنشئها أو لأحد أفراد أسرته [5].

5- العناصر غير المشتركة في تخطيط المدارس :

- من ناحية التخطيط : فإن المدارس المغربية تتميز عن المشرقية باحتوائها على إيوان واحد وذلك لتدريس المذهب المالكي عكس مدارس المشرق التي يحتوي معظمها على أربعة إيوانات لتدريس المذاهب الأربعة.

- من ناحية الإنشاء : المدارس المغربية تتميز عن نظيراتها المشرقية بأنها من بناء الملوك وليست من بناء وزرائهم.

---

[1] – ثروت عكاشة ، المرجع السابق ، ص140-142 .

[2] – أحمد فكري ، المرجع السابق ، ج2 ، ص118.

[3] –نفس المرجع ، ص119.

[4] – كامل حيدر ، المرجع السابق ، ص26.

[5] – أحمد فكري ، المرجع السابق ، ج2 ، 121.

III- المساكن:

1- التخطيط العام للمسكن القسنطيني في الفترة العثمانية :

يتميز تخطيط العمائر السكنية في مدينة قسنطينة في الفترة العثمانية بتشابهه مع جل العمائر السكنية في تلك الفترة في الجزائر ككل والاختلاف يكمن في بعض التفاصيل المعمارية.

فواجهات المساكن المدروسة تتميز بالبساطة في مظهرها الخارجي مشابهة للمنازل الإسلامية المعروفة ، حيث تتكون واجهة دار بن جلول من طابقين وهي خالية من الزخرفة ماعدا مصارع الأبواب التي زينت بزخارف نباتية وهندسية ورمزية ، كما فتحت بها نوافذ خشبية كبيرة في الفترة الاستعمارية ، وهي على العموم جاءت تماشيا مع روح العقيدة والدين الإسلامي التي تدعوا إلى التواضع والالتزام بالحياء والابتعاد عن مظهر الغنى وما يسببه من كراهية لدى المجتمع الإسلامي (أنظر الصورة رقم 78) .

أما المسكن المرفق بزاوية سيدي محمد الغراب فيتميز بالبساطة بعض الشيء مقارنة بدار بن جلول وهي تتكون من طابق واحد خالية من التعقيدات الزخرفية وذلك لتؤدي وظيفتها الدينية (أنظر المخطط رقم 09) .

أهملت الواجهات الخارجية في المساكن الإسلامية حيث أنها تميزت بميزة خاصة وهي بساطة المظهر الخارجي وقلة الفتحات والنوافذ إلا في حالات قليلة وعادة ما تكون مرتفعة عن المارة في الطابق العلوي ، وهي تتميز بصغر المقاسات ، وكذلك احتقار المسلمين للظهور بمظهر الغنى وحبهم لحياة مريحة،[1]. بالإضافة إلى المحافظة على خصوصية أهل المسكن وذلك راجع إلى احترام تعاليم الدين الإسلامي[2]. وهذا العامل لعب دورا كبيرا في تخطيط جل المساكن الإسلامية ، حيث ينقسم المسكن إلى قسمين : واحد خاص بالضيوف والآخر بأهل المنزل .

أما المداخل فنجد جل المساكن بمدينة قسنطينة ذات مدخل واحد رئيسي منكسر يختلف موقعه من دار لأخرى وذلك للمحافظة كما قلنا على خصوصية أهل الدار وحتى لا يرى من في خارج الدار أهل المنزل .أما في دار بن جلول فلا نجد هذا الانكسار في المدخل الرئيسي ولكننا نجد ممرات داخل المسكن تربط بين بعض أقسام البيت تتميز بالانكسار ، حيث نجد الغرف الثلاثة التي تحتل الأركان الثلاثة في الطابق العلوي موصولة بممر منكسر وقد كانت هذه الممرات أيضا تهدف إلى حرمة أهل المنزل ، حيث يسهل للمرأة الاختفاء أثناء دخول أو خروج الزوار.

أما واجهة مسكن مركب سيدي محمد الغراب فنجدها بسيطة لاتعقيد فيها وبها فتحة صغيرة في الأعلى .

ومن كل ما سبق نخلص إلى أن أثر التوجهات الفقهية في تخطيط عمارة المسكن كانت تهدف بالأساس إلى حفظ حرمت البيت وسترة أهله من عيون الغرباء .

---

[1]- محمد رفعت موسى ، الوكالات والبيوت الإسلامية في مصر العثمانية ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ، ط1، 1999ص171.

[2]- أبي الفضل محمد ابن منظور ، المصدر السابق ، م3 ، ص245.

المخطط العام يتكون من صحن أوسط مكشوف على الفضاء الخارجي حيث يعتبر الصحن أو الفناء العصب الحيوي والمجال المركزي للمسكن الأصيل ، قد يكون مربعا أو مستطيلا يفتح عليه مكونات الدور الأرضي ، بينما في الأدوار العليا يفتح عليه الشبابيك والغرف[1] ، لقد جاء شكل الصحن في دار بن جلول مربعا. كما نجد مسكن مركب الغراب يضم أيضا صحنا مكشوف .

تتوزع خلف الصحن الأروقة والوحدات السكنية ، وتعطي هذه الأروقة للمبنى توازنه ،حيث تتخذ بمثابة حمل يقوم عليه ممر الطابق العلوي وسقوفه أيضا[2] ، وتسمح بمرور الهواء تلطيفا لأجواء المنزل ، وكثيرا ما تستعمل للجلوس في أوقات الحر ، بما توفره من غطاء يحجب أشعة الشمس ، وبالرغم من التجديدات التي حصلت في أروقة دار بن جلول إلا أنها مازالت محافظة على التخطيط العام للصحن . أما في مسكن ضريح سيدي محمد لغراب فالأروقة لاتبدوا بشكل جيد وذلك بسبب التجديدات التي مست المسكن (أنظر المخطط رقم 09) .

وتتوزع الغرف في القسمين السفلي والعلوي حسب حاجة أهل الدار ، وفي هذه النقطة يكون الاختلاف من دار لأخرى وذلك حسب حاجة أهل الدار ، حيث نجد في كل المساكن الإسلامية أكثر من غرفة واحدة ولاسيما في العصر العثماني ، ويكون توزيع الغرف حسب ما تفرضه العوامل الطبيعية وطبيعة أهل المنزل وكذا العامل الديني الذي ذكرناه سابقا ، حيث لا يجوز أن تتقابل غرفة أهل الدار مع غرفة الضيوف . أما مسكن ضريح لغراب فغرفه تتوزع في طابق واحد .

كما زودت جدران البيوت والغرف بخزائن جدارية وكوات معقودة بعقود إهليليجية تعلو نوافذ الغرف ، أعدت خصيصا لوضع وسائل الإنارة أو اتخذت كخزانة توضع بها كل ماله صلة بالمرأة .

هذا بالإضافة إلى المرافق الأخرى التي ضمها تخطيط المسكن العثماني بصفة خاصة والمسكن الإسلامي بصفة عامة كالمطابخ والمخازن والصهاريج ، وأما توزيع ومقاسات وأشكال هذه المرافق فيختلف من منزل لآخر حسب الحاجة وحسب مساحة المنزل . أما موقع المراحيض في تخطيط المنازل الإسلامية فهي تقع في مكان منعزل نوعا ما عن بقية الغرف ، كما تبنى في معزل عن التيارات الهوائية التي تنقل الروائح إلى وسط الدار أو الغرف .

لم يخرج التخطيط العام للمسكن القسنطيني عما كان موجودا في العالم الإسلامي في الفترة العثمانية وقبل هذه الفترة أيضا لكن ببعض التطورات ، فتخطيط المسكن الإسلامي تطور بمرور الوقت وذلك حسب الحاجة ولكنه لم يغير جوهر التخطيط العام.

---

[1]- محمد رفعت موسى، المرجع السابق ، ص 223.

[2]- محمد عقاب الطيب ،" المدخل إلى المسكن العربي ، المرجع السابق ، ص 08.

2- أصل تخطيط المسكن الإسلامي :

لقد تعددت الآراء و اختلفت وجهات نظر الباحثين حول النموذج التخطيطي للمسكن الإسلامي ، فمنهم من يرجع أصله إلى البيت الإغريقي الذي يقوم على الفناء المحاط بأعمدة[1]. و رأي آخر يرى أنه مقتبس من الدار الرومانية ، غير أن الدراسات و الحفريات التي أجريت في بلاد الرافدين و الشام و مصر دلت على أنه نظام عمارة القصور و البيوت السكنية العربية الإسلامية ، الذي يقوم على الفناء الوسطي المكشوف تحيط به غرف كان شبيها إلى حد بعيد بالتخطيط المعماري للمسكن الإغريقي و الروماني ، و ربما كان ظهوره أقدم من ذلك[2].

و بظهور الإسلام كان من الطبيعي أن يتأثر البيت العربي بالدين الجديد ، سواء في المشرق أو في المغرب ، كما تأثرت العمارة و الفنون و أساليب الحياة و اتسم في بداية الإسلام بالبساطة من حيث التصميم موافقا لما يلائم مبادئ الإسلام ، و اتجاهاته الاجتماعية و الدينية خاصة ما يتعلق بالحشمة و الحرمة ثم تطور بناؤه و ظهرت أساليب جديدة في العمارة و البناء في الفترات الإسلامية اللاحقة[3].

3- تطور تخطيط المسكن الإسلامي :

الجدير بالذكر أن البيت الإسلامي تظهر ملامحه في بداية الإسلام وهذا نظرا لانشغال المسلمين بنشر الدعوة الإسلامية ، ففي عهد الرسول صلى الله عليه و سلم ، جاءت بيوت أزواجه و التي بلغ عددها تسعة ، منخفضة الأسقف مبنية باللبن تظم في داخلها حجرات من جريد ، و قد تبعه من بعده الخلفاء الراشدين في بناء عواصمهم[4].

---

[1]- عبد الله كامل عبده ، المسلمون وآثرهم المعمارية في نهاية عصر الخلفاء الراشدين ، دار الأفاق العربية ، القاهرة ، 2003 ص 95.

[2]- Marçais(G), Les origines de la maison nord Africaine, dans cahies des arts et technique d'Afrique du nord,n 7, 1973, p 45-46

[3]- عبد القادر الريحاوي ، قيم عالمية في تراث الحضارة العربية الإسلامية المعماري والفني ،ج2 ، منشورات وزارة الثقافة ، دمشق سوريا ، 2002 ، ص 610 . أنظر أيضا:

- عفيف بهنسي ، موسوعة تاريخ الفن والعمارة " الفنون القديمة "، م1، دار الرائد العربي، دار الرائد اللبناني ، لبنان ، ط1، 1982 ص 402.

- عفيف بهنسي ، " جمالية الفن العربي"، عالم المعرفة ، سلسلة كتب ثقافية، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت 1990 ، ص 139- 140.

[4]- حسين محمد جودي ، المرجع السابق ، ص 59-60.

ومع بداية الاستقرار أقيمت القصور الأموية كقصر الطوبة وقصر المشتى على نمط القصور القديمة، وكشفت حفائر سامراء عن طريقة بناء الدور عند أهل العراق في القرن 3هـ/9م ، وقد كانت المنازل تبنى على تصميم واحد يصل بينها وبين الشارع ممر مسقوف يفضي إلى صحن واسع محاط بصف من الأعمدة تفتح عليه غرف السكن والوحدات المعمارية الضرورية في الحياة[1] ، وانتقل بناء المساكن في مصر مع أحمد بن طولون ومنها إلى بلاد المغرب ويتجلى بوضوح في بيوت فاس المكونة من طابقين حولها أفنية ضيقة[2].

4- ظهور المساكن في بلاد المغرب وتطورها :

تأثرت مساكن المغرب الأوسط بالتراث المتوارث عبر الأجيال والمستوى الحضاري الذي بلغه المسلمون في القرنين (3-4هـ/9-10م) ، وبصفة عامة متشابهة في إطار المغرب الإسلامي لخضوعها لنفس التأثيرات[3]. وقد كشفت الحفريات التي أقيمت في منطقة سدراتة على بيوت يتوسطها الصحن والأروقة وخلفها تتوزع الوحدات السكنية[4].

واستمر هذا التخطيط في القصور الحمادية والزيرية والتي كان بها الأثر على بعض المساكن في الأندلس ويتمثل ذلك في قصر مردينش في مرسيه والذي بدوره كان له تأثير على قصر الحمراء بغرناطة[5]. وتواصل هذا النظام في بيوت مراكش التي يقول عنها صاحب الاستقصا:"...فاختطها يوسف وبنى بها القصور والمساكن الأنيقة"[6].

وتواصلت هذه التقاليد في المغرب الإسلامي وذلك منذ الفترة الأولى عند انطواء البلاد تحت راية الإسلام ، وحتى بعد انضمامها إلى الخلافة العثمانية أين وصل إلى قمة تطوره حيث أضيفت بعض التفاصيل الإنشائية وكذا الزخرفية التي زادت في التكوين الأساسي في المسكن الإسلامي[7].

---

[1]- أحمد عبد الباقي ، سامراء عاصمة الدولة العربية في عهد العباسيين ، ج 1 ، الدار العربية للموسوعات ، بيروت ، لبنان 2007 ، ص210 .

[2] – أحمد رشيد الخالدي ، المدن والآثار الإسلامية في العالم ، دار المعتز للنشر والتوزيع ، الأردن، ط1 ، 2009 ، ص245 .

[3] – عبد الكريم جودت يوسف ، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنيين الثالث والرابع الهجريين(9-10م) ، الديوان الوطني للمطبوعات الجامعية ، دت ، ص386.

[4]– رشيد بورويبة ، بيوت مندثرة ، سلسلة الفن والثقافة ، وزارة الإعلام والثقافة ، الجزائر ،1981 ، ص56 . انظر أيضا :

– رشيد بورويبة ،"بيوت سدراتة "، المؤتمر العاشر للآثار في البلاد العربية ، تلمسان ، الجزائر ، 1982 ، ص.

[5]– راجعي زكية ، مساكن الفحص بمدينة الجزائر في العهد العثماني ، دراسة أثرية معمارية وفنية ، رسالة لنيل شهادة الدكتوراه في الآثار الاسلامية ، معهد الآثار ، جامعة الجزائر ، 2007 ، ص156

[6] – أبي العباس أحمد الناصري ، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى (الدولتان المرابطية والموحدية) ،ج2 ، تحقيق.جعفر الناصري دار الكتاب ، الدار البيضاء ، 1954 ، ص23 .

[7] –زكية راجعي ، المرجع السابق ، ص157 . أنظر أيضا أندري ريموند، العواصم العربية عمارتها في الفترة العُثمانية ، تعريب. قاسم طوير ، دار المجد ، دمشق ، سوريا ، 1986 ، ص85 .

وبالرغم من هذا التطور في العصور الإسلامية إلا أنه بقي محافظا على خصائصه العامة ، ونفس الطراز في المشرق والمغرب ، وهي إن اختلفت بدرجات متفاوتة من منطقة إلى أخرى بسبب الظروف الطبيعية أو البيئية كالمناخ أو طبيعة الموقع ، أو بسبب الأحوال المادية لأهلها لكنها تظل بصفة عامة متشابهة لخضوعها لنفس التقاليد والقيم الروحية الإسلامية[1].وتخطيطها عامة يتكون من صحن مكشوف تحيط به أروقة ، تنفتح عليها عدة غرف وهي السمة البارزة التي لاحظناها في عمارة المسكن القسنطيني في العهد العثماني وفي دار بن جلول بصفة خاصة .

[1] – عبد القادر الريحاوي ، "البيت في المشرق العربي الإسلامي"، المؤتمر العاشر للآثار في البلاد العربية ، وزارة الثقافة ، تلمسان الجزائر ، 1982 ص15 . أنظر أيضا:

– أحمد علي إسماعيل ، "المدينة العربية الإسلامية توازن الموقع والتركيب الداخلي"، الحفاظ على التراث المعماري الإسلامي ، المعهد العربي لإنماء المدن ، مطابع جامعة سعود ، 1409هـ ، ص 207.

IV- الأضرحة :

تميز تخطيط مقبرة صالح باي بتكونها من قبة ضريحية ذات مسقط مربع تعلوها قبة وهذه القبة ترتكز على قاعدة مربعة محمولة على أربعة دعامات تحمل عقودا حذوية (أنظر الشكل 06-أ-) ، وفي أركان قاعدة القبة نجد أربع محارات تحتوي كل واحدة على عشرين فقرة وتعلوا هذه الأخيرة رقبة القبة ، في كل زاوية من زوايا أضلاع رقبة القبة تنطلق خطوط لتنتهي في مركزها ، وهي عبارة عن دائرة بها زخارف هندسية قوامها مثلثات ونجوم ، والقبة مجددة من الداخل (أنظر الصورة رقم 43- 44) .

كما نجد تخطيط القبة الضريحية بمركب سيدي محمد الغراب لا تختلف كثيرا عما هو موجود في قبة مقبرة صالح باي والضريح في مخططه مربع الشكل (أنظر الشكل رقم 06-أ-) ، فتحت به أربع نوافذ صغيرة تتوسط كل واحدة منهن جدار ، وهي مقابلة لبعضها البعض تتوسط العقود النصف دائرية الصماء ، التي تقوم عليها حنايا ركينة ، وتنتهي الحنايا بقاعدة مثمنة تقوم عليها خوذة القبة بشكل دائري أماس ، ومكسوة بالجير الأبيض (أنظر الصورة رقم 96) .

والاختلاف بين القبتين يكمن في :

- أن الأولى محمولة على أعمدة أما الثانية فهي محمولة على دعامات .
- بوائك ضريح صالح باي نافذة مطلة على الصحن مباشرة ، أما بوائك ضريح لغراب فهي صماء وهو ما يسمى بالأضرحة المفتوحة .
- القبة الضريحية لسيدي محمد الغراب تحوي على نافذة في كل جدار من جدرانها الأربع وذلك للإضاءة والتهوية وهو ما يسمى بالأضرحة المغلقة .
- وجود ملاحق إضافية في القبة الضريحية بسيدي الكتاني عكس القبة الضريحية بسيدي محمد الغراب التي لاتحوي على ملاحق .

وهذا الطراز الموجود في الضريحين هو من أقدم الطرز المعروفة في العالم الإسلامي وأكثرها انتشارا وهو ذو تخطيط بسيط يتكون من مساحة مربعة تعلوها قبة ، وأحيانا يتقدم الضريح رواق وقد يبنى الضريح مستقل أو ملحق بغيره من العمائر كالمساجد والمدارس والزوايا بل والمنازل أيضا وخاصة في العصر العثماني .

وهذا الطراز يعود إلى فترات سابقة للفترة العثمانية ونجد أمثلته كثيرة في المشرق والمغرب الإسلامي إبتداءا من الفترة العباسية وإلى غاية العهد العثماني .

ففي العصر السلجوقي استعملت الأضرحة ذات القباب فأكبر الضن أنها مشتقة من المنازل ذات القباب التي ذاع تشييدها في المدن الصحراوية في خرسان منذ العصور القديمة ، حتى أصبح فوق القاعدة المربعة مثمن ورقبة تحمل القبة وأشهر أمثلة هذا الطراز قبر السلطان سلنجن ويرجع إلى النصف الثاني من القرن الثاني عشر وامتاز البناء بأنه ذي حنايا بسيطة برقبة طويلة تعلوها القبة .

أما في العصر التركي فقد استمر المسقط المتعدد الأضلاع إلا أنه تظهر فيه الاستمرارية والإيقاع في معالجة الواجهات الأربع[1].

ومن أكثر التطورات التي ميزت النصف الثاني من القرن الرابع عشر ظهور الأضرحة ذات السقيفة والمكونة من قبة محمولة فوق أربعة أعمدة[2]. كما انتشرت في العهد العثماني ظاهرة بناء مركبات دينية تظم إلى جانب الضريح مسجدا ومدرسة ومن أمثلتها الضريح الملحق بالجامع الأخضر ببورصة المدفون فيه محمد الأول عام (825هـ/1421م) [3].

أما في بلاد المغرب فقد انتشر هذا النوع من الأضرحة في كامل المناطق على قبور الأولياء والعلماء والمتصوفين والحكماء . وتصميمها لم يخرج عن المألوف فقد اتخذت الشكل التقليدي المعروف وهو مربع وفوقه قبة على واجهاتها الأربع فتحات عبارة عن عقود ، واستعمل هذا التخطيط لأول مرة في باليرمو بصقلية وفي بعض الأضرحة الأخرى يوجد صحن ذو بوائك يمتد حول حجرة القبر كما هو الحال في أضرحة بني زيان وبني مرين في تلمسان مثل ضريح سيدي بومدين وسيدي إبراهيم [4].

حيث وضع كييفت تصنيفا للأضرحة لكن النوع الشائع والأقدم في الجزائر هي الأضرحة المربعة ذات القبة النصف كروية محمولة على منطقة انتقال مثمنة الشكل ، وفي بعض الأحيان لا نجد منطقة الانتقال ، ويظهر الضريح على شكل مربع توضع فوقه القبة مباشرة [5].

– إن جل الأمثلة الموجودة في العالم الإسلامي هي عن الأضرحة المغلقة الشبيهة بطراز ضريح الغراب وهي منتشرة في العالم الإسلامي ككل وفي بلاد المغرب بصفة خاصة ، وفي الجزائر لا يمكننا زيارة أي منطقة من ربوعها الشاسعة إلا وصادفتنا أمثلة عن هذا النوع من الأضرحة .

---

[1] – مصطفى صالح لمعي ، المرجع السابق ، ص32.

[2] – أوقطاي أصلان با ، المرجع السابق ، ص216.

[3] –نعمت إسماعيل علي ، فنون الشرق الأوسط في العصور الإسلامية ، دار المعارف ، القاهرة ، ط2، 1982 ، ص349.

[4] – عبد الكريم عزوق ، "الأضرحة ببجاية دراسة نموذجية" ، عن مجلة دراسات تراثية ، مخبر البناء الحضاري للمغرب الأوسط جامعة الجزائر ، العدد 01 ، 2007 ، ص138.

[5]–Marçais (G.), L'architecture musulmane. P.300.

– وفيما يخص النوع الثاني أي الأضرحة المفتوحة الذي نجده مطبقا في القبة الضريحية بمقبرة صالح باي فقد كان موجودا قبل الإسلام خاصة في سوريا في القرن 4م ، أما في الفترة الإسلامية فنجدها في مصر في مقابر أصوان وانتشر هذا الطراز في المشرق والمغرب على السواء ففي بلاد المغرب نجد امثلتها في بعض الأضرحة التي بنيت بتلمسان مثل الضريح السلطان 7هـ/13م ، ونماذج أخرى وجدت بفاس المغربية منها أربعة أضرحة لخلفاء أبي الحسن المريني [1].

أما في العصر العثماني فقد استعمل هذا الطراز (الأضرحة المفتوحة المربعة) خلال العهد العثماني بتركيا وفي سائر المناطق التابعة لها[2].

أما فيما يخص الملاحق التي أضيفت للقبة الضريحية بسيدي الكتاني فتتمثل مساحتين مستطيلتين يعلوهما قبو نصف دائري ، وفي الجهة الجنوبية ألحقت بها غرف .

ونجد أمثلة كثيرة عن هذه الظاهرة في العالم الإسلامي ككل قبل وأثناء الفترة العثمانية كضريح سيدي بومدين وسيدي إبراهيم بتلمسان[3] ، وفي العصر العثماني ضريح سيدي عبد الرحمان بمدينة الجزائر، وضريح سيدي لخضر بمدينة قسنطينة .

كما تميزت الأضرحة المدروسة بخلوها من المحاريب وهي ظاهرة معروفة في المشرق والمغرب ففي المغرب نجده في ضريحي سيدي إبراهيم وسيدي بومدين بتلمسان[4] ، وربما السبب في خلو هذه الأضرحة من المحاريب هو وجود محاريب في المدرسة التابعة لمركب سيدي الكتاني وكذا محراب جامع سيدي محمد لغراب .

كما تميز كلا الضريحين بانتمائهما إلى الأضرحة ذات المقابر العائلية ، والتي يدفن فيها أقارب الميت فالأولى دفنت فيها عائلة صالح باي وبعض علماء المدرسة وقضاة قسنطينة والثانية دفن فيها أفراد عائلة بن جلول(أنظر الصورة رقم 43- 93) ، وفي حقيقة الأمر لا نعلم صلة الربط بن عائلة بن جلول والغراب .

وقد عرفت هذه الظاهرة منذ القرون الأولى للإسلام في المشرق والمغرب الإسلاميين كروضة قصر الحمراء واشبيلية في الأندلس وكذا المقبرة الملكية العائلية بسلا ومقبرة السعديين بمراكش[5] ، وفي الجزائر نجد مقبرة سيدي عبد الرحمان وكذا في القبة الضريحية بجامع سيدي الأخضر ومقبرة آل الفكون بقسنطينة.

---

[1] – كمال الدين سامح ، تطور القبة ، المرجع السابق ، ص9-10.

[2] – للمزيد أنظر : أوقطاي أصلانابا ، المرجع السابق ، ص216-217.

[3] – عبد العزيز لعرج ، المرجع السابق ، ج1 ، ص366-371.

[4] – نقسه ، ص369-371.

[5] -.Marçais (G.), L' Architecture Musulmane, op-cit, P301.

V- الزوايا :

مخطط الزاوية من الداخل ذو شكل مستطيل ، وهي تضم صحنا وثلاث غرف تتوزع خلف الأروقة ومطبخ ومرحاض . عند الدخول مباشرة يقابلنا رواق مستطيل ، وعند اجتياز الرواق الذي يعقب المدخل الرئيسي مباشرة نجد بابا وهو مفتوح على صحن مكشوف يتوسط الزاوية ، يحيط به رواقان واحد في الجهة الجنوبية الشرقية والآخر في الجهة الجنوبية الغربية .

مازالت الزاوية وبالرغم من تحولها إلى مسكن للقيم محافظة عل الجوهر للمخطط الأصلي باستثناء بعض الإضافات التي غيرت بعض الأجزاء ولكنها لم تغير المخطط الأصلي .

وتتشكل الزاوية عادة من ضريح صاحب الطريقة وكذا مصلى وخلاوى الطلبة بالإضافة إلى غرفة الشيخ (شيخ الزاوية) وكذا مطبخ ومخزن وحمام وصحن وميضأة وقد تضاف لها مرافق أخرى مثل الإسطبل والسبيل .

تشتمل زاوية الغراب على جل المرافق التي تتكون منها الزاوية في العالم الإسلامي ، حيث تشمل ضريح صاحب الطريقة ومسكن للطلاب وحمام مطبخ ومخزن وغرفة الشيخ ومسجدا للصلوات الخمس وحمام وميضأة .

أما عن إلحاق ضريح صاحب الطريقة بالزاوية فقد عرفت ببلاد المغرب خلال العصر العثماني ، فقد كانت أغلب الزوايا بها أضرحة أصحاب الطريق ، وفي كثير من الأحيان كانت الأضرحة هي النواة الأولى التي بنيت حولها الزوايا.

يمكن تصنيف زاوية سيدي محمد الغراب من الزوايا ذات الجامع ذلك أن بعض المساجد كانت تابعة لزوايا معينة ، كما أن بعض الزوايا كانت تابعة لجوامع ومساجد معينة ، والتداخل ليس في الاسم فقط بل في الوظيفة أيضا[1] . وبالرغم من وجود قبة الزاوية إلا أنه من المرجح أن المتصوفة والمتتبعين لطريقة محمد الزواوي كانوا يقومون بأداء شعائرهم في مسجد الضريح وذلك لاتساعه أما الضريح فيتميز بضيق المساحة فهو لا يتسع سوى للزوار فقط أما خلوات المتصوفة فمن المرجح أن تكون في مسكن القيم عن الضريح حاليا لأن أسلوب إنشاء الغرف جاء على شكل خلاوي لطلاب الطريقة ، وإلى هذا الطراز تنتمي بعض الزوايا الأخرى بقسنطينة فقد جمعت بين أداء الصلوات الخمس والزاوية مثل زاوية سيدي عبد المؤمن التي كانت في نفس الوقت مسجدا وزاوية[2]. وزاوية سيدي علي التلمساني التي ورد اسمها في دفتر صالح باي على أنها زاوية ومسجد في نفس الوقت[3] .

وظاهرة إلحاق الزوايا بالمساجد كانت موجودة قبل هذه الفترة بكثير حيث نجدها في عدة مناطق من العالم الإسلامي حيث نجدها في مصر إبتداءا من العصر المملوكي في كل من خانقاه سعيد السعداء (569هـ/1173-1174م) .

---

[1] – أبو القاسم سعد الله ، تاريخ الجزائر الثقافي ، المرجع السابق ، ج1 ، ص245.

[2] - Cherbonneau (A.), Inscriptions arabes, op-cit, P.106-108

[3] -.Feraud (L.), Les anciens établissements religieux, op-cit, P129,130.

VI- العناصر الزخرفية :

لقد نفذت الزخارف على مواد مختلفة في المنشآت المدروسة واعتبر الجص من أهم المواد المستعملة في هذه الفترة خاصة الزخارف الجدارية وكذا في المحارات بالقباب ، بالإضافة إلى استعمال مواد أخرى كالرخام والخشب والمعادن :

1- الجص :

استعملت هذه المادة في التكسيات الجدارية وكذا للتكسية الخارجية للجدران ، وقد استعملت هذه المادة منذ فترات بعيدة ومن دون شك توارثت من الفرس القديمة وانتقلت نحو الشرق الأدنى ، وقد عرف استعمالا واسعا في سامراء في الفترة العباسية ، وكذا أثناء الحكم الفاطمي بمصر ، حيث نجد أمثلة عنه في جامع بن طولون أما في المغرب فقد عرف استعماله لأول مرة في الفترة الأغلبية[1].

2- الرخام :

نجد هذه المادة مستعملة في الزخارف المختلفة كالأعمدة والتيجان ، لقد استعمل الفنان الرخام الأبيض وكذا الرخام الأسود ، حيث كان يجلب من مناطق داخل الوطن وخارجه وخاصة من منطقة فليفلة بسكيكدة . كما استعملت هذه المادة كشواهد لبعض القبور وكمنابر وأطر للأبواب وكدرابزين وكأعمدة ، حيث نقش عليها الفنان زخارف كتابية ونباتية وهندسية في غاية الروعة والإتقان.

3- الخزف :

إستعمل في مجال واحد ألا وهو البلاطات الخزفية والمستعملة بكثرة في الفترة العثمانية ، حيث لا يمكننا أن نجد أي منشأة إلا واستعمل فيها هذا النوع من الزخرفة ، لقد استعملت البلاطات الخزفية في المنشآت المدروسة بشكل واسع وبأشكال وألوان متعددة ، كما نجدها مجلوبة من مناطق صناعة متنوعة فمنها الإيطالية والتونسية والصقلية ، حيث استعملت في تكسية الجدران المختلفة وكذا في تكسية المحاريب والقبور وغيرها .

4- الخشب :

عرفت المنشآت المدروسة مختلف الصناعات الخشبية الراقية حيث استعملت في مجال البناء والتأثيث ولقد كانت الغابات المتواجدة في جبل الوحش غنية بأشجار الأرز من النوع الجيد ، كما جلبت في مدينة عنابة من الغابات المجاورة للمناطق الساحلية كغابات جبال سطورة ، حيث استعملت في تشكيل الأبواب والنوافذ والسقوف والمنابر وغيرها ، كما استعملت في المقبرة كشواهد لمعظم القبور وزخرف عليها الفنان كتابات جد متقنة ، تعبر عما وصل إليه الفنان الجزائري في هذه الفترة .

---

(1)- Golvin (L.), La madrasa médivale , P.295.

5-المعادن :

استعمل الفنان في هذه الفترة عدة معادن و أبرز هذه المواد المستعملة في المنشآت المدروسة :

- البرونز : الذي استعمل بكثرة كمسامير في أبواب المدارس والمساجد ونجده خاصة في مدارس الفترة المرينية والزيانية كما استعملت في وسائل الإنارة [1] ، كما نجده أيضا كمقابض في الباب الرئيسي لدار بن جلول وكذا في جامع سيدي الكتاني وفي تشكيل الشمعدانات التي تكتنف أنصاف الدعامات ببيت الصلاة في جامع صالح باي بعنابه .

- الحديد : استعمل معدن الحديد في جل المنشآت المدروسة كعنصر وظيفي أكثر منه زخرفي ، حيث استعمل في الأبواب وتشبيكات النوافذ الحديدية بطريقة فنية .

(1)-Golvin (L.), La madrasa médivale , P.298.

الباب الثالث:

الجانب التحليلي

الفصل الأول : المواضيع الزخرفية

الفصل الثاني : مواد البناء والأساليب الزخرفية

الفصل الأول:

المواضيع الزخرفية

1- الزخارف النباتية

2- الزخارف الهندسية

3-الزخارف الكتابية

4- الزخارف الحيوانية

5- الزخارف الرمزية

6- الألوان

7-شواهد القبور

لقد عرفت الزخارف الفنية في فترة صالح باي تنوعا كبيرا في الأشكال والمواضيع وذلك لغنى تلك الفترة بالزخارف المختلفة والمتنوعة ، لقد تجاوزت المؤثرات العثمانية نظام التخطيط والعناصر المعمارية للمساجد ، وإذا كان تأثر الإنسان بالمظاهر المعمارية تأثرا ماديا فكريا فإن تأثره بمظاهر الفن والزخرفة تأثرا نفسيا روحيا .

لم تكن المواضيع الفنية والعناصر الزخرفية العثمانية في تركيا تختلف في أشكالها وصيغها ومضامينها وقوالبها عما عرف قبلهم في مشرق العالم الإسلامي ومغربه ، ولكن الفن العثماني تميز بملامح خاصة في طابعه وأسلوبه وعناصره ، وهي عناصر انتقلت إلى العالم العثماني مشرقا ومغربا بمستويات مختلفة ودرجات متفاوتة .

لقد كان الأثر العثماني على الفنون الجزائرية عمارة وصناعة وزخرفة كان قويا ، وقد اختلطت العناصر والأساليب الوافدة وامتزجت مع العناصر والأساليب المحلية بتقاليدها المغربية الأندلسية ولشك أن مرد ذلك يعود لمساهمة عناصر من الفنانين والصناع الأتراك قدموا من المدن العثمانية في تركيا سواء كانوا مسلمين أو غير مسلمين من رعايا الدولة من الذميين والأقوام الأخرى ، وأن ذلك التأثير يتوضح في المواضيع الزخرفية وعناصرها ، ولعل عمق التأثير يتضح في عدة جوانب فنية واجتماعية .

كما تأثرت العمارة الجزائرية خلال العهد العثماني بمؤثرات خارجية حاول فيها الفنان الجمع بين العديد من الأساليب الفنية التي وصلت إليه بعدة طرق أبرزها :

- المؤثرات التركية : والتي تحدثنا عنها .

- المؤثرات الأندلسية : بعد سقوط الأندلس انتقل العديد من الحرفيين والصناع إلى المناطق الساحلية لبلاد المغرب الإسلامي ومنها الجزائر ونقلوا معهم أساليبهم الفنية والزخرفية وطورها في فترات لاحقة .

- المؤثرات الإيطالية : قدمت تلك المؤثرات عن طريق المبادلات التجارية مع عدت مدن إيطالية كجنوة ونابولي وصقلية والبندقية[1].

إن الامتزاج بين ما هو موجود وما هو وافد شكل لنا نوعا جديدا من الفنون لم يكن موجودا من قبل في بلاد المغرب الإسلامي بصفة عامة وفي الجزائر بصفة خاصة ، وهو ما نجده واضحا في الفترة التي عاصرها حكم صالح باي وهي النصف الثاني من القرن السادس عشر .

---

(1)- Berque (A) , L'Algerie, terre d'art et d'histoire, 1937.p.224-225.

I- الزخارف النباتية :

تعتبر الزخارف النباتية إحدى المواضيع الرئيسية التي لجأ إليها الفنان المسلم بتوجيه من العقيدة الإسلامية وقد أبدعوا فيها وطوروها في جميع الميادين ، فقد رسم الفنان المسلم الأشجار والأزهار والسيقان والأوراق بعد أن حورها تحويرا شديدا فقدت معه شخصيتها كوحدات نباتية ، لكنها وإن بدت بعيدة عن الطبيعة فقد ضلت محتفظة بجمالها الفني الذي يشيع الغبطة في النفس [1].

سارت هذه الزخارف في سبيل التطوير والتجديد عبر العصور حتى وصلت بين يدي الفنان العثماني فاستعملها استعمالا واسعا ، حيث كون من السيقان والأوراق الملتفة والضفائر والفروع والزخارف المتداخلة مواضيع زخرفيه تتفق مع المفهوم الإسلامي [2]. تعد الزخارف النباتية في الفن الإسلامي من أبرز المظاهر والصور التي توضح ابتعاد الفنان المسلم عن تمثيل الطبيعة ومحاكاتها حيث كانت ترسم بطريقة اصطلاحية محورة ، وقد حاول بعض العلماء تفسير ذلك بنفور المسلمين عن تقليد الخالق عز وجل وانصرافهم عن صدق تمثيل الطبيعة[3]. مما جعل الفنان يبدع في صورها وأشكالها حتى بلغت درجة سامية من الفن والجمال تفوق فيها تفوقا لا نظير له لدرجة أن أطلق على هذا النوع من الزخرفة المجردة اسم "الأرابيسك"[4].

كما حضيت الزخارف النباتية بمكانة عالية في تزيين المربعات الخزفية القائمة في العمارة الدينية والمدنية في الجزائر بصفة عامة وتشهد لذلك معظم المنشآت في الجزائر العاصمة وكذا مدينة قسنطينة .

إن المدرسة الكتانية استعملت كغيرها من المؤسسات هذه البلاطات التي امتازت بتنوع زخارفها واعتمدت بالدرجة الأولى على عناصر نباتية محورة أو شبه محورة يمكن إبرازها فيما يلي :

---

[1] – عبد العزيز محمود لعرج ، الزليج في العمارة الإسلامية في الجزائر في العصر التركي دراسة أثرية فنية ، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر ، ط1 ، 1990 ، ص270 .

–انظر : فريد الشافعي ، العمارة في مصر الإسلامية ، ص205.

[2] – عنايات المهدي ، روائع الفن في الزخرفة الإسلامية ، دار الطباعة ابن سينا، القاهرة ، 1992 ، ص10.

[3] – أبو صالح الألفي ، المرجع السابق ، ص 112.

[4] – عبد العزيز سالم ، "بعض المصطلحات للعمارة الأندلسية المغربية" ، فصلة صحفية معهد الدراسات الإسلامية في مدريد ، المجلد الخامس ، 1277هـ/1957م ، العدد 1-2 ، ص242.

– عبد العزيز مرزوق ، الفن الإسلامي ، المرجع السابق ، ص170.

– أحمد فكري ، مساجد القاهرة ومدارسها ، ج1 ، المرجع السابق ، ص184-185.

- في الشكل (22 - ب- ج-) المصنوع من مادة الخزف والمتواجدة في جدران المقبرة ، نجد بها عناصر مشكلة تجميعة من أربع بلاطات قوامها أشكال شبه مربعة ، يبرز كل منها في اتجاه الأركان سلال مملوءة بأوراق الأكانتس محورة تتوسطها زهيرة سداسية البتلات وعلى كل جانب من الأوراق ثمرة برتقالية بالون الأصفر البرتقالي ، ورسمت العناصر على أرضية بيضاء.

إضافة إلى عنصر السلة المملوءة بالأوراق والأزهار والثمار فقد اتضح فيها عنصر قوس السهام بالكامل بالإضافة إلى أنصافها ، ويقوم قوس السهام بعملية ربط البلاطات ببعضها ، بينما أنصافه تحدد العنصر الهندسي المركزي ويمكن اعتبار هذه التجميعة وما يماثلها من عناصر وألوان أقدم بلاطات هذه المجموعة .

حيث نجد هذه التجميعة من البلاطات الخزفية في مناطق مختلفة من المنشآت المدروسة كجدران مقبرة صالح باي وكذا في محراب جامع سيدي الكتاني بالإضافة إلى أروقة دار بن جلول .

- وفي (الشكل 23 –ب-) المصنوع من مادة الخزف والمتواجد في المقبرة ، نظمت العناصر حول مربعات مركزية متداخلة غير منتظمة الأضلاع ، أما العناصر الرئيسية النباتية فتتمثل في أوراق الأكانتس المحورة تبرز من العنصر المركزي في اتجاه الأركان وتلف خطوطها بطريقة تكون ورقة نباتية كأسية تشع نحو الأضلاع ، وذلك بالتبادل بينهما ، رسمت هذه الأوراق باللون الأبيض الناصع على أرضية زرقاء ، وهي الوحيدة في هذا القسم من البلاطات يحيط هذه العناصر المركزية عناصر على هيئة مربع غير منتظم تبرز من أركانه أوراق خماسية الفصوص ملونة في الوسط باللون الأحمر الطوبي والأصفر.

- أما (الشكل 22 –د-) المزخرف على مادة الخزف والمتواجد في جدران المقبرة فهو عبارة عن تجميعة من أربع بلاطات رسمت بها العناصر النباتية بأسلوب أوروبي يتمثل في اللفائف والأغصان الحلزونية والأوراق الثلاثية المحورة وبالرغم من أن زهرة القرنفل ما تزال واضحة ومع ذلك فبتلاتها تحولت إلى ما يشبه الأوراق ، رسمت العناصر المركزية باللون الأحمر الطوبي والأخضر والأزرق على أرضية بيضاء وخضراء.

- وفي (الصورة رقم 48 – 51 – 113) فتتميز زخارفها النباتية بشدة التحوير ، وهو أسلوب ناتج عن طغيان الروح الزخرفية ، قوام زخارفها أوراق متفتحة تبرز من دائرة مركزية في اتجاه الأقطار وتحصر بينها أوراق أخرى مطولة ويسودها اللون الأحمر الطوبي والأزرق الغامض ولمسات من الأصفر على أرضية بيضاء. ونجد في مركزها دائرتين تحيط بهما وردة تحتوي على ثماني فصوص ممثلة في زهرة القرنفل . ونجد هذه البلاطة في أماكن متغددة من المنشآت المدروسة كجدران مقبرة صالح باي مقبرة صالح .

- و(الشكل21 –ج-) هو عبارة عن بلاطات خزفية متواجدة في عدة أماكن من المدرسة والضريح (في ضريح خدوجة بنت عبد الله – جدران المقبرة – رواق مدخل المدرسة) ، يحوي أربعة أزهار أكانتس مركزية متقابلة تعلوها زهرة خماسية الفصوص وفي أركانه الأربعة نجد أربعة أقواس متقابلة وعلى جانبيها عناقيد العنب.

- أما(الشكل 21 –هـ-) وهو عبارة عن بلاطات خزفية متواجدة في بعض الأضرحة بمقبرة صالح باي ، يتألف مركزه من عناصر نباتية تتمثل في أوراق وسيقان ، متواجدة داخل إطار على شكل مربع وكذا لفائف نباتية في الزوايا.

- (الشكل 21 - و-) عبارة عن بلاطات خزفية متواجدة في بعض الأضرحة ، قوام زخارفها دوائر وأوراق ثلاثية مفصصة وأشكال ملتوية مرسومة باللون الأزرق والبنفسجي على أرضية بيضاء ، كما نجد بها أغصان وسيقان رئيسية بفروع نباتية ثانوية متداخلة فيما بينها ، أعطى التصميم العام ميزة التنسيق التام التي تدعوا إلى الإعجاب بمقدرة الفنان وتحكمه في العناصر .حيث نجد هذه البلاطة في بعض الفبور بمقبرة صالح باي كما نجدها في بعض الأجزاء في دار بن جلول .

- (الصورة 112 –أ-) تجميعة من أربع بلاطات قوام زخارفها عناصر هندسية وأخرى نباتية يتوسطها عنصر صليبي تتناوب مع أوراق منتفخة مدببة تنتهي بعناصر حلزونية تتوسطها أوراق مسننة تنموا من العناصر الحلزونية فروع مورقة ومزهرة. صنعت هذه البلاطات الخزفية في إيطاليا.

-(الصورة 112 – ب-) قوام زخارفها عنصر بيضوي يمتد عبر ركنين من البلاطة يحصر بداخله أوراق متقابلة تنموا منها افرع رفيعة تنتهي بأزهار ثلاثية وبالركنين الآخرين تنموا ساق مزدوج يحمل عناصر حلزونية في هيئة مراوح نخيلية يتوسطها ورقة طولية وهي متواجدة في جامع سيدي الكتاني . بلد الصنع مجهول .

- (الصورة 111 –هـ-) بلاطة من تجميعة رباعية بمركز تصميمها زخرفة دائرية تشع منها أوراق متداخلة يحيط التصميم بالكامل مربع غير منتظم الأضلاع عبارة عن أقواس تبرز منها أزهار صغيرة ويتكرر ربع العنصر المركزي في اتجاه الأركان المقابل لها.(صنعت في إيطاليا) زخرفة نباتية . جدار الغرف .

- (الصورة 111-ج-) بلاطة مفردة قوام زخرفتها شريط منكسر يمتد بعرض البلاطة تبرز منه سيقان متفرعة تحمل وردة ومجموعة من البراعم المزهرة والأوراق الصغيرة المسننة .صنعت هذه البلاطة في إيطاليا . تتموضع في جدار الغرف بدار بن جلول . قوامها زخارف هندسية ونباتية .

- (الصورة 111-أ-)يقوم التصميم الزخرفي على شريط نفذ بشكل مائل به انكسار على هيئة مثلث دون قاعدة تلتف حوله فروع نباتية تنتهي بأزهار وأوراق.صنعت بإيطاليا وموجودة في جدار الغرف ، قوامها زخارف نباتية وهندسية .

- (الصورة 111-ب-) يتوسط التصميم دائرة مركزية مركبة محاطة بدائرة أخرى مفصصة تبرز من أضلاعها باقة من الأزهار وفي منتصف التجميعة أوراق كأسية ثلاثية تشبه أوراق الأقنثة . صنعت في إيطاليا .قوامها زخارف نباتية . متواجدة في جدار الغرف في دار بن جلول .

- (الصورة 111- د-) يقوم التصميم الزخرفي على ساق غليظة ملتوية بشكل بيضوي تتفرع منه سيقان نباتية تتخللها أوراق كبيرة مركبة على هيئة ريشة الطائر وأزهار كبيرة وفروع من الزهيرات الصغيرة .صنعت في إيطاليا تتواجد في جدار الغرف في دار بن جلول ، قوامها زخارف نباتية .

لقد تنوعت الموضوعات النباتية في زخارف منشآت صالح باي من أزهار وأوراق وسيقان وثمار بمختلف أنواعها رسمت بأوضاع مختلفة وألوان مغايرة تبعا للمصدر الذي أنتجت منه :

1- التوريق (الرقش العربي) :

ويعرف أيضاب (الأرابيسك) وهي التسمية التي أطلقها الغربيون على هذا النوع من الزخرفة العربية ، وهي عبارة عن تكوين من فروع نباتية وجذوع منثنية ومتشابكة ومتتالية تحتوي على رسوم حورت على الطبيعة وهذه السيقان والفروع النباتية شديدة الإتقان متناغمة ومتكررة ومجردة على هيئة توريق شديد التحوير[1] ، وتبدوا بسبب شدة التحوير وكأنها عناصر هندسية ، ترمز إلى الوريقات والزهور يطلق عليها في بعض الأحيان اسم المروحة ونصف المروحة[2] .

لقد بدأت تبرز شخصية الزخارف النباتية المجردة منذ القرن التاسع في العصر العباسي وبخاصة في مدينة سامراء وينسب هذا الأسلوب إلى الطراز الثالث من طراز سامراء وترجع عناصره أساسا إلى الأصول الهلنستية والساسانية ، وبذلك يمكن إعتبار الطراز الأموي حلقة الوصل بين الزخارف النباتية الكلاسيكية والزخارف النباتية الإسلامية ثم التطور في الفترة العباسية خاصة كما قلنا في المرحلة الثالثة من مراحل الزخارف في سامراء.

وقد انتشر هذا الضرب من الزخارف النباتية في مصر في العصر الطولوني وفي إيران ويشهد على ذلك زخارف آثارهم المعمارية والفنية فأدخلوه إلى آسيا الصغرى ، واستخدموه بكثرة وأتقنوه إتقانا شديدا ، حتى أصبح أسلوبا يتبع و يطلق الأتراك على هذا النوع اسم الرومي ، وقد استمر هذا الأسلوب في التطور إلى غاية القرن الثالث عشر حيث انتشر استعماله على العديد من المنشات المعمارية والفنية[3] .

أما الأتراك فيطلقون على هذا النوع مصطلح الرومي ، وتعني زخارف نباتية مخالفة للطبيعة لذلك نستطيع تسميته بزخرفة التوريق العثمانية أو الآرابيسك العثمانية واستعملت في هذه الفترة عناصر نباتية تتمثل في السيقان والأوراق الملتفة والظفائر والفروع والزخارف المتداخلة ، وكون منها مواضيع زخرفية تتفق مع بيئته .

كما نجد هذا العنصر من الزخرفة النباتية مستعملا في الفترة العثمانية بالجزائر عامة ، أما فيما يخص المنشآت المدروسة فنجده مستعملا في :

- بجامع سيدي الكتاني ملئت الصنجات التي تحيط بعقد المحراب بزخرفة التوريق الجصية باللون الأبيض.

-كما نجده بجامع الباي بعنابة ، حيث زينت واجهة عقد المدخل وعقد الفتحة الجانبية بالمنبر بزخرفة التوريق نفذت بأسلوب الحفر البارز.

---

[1] – محمد حسني نويصر ، الآثار الإسلامية ، مطبعة العمرانية للأفريست ، الجيزة ، 1998 ، ص366.

[2] – زكي محمد حسن ، فنون الإسلام ، المرجع السابق ، ص250.

[3] – أبو صالح الألفي ، الفن الإسلامي ، المرجع السابق ، ص113.

1- الأزهار :

تعد الأزهار من العناصر الأساسية عند الفنان العثماني لأنه وجد في زهور ونباتات بلاده مصدرا غنيا يأخذ منه عناصر أسلوبه الجديد ، إذ تعتبر من العناصر المفضلة لدى العثمانيين والتي أكثر من استعمالها حيث أقام السلاطين العثمانيين لها حدائق عديدة بتركيا واسطنبول فقد عرفت شهرة واسعة في تركيا وذلك في أوقات معينة وانتشرت هذه الشهرة في سائر الأقاليم التابعة للدولة العثمانية ومنها الجزائر ، ولعل أبرز الزهور المستعملة في هذه الفترة هي أزهار القرنفل واللالة والرمان وأزهار بسيطة بالإضافة إلى أزهار أخرى مختلفة الأنواع وكذا الورود.

أ- زهرة اللالة Tulipe :

استخدم العثمانيون زهرة اللالة في مختلف الفنون الزخرفية وهي زهرة الخزامي التي ظهرت في القرنين9-12هـ/ 15-18م ، وقد استخدمت بكثرة في موضوعاتهم الزخرفية خاصة على الخزف والنسيج والسجاد ابتداء من أواخر القرن الخامس عشر[1]. وفي عهد السلطان أحمد الثالث (1703-1730م) [2].

وقد حافظت هذه الزهرة على مكانتها حتى ظهور أسلوب الباروك والروكوكو الذي غزى الفن العثماني. إذ رسمت بأسلوبهم التقليدي وأصبح يطلق عليه اسم الباروك التركي [3].

ثم انتقلت إلى أقاليم الدولة العثمانية من بينها الجزائر ، إذ يتضح ذلك في الفنون الزخرفية المطبقة على مختلف المواد في تلك الفترة ، كما انتقلت إلى مختلف الدول الأوروبية عن طريق هولندا ، وقد ذكر المؤرخ التركي أرسفان (Arceven) قصة دخولها إلى أوروبا.

عرف عهد السلطان أحمد الثالث بعصر زهرة اللالة ، ولقد فسر أرسفان سر اهتمام الأتراك العثمانيين بهذه الزهرة لما تحمله حروفها من تماثل مع حروف اسم الجلالة "الله" ولفظة "هلال" ، وللاسمين أو اللفظين معاني رمزية خاصة عند المسلمين[4]. إضافة إلى جمال شكلها وعطر رائحتها [5].

---

[1] – سعاد ماهر ، الخزف التركي ، الجهاز المركزي للكتب الجامعية ، القاهرة ، 1977، ص78.

[2] – محمد عبد العزيز مرزوق ، الفنون الزخرفية الإسلامية في العهد العثماني ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 1974 ص53.

[3] – زكي محمد حسن ، المرجع السابق ، ج3 ، ص150-151.

[4] – سعاد ماهر ، الخزف التركي ، المرجع السابق ، ص77-79.

– ربيع حامد خليفة ، البلاطات الخزفية التركية في عمائر القاهرة العثمانية دراسة أثرية فنية ، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الفنون الإسلامية ، قسم الآثار الإسلامية ، جامعة القاهرة ، 1977م ، ص297-298.

[5]-Arseven (C.E), Les Arts decoratifs Turc , Istanbul , paris , 1954 , p88 .

تمتاز زهرة اللالة في بلاطات المنشآت المدروسة خاصة بلاطات المدرسة الكتانية والمقبرة العائلية لصالح باي بأسلوب طبيعي ومحور ، ولعل أجمل البلاطات المتضمنة للالة (الشكل 22 ب-و-) وقد رسمت بأسلوب امتاز بالتحوير الشديد . ورسمت في(الشكل 23 - ب)

بأسلوب محور عن الطبيعة وهذا النوع مجلوب من تونس ، وجاءت كعنصر زخرفي ضمن التصميم العام للتجميعة (الشكل 13).

ب- زهرة القرنفل Oeillet :

لقد قام الفنان برسم نوع ثان من الأزهار لا يقل أهمية عن زهرة اللالة ويتمثل في زهرة القرنفل ، حيث ظهر هذا النوع من الأزهار بصورة مكثفة على البلاطات الخزفية .

لا يعرف موطنها الأصلي وتاريخها غامض بسبب نقص الوثائق التي يمكن الاعتماد عليها ، ويحتمل أنها جاءت من الصين أو إيران [1].

أحب العثمانيون زهرة القرنفل وهي النوع الوحيد من الأزهار التي نافست زهرة اللالة واحتلت نفس المكانة التي احتلتها عندهم ، ويمكن تعليل ذلك لسهولة تشكيلها وخضوعها للتحوير بطريقة زخرفية ، كما يمكن الحصول على أشكال مختلفة بفضل شكل أوراقها وبتلاتها مما جعلها تبدوا رائعة الجمال ولقد أحب الأتراك زهرة القرنفل لشكلها الجميل وألوانها الرائعة ورائحتها العطرة [2] (الشكل 13)

لقد انتشرت في مختلف أنواع الفنون الزخرفية سواء بتركيا أو المناطق الخاضعة له كالجزائر ، حيث ظهرت على البلاطات الخزفية ، كما كثر استعمالها على المنسوجات والألبسة والزرابي وبأساليب مختلفة ، وقد ظهر التأثير التركي على أوروبا التي انتشرت في فنونها هذه الزهرة انتشارا واسعا ، حيث اقتبسها الأوروبيون من المنتجات العثمانية بفضل العلاقات التجارية بينهما وعم انتشارها واستخدامها في الفنون الزخرفية الأوروبية بالقرن 18م خاصة منها البلاطات الخزفية التي تزدان بها المدرسة الكتانية .

ورسمت زهرة القرنفل بهذه المربعات بأشكال مختلفة ، تعود كل لمصنع معين إذ أننا نجدها في المربعات الإيطالية مرسومة بأسلوب أوروبي ، شكلها غليظ مرسومة بأجزائها الخمسة وهي تحتوي على خمس بتلات أو أكثر (شكل 13 - 23 –ب-) .

كما ظهرت في صورة تختلف تماما عن الوصف الأول إذ رسمت بحجم كبير ، تتعددت فيه البتلات فتقدر بعشرة تنموا من سويقة على شكل ورقة كأسية مفصصة(شكل 22-د-) و (الصورة 48).

---

(1)-Arseven (C.E), Op.cit, p.88.

(2) – حسن حمودة القاضي ، فن الزخرفة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 1972ص84.

ج- زهرة الورد La Rose:

إذ نجدها متفتحة الشكل قريبة من الطبيعة في المربعات الإيطالية (شكل 13) (الصورة 47).

د- الأزهار المفصصة :

هي أكثر أنواع الأزهار استعمالا في زخارف بلاطات المدرسة والمقبرة ، نجدها في الغالب كمركز للتجميعة ، إذ يقوم عليها الموضوع.

هناك مجموعة من البلاطات تتماثل فيها الأزهار المفصصة من حيث الشكل واللون (اللوحة 48) ، يعتبر هذا النوع من زخارف عصر النهضة [1]. أما النوع الثاني فنجده في (الشكل 13) وهي شبيهة بالنوع الأول ولكن بدرجة أقل من الإتقان وهي تتوسط شكلا هندسيا.

ومما يمكن ملاحظته هو وجود كل هذه الأزهار مرفوقة بزخارف أخرى ، وقلما نجدها منفردة .

2- الأوراق :

جزء لا يتجزأ من الزخرفة النباتية لأنها ترتبط بشكل مباشر بالسيقان والفروع النباتية التي تعد الهيكل العظمي أو العمود الفقري للموضوع الزخرفي ، وتنفذ بطريقة مناسبة لتشابك السيقان والفروع وامتدادهما وتداخلهما.ولقد شكلت الأوراق عنصرا أساسيا في التركيبات الزخرفية بالمباني المختلفة ، ووردت على هيئة أوراق بسيطة أو مفصصة أو مسننة أو ثلاثية الفصوص .

واقتصرت وظيفتها بصفة عامة في ملئ الفراغ ، ونجدها مرسومة بأسلوبين طبيعي ومحور، وبالنسبة للنماذج التي بحوزتنا فقد تعددت أشكال الأوراق البسيطة والمركبة (شكل 23-ج-) ممثلة عموما بشكل مسنن أو مفصص ورسمت في بعض الأحيان بشكل زهرة الفل كما شبهها أرسفان [2].إذ تظهر بتلاتها في شكل وريقات أو أجزاء مفصصة أو مدببة الرأس (شكل 23 –ب-) ، ومن بين أبرز الأوراق :

أ- ورقة الأكانتس :

تعد من العناصر النباتية التي اقتبسها المسلمون من الطراز الإغريقي ، واستخدمت في الفن المسيحي في سوريا ومنها انتقلت إلى مصر في العصر القبطي [3].كما استخدمت في زخرفة الأفاريز والتيجان [4].

---

(1)- عبد العزيز محمود لعرج ، الزليج في العمارة الإسلامية ، المرجع السابق ، ص272

(2)-Arseven (C.E.), Op.cit, p.70.

(3) – نعمت إسماعيل ، فنون الشرق الأوسط في العصور الإسلامية ، دار المعارف ، مصر ، 1974 ، ص34-35.

(4)- Bouillt(M.N.) , Dictionnaire universel des siences des lettres et des arts librairie de l.hachette el cle , Paris , 1875,p.7.

لقد أخذت هذه الورقة في عصر النهضة مكانة خاصة في الزخرفة وبلغت درجة من التحوير ، حيث رسمت متسعة وغنية بالفصوص [1].

لم يستعمل العثمانيون أوراق الأكانتس في زخارفهم إلا بعد دخول التأثيرات الأوروبية على الطرز التركية في القرن 18م [2].

من بين التصميمات في بلاطات المنشآت المدروسة خاصة مركب سيدي الكتاني ، التي تعتمد زخارفها على ورقة الأكانتس كعنصر بارز تجميعات تنسب إلى إيطاليا (شكل 18) [3] ، جاءت فيها على هيئة مربع ، ورسمت كثيرة الفصوص ومتسعة ، ويمتد اتساعها لتؤلف أجزاء أخرى منها في التجميعة ، وفي منتصف أضلاع نفس التصميم رسمت أوراق أكانتس أخرى جاءت محورة وذات فصوص استعملت هذه البلاطة في عدد كبير من المباني الجزائرية إذ نجده في قصر خداوج العمياء وبقصر عزيزة وبالجامع الكبير بقسنطينة [4] ، كما نجده في زخرفة البلاطة (شكل 23 – أ–ب) ورسمت أشكال أخرى لأوراق الأكانتس المحورة . كما نجد هذا النوع من الأوراق في في زخرفة العقود الرخامية التي تعلو مداخل الأبواب في دار بن جلول في المربعة رقم 03 .

ب–أنصاف المراوح النخيلية :

يعتبر الساسانيون أول من استخدم المراوح النخيلية وأنصافها في زخارفهم ، ثم اقتبسها المسلمون وقاموا بتطويرها حتى بلغت درجة عالية من الإتقان ، ومنها ابتكروا زخرفة التوريق[5].

إن أمثلة هذه الزخارف نجدها في (الشكل 21–ب–22–ج–د–هـ–23أ–ب–ج–)و(الصورة 111–أ–د–112–أ– 113–أ–) ، حيث جاءت على هيئة لفائف ورقية تمثل إطارا للموضوع الزخرفي ، رسمت الأوراق بشكل حلزوني ملتف ويبدوا عليها الطابع الزخرفي المحور المتأثر بأسلوب الباروك[6].

استنادا إلى ما سبق فإن التشكيلة اللونية التي تقوم عليها زخارف هذه البلاطات من الأزرق ، الأخضر والبني فإننا ننسبها إلى إيطاليا وبالتحديد إلى صقلية التي اشتهرت في القرن 18م بالزخارف النباتية والمراوح ، كما نجد أنصاف المراوح النخيلية في زخارف بلاطات عديدة رسمت بشكل وحجم مختلف وتتخذ هيئة حرف الواو.

---

(1)–Rouaix (P.) ,Dictionnair des arts decoration , labrairie illustrée , Paris ,S.D P. 28.

(2)–Arseven (C.E.), Op.cit, p.70.

(3)– Broussaud (G.), Les carreaux dépeints dans l'Afrique du nord , collection centenaires ,Alger ,1830 ,p.61.

(4) – عبد العزيز محمود لعرج ، الزليج في العمارة الإسلامية ، المرجع السابق ، ص153.

(5) – نعمت إسماعيل علي ، المرجع السابق ، ص35.

(6) – محمد عبد العزيز مرزوق ، الفنون الزخرفية ، المرجع السابق ، ص55.

ويمثل نصف العنصر المسمى قوس السهام الذي انتشر في زخارف بلاطات إيطاليا في عصر النهضة [1].

3- السيقان :

للسيقان أهمية بالغة في تكوين الزخرفة النباتية ، فمنها تنمو الأزهار والأوراق وتملأ الفراغات ، وأحسن دليل أن المؤرخ التركي كان يسمي الموضوع الزخرفي بعدد السيقان المستعملة فيه كما ظهرت في شكل ظفائر وعناصر نباتية ملتصقة وتشبيكات مختلفة ومتنوعة اتخذها الفنان كعنصر نباتي لربط الزخارف الكتابية والنباتية ، نجد ضمن العناصر النباتية لزخارف بلاطات المنشآت المدرسة أمثلة متعددة للسيقان ، وغالبا ما تكون عبارة عن خطوط متدلية ، تبرز منها الأوراق وأزهار مختلفة ، وجاءت هذه السيقان كعنصر ثانوي للتصميم العام للتجميعة (اللوحة 47) ، تتصل فيه السيقان بأضلاع التجميعة بأنصاف أزهار مفصصة . وفي بلاطات أخرى (شكل 21-ج-هـ-)و(الصورة 111-ج-) تنمو الأزهار والأوراق النباتية من هذه السيقان.

4- الثمار :

يوجد نوعان فقط من الثمار بزخارف بلاطات المنشآت المدروسة الأول موجود بالمدرسة الكتانية وبالتحديد في المقبرة العائلية لصالح باي ، حيث لم نتمكن من تحديد نوعه بالضبط وذلك لأسلوب التحوير الذي رسم به ، ويوجد هذا النوع داخل أشكال بيضوية ، تنمو على هيئة ثلاث حبات بشكل هرمي من سيقان ثانوية تخرج من الساقين الرئيسيين المتداخلين ، رغم التحوير الشديد لهذه الثمار فإننا نشبهها بحبات الملوك (الكرز) (شكل 21-ج). أما النوع الثاني موجود بعدة منشآت كدار بن جلول وكذا في مقبرة صالح باي (الشكل 22-ب-ج) ممثل في ثمار البرتقال موضوعة في سلة بها ثمار وأزهار ، وهذا النوع من الزخرفة نجدها كثيرا في جل المنشآت العثمانية بقسنطينة أو بالجزائر بصفة عامة .

5- الأشجار :

لقد كثر استعمال الأشجار كعنصر زخرفي على الزرابي والتطريز والبلاطات الزخرفية وتظهر الأشجار غالبا بأجزائها الرئيسية (الساق – الفروع – الأوراق) ، غير أننا وجدنا نوعا واحدا من الأشجار متواجدة في أحد الأضرحة المجهولة وهي شجرة السرو[2] ومرسومة في شاهد (القدمين) في ضريح رخامي بأسلوب الحفر الغائر وكذا في معظم الشواهد الخشبية المتواجدة في المقبرة العائلية لصالح باي ، وهي شبيه بالشواهد المتواجدة في ضريح سيدي محمد الغراب حيث قلد الفنان شواهد المقبرة في هذا الضريح .

---

[1] – قوس السهام : عنصر زخرفي استعمل بكثرة في الفنون في عصر النهضة بإيطاليا واستمر بعد ذلك ويجزأ هذا العنصر على يد المزخرفين إلى نصفين ، كل نصف يشبه حرف الواو العربي.

– أنظر : عبد العزيز لعرج ، الزليج في العمارة الإسلامية.

[2] – السرو : عبارة عن شجر مخروطي الشكل من النوع الصنوبري يمتاز بطوله واخضراره طوال أيام السنة.

كما نجدها بشكل ملفت للانتباه في البلاطات الخزفية التونسية الصنع وكذا في الزخارف الجصية في قباب جامع سيدي الكتاني .

وهي تتخذ عدة أشكال منها ما رسمت بجذعها والبعض من دونه ومنها ما رسم بأسلوب الحفر تحددها أشرطة ذات عناصر هندسية في شكل مثلثات متقابلة تتوسطها معينات ، وقد شاع هذا الأسلوب في القباب ونجدها في قباب جامع سيدي الكتاني .

لقد شاع استخدام هذه الشجرة في الفترة العثمانية ، وكان هذا الشجر في القديم يمثل رمزا جنائزيا ، إذ كان مخصصا لآلهة الأموات ولذا ظهر على بعض المباني الجنائزية ، وكانت تغرس أغصان من السرو أمام المنازل الخاصة بالموتى إلى غاية يوم دفن الأموات.

وظهرت شجرة السرو عند الإيرانيين ، حيث ظهر على تحفهم الفنية خاصة منها الزخرفية ولقد أحب العثمانيون هذا النوع من الأشجار ، يعرف بالتركية باسم (Selvi) حيث كثر غرسه في المقابر وذلك لما يحمله من رائحة طيبة لمنع الروائح الكريهة المنبعثة من جثث الموتى . فهو رمز الخلود في عقيدتهم لبقاء خضرة أوراقه طوال أيام السنة [1] وخاصة وأن اللون الأخضر هو اللون المفضل لدى المسلمين وهذا ما سنراه في تحليل الألوان. (الصورة 55) .

[1] – سعاد ماهر ، الخزف التركي ، المرجع السابق ، ص75.

II- الزخارف الهندسية :

عرفت لزخارف الهندسية منذ عصور ما قبل التاريخ ، كما عرفتها الحضارات التي ازدهرت قبل الإسلام ، لكن لم يكن لها الشأن العظيم الذي أصبح لها على يد المسلمين ، حيث أنها كانت تستعمل كإطارات لغيرها من الزخارف الهندسية ، أما في ظل الإسلام فقد اكتسبت أهمية خاصة وشخصية فريدة لا مثيل لها في أي فن من الفنون فإضافة إلى استعمالها كإطارات لغيرها من الزخارف الرئيسية أصبحت في كثير من الأحيان العنصر الرئيسي الذي يغطي مساحات كبيرة[1].

عرفت الزخرفة الهندسية الإسلامية بتنوعها وثرائها التشكيلي ، باعتبارها عنصر أساسي من عناصر الزخرفة الإسلامية فاقت كل الفنون التي سبقتها في التنوع الذي عرفته .

وتتكون الزخرفة من الخطوط بأنواعها المختلفة ، مستقيمة ومنكسرة ومنحنية ومظفرة ، كما تتكون من أشكال مساحية من مربع ومستطيل ومعين ومثلث ودائرة وأشكال بيضوية إضافة إلى العقود بأنواعها المختلفة ضف إلى ذلك الأطباق النجمية والأشكال المضلعة [2].

ومن المعروف أن الزخارف الهندسية تعتمد أساسا على عنصرين هندسيين هما الخط والزاوية ، وذلك في عمل تكوينات هندسية معددة وفي تطويرها من مجرد خطوط هندسية متقاطعة أو متشابكة تحصر بداخلها أشكالا هندسية بسيطة كالمثلثات والمعينات إلى أشكال أكثر تعقيدا كان من أبرزها الأشكال النجمية بأنواعها[3].

احتلت هذه الزخرفة مكانة رئيسية في الفن الإسلامي ، إذ أصبحت من العناصر المميزة للزخرفة الإسلامية[4]. واستعملت في انسجام مع تفاصيل زخرفية أخرى منها نباتية وكتابية برع الفنان المسلم في تنويع الأشكال الهندسية وتركيبها وتعقيدها على أسس وقواعد علمية تدل على درايته بعلم الهندسة .

لقد اقتبست الفنون الأوروبية الرسوم الهندسية الإسلامية في منتجاتها ، وكان التأثير الإسلامي عليها واضحا ، واتجهت الزخرفة الهندسية اتجاها جديدا لم يكن مألوفا من قبل بفضل أسلوب الباروك الذي ظهر في القرن 17م ، حيث اعتمد فيه الفنان الأوروبي على الخطوط المنحنية والحلزونية [5].

لقد نفذت الزخارف الهندسية في منشآت صالح باي على مواد مختلفة تتمثل في الخشب والجص والرخام والبلاطات الخزفية ، كما نفذت تلك الزخارف بطرق مختلفة ،

تتميز الزخارف الهندسية في بلاطات المنشآت المدروسة سواء كانت بلاطات أوروبية أو تونسية بالعنصر الهندسي المركزي الذي يتوسط التجميعية القائمة على أساس عناصر نباتية من أوراق وسيقان وأزهار.

---

[1] – أبو صالح الألفي ، الموجز في تاريخ الفن العام ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 1973 ، ص194.

[2] – عبد العزيز محمود لعرج ، الزليج في العمارة الإسلامية ، المرجع السابق ، ص255.

[4] – أبو صالح الألفي ، الفن الإسلامي ، المرجع السابق ، ص115.

[5] – محمد عبد العزيز مرزوق ، الفنون الزخرفية ، المرجع السابق ، ص55.

إن الأسلوب الهندسي في مجموعة البلاطات التي تكسوا المنشآت المدروسة لا تؤلف موضوعا زخرفيا مستقلا بذاته لأنها تشترك مع المواضيع الأخرى الكتابية والنباتية والحيوانية ويظهر ذلك في حوائط الأروقة المحيطة بالصحن (اللوحة 37) ، إلا أننا نجد بلاطتين تنفردان بأسلوبهما الهندسي في قاعة التدريس الأولى عبارة عن مثلثين متقابلين مختلفي الألوان من الأبيض والأخضر (شكل 21 –أ) والثانية عبارة عن بلاطة مقسمة إلى مجموعة من المربعات الصغيرة شبيهة برقعة الشطرنج وهذه المربعات مقسمة بدورها إلى أقسام صغيرة بواسطة خطوط مستقيمة رفيعة باللونين الأزرق والأبيض (الصورة 34).

وتتألف زخارف (الشكل 23–ج–) والمتواجدة في المقبرة العائلية لصالح باي من دائرة مركزية محاطة بعناصر مقوسة على هيئة أقواس السهام وأنصافها بداخل دائرة أخرى غير منتظمة ويتخذ الشكل العام على هيئة مربعين غير منتظمين جددا بخطوط مقوسة وعناصر أقواس سهام وأنصافها ، ويبرز من أضلاع المربع الخارجي في اتجاه الأركان سلال ملئت بأوراق وثمار البرتقال ، وزهرة بسيطة وذلك باللون المتدرج بين الأحمر البرتقالي والأصفر الذهبي والأخضر ، ويعتبر عنصر السلال وأقواس السهام وأنصافها من عناصر النهضة بإيطاليا [1].

– أما (الشكل 22–د–) المصنوع من البلاطات الخزفية والمتواجد في جدران المقبرة ، فقوامه حلية نجمة مركزية تحيط بها دائرة وبالأركان أزهار قرنفل محورة تتصل ، بها عناصر ورقية بسيطة حلزونية الشكل زينت باللون الأصفر والأزرق على أرضية بيضاء في الداخل وباللون الأزرق الفاتح على أرضية خضراء شاحبة في الأركان ، لقد رسم تصميمها العام بأسلوب الروكوكو الأوروبي مع الاحتفاظ بالأسلوب التركي مثل زهرة القرنفل المأخوذ أساسا من زخارف أسلوب عصر النهضة [2].

– وفي (الشكل 18) المصنوع من البلاطات الخزفية والمتواجد في جدران المقبرة ، نجد عنصر المربع يحلي تجميعة أخرى بطريقة متداخلة غير منتظمة تتراجع أضلاعه إلى الداخل في حين تمتد أركانه إلى الخارج ليحف بكل ركن منه ورقة أكانتس محورة وتحيط بالعنصر المركزي خطوط مقوسة متصلة ببعضها بطريقة تألف شبه مربع آخر مرسوم بمقياس كبير غير منتظم الأضلاع ، بدورة تبرز من أركانه أوراق مفصصة خماسية .

– (والشكل 22– و–) مرسوم على البلاطات الخزفية وهو متواجد في معظم أروقة المدرسة وهو عبارة عن تجميعة من أربع بلاطات تتألف زخارفها من دائرة مركزية محاطة بمعينات تحتوي على خطوط تكون شكل أقواس تألف دائرة ، وزعت بها دوائر صغيرة في كل اتجاه وفي الزوايا خطوط منكسرة نفذت باللون الأسود على أرضية بيضاء.

– وفي (الشكل 22–هـ–) مرسوم على البلاطات الخزفية وهو متواجد في الجدار الجنوبي الشرقي للمقبرة المطل على الصحن ، نجد زخارف مؤلفة من تجميعة ذات خطوط منكسرة باللون الأصفر وفي زواياها الأربعة أقواس متناظرة

---

[1] – عبد العزيز محمود لعرج ، الزليج ، المرجع السابق ، 272.

[2] – نفسه ،ص 78.

تتوسطها دوائر وأحيانا تعلوها ، نفذت على أرضية بيضاء حيث نجد قوسين أبيضين وآخرين أخضرين ، في الشكل لدينا معين زواياه الأربعة على شكل تاج.

- (والشكل21-ج-) يتمثل في بلاطات خزفية متواجدة في المقبرة العائلية ، يمثل تجميعة من أربع بلاطات تتوسطها نجمة بداخلها خطوط ، في أركانها الأربعة أقواس متقابلة ومتناظرة تتوسطها دوائر على شكل زهرة ، وسط هذه الأقواس نجد خطوط مستقيمة وعلى يمينها ويسارها توجد دائرة يتوسطها هلال.

- أما (الشكل 21-هـ-) يتمثل في بلاطات خزفية متواجدة في بعض الأضرحة وزخارفه عبارة عن خطوط تشكل لنا معين جوانبه الأربعة تتخذ شكل رقم ثلاثة مقلوب داخل خطوط صغيرة منحنية.

- (الشكل 25 -أ-ب) يشكل موضوعا هندسيا عبارة عن خطوط تشكل أطباقا نجمية بطريقة مميزة وتعتبر من أجمل النماذج المدروسة ، حيث استعملت في جامع صالح باي بعنابة .

من مجموع تلك البلاطات الخزفية لم تمثل الزخرفة الهندسية موضوعا قائما بذاته إلا في (الشكل21-أ- د-) وتتمثل أنواع هذه الزخارف فيما يلي :

1- الخط :

عنصر زخرفي و هو العنصر الأساسي في تكوين الوحدات الهندسية ومن مجموع البلاطات التي تزين المنشآت المدروسة لم تمثل الخطوط بأنواعها زخارف قائمة بذاتها ، وقد تنوعت الخطوط في هذه البلاطات وأكثرها استعمالا :

أ- الخط المستقيم :

وهو الخط الذي يضم إليه الأشكال الهندسية كالمثلث والمربع إلى الزوايا والمستطيل ثم الدائرة ، تنفذ هذه الخطوط عموما على أطر الأبواب كنطاقات بشكل أفاريز روعي فيها الحصول على مستطيلات وفوق أبدان الأطر ومناطق العقود ، والنوافذ ، استعمل في بعض التجميعات في تقسيم العناصر الهندسية منها المضلعات والدوائر ، ففي (الشكل21-أ-) نجد أن الخط يقسم البلاطة إلى نصفين متساويين ، كما نجد هذه الخطوط في (الشكل21-ج-) داخل العناصر النباتية ونجدها ظاهرة للعيان في (الشكل 21-د-) وهي عبارة عن خطوط مستقيمة تقسم البلاطة إلى مستطيلات صغيرة.

ب- الخط الحلزوني: استعمل هذا النوع من الخطوط بكثرة في بلاد المغرب الإسلامي نظرا لما له من أهمية رئيسية في التصميمات الزخرفية ، بحيث تقوم في أغلب الحيان مقام الهيكل العظمي بالنسبة للزخرفة الزهرية ، وأنها تمثل الأصل الذي تطورت منه المقرنصات في العمارة الإسلامية خاصة في المغرب الإسلامي والأندلس[1] ، وهو من حيث طرقه الفنية مثله مثل الخطوط المستقيمة . وأمثلته متعددة في المنشآت المدروسة أبرزها نجده أسفل دكة المبلغ أو السدة حاليا في جامع سيدي الكتاني .(الصورة 16).

[1] – محمد الطيب عقاب ، قصور ، المرجع السابق ، ص240.

ج- الخط المتموج :

يوجد في أمثلة قليلة ، و نجده في البلاطة (شكل22-هـ) وجاءت على شكل هندسي وسط البلاطة .بالإضافة إلى وجوده في مجموعة من الأمثلة من البلاطات المدروسة خاصة في دار بن جلول الصورة 111 -أ-ب-ج)

د- الخط المقوس : نجد هذا النوع من الأشكال الهندسية مطبقا على الأشرطة الكتابية والأفاريز الزخرفية الجصية التي زينت بعض المربعات الخزفية الموجودة في دار بن جلول .(الصورة 111-ب-هـ/112-ب).

أما في مدرسة ومقبرة صالح باي فقد رسمت هذه الخطوط في بلاطتين ، جاءت على شكل مربع غير منتظم وشكلت خطوطه التحديدية بعناصر نباتية [1] في (الشكل23-ب-) ، وكذا في (الشكل 23-ج-) وتنسب هذه البلاطة -18- إلى إيطاليا [2] ، ولقد اقتبست الخطوط المقوسة في العمارة الكلاسيكية ذات الزخارف القالبية الإغريقية [3].

د- الخط المنكسر : وأمثلته نادرة جدا في المنشآت المدروسة حيث نجد في تجويفة محراب مسجد مركب الغراب مجموعة من الخطوط المنكسرة .

2- الأشكال المساحية :

متواجدة في زخارف منشآت صالح باي ، فمثلا نجدها مستعملة بكثرة في جامع سيدي الكتاني عكس مركب سيدي محمد الغراب حيث نجدها في البلاطات الخزفية بالمدرسة والمقبرة الكتانية وكذا في الزخارف الرخامية في جامع سيدي الكتاني ، وتشمتل على المربعات والمثلثات والدوائر وأنصافها وكذلك العناصر البيضوية:

أ- المربعات :

استعمل المسلمون في زخارفهم المتنوعة أشكالا هندسية كثيرة ،كان المربع إحداها وأبسطها ، وبقي أساسا للأشكال المتعددة الأضلاع الأكثر استعمالا وللمضلعات أكثر تعقيدا.

استخدم المربع كوحدة زخرفية إسلامية وعمل بتشكيلات متشابكة ومتوالدة منها،كما شكلت هذه الأشكال بطريقة فنية متقنة ومنظمة ، وضعت بداخلها أو على حوافها في بعض الأحيان زخارف نباتية متنوعة ، يظهر ذلك في بعض المربعات الخزفية التي كسيت بها جدران الغرف والسلم في دار بن جلول .

يمكن تحديد كل أشكال المضلعات المختلفة من المربع بفضل ترتيب أضلاعه التي تسمح بإبداع أشكال كثيرة ومختلفة[4].

---

[1] – عن الخطوط الزخرفية أنظر: حسن علي حمودة ، المرجع السابق ، ص ص 14-16.

[2] Broussaud (G.) , op.cit ,p061.

[3] – أبو صالح الألفي ، الموجز ، المرجع السابق ، ص116.

[4]- Humbert (C.), Islamic Ornamental dessing ,office de liver , fribrirg 1980,p.23.

نجد عنصر المربع في إحدى التجميعات التي تزين (الشكل 22-و-) ، وجاء على هيئة متداخلة و أضلاعه غير منتظمة (شكل 23-ج-) ، كما شكلت الخطوط المقوسة لنفس التصميم شبه مربع تنتهي أركانه بأوراق مفصصة . هذا النوع عرف انتشارا واسعا في المباني الدينية والمدنية بالجزائر ، كقصر مصطفى باشا وقصر حسن باشا [1] وتنسب هذه البلاطات إلى إيطاليا [2].

كما وجدنا عدة نماذج تحوي على تشكيلات من المربعات بمختلف أنواعها (21-د-هـ) . و في تجميعات أخرى يقوم الموضوع الزخرفي على مربع مركزي .

كما نجد هذا الشكل في المربعات الخزفية بصحن جامع صالح باي متداخل في مجموعة من التشبيكات الزخرفية.

ب- المستطيلات :

من المضلعات التي استعملت كنماذج زخرفية فأحاطت بخطوط بارزة أو ساحات غائرة ، لنا بوضوح في زخرفة ،حيث نجده مشكل في أطر ومصارع الأبواب الرئيسية وكذا أبواب الغرف بدار بن جلول وكذا في قاعة التدريس بمدرسة سيدي الكتاني ، وهي منفذة بعدة طرق منها الحفر والتجميع في الأبواب وأطرها . كما نجدها في جامع سيدي الكتاني. كما نجد هذا الشكل يزين منبر جامع الباي .

ج- المثلثات :

من ضمن التصميمات التي تعتمد على المثلث كعنصر زخرفي قائم بذاته ما نجده في بلاطات (الشكل21-أ). كما نجده في منبري جامعي صالح باي وجامع سيدي الكتاني بمقاسات ووضعيات مختلفة ، من ضمن التصميمات التي تعتمد على المثلث كعنصر زخرفي قائم بذاته، خاصة في الزخارف الجدارية وبواطن القباب الثلاثة ، حيث تنطلق الخطوط المتوازية من أعلى مركز القبة وهو رأس المثلث، إلى الأسفل حيث تكون قاعدته ، وكذا المربعات الخزفية المقسمة إلى نصفين حيث شكلت مثلثين متدابرين في البلاطات التي كسيت بها جدران دار بن جلول في غرف الطابق العلوي . كما نجد الشكل المثلث قي مناطق الانتقال من المربع إلى المثمن في قباب الضريحين . وكذا في جامع سيدي الكتاني .

د- الدوائر :

استعملت الدوائر في الزخرفة الإسلامية كنوع من أنواع الزخرفة الهندسية ، وهي وضعت لتشمل داخلها عناصر أخرى مثل أزهار أو فلقات مختلفة الشكل ، وهي أيضا تعتبر إلى جانب كونها من الأشكال الهندسية أشكالا رمزية عند بعض الشعوب ، ومنهم العثمانيين خاصة ، ومع مرور الوقت أصبحت تعتبر من الأشكال الهندسية المحضة وتستعمل في الزخارف [3].

---

[1] – عبد العزيز محمود لعرج ، الزليج في العمارة الإسلامية ، المرجع السابق ، ص148.

[2]-Humbert(C.),op.cit , p.23.

[3]-Arseven (C.E.), Op.cit, p.41.

لقد استعملت الدوائر قديما في بلاد بابل لقياس الوقت بتقسيم الدائرة إلى 360^0 وحللت إلى ست أقسام بـ 60^0 كما سميت باسم شار الذي يرمز إلى الكون ، وعند المسلمين اعتبرت الدائرة بشكلها الدائري من الأشكال الكاملة والمتممة أيضا كما أنها شارة مطلقة [1].

هـ- المعينات :

استعملت المعينات بأنواع مختلفة في منشآت صالح باي وكانت مصحوبة بالعديد من العناصر الزخرفية الأخرى كالنباتية والرمزية ، حيث نجدها :- قد زينت طاقية المحراب في جامع سيدي الكتاني بخطوط ذهبية يتولد عنها مساحات بالزخارف النباتية قوامها زهرة بعدة بتلات مائلة .

- أما في جامع الباي فقد زينت إحدى الحشوات المربعة بوردة مركزية محاطة بمعين قائم الزوايا ومقوس الأضلاع.

- كما استعملت المعينات بكثرة في تشكيل العناصر الزخرفية وذلك ما نجده في زخرفة بعض العناصر المعمارية ،حيث أستخدم بكثرة في الزخارف الجدارية خاصة في سقف غرف الطابق العلوي لدار بن جلول .

- كما نجد هذا العنصر مستعملا بكثرة في أمثلة كثيرة من البلاطات الخزفية التي تزين منشآت صالح باي ومن أبرز أمثلتها (الشكل 21-ب-) .

3- الأشكال المضلعة :

نجدها في قباب جامع سيدي الكتاني كما نجدها منفذة على الرخام في محراب نفس الجامع ، أما في زخارف البلاطات فقد جاءت في زخارف البلاطات ، وهذه الأشكال عبارة عن :

أ- الأطباق النجمية :

استعملت النجمة على اختلاف عدد رؤوسها لتشكل أشكالا مختلفة كعناصر منفردة أو كتجميعات وأبرز تطور لها ممثل في الأطباق النجمية والتي تعد من أبرز ما توصل إليه الفنان المسلم في مجال الزخرفة الهندسية تزين البلاطات الخزفية في صحن جامع الباي (الشكل 25-أ-ب) ويعتبر هذان النوعان من أبرز ماتوصل إليه الفنان في مجال زخرفة البلاطات الخزفية ، كما نجدها في حنية محراب جامع سيدي الكتاني ، كما نتجت عن تداخل النجوم الأطباق النجمية ، وتظهر جليا في النجوم المتشابكة الموجودة في سقف غرف دار بن جلول .

كما بجامع سيدي الكتاني قد زين سقفه بنجمة تتكون من تقاطع خطين متقاطعين في كل الاتجاهات .

ونجدها في مثالين في مقبرة صالح باي ، و هي عبارة عن شبه نجمات متكونة من أربعة رؤوس ففي البلاطة المستوردة من إيطاليا في (الشكل 23-ج-) نجد هذه النجمة مكررة خمس مرات ، أما (الشكل 21-ج-) فهي عبارة عن نجمة رباعية الرؤوس شكلها قريب من المعين. بالإضافة إلى أمثلة أخرى كالتجميعة في الشكلين (21-ب/23-أ-) وهما مشكلتان من نجمة مركزية متعددة الرؤوس وتحيط بها مجموعة من الزخارف المختلفة .

---

[1]- Chevalier (J.) , Cheerbrant (A.) , Dicionnaire des symboles , p.193.

بالإضافة إلى بعض الأشكال الهندسية التي تزين البلاطات الخزفية في صحن جامع صالح باي .

ويرجع ظهور الطبق النجمي في الزخرفة الإسلامية إلى العصر الفاطمي(297-567هـ/910-1171م) وانتشر بعد ذلك خلال العصر المملوكي (648-923هـ/1250-1517م) ، وفي بلاد المغرب توسع استخدامه خلال العصر الحفصي (625-981هـ/1228- 1573م) والزياني (633-949هـ/1236-1543م) والمريني (669 - 869هـ/1269-1465م) ، واستمر إلى غاية العصر العثماني (920-1245هـ/1514-1830م)[1].

[1] – عاصم محمد رزق ، معجم ، المرجع السابق ، ص134-135 . أنظر أيضا : عبد العزيز لعرج ، جمالية الفن الإسلامي في المنشآت المرينية بتلمسان (669-869هـ/1269-1465م) دراسة أثرية فنية جمالية ، دار الملكية ، الجزائر ، ط1 ، ص180-259.

III – الزخارف الكتابية :

تعد الزخارف الكتابية من أهم المصادر والوثائق التاريخية للمؤرخ والأثري لأنها تسلط الضوء على الفترة التي أنجزت فيها [1]، ولاشك أن الدين الإسلامي لعب دورا بارزا في تطوير الخط وذلك لسببين هما:

– دعوته لنشر العلم والتعليم بين كل المسلمين – تحريمه لتصوير ذات الروح الشيء الذي جعل الفنان المسلم يقبل على الزخارف الكتابية [2].

لقد انتشر الخط العربي بانتشار الإسلام فكانت تنسب الخطوط إلى المدن التي نشأت فيها واختلف المؤرخون والباحثون في تسمية بعض الخطوط طبقا لصفتها وشكلها ونوعها إذ أنها اتخذت في كل مرحلة طابعا وشكلا معينا طبقا للبيئة المحلية التي انتشرت فيها.

كما تنوعت الخطوط تنوعا كبيرا فامتاز كل نوع بخصائص جمالية وفنية معينة حيث أننا نجد أحيانا اختلافا في النوع الواحد من الخطوط كالخط الكوفي والنسخي ، كما ابتكر الفنانون الأتراك خطوطا أخرى خاصة بهم فنظروا إلى فن الخط نظرة تقديس مما جعلهم يهتمون به ويعملون على تطويره إلى أن بلغ أوج ازدهاره على أيديهم [3].

حتى قيل أن القرآن الكريم نزل بالحجاز على صدر النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم تلاه المصريون تجويدا وكتبه العثمانيون تحسينا ، لذلك نلاحظ أن العثمانيين قد أقدموا وبشراهة على استخدام الزخارف الكتابية [4].

عرف العثمانيون جميع الخطوط العربية واستعملوها كعناصر زخرفية في العمائر والفنون التطبيقية ويتضح ذلك في المدرسة التي نحن بصدد دراستها.

---

[1] – علي أحمد الطايش ، الفنون الزخرفية الإسلامية المبكرة في العصرين الأموي والعباسي ، مكتبة زهراء الشرق للنشر والتوزيع ط1 ، 1420هـ/2000م ، ص15.

[2] – يوسف القرضاوي ، الحلال والحرام في الإسلام ، ط4 ، 1985 ، ص102-104.

[3] – مرسي عصام عادل ، دراسة جديدة لبعض تصاوير آل عثمان في مفرش من النسيج ، دراسات وبحوث في الآثار والحضارة الإسلامية ، الكتاب الثاني ، دار الوفاء للطباعة والنشر ، ط2 ، 2005 ص386.

[4] – لوس لمياء الفاروقي ، إسماعيل زاخي الفاروقي ، ترجمة لؤلؤة عبد الواحد ، أطلس الحضارة الإسلامية ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، 1988 ، ص514.

1- أنواع الخطوط الواردة في المنشآت المدروسة :

1 – الخط النسخي :

يعتبر من الخطوط العربية الأصيلة المنحدرة من الخط الآرامي مرورا بالخط النبطي واستقر بمكة والمدينة حيث عرف باسم "الخط الحجازي" ، وسمي بالنسخ لأن الكتاب كانوا يستعملونه في نسخ المصاحف والكتب والمؤلفات[1].

هناك من يرى أن الوزير بن مقلة (272-328هـ) وأخاه بن عبد الله (توفي سنة 338هـ) هما أول من نقل هذا الخط من الكوفة وأطلق عليه اسم "البديع" ثم جود وحسن في عهد دولة المماليك ، لكن معظم الكتابات والنقوش التي تعود إلى زمن الرسول صلى الله عليه وسلم تؤكد أصالة هذا الخط وأنه لم ينفصل عن الخط الكوفي ومن الملاحظ تطور هذا الخط في القرنين الثالث والرابع الهجري [2].ولقد اتبع الخطاطون في مجال تحسين الخط خط النسخ أسلوبا مغايرا لأسلوبهم المتبع في تجميل الخط الكوفي ، حيث اتبعوا معايير وقواعد معينة يضبط بها وذلك بتحديد نسب هندسية وقياسية لأشكال الحروف وهي نظم وضوابط وضعت على يد بن مقلة في نهاية القرن الثالث الهجري/التاسع الميلادي فهو أول من جعل للخط معايير يضبط بها ، ومن المعروف أن أعلى مستوى عرفه الخط النسخي تم على يد ابن هلال المعروف بابن البواب [3] فهو الذي جمع بين النسبة والجمال الفني في الخط ، ثم عرف تحسينا وتجويدا كبيرا سنة (525هـ/1150م) فاستعمل في كتابة المصاحف وحل محل الخط الكوفي [4].

لم يلبث أن حل في العصر الأيوبي في مصر والشام محل الخط الكوفي وانتشر في شرق العالم الإسلامي وغربه وغدا الذوق المفضل .

لم ينقض القرن (6هـ/12م) حتى قل شأن الخطوط الكوفية سواء في كتابة المصاحف وفي النقوش على جدران المساجد ، وشهد الخط النسخي تطورا وازدهارا في القرن (7هـ/13م) على يد ياقوت المستعصم ، الذي لقب بقبلة الكتاب للدور الهام الذي لعبه في مجال تحسين الخط وتطويره وهو الخطاط الذي اتخذه العثمانيون إماما لهم في مجال الخط[5] .

---

(1) – يحي وهيب الجبور ، الخط والكتابة في الحضارة العربية ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، 1994 ص121.

(2) – لوس لمياء الفاروقي ، إسماعيل زاخي الفاروقي ، المرجع السابق ، ص266.

(3) – خيرة أحمد بن بلة ، دراسات في النقوش الكتابية التذكارية على المباني بمدينة الجزائر في العهد العثماني ، رسالة لنيل شهادة الماجستير في الآثار الإسلامية ، كلية الآداب ، جامعة الإسكندرية ، 1993 ص266.

(4) – لوس لمياء الفاروقي ، إسماعيل زاخي الفاروقي ، المرجع السابق ، ص514.

(5) – يحي وهيب الجبور ، المرجع السابق ، ص142.

ومن العوامل المساعدة على انتشار الخط النسخي في العالم الإسلامي بوجه خاص وإقبال الناس على استعماله بدلا عن الخط الكوفي ، أنه إضافة إلى جمال صورته فهو لين طيع يساعد الكاتب على السير بقلمه بسرعة تفوق خط الثلث [1].

2- خط الثلث :

استخدم في معظم ما وصلنا من النقوش الكتابية في العهد العثماني ، لقد اختلف الكتاب في أصل تسمية ما في معناه من الأقلام المنسوبة إليه ، وقد ذهبوا إلى مذهبين هما : الرأي الأول: ما نقل عن الوزير أبي علي بن مقلة أن الأصل في ذلك أنه للخط أصلين من أربعة عشر طريقة [2].

الرأي الثاني : هناك من يرى أنه يعود إلى أواخر خلافة بني أمية وبدايات بني العباس على يد قطبة المحرر[*1] . وقيل أيضا أن الطومار جود وطور على يد إبراهيم الشجري[*2] حيث خفف منه قلما سماه الثلثين ، ثم اخترع منه قلما آخر سماه الثلث وترجع هذه التسمية إلى مساحته[3]. كما اعتبر خطا متطورا عن النسخ وسمي كذلك لأن حجمه يساوي ثلث حجم النسخ الكبير الذي كان يكتب به على الطومار ، وقد سمي خط الثلث في العصور المتأخرة بـ"المحقق" بسبب تحقيق كل حرف من حروفه للأغراض المراد منها ، كما كانت تضاف تحت سيناته ثلاث نقط لتجميله وزخرفته[4]. ولقد ظهر هذا الخط في القرن 7 هـ/13 م ، وسمي بذلك لأن حجمه يساوي حجم الخط الكوفي الحديث ، وهو أروع وأجمل الخطوط إذ تتجلى فيه عبقرية الخطاط في توزيع حروف الكلمة الواحدة في غير نظام لغرض ملء المساحات الموجودة.

شهد خط الثلث تحسينا كبيرا على يد الخطاطين والفنانين ، حيث بلغ غاية الجودة على أيديهم مما أتاح له الفرصة أن يحل محل الخط الكوفي في تزيين جدران المساجد ، وساعدت سلاسته وليونته على تركيب كلماته فوق بعضها البعض

---

[1] – خيرة أحمد بن بلة ، دراسات في النقوش الكتابية ، المرجع السابق ، ص267.

[2] – لوس لمياء الفاروقي ، إسماعيل زاخي الفاروقي ، المرجع السابق ، ص514.

*1- قطبة المحرر : خطاط في الفترة الأموية المبكرة يرجع إليه ابتكار أربعة خطوط رئيسية وهي (الطومار – النصف – االجليل – الثلث) .

*2- إبراهيم الشجري : خطاط سوري قدير برع في خط الثلث وحسن في الخط الجليل (ت200هـ) .

[3] – خيرة أحمد بن بلة ، دراسات في النقوش الكتابية ، المرجع السابق ، ص275.

[4] – يحي وهيب الجبور ، المرجع السابق ، ص130.

وتداخلها دون أن تخرج الحروف على مقاييسها الجمالية التي وضعت لها ، واهتمت المدرسة التركية بتجويده وتهذيبه فبلغ في العهد العثماني أقصى درجات الجمال فاستعمل في تزيين المساجد ، حيث أصبح الخطاط الذي لا يتقن هذا النوع من الخط لا يعتبر من أهل هذا الفن [1].

3- الخط المغربي :

لم يستعمل هذا الخط إلا بعد القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي ، حيث لا يزال طلاب القيروان في مطلع القرن الرابع الهجري يدرسون نصوصا كتبت بالخط الكوفي ، ورغم استعمالهم للخط الكوفي إلا أنهم بدءوا منذ ذلك الوقت يلطفون من حدة هذا الخط الذي يقوم على زوايا دون تسطيرها بسهولة وسرعة كافية[2].

وعلى الرغم من أن المشارقة أخذوا بالإصلاح الذي قام به ابن مقلة في الخط وقللوا من استخدام الخط الكوفي ، فإن المغاربة ظلوا يستخدمون الخط الكوفي[3]. ثم لينوه وخففوا من حدة زواياه ، ومنذ ذلك الحين تمسك المغاربة بهذا النوع من الخط الذي يتيح الكتابة السريعة العادية ذات الاستعمال العام وذلك لم يروا ضرورة لتبني الكتابة الجديدة .

كما استعملوا نقط الإعجام مع تنقيط حروف القاف بنقطة واحدة من أعلى وتنقيط الفاء بنقطة من الأسفل واستخدموا الشكل لتوضيح حركات الإعراب ثم زادوا في التأنيق إذ سطروا بعض الحروف وخففوا أشكال البعض الآخر المثقلة[4].

وكان انتشار الحرف المغربي في العلم الإسلامي موافقا للغاية لانتشار مذهب مالك ففي المناطق التي انتشر فيها المذهب مثل الأندلس وبلاد المغرب والسودان الغربي كان الخط المغربي هو المستخدم فيها .

ويمكن حصر هذه الكتابات في أربعة خطوط معروفة هي : الخط القيرواني والأندلسي والفاسي والسوداني . ومن المميزات العامة للخط المغربي أنه يتميز بحشاوي السطر المدعوكة عوضا عن الجوانب الحادة والجلية كجوانب النسخي فلم تكن تظهر السطور العمودية من حروف اللف واللام والطاء والظاء المستقيمة ، إلا في حالات قليلة للغاية فكانت تتخذ في أغلب الأحيان شكلا منحنيا وتعلوها نقطة غليظة ، كما عملية الربط بين الحروف المكونة للمجموع سيئة نوعا ما ، إذ أحيانا تفصل الحروف بياضات وتارة يعلوا سطر الربط الحرف الذي يجب أن يتصل به وتتخذ قفلات[5].

---

[1] – خيرة أحمد بن بلة ، دراسات في النقوش الكتابية ، المرجع السابق ، ص277.

[2] – هوداس و ، "محاولة في الخط العربي" تعريب . عبد المجيد التركي ، حوليات الجامعة التونسية ، العدد الثالث ، 1966 ص187-189.

[3] – فوزي سالم عفيفي ، نشأة وتطور الكتابة الخطية العربية ودورها الثقافي والاجتماعي ، وكالة المطبوعات ، الكويت ، الطبعة الأولى ، 1980 ،ص166.

[4] – هوداس و ، المرجع السابق ، ص194.

[5] – خيرة أحمد بن بلة ، دراسات في النقوش الكتابية ، المرجع السابق ، ص393- 394.

أ- كتابات مركب سيدي محمد الغراب :

- كتابات الضريح :

- الكتابة : 01

رقم الجرد	/
طبيعة الشيء	شاهد قبر (الرأس)
المقاسات	إر=70سم/ق=35سم/صواعد الألف=4سم
مادة الصنع	الرخام
المصدر	ضريح سيدي محمد الغراب
التاريخ	1280هـ/1865م
طبيعة الكتابة	شاهدية
نوع الخط	ثلث
عدد الأسطر	أ ربعة
عدد الأشرطة	أربعة
مكان الحفظ	المقبرة العائلية لعائلة بن جلول
حالة الحفظ	جيدة

النص :

ويمكن قراءته على النحو الآتي :

1- الحمد لله وحده ولايدوم إلا ملكه /

2- نسأل الله العفو وسعة رحمته عايشة بنت المرحوم/

3- بكرت الحي القيوم السيد شعبان ءاغة/

4- توفيت في 02شعبان سنة 1280/

- **الوصف :**

يوجد هذا الشاهد في ضريح شيدي محمد الغراب ، مصنوع من مادة الرخام وهو عبارة عن كتابة شاهدية نفذت بخط الثلث مكونة من أربعة أسطر ، وقد وضعت داخل أربعة أشرطة متوازية ومستطيلة ، أما عن أسلوب الكتابة فهو الحفر البارز.

وهذا الشاهد يوجد في الجهة الجنوبية الغربية ، وهو عبارة عن شاهد منفرد أي خال من القبر ألصق بالجدار المذكور سابقا .(أنظر الصورة رقم 94).

– بطاقة تعريفية بالخط والكتابة :

استعمل الخطاط في هذا الشاهد خط الثلث بأسلوب الحفر البارز ، كما احتوت الكلمات على نقط الإعجام وهذا ما زاد الكتابة نوعا من الدقة والوضوح .

أما فيما يخص الجانب اللغوي فقد جاء النص واضحا لا غموض فيه خاليا من الأخطاء اللغوية والإملائية .

– شرح الأعلام :

ورد في النص اسم عايشة وهي شخصية غامضة لم نثر لها ولا على والدها شعبان ءاغة على أي معلومات تاريخية تذكر .

– الصيغ الواردة في النص :

تتضمن هذه الكتابة على الصيغ التالية :

– البسملة (بسم الله الرحمن الرحيم)

– الدعاء (المرحومة بكرم الحي)

– اسم المتوفى (عايشة بنت المكرم السيد شعبان ءاغة)

– تاريخ الوفاة (02 شعبان من سنة 1280هـ)

القيمة الأثرية والتاريخية للكتابة :

لقد استعمل أيضا في هذا الشاهد الرخام وقد تحدثنا عن أمثلة عنها.

– أكبر إشكالية تطرح حول قبور ضريح سيدي محمد الغراب هي العلاقة التي تربط عائلة بن جلول وسيدي محمد الغراب ، ولماذا نجد قبور هذه العائلة في هذه الضريح دون غيرها من العائلات القسنطينية المشهورة في تلك الفترة ، حتى أن هذه العائلة مازالت تدفن موتاها إلى حد اليوم في هذا الضريح فأحدث قبر مؤرخ بسنة 2000م ، لكن للأسف الشديد لم أعثر على أية معلومات تاريخية حول حول هذه النقطة ، كما حاولت الإتصال بهذه العائلة إلا أن كل أفرادها تقطن خارج الوطن .

– لقد درست نموذجا واحدا وذلك لحداثة القبور الأخرى فمعضمها مورخ بعد سنة 1900م وهي مشابهة في الشكل والتصميم ونوع الكتابة لشواهد قبور ضريح صالح باي ، حيث أن الصانع أخذ نفس التصاميم .

- **التحليل الأبجدي للحروف :**

الحرف	في أول الكلمة	في وسط الكلمة	في آخر الكلمة	منعزلا
الألف				
الباء – التاء –الثاء				
الجيم–الحاء– الخاء				
الدال – الذال				
الراء _ الزاي				
السين – الشين				
الصاد – الضاد				
الطاء – الظاء				
العين – الغين				
الفاء – القاف				
الكاف				
اللام – لام ألف				
الميم				
النون				
الهاء				
الواو				
الياء				

ب- كتابات جامع صالح باي بعنابة :

- الكتابة : 01

رقم الجرد	/
طبيعة الشيء	لوحة تذكارية
المقاسات	إر=140سم/ع=270سم/
مادة الصنع	الرخام
المصدر	فوق المحراب
التاريخ	/
طبيعة الكتابة	إستهلالات دينية
نوع الخط	ثلث
عدد الأسطر	أربعة
عدد الأشرطة	إثنين
مكان الحفظ	جامع صالح باي بعنابة
حالة الحفظ	جيدة

النص :

ويمكن قراءته على النحو الآتي :

1- في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيه إسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال /

2- لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة /

3- لاإله إلا الله (تتوسطها زخرفة) محمد رسول الله /

4- الله (يتوسطها قوس المحراب) محمد/

- **الوصف :**

لوحة من الرخام تعلو المحراب يحمل كتابة عبارة عن آية قرآنية وكذا إستهلالات دينية عرضها 2.76م وارتفاعها 1.40م ، جاءت في أربعة أسطر بداخل شريطين مختلفي المقاسات ، نقشت بدخلها كتابة بخط الثلث المغربي وباللون الأصفر الذهبي على أرضية بيضاء وقد نفذت بأسلوب الحفر البارز على أرضية خالية من الزخارف ، وهي تتكون من آية قرآنية[1] ، وكذا الشهادتان وعبارة "الله محمد" . (أنظر الصورة رقم 106) .

---

[1] – قرآن كريم ، سورة النور ، الآية 36.

– بطاقة تعريفية بالخط والكتابة :

لقد استعمل الخطاط في هذه اللوحة خط الثلث المغربي وقد نفذه بأسلوب الحفر البارز ، وتتميز هذه الكتابة بوجود نقط الإعجام وخطها واضح لكن ليس فيه لمسة فنية أو لا يوحي بالجانب الجمالي للمتمعن بالنظر فيه ، كما نلاحظ وجود بعض الزخارف البسيطة في السطر الثالث وهي تفصل الشهادتان عن بعضهما البعض وهي عبارة عن مروحة نخيلية بسيطة .

أما عن الكتابة فإن كل حروف الآية كتبت بخط صغير ماعدا الألف واللام وكلمة "في" في بداية الآية ، أما كتابة السطر الثالث والرابع فقد كتبت بخط أكبر من السطر الأول والثاني اللذان يتضمنان الآية القرآنية .

– شرح الأعلام :

لم يرد في النص أية أسماء سواء لأعلام أو أماكن .

– الصيغ الواردة في النص :

ورد في هذا الشاهد مجموعة من الصيغ نذكرها فيما يلي :

– آية قرآنية :" في بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيه اسمه يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة " .

– الشهادتان (لاإله إلا الله محمد رسول الله).

– القيمة الأثرية والتاريخية للكتابة :

تميزت الكتابة من الناحية الفنية بدقة الصنعة لكن الجانب الجمالي نلاحظ بأنه ناقص نوعا ما ، وقد استعملت هذه التقنية (الكتابة على الرخام) منذ فترات قديمة ، حيث انتشرت في مختلف البقاع في العالم الإسلامي .

أما عن مضمون الكتابة فقد جاء عبارة عن آية قرآنية تتحدث عن المساجد وعن عباد الله الصالحين المتقين ، وكذا الشهادتان .

- **التحليل الأبجدي للحروف :**

الحرف	في أول الكلمة	في وسط الكلمة	في آخر الكلمة	منعزلا
الألف				
الباء – التاء –الثاء				
الجيم–الحاء– الخاء				
الدال – الذال				
الراء _ الزاي				
السين – الشين				
الصاد – الضاد				
الطاء – الظاء				
العين – الغين				
الفاء – القاف				
الكاف				
اللام – لام ألف				
الميم				
النون				
الهاء				
الواو				
الياء				

الكتابة : 02

رقم الجرد	/
طبيعة الشيء	لوحة تأسيسية
المقاسات	إر=30سم/ع=80سم/
مادة الصنع	الرخام
المصدر	خلف الجامع (شارع بوروغة)
التاريخ	1206هـ
طبيعة الكتابة	تذكارية تخليدية
نوع الخط	نسخ
عدد الأسطر	خمسة
عدد الأشرطة	خمسة
مكان الحفظ	جامع صالح باي بعنابة
حالة الحفظ	متوسطة

النص :

ويمكن قراءته على النحو الآتي :

1- لعمرك بيت الله للسر جـــــامع مشيد الأركان به النور ساطع

2- بدت دونه زهرة الكواكب رفعـــة به بونة للسعد منها طـــــالع

3- به جاء تاج الدين والمجد صـــالح إلى درج العلياء راق وطـــالع

4- أمير البرايـــــا زاد ضفرا ونصرة مؤيد دين الحق للشرع تـــابع

5- فمذ أسس البيت الرفيع على الهدى اارخه للخير بربك جـــــامع

سنة 1207

- **الوصف :**

لوحة من الرخام مستطيلة الشكل نجدها في الجدار الخلفي للجامع والمطل على شارع بوروغة يحمل كتابة تأسيسية عبارة عن أبيات شعرية عرضها 80سم وارتفاعها 30سم ، جاءت هذه القصيدة في خمسة أسطر خمسة خراطيش ذات مقاس موحد ، نقشت بدخلها كتابة بخط النسخ باللون الأسود على أرضية تميل إلى الأصفر ، وقد نفذت الكتابة بأسلوب الحفر الغائر على أرضية خالية من الزخارف ، يحيط بكل شطر منها إطار زخرفي ، كما توجد ما بين البيت الأول والثاني والبيت الرابع والخامس مسامير ذات رؤوس منتفخة ومضلعة ، كما توجد زهور مرسومة في المساحة المتبقية بين الأسطر التي لا تتوسطها مسامير. (أنظر الصورة رقم 100).

– بطاقة تعريفية بالخط والكتابة :

لقد استعمل الخطاط في هذه اللوحة خط النسخ وقد نفذه بأسلوب الحفر الغائر ، وتتميز هذه الكتابة بوجود نقط الإعجام وخطها واضح ويتميز بدقة الصنعة ، كما نلاحظ وجود بعض الزخارف التي تفصل بيت الأشرطة .

أما عن الكتابة فيلاحظ أن الفتحة طويلة والسكون صغير وهمزة الكاف مرتفعة في كلمة "برك"، ونلاحظ كذلك استدارة ذيل العين والجيم والحاء الأخيرة في عبارات "جامع" تاج" " صالح" ، وكتابة التاء المربوطة في كلمة "بونة" ورفعة برفعين.

ومن ناحية الأخطاء اللغوية جمعها بورويبة معتمدا على دراسة قام بها جورج مارسيه على هذه الكتابة[1].

ففي السطر الثالث كتب النقاش "العلياء" عوض العلياء" ، و"طالع" عوض "مطالع" ، وفي السطر الخامس "فمذ" عوض" فمدً" ، "أسس" عوض "أساس" ، "أأرخ" عوض "أأرخ" و"برك" عوض "برك".

– شرح الأعلام :

ورد في النص اسم صالح باي وقد سبق التعريف به . كما ورد كذلك اسم مدينة بونة والمقصود بها عنابة[2].

– الصيغ الواردة في النص :

ورد في هذا الشاهد مجموعة من الصيغ نذكرها فيما يلي :

– مدح المدينة (بدت دونه زهرة الكواكب رفعة به بونة للسعد منها طالع)

– مدح صالح باي (أمير البرايا زاد ضفرا ونصـــــرة مؤيد دين الحق للشرع تابع)

– ذكر المشيد أو المنشئ : (به جاء تاج الدين والمجد صالح).

– ذكر تاريخ التأسيس أو التشييد : (اارخه للخير بربك جامع سنة 1207).

– القيمة الأثرية والتاريخية للكتابة :

تميزت الكتابة من الناحية الفنية بدقة الصنعة والجمال الفائق ، وقد استعملت فيها أيضا تقنية الكتابة على الرخام ، وقد تحدثنا عليها سابقا .

– هذه اللوحة عبارة عن كتابة تأسيسية ويستعمل مثل هذا النوع من النصوص عند الإنتهاء من تشييد المبنى وهذا وفقا لكلمة "أسس" ، تضمنت هذه اللوحة أبيات شعرية لمدح مشيد الجامع ألا وهو صالح باي وكذا لذكر حبه لفعل الخيرات آية قرآنية تحث على العمل الصالح والصلاة ، ومن خلال هذه الكتابة يظهر اسم صالح باي وكذا مدح المدينة التي شيد بها هذا الجامع وذكر تاريخ التأسيس أو تاريخ الانتهاء من أشغال بناء الجامع التي كانت في سنة 1207هـ/1793م .

[1] – رشيد بورويبة ، الكتابات الأثرية ، المرجع السابق ، 1979 ، ص209.

- **التحليل الأبجدي للحروف :**

الحرف	في أول الكلمة	في وسط الكلمة	في آخر الكلمة	منعزلا
الألف				
الباء – التاء –الثاء				
الجيم–الحاء– الخاء				
الدال – الذال				
الراء _ الزاي				
السين – الشين				
الصاد – الضاد				
الطاء – الظاء				
العين – الغين				
الفاء – القاف				
الكاف				
اللام – لام ألف				
الميم				
النون				
الهاء				
الواو				
الياء				

IV- الزخارف الحيوانية :

تعتبر الزخارف الحيوانية في الفترة الإسلامية قليلة مقارنة بالفنون القديمة حيث لم تستعمل إلا في نطاق ضيق وبأسلوب محور ، يرجع السبب في ذلك إلى كراهية الإسلام لتصوير الكائنات الحية وفقا لما جاء في بعض الأحاديث الشريفة .

لم يرد هذا النوع من الزخارف إلا في بلاطة واحدة تكسو جدران الأروقة في الطابقين الأرضي والأول بالمدرسة الكتانية وتتمثل هذه الصورة في كلبين ينقضان على حيوان آخر لا تبدو ملامحه بسبب التحوير ، وقد أضفى عليها الفنان بعض الواقعية على رسوم الكلاب المنفذة على هذه البلاطة مما جعلها في وضع حركة ، حيث قام بتقديم بعض أرجل هذه الكلاب وتأخير أخرى ، مع مراعاة النسب التشريحية في رسوم الكلاب في الأجزاء السفلية والعلوية وقد استعمل الفنان اللون الأبيض لتلوين أجساد الكلاب ، كما نقطها باللون الأسود (الشكل 22-و-).

استعمل أيضا عنصر لقواقع البحرية على مواد مختلفة حيث نجدها مشكلة على الجص في حنيات المحاريب في جل المنشآت المدروسة وفي مناطق انتقال القباب ، ومن المعروف أن القواقع والصدف من العناصر التي كثر استعمالها في الفن الأوروبي في طراز الباروك والركوكو ، ويرجع أصلها إلى الحضارات القديمة ، حيث كان معروفا في الفن البيزنطي ومنه انتقل إلى الفن الإسلامي[1] .

كما نجد عنصر قشور السمك مستعمل في بعض البلاطات الخزفية الإيطالية الصنع في دار بن جلول وكذا في قبيبة محراب جامع سيدي الكتاني وواجهته العلوية داخل بعض البوائك وفي رقبة القبة التي تتقدم المحراب ، فعنصر السمك أو أجزاء منه كان معروفا عند الفراعنة ، ثم انتقل إلى الفنون المسيحية وأصبح رمزا من رموزها ، وهي تعني التجديد والخير والعيش الرغيد ، كما عرف الفنان المسلم هذا العنصر الزخرفي وظهر على تحف عديدة بداية من الفترات الأولى[2] .

---

[1]- محمد عبد العزيز مرزوق ، الفنون الزخرفية ، المرجع السابق ، ص55-58.أنظر أيضا :

- عاصم محمد رزق ، معجم ، المرجع السابق ، ص126-127.

[2]- محمود إبراهيم حسين ، الفنون الإسلامية ، الفنون الإسلامية في العصر الفاطمي ، دار غريب للطباعة والنشر ، القاهرة 1999 ، ص148-149.

V – الزخارف الرمزية :

تعتبر العناصر الرمزية فنا قائما بذاته إذ شاعت منذ القديم في المجالات الدينية والأدبية وهي تشكل للتعرف على الأشياء المعنوية وتجسد على صورة تمثال أو إشارة أو علامة أو نحو ذلك مما يدل على المعنى.

وقد وجدت الرموز الأولى على الآثار الصينية حيث كانوا يجهلون علم الكتابة إذ اصطلحوا إشارات خاصة تدل على أمور تاريخية أو معنوية ، ويعتبر العقد أول الرموز التي استعملت فكانوا يعقدون الخيوط أو الحبال على هيئات مختلفة وكانت تستعمل في الحسابات المختلفة [1] ، ومن خلال زيارتنا للمدرسة والمقبرة الكتانية لاحظنا قلة العناصر الرمزية ونجدها متمثلة في :

1– القلب :

الذي توسط كل ضلع من المربعات الهولندية وهذا الأخير يرمز إلى الحياة والاستمرار وحيوية الزخارف بالنسبة للفنان الأوروبي .

وقد رسم القلب ضمن عناصر هندسية جامدة يبدوا كأنها زهرية شديدة التحوير ، لهذا فقد وجد الفنان في رسم أشكال القلوب نوعا من إزالة تلك المسحة الهندسية الجامدة عن موضوع الشكل.

2– الهلال :

ظهر عنصر الهلال في الفن الجزائري كعنصر فلكي رمزي ، ونجد الهلال كعنصر لايستغنى عنه في زخرفة المباني الدينية بالجزائر خلال العهد العثماني إضافة إلى استعماله في تزيين العديد من التيجان [2].

ففي المدرسة والمقبرة الكتانية قد استخدم الهلال في تيجان الأعمدة المطلة على الصحن في الطابقين الأرضي والعلوي وكما نجده في بوابة المقبرة إضافة إلى وجوده في شاهد قبر صالح باي (الصورة 57) كما نجذه في مدخل الجامع (الصورة 04) ، أما في جامع صالح باي فيتوسط الهلال نجمتين ثمانيتي الأضلاع وهو على شكل نصف دائري كما يظهر مغلقا تقريبا على اللوحة الرخامية التي تعلو المحراب محتضنا نجمة ، وكذلك يوجد في أعلى المئذنة والقبة الرئيسية والبرج وفي الإطار الذي يعلوا المدخل الرئيسي للجامع . كما نجد هذا العنصر في بعض شواهد ضريح سيدي محمد الغراب الحديثة الصنع .(الشكل 18).

لقد ظهر عنصر الهلال منذ القديم كشعار عقائدي عند البيزنطيين ، أما في الفن الإسلامي فأقدم نماذجه ترجع للفترة الأموية حيث ظهر على السكة العربية الساسانية أيام عبد الملك بن مروان 75هـ/695م . إضافة إلى ظهوره كزخرفة في قبة الصخرة 72هـ/691م ، وتواصل نقشه في السكة العباسية أيضا [3].

---

[1]– بطرس البستاني ، الرمز ، عن دائرة المعارف ، مجلد8 ، مطبعة المعارف ، بيروت لبنان ، 1988 ، ص688.

[2]– خيرة بن بلة ، المنشآت الدينية ، المرجع السابق ، ص369.

[3]– عبد العزيز مرزوق ، المرجع السابق ، ص54.

أما بالنسبة للدولة العثمانية فهو يمثل الإمبراطورية العثمانية فقد تبنته كشعار رسمي لنظامها وكذا الأقاليم التابعة لها، ويعتقد بعض العلماء وعلى رأسهم عبد العزيز مرزوق أنه أثناء وقوع الحرب بين العثمانيين والإيرانيين استدل المنجمون على انتصار الترك وهزيمة الفرس ، ذلك أنه قبل المعركة بيومين كسفت الشمس حيث أن هذه الأخيرة تمثل شعار الفرس قد كسفت أمام الهلال والذي يمثل شعار العثمانيين[1] ، وبذلك اتخذ الهلال شعار لهم وظهر على المباني والمساجد كما ظهر على الرايات الحربية العثمانية ، فقد تفنن الفنان المسلم في رسمه ونقشه على التحف وكذا على واجهات المباني العثمانية في الجزائر سواء كانت في العمارة الدينية والمدنية مثل شواهد القبور وكذا التيجان وغيرها [2].

والهلال هو رمز السلطة الإسلامية حيث جعل المسلمون الهلال رمزا للإسلام في مقابل الصليب الذي اتخذه المسيحيون رمزا للمسيحية ، كما كانوا يستبدلون الصليب بالهلال عند كل فتح لمنطقة جديدة حيث كان المسلمون يستعملون الهلال في الحساب القمري وبه يستدل على بعض التواريخ كالحج وبداية ونهاية شهر رمضان.

لقد حاول الفنان اتخاذ من الهلال هيئات وأشكال مختلفة ، فأحيانا نجده على شكل نصف دائرة ، وأحيانا يظهر مغلقا تقريبا ، وإما أن يكون مضاعفا وأحيانا بسمك غليظ وشديد التحوير ، كما يظهر مرفوعا على بند ويظهر هذا العنصر الزخرفي إما وحده وإما أن ترافقه نجمة خماسية أو سداسية الأضلاع . إن الهلال في الإسلام هو رمز للانبعاث والقيامة ، أما مرافقته بنجمة في باب المقبرة هو رمز أو صورة للجنة [3].

و نجد عنصر النجمة في (الشكل 23-أ-) و(الصورة 49) في محراب قاعة التدريس بمدرسة سيدي الكتاني وهي عبارة عن نجمة ثمانية داخل دائرة . وقد وجد الهلال في تيجان الأعمدة الرخامية المطلة على الصحن ودار بن جلول ،كما نجده أيضا عند مدخل السلم الصاعد إلى الطوابق العلوية التي احتوت أيضا عقود مداخلها وأبوابها الرخامية على الهلال المتجه إلى الأعلى وفي أسفله ورقة الأكنتس .

3- النجمة :

استعملت النجوم في الجانب الزخرفي قبل الإسلام ، ولكن التوظيف الحقيقي لها جاء مع المسلمين حيث نجدها قد استعملت في عدة أماكن من المنشآت المدروسة فنجدها مثلا في في القسم العلوي من الباب لبيت الصلاة في جامع الباي وعلى الباب المؤدي إلى ملحقة بيت الصلاة توجد النجمة الثمانية الرؤوس وعلى اللوحة الرخامية التي تعلو المحراب توجد النجمة الخماسية الرؤوس وهذه الأخيرة كثر استعمالها في الزخارف العثمانية ، ويرجع ذلك إلى ما تحمله من دلائل ومعان خاصة منها الدينية .

---

[1] -محمد عبد العزيز مرزوق ، الفنون الزخرفية الإسلامية في العصر العثماني ، المرجع السابق ، 31.

[2] – -علي خلاصي ، خلاصي علي ، قصبة الجزائر القلعة وقصر الداي ، 1985، ص342-343.

[3]- Moreau(J.B) ,Les grands symboles meditrrancens dans la poterie algerieune Alger , 1977 , P.134.

كما نجد النجمة الثمانية الرؤوس تزين الحشوة السفلى من دفتي الباب الخشبي بالمدخل الرئيسي بالإضافة إلى النجمة المتواجدة في سقف بيت الصلاة ، كما نجد نجمة ذات ستة رؤوس زين مركزها بثمار وزينت المعينات الستة الناتجة عن تقاطع الخطوط بشكل نباتي .

فهناك من يرى أنها تمثل الاتجاهات الخمسة للعالم *، كما أن أضلاعها الخمسة تعبر عن اليد وهي رمز لحماية المكان والإنسان من عين الحسود .

وهي رمز الخلود والحياة المتجددة ، والسبب في ذلك أنه يمكن رسم شكله انطلاقا من نقطة معينة بخط واحد دون نزع اليد للوصول إلى نقطة الانطلاق ، كما أنها تعبر عن الأركان الخمسة للإسلام .

ونظرا للمكانة التي احتلتها هذه النجمة لدى المسلمين الأتراك فقد احتفظوا بها وأضافوا لها الهلال وأصبحت شعار رايتهم .

4- قرون الرخاء :

يسمى قرن الرخاء أو الخصب أو الوفرة ، وهو قرن ماعز معوج يفيض فاكهة وثمارا وسنابل قمح استخدمه الفنان كصيغة زخرفية يرمز بها للرخاء والخصب ، وتروي الأسطورة أن الحورية أماليثيا كانت قد أرضعت الطفل زيوس لبن عنز حين أرسلته أمه عقب مولده إلى جزيرة كريت ، ويقال إن زيوس كان قد تعلق بأحد قرني العنزة فانكسر وعوضها عن ذلك بأن مسح على ضرعها فأصبح نديا لا ينقطع دره على حالبها وقد قضى زيوس بأن يترع هذا القرن بكل ما تهفو إليه نفس صاحبه ، وقد كثر استخدامه في الفن البيزنطي منذ الفترات الأولى وانتشر في بلاد الشام ومصر ، ومنه انتقل إلى الفن الإسلامي ليظهر على واجهة قصر المشتى[1] .

ونجد هذا العنصر في البلاطات الخزفية الإيطالية المتواجدة في محراب جامع سيدي الكتاني وكذا في المقبرة العائلية لصالح باي .

VI- الألوان :

عرف الإنسان منذ أقدم العهود تحضير الألوان لتزيين أعماله المختلفة ، وقد اهتدى إلى استخراجها من النباتات والمناجم ونقصد بها اللون الأخضر والأرجواني والأصفر الذهبي والعناية التي أوليت للأوان ترجع أساسا إلى دورها الجمالي المحض والمتمثل خصوصا في ضيائها وبهائها الشيء الذي يكسبها قيمة فنية عالية .

---

*- المقصود بها : الشرق والغرب والشمال والجنوب بالإضافة إلى المركز.

[1] - حسن علي حمودة ، المرجع السابق ، ص95.

يستعمل اللون لذاته ولقيمته الجمالية الخاصة بحيث أنه يؤثر على النفس فتحدث فيها إحساسات بعضها يوحي بأفكار تريحنا وتطمئننا والأخرى العكس ، إذ أنه يبعث في نفوسنا الفرح كما يبعث الحزن والكآبة [1] .

كما استعمل اللون استعمالا رمزيا أو لمحاكاة النموذج وإبراز طبيعته وحجمه في المكان ، و في أغلب الأحيان يكون استعماله بقصد تصوير الواقع [2].

كما لا ننسى اللون الأبيض الذي يرمز للطهارة والنقاء ، أما اللونين الأصفر والذي استعمل بكثرة في زخرفة محراب جامع سيدي الكتاني فهو يرمز للأمل والحياة والخصوبة كما أنه يماثل لون الشمس ومعدن الذهب ويرمز إلى السيادة و اللون الشائع في المنشآت المدروسة هو اللون الأزرق خاصة إذا ماتعلق الأمر بالبلاطات الخزفية ، فقد احتل المرتبة الأولى مقارنة مع الألوان الأخرى ونحن نعلم أنه لكل لون رمز ، فهذا اللون يذكر بالسماء ويوحي و يرمز للحكمة و التأمل ، تم الإقبال عليه بكثرة حتى أنه اقترن بالفن الفارسي والعثماني –لون خزف آباد– [3]، و قد كان اللون الأزرق لدى الحكام العثمانيين حيث استعملوه في أنسجتهم خاصة ألبسة الأمراء ، ونظرا لقيمة هذا اللون لديهم جسدت الدول الأوروبية هذا الذوق في المربعات الخزفية ، ويلي اللون الأزرق اللون المغنيزي الذي يرمز للعظمة و الحب والحكمة ، لأنه مزيج بين الأحمر و الأزرق.

عند بعض الشعوب الأخرى كالصينيين[4] ، أما اللون الأخضر والذي استعمل خاصة في مجال التسقيف ، يعتبر أكثر الألوان تقديسا عند المسلمين اقترن بالطبيعة فقد كان يرمز إلى النمو والخصوبة ولون الربيع كما يرمز أيضا إلى الأمل والطموح [5].

---

[1] –أبو صالح الألفي ، الفن الإسلامي ، المرجع السابق ، ص105.

[2] – عبد القادر دحدوح ، المرجع السابق ، ص805.

[3] – حسن علي حمودة ، المرجع السابق ، ص95.

[4] – محي الدين طالو ، الرسم واللون ، دمشق ، 1961 ، ص172.

[5] - Arseven (C.E.) , Op.cit , p .90.

VII- شواهد القبور :

اهتم الإنسان منذ فترة ما قبل التاريخ بتشييد المدافن حيث وجدت أشكال مختلفة ومتنوعة واستمروا على ذلك في العصور القديمة فكان ابتكار العمارة الجنائزية عند المصريين وكذا الإغريق والرومان.

- كما انتشر أيضا استعمال شواهد القبور في ربوع العالم الإسلامي انطلاقا من المشرق في العصرين الأموي والعباسي ثم انتقل إلى المغرب مع العرب الفاتحين .

- ويرجح أن يكون شيوع استعمال شواهد القبور في العالم الإسلامي إلى أثر حركة السفر التي كانت نتيجة طبيعية لرغبة العرب ممن رحلوا عن ديارهم ونزلوا أرضا جديدة في التعريف بأنفسهم بعد الوفاة ، وهي رغبة كثيرا ما تتملك نفس المغترب [1].

- إن هذه الظاهرة استعملت عند العرب في الجاهلية [2] ، أما في المغرب فقد عرفت تأخرا في الظهور ، ويرى ليفي بروفنسال (livi provinsal) أن أهل المغرب رأو في استعمالها خروجا عن روح الإسلام فلم يهتموا بها ولم يكن في لهجتهم كلمة تدل عليها ، عكس الأندلسيين فقد اهتموا بها وأطلقوا عليها كلمة "التأريخ" .

وبالرغم من هذا الرأي إلا أن المغاربة عرفوا استعمال شواهد القبور منذ فترات قديمة ، فقد اكتشفت عدة شواهد قبور تعود للفترة الإسلامية المبكرة ، خاصة عصر الولاة وكذا عصر الأغالبة كما نجد شواهد عثر عليها في مراكش والقيروان وقلعة بني حماد [3].

إلا أننا نستطيع تحديد عامل انتشار استعمال الشواهد على مدى تحضر وتمدن الشعوب وتطورها الحضاري والثقافي والعقائدي والمذهبي الديني ، والرقعة الجغرافية الموجودة بها حيث أنها تنتشر أكثر في المدن والحواضر وتنعدم في القرى والأرياف لطابعها البدوي [4].

الشواهد تقام عند رأس المدفون وهي عبارة عن ألواح مستطيلة الشكل ، كانت في بادئ الأمر تصنع من مادة الحجر البسيط ثم استبدلت فيما بعد بمادة الرخام والحجر الجيد ، وفي العصور الأخيرة استعملت مادة الخشب .

---

(1)- إبراهيم جمعة ، دراسات في تطور الكتابات الكوفية على الأحجار في مصر في القرون الخمسة الأولى للهجرة ، دار الفكر العربي ، 1969 ، ص83.

(2)-أقدم شاهد قبر جاهلي لامرئ القيس بن عمر المعروف بنقش النمارة ، مؤرخ في سنة 237م.

(3)- محمد عبد العزيز مرزوق ، الفنون الزخرفية الإسلامية في المغرب والأندلس ، دار الثقافة ، بيروت لبنان ، د.ت ، ص147.

(4)- عبد الحق معزوز ، تطور الخط الكوفي بالجزائر على الحجر والرخام والخشب والجص منذ القرن(2هـ/8م إلى 8هـ/14م) دراسة أثرية فنية ، رسالة ماجستير ، 1995-1996 ، ص290.

تثبت القطع الشاهدية في شكل عمودي يغرس ويغطى جزئها السفلي في التراب ، وهو خال من أية زخرفة ويبقى الجزء الأكبر فوق التراب يملأه الفنان بمختلف الزخارف وفي العهد العثماني أصبح الاهتمام أكثر بالشواهد فكان النص الكتابي ينقش على الوجه وهذا ما سنتعرض له (الصورة 94).

– لقد تنوعت الشواهد المتواجدة بمقبرة صالح باي ونجد منها :

أ– الشواهد المصنوعة من مادة الخشب : وهي على شكل دائري تغطيها من الأعلى ورقة أكانتس ومدعومة من الجهة السفلية بقطعتين من الخشب ، ويكون مغروسا في القبر ، وأحيانا نجد شاهدين في القبر الواحد (واحد في الرأس وآخر في القدمين).

ب – الشواهد المصنوعة من الجص : ولها نفس شكل الشواهد الأولى ، ولكن الاختلاف في مادة الصناعة .

ج– الشواهد المصنوعة من الرخام وهي على نوعين :

1– ذات الشكل المستطيل : وتنتهي بهلال ونجدها في شاهد واحد بمقبرة صالح باي ، كما نجد لها شكل مماثل في شواهد قبور ضريح سيدي محمد الغراب ، وهي عبارة عن ألواح مستطيلة تضيق في الأعلى ليتوضع عليها الهلال ، زخرفت جوانب بعض هذه القطع بشريط زخرفي . ونقشت النصوص الكتابية داخل خراطيش مدببة الجوانب . (الصورة 57).

2– ذات العمامة : هذا النمط يختلف عن بقية الأنماط الأخرى ، حيث نحتت هذه المجموعة من مادة الرخام فقط في شكل أعمدة مضلعة أو أسطوانية ، يحمل كل عمود فوقه عمامة مزخرفة بطيات مائلة أو أفقية متوازية ، ونجد هذا النمط يتكون من قطعتين مركبتين ، تنحت كل واحدة على حدا ثم تلتصق مع الأخرى ، فالبدن ينتهي في الأعلى برقبة أسطوانية بارزة ، توضع عليها العمامة بعد أن ينقش تجويف على هذه الأخيرة (الصورة 69).

–العمود الأسطواني هو أول وأقدم شاهد عثر عليه بضواحي بسكرة ، عرف هذا النوع استعمالا واسعا وازدهارا كبيرا في القيروان أثناء الحكم الزيري [1] ، وبعدها اختفى في العصور اللاحقة ليظهر ثانية على شكل أعمدة مضلعة تحمل عمامة .

إن العمامة أهم أغطية الرؤوس في العالم الإسلامي وأكثرها انتشارا إذ لا تخلوا دولة إسلامية من لبس نوع أو أكثر من العمائم [2] ، لدرجة أنها كانت تعد لواء لإرهاب العدو وذلك قبل مجيء الإسلام [3].

---

(1)– خالد مولود ، النقائش و الكتابات العربية "النقائش العربية بإفريقيا وتطورها من القرن الثالث إلى نهاية النصف الأول من القرن السادس هجري" ، المنظمة العربية للثقافة والعلوم ، تونس ، 1988 ، ص ص39–52.

(2)–اللواء إبراهيم فحام ، أغطية الرؤوس في العالم العربي ، عن "مجلة الدوحة" ، ع81 ، قطر ، 1982 ، ص 116 .

(3)– زهير أحمد ، رايات العرب والمسلمين ، عن مجلة المورد ، العراق ، م15 ، ع3 ، 1976 ، ص 116.

أما عن أصل العمامة فهو قديم حيث كانت منذ أقدم العصور رمز للباس التقليدي الشرقي الذي يوضع على الرؤوس[1] . أما في الفترة الإسلامية المبكرة فإن الرسول صلى الله عليه وسلم كان يعرف بها وتعرف "بالسحاب" وبعد وفاته أعطاها للإمام علي كرم الله وجهه [2] .

استعملت العمامة في المغرب الإسلامي بعد استقرار الإسلام والثقافة العربية ، وكانت تلبس من طرف الرجال الذين لهم مكانة في المجتمع ، فكانت بمثابة علامة فارقة بينهم ، وفي القرن الثالث الهجري /التاسع الميلادي كان طلبة القيروان وأساتذتهم يلبسونها بكل فخر ، أما في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي كان عبيد الله المهدي الفاطمي وأتباعه يضعون عمامات من الحرير تكون من نفس لون اللباس [3].

كانت العمامة هي السمة المميزة للفترة العثمانية سواء في تركيا أو الولايات التابعة لها ، كما يمكننا أن نجد العمامة في أماكن مختلفة في لوحات القرن الخامس عشر والسادس عشر في أعمال الفسيفساء وأعمال النحت وأعمال فنية أخرى تزين واجهات القصور والمساجد وغيرها من المؤسسات [4].

أما عن العمامات التي كان يرتديها الرجل الجزائري في العهد العثماني فكانت عبارة عن شريط طويل وضيق من نسيج الكتان أو الحرير تبين مكانة لابسها الاجتماعية ، فكانت تلبس من طرف الحكام والأغنياء والعلماء والفقهاء ، وتختلف عمامة الحكام نوعا ما عن عمامات الآخرين ، إذ كانت مسطحة قليلا وهي عبارة عن لفائف أسطوانية الشكل تلف حول الشاشية الحمراء اللون . أما ذوي المراكز العالية فيلبسون عمامات مجهزة مسبقا تكسي الرأس دون أن تغطي الرقبة ، ويكون النسيج الذي يغطي الشاشية ملفوفا بطريقة التطابق الأفقي بحيث تظهر هذه الأخيرة من فوق[5].

---

[1]-إلدا ريكازولي ، العمامة في موضة البندقة، عن مجلة المشرق ، مركز العلاقات الإيطالية العربية ، روما، إيطاليا العدد 2-3 سبتمبر 1993 ، ص29.

[2]- Dozy , Op.cit , P.305.

[3]- Marçais (G) , Les costumes Musulman d'Alger collection du centeaue , 1983 P . 77.

[4]-إلدا ريكازولي ، المرجع السابق ، ص30.

[5]- محي الدين طالو ، المرجع السابق ، ص276.

نفس الشيء ينطبق على شواهد قبور مقبرة صالح باي فنجد فوق بعض القبور مجسمات على شكل عمائم ، كل عمامة ترمز لصاحب القبر أو لمكانته الاجتماعية فمثلا نجد قبر بعمامة المفتي والقاضي وقبور أخرى بعمامات العلماء الذين درسوا بالمدرسة وغيرها ، والشيء الملفت للانتباه هو وجود شكل العمائم في جامع سيدي الكتاني بغرض الزينة موجود في الدرابزين الرخامي الذي نصعد بواسطته من الطابق الأرضي إلى الطابق الأول (أنظر الصورة رقم 08-20-ب-)، وهي بنفس الشكل ، كما توجد أمثلة أخرى متواجدة بنفس الشكل وهي في أعلى زوايا السقف من الخرج وعددها أربعة أي في الزوايا الأربعة للسقف ، وهي مطابقة لما هو موجود في المسجد ، وهذه العمامة ترمز لصاحب المنشأة أو الباي وهو صالح باي (أنظر الصورة رقم 20-أ-).

الفصل الثاني:

مواد البناء وطرق الزخرفة

1- مواد البناء وتقنيات استعمالها

2- أساليب الزخرفة وتقنياتها

I- مواد البناء وتقنيات استعمالها :

استعمل في العصر العثماني مواد بناء متنوعة في تشييد المؤسسات الدينية أو المدنية أو العسكرية ، ولذلك كان الاهتمام شديدا بمواد البناء التي تنوعت واختلفت باختلاف المنشآت المستعملة فيه ، وكانت مواد البناء التي شيدت بها منشآت صالح باي هي نفس المواد المستخدمة في نفس العصر وهي : الآجر والرخام والنحاس والبرونز والحديد بالإضافة إلى المواد الطينية المتحولة كالآجر والخزف والزليج والملاط والخشب والنحاس.

1- الآجر :

-تعريفه :

يقال الأجور والياجور والآجرون والأجر الآجر بضم الجيم وتشديد الراء ، طبيخ الطين[1] ، وهي كلمة فارسية واللفظة آرامية (أغور)، معرب معناه اللبن إذا طبخ[2] .

إن الآجر يستخرج من الطينة ، فالطينة هي أقدم مادة استخدمها الإنسان في صناعة مواد مختلفة أبرزها الآجر بالإضافة إلى الطوب والقرميد والبلاطات الخزفية وهو من أقدم مواد البناء وأكثرها استعمالا ، يدخل في تركيبه مجموعة من الأكاسيد كالكلسيوم والمغنزيوم ، له خاصية الصلابة وخاصة بعد الحرق.

تعتبر مادة الآجر من أقدم المواد الاصطناعية المستخدمة من طرف الإنسان عبر العصور في البناء ، وهو واسع الانتشار كعنصر حامل ومحمول فضلا عن جمال مظهره وأهميته كمادة عازلة للحرارة ، وتوفر مادته وهي الطينة الحمراء غير مسامية محروقة حرقا شديد الصلابة [3].

-صناعته :

والآجر مادة سهلة التفتت والكسر قبل عملية الحرق وهي عبارة عن طينة معالجة تحكم جيدا أثناء عجنها وتجفيفها لتصبح بعد ذلك مادة صلبة ومتماسكة في نفس الوقت [4] .

حيث يتم صنعه من الطين المعالج ويشكل بواسطة قوالب خاصة .وبعد مرحلة التشكيل تجفف هذه القطع ثم تفخر للحصول على قطع صالحة للاستعمال بعدما تصبح صلبة ومتينة[5].

والآجر يقولب بواسطة قوالب خشبية تختلف مقاساتها من منطقة لأخرى ، حيث يكون طول الآجر يساوي ضعف عرضه ، وعرضه يساوي ضعف سمكه وهذه القاعدة ثابتة نوعا ما [6] .

---

[1]- أبي فضل محمد ابن منظور ، المصدر السابق ، م4 ، ص11.

[2]- بطرس البستاني ، الآجر تعريفه واستعماله ، دائرة المعارف الإسلامية ، بيروت لبنان ، م1 ، 1956 ، ص77.

[3]- عبد العزيز لعرج ، المباني المرينية ، ج2 ، المرجع السابق ، ص639.

[4] – عبد الحميد سعد زغلول ، العمارة والفنون في دولة الإسلام ، دار المعارف ، الإسكندرية ، 1986 ، ص277.

[5]- Ricard.(P.) , Op.cit , p.91-92.

[6] – نقاش نقلا ، الآجر ، دائرة المعارف ، الإسكندرية ، 1986 ، ص277.

وقد ضبطت صناعة الآجر قوانين كان يشرف على تنفيذها المحتسب فهو الذي يراقب جودتها ، وكانت هذه القوالب غالبا ما تصنع من خشب صلب ضمانا لبقائها واستمرار صلابتها باعتبارها وحدة قياسية يرجع إليها عند الضرورة.
قال ابن عبدون "يجب أن تكون القوالب وافرة ، وطولها وعرضها وغلظتها معلوم عند المحتسب والصناع " [1] .
تحضر الطينة وتشكل وتقولب ويتعرض الآجر بعد قولبته وجفافه إلى عملية الحرق ، وتتم هذه العملية في أفران تتشكل من قسمين ، السفلي لوضع الوقود ومنه وعبر سقفه المسطح والمفرغ تمر الحرارة إلى القسم العلوي وفي هذا الأخير يوضع الآجر بشكل مناسب يسمح بمرور الحرارة لكل القطع على السواء ، وتبلغ درجة الحرارة اللازمة لشوي الآجر مابين 800إلى 1200درجة مئوية [2] .

-إستخداماته :

لقد استعمل الآجر منذ القدم وفي جل الحضارات القديمة تقريبا ، حيث استعمل في حضارة وادي الرافدين وعند الرومان[3] ، وانتقل إلى العالم الإسلامي حيث بنى به المعمار المسلم مساجد متنوعة كمسجد الكوفة والفسفاط وفي قصر المشتى[4] ، واستخدم بكثرة في الفترة العباسية خاصة في مدينة سامراء وابرز أمثلته نجده في جامعها [5] كما استعمله الطولونيون في بناء جامع بن طولون وكذلك الفاطميون والمماليك[6] .

أما في بلاد المغرب فقد عرف منذ فترات مبكرة جدا فقد وجدت آثاره منذ العهد الأغلبي في مدينة العباسة وكذلك وجدت آثاره في قلعة بني حماد ، لقد زادت مكانته خلال القرنين الخامس والسادس الهجري / الحادي عشر والثاني عشر الميلادي في المباني الدينية والمدنية المرابطية والموحدية ، وذلك بتأثير خارجي عراقي وساساني وأغلب المؤثرات تصل المغرب عن طريق الأندلس[7] .

تعتبر مادة الآجر من المواد الأساسية التي استخدمت في المباني الجزائرية التي تعود للفترة العثمانية وشمل استخدامه جل العمائر الدينية والمدنية وحتى العسكرية وكذا كل المناطق ، ففي الجزائر نجده في أمثلة كثيرة مثل القصور المختلفة وكذا جل المساجد ، حيث نجدها قد استعملت بنطاق واسع في البناء أو الزخرفة في آن واحد واستعمل بكثرة في بناء العقود والحنايا إضافة إلى الدعامات ، ذلك لأنها خفيفة الوزن في حالة استعمالها كعنصر محمول وصلبة في حالة ما إذا لعبت دور العنصر الحامل .

---

[1] – ابن عبدون ، رسالة ابن عبدون في القضاء والحسبة ، مطبوعات المعهد العلمي الفرنسي بالقاهرة ، ص34.

[2] – عمر الأمين ، مواد البناء وتقنياتها خلال القرنين 4-6هـ/10-12م ، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الآثار الإسلامية قسم الآثار ، جامعة الجزائر ، 2001 ، ص34.

[3]- .Marcais(G .) , «Bina», Encyclopédie de l Islam , T1 , Paris , 1975 , P.1264.

[4] – عبد الرحيم غالب ، المرجع السابق ، ص126.

[5] – رؤوف الأنصاري ، المرجع السابق ، ص56-59.

[6]– عبد العزيز لعرج ، المباني المرينية ، ج2 ، المرجع السابق ، ص639.

[7]-Terrasse.(H.), L'Art Hispano-mauresque des Origines au XIII siècle, Paris, 1932.

وفي مدينة قسنطينة استعمل في الجامع الأخضر وزاوية سيدي عبد المؤمن وزاوية حنصالة وقصر أحمد باي ودار الدايخة بنت الباي وفندق الزيت إلى جانب استعماله في الفرناق بحمام سوق الغزل[1] .

وظفت هذه المادة في بناء جامع ومدرسة سيدي الكتاني وكذ في الضريح بالإضافة إلى استعمالها في دار بن جلول أما في مركب سيدي محمد الغراب فنجده في المسجد وكذا في الضريح وفي أجزاء من الحمام المغمور بالمياه ، وفي جامع الباي بعنابه استعمل في بناء الجدران والمئذنة والبرج .

وإلى جانب الوظيفة الإنشائية التي تؤديها مادة الآجر فإنها استخدمت للزخرفة كذلك إلا أنها بنسب قليلة إذا ما قورنت بالوظيفة الإنشائية وهذا نظرا لبساطتها ، فالمعمار الجزائري كان يبحث عن الأبهة والفخامة في منشآته المعمارية ولكن في تطبيقات أخرى جصية أو في عناصر معمارية فنية ، أما عن طرق البناء بالآجر فإنها تعطينا نوعا من التوازن والانتظام والتناسق في البناء وهذا بسبب انتظام المداميك.

– أما المظهر الجمالي الذي ينتج عن طريق البناء بالآجر فإن ذلك يتم عن طريق تنظيمه بالمداميك ، وقد شملت المدرسة في تركيبها المعماري على مادة الآجر وهذا في الحائط ، وللآجر عدة طرق في البناء نذكر منها :

– المداميك المتكررة بالتناوب [2] المداميك العمودية المنتظمة [3] المداميك المائلة السنبلية [4] المداميك المزدوجة [5] .

وبالإضافة إلى هذه الطريقة الرئيسية ، هناك طرق متعددة في تنظيم مداميك العقود لكن لم تكن أكثر استعمالا وانتشارا.

2– القرميد :

–تعريفه :

له نفس خاصية الآجر فهو يصنع من الطينية وهو ذو شكل مسطح نصف دائري أو مستدير مقعر أو محدب في نهايته في عرضي المستطيل إحداهما أصغر من الأخرى ، تتلقى الأكبر منها طلاءا زجاجيا شفاف أخضر اللون يصنع من طينة متجانسة وذات جزيئات دقيقة ومطلي ، حتى تصبح غير مسامية مادام معرضا دائما للأمطار[6] .

---

[1]– عبد القادر دحدوح ، المرجع السابق ، ص658.

[2] – المداميك المتكررة بالتناوب : وتقوم على تكرار المداميك من حجارة غير مصقولة ، ومداميك من الآجر بالتناوب ، وقد استخدمت هذه الطريقة لزيادة تدعيم الحوائط .

[3] – المداميك العمودية المنتظمة : وتقوم على مادة الآجر والملاط ، حيث ينتظم فيها الآجر أفقيا على شكل مداميك متراكبة متكررة بطريقة محكمة.

[4] – المداميك المائلة السنبلية : وتقوم هذه الطريقة على مادتي الآجر والحجارة المصقولة.

[5] – المداميك المزدوجة : وتقوم هذه الطريقة على اشتراك نظامين مختلفين في تنظيم المداميك بالحوائط : طريقة المداميك العمودية وطريقة بناء العقود.

[6] – أندريه باكار ، المغرب والحرف التقليدية الإسلامية في العمارة ، ت . سامي جرجس ، المجلد الأول ، نشر أوتوليه ، 1974 ص508.

– صناعته :

يشكل القرميد بواسطة قوالب معقدة ، تصنع بالجص وهو ذو أشكال مختلفة ، لكنه غالبا ما يكون على شكل نصف قناة مخروطية الشكل ، توضع عند البناء بشكل مقعر ومحدب بالتناوب تثبت بواسطة الملاط.

وهي عملية تتم بالتعاون بين عدة عمال ، حيث تعجن الطينة وتشكل على هيئة أقراص ، ثم تضبط بتمريرها على المرايا ثم تضرب أو تقولب بالقالب ، ويصفف القرميد بجانب بعضه لتجفيفه وإعداده لعملية التسوية [1].

وهناك طريقة أخرى تتم بواسطة الدولاب الخزفي وهو في ذلك يشبه القنوات الفخارية بحيث تخرط الطينة قطعة واحدة بفوهتين إحداهما أصغر من الأخرى ، ثم تقطع طوليا للحصول على قرميدتين كل منهما نصف أسطوانة[2]. وأخيرا يوضع القرميد في الفرن لتسويته ، وأفران التسوية لا تختلف عن أفران الآجر و الزليج . تختلف مقاسات القرميد من منطقة لأخرى كما هو الحال بالنسبة للآجر .

– استخداماته :

إن الغاية من استخدام القراميد هي حماية المبنى من آثار الأمطار وذلك لتجنب انسياب المياه على واجهات المبنى ، لكنها أيضا أداة لتفخيم المبنى وإظهار جماليته ، فيضفي عليه جمالا وثراءا [3].(الشكل 28).

– إن عملية تغطية المباني بالقرميد موغلة بالقدم ، حيث انتقلت إلى المسلمين عن طريق الحضارات القديمة السابقة للإسلام [4] . وفي المغرب الإسلامي استعملت التغطية بالقرميد استعمالا واسعا شمل كل المناطق والدول وخاصة في الفترة المرينية والزيانية ، أما خلال الفترة العثمانية فلم نجد في القصور والمباني المدنية والدينية التي تعود لهذه الفترة على عكس المباني العثمانية الموجودة بتركيا ويعود السبب الحقيقي لذلك هو حاجة السكان إلى السطوح في الوظائف الاجتماعية [5] .

وقد جعل القرميد كمادة جمالية محضة في المباني الجزائرية التي تعود إلى الفترة العثمانية بالدرجة الأولى كما يمنع قطرات المطر من الانسياب في الجدران التي تغطي الأروقة.

---

[1] – أندري باكار ، المرجع السابق ، ص501.

[2]- Olivier(E.) ,Technologie materiaux de contraction , TII ,5eme édition , Paris , 1976, P.17.

[3] – حسن حافظ علوي ، المعمار المبنى بالتراب في حوض البحر المتوسط ، تنسيق .محمد حمام ، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، الرباط ، سلسلة ندوات ومناظرات رقم 80 ، ص59.

[4] – يعتبر القرميد من أقدم المواد والطرق المستعملة في تغطية المباني ، وترجع هذه الطريقة إلى الفترة الإغريقية ، حيث استعملوا القرميد الطيني المحروق والحجارة المسطحة .

[5] – محمد الطيب عقاب ، قصور مدينة الجزائر ، المرجع السابق ، ص153.

استعمل صالح باي القرميد في تسقيف المدرسة الكتانية وهو ذو شكل نصف مستدير مقعر ومحدب أحد نهايتيه أكبر من الأخرى ، وهو ذو لون أحمر .

وقد غطيت كامل مرافق المدرسة الكتانية بهذه المادة التي تساعد على تسرب مياه الأمطار نحو الأسفل عبر قنواة أخرى ملتصقة بالسطح ، وقد زادت هذه التغطية المدرسة نوعا من الجمال خاصة عند مشاهدتها من الأعلى .

أما عن القرميد في المدرسة فقد استعمل بطريقة متناوبة تشبه حراشيف السمك وكذا طريقة ثانية تتمثل في قلب قرميدة مرة على الوجه ومرة على الظهر وهي نفس الطريقة التي استخدمت بالمدرسة .

أما في مركب سيدي محمد الغراب فقد استخدم في تغطية سقف كل من المسكن والضريح وقد استخدمت نفس تقنية توضع القرميد المستخدمة في المدرسة الكتانية .

لقد جعل القرميد كمادة جمالية في المساكن القسنطينية التي تعود إلى الفترة العثمانية بالدرجة الأولى ، حيث استعملت هذه المادة في تغطية كامل مرافق المنازل التي تساعد على تسرب مياه الأمطار نحو الأسفل عبر قنوات أخرى ملتصقة بالسطوح ، وكذا منع قطرات المطر من الانسياب في الجدران التي تغطي الأروقة ، وقد زادت هذه التغطية المساكن بالمدينة نوعا من الجمال خاصة عند مشاهدتها عن قرب وذلك لشكلها الجملوني أو الهرمي . وهذا ما نجده في دار بن جلول وكذا في مسكن مركب سيدي الكتاني .

3- الجص :

- تعريفه :

الجص الذي يطلى به ، والجصاصة الموضع الذي يعمل به الجص ، وهو لفظ اعجمي معرب ، والجص وهو الجبس يستخدم في الطلاء بعد خلطه بالنورة (الجير النقي) ، ويستخرج من أحجار تسمى أحجار الخشرم وهي حجارة رخوة .

هو نوع من أنواع الصخور يوجد في الطبيعة بصورة نقية جدا أو على شكل كتل كبيرة أو جبس رملي ، ولا يمكن استعماله إلا بعد عملية حرقه حتى يفقد ماء التبلور ، يسهل سحقه فيصبح دقيقا ناعما أبيضا خفيفا وبعد ذلك يدفع في الماء حتى يكسب الصلابة ليكون جاهزا في عملية التبليط[1] ، وقد حل الجبس طوال وجوده محل مواد أخرى سواء في الزخرفة أو البناء.

- صناعته :

وتختلف طريقة إعداد الجص اختلافا تاما عن الطرق المستخدمة في المواد الأخرى وتتطلب عملية إعداد العجينة صبرا وخبرة ، ويجب أن تمر عملية إعداده على عدة مراحل ويشترك فيها مجموعة من الحرفيين.

وتبدأ عملية إعداد الجص بغربلة الغبار وتنقيته من كل الشوائب مثل الحجارة والأعشاب والأتربة التي لا تصلح ، وبعد

---

[1]- بطرس البستاني ،الآجر ، المرجع السابق ، ص474.

غربلته يتم خلطه بالماء ويعجن وتستمر هذه العملية إلى أن تأخذ العجينة قوامها ، ويجب أن يراعي العجان المقادير المطلوبة من الماء والجص ، وفي مرحلة أخرى وعند الانتهاء من العجن تقدم عندها للطرح وتتم هذه العملية ببسط العجينة على المسطحات المراد زخرفتها على شكل طبقات سميكة ، وبعدها تبدأ عملية صقل السطح باستعمال أدوات متنوعة مثل المكشط .

يذكر ابن خلدون عن الجص فيقول "... ومن صناعة البناء ما يرجع إلى التنميق والتزيين كما يصنع من فوق الحيطان الأشكال المجسمة من الجص يعمر بالماء ثم يرجع جامدا ، وفيه بقية البلل فيشكل على التناسب تخريما بمثقاب من حديد إلى أن يبقى له رونقا.." [1] .

– استخداماته :

من أهم المميزات الرئيسية للجص هو عزله للحرارة والصوت ، ولكنه هش في حالة تعرضه للرطوبة ومختلف التقلبات الجوية ، لذلك كان استعماله لتكسية الجدران ، خاصة الداخلية منها إضافة للتزيين والتنميق والتسقيف.

ومن الخاصيات السابقة الذكر جاء الاستعمال الكبير لهذه المادة ، حيث عرف المسلمون مادة الجص منذ فترات مبكرة ، وكان ذلك بسبب احتكاكهم بالحضارات الأخرى ثم انتقل إليها ، ظهر في بادئ الأمر بقصر الحيرة الغربي في العصر الأموي ، كما برز كمادة أساسية في مدينة سامراء في العصر العباسي ، وابتكر المسلمون نوعا جديدا من الزخرفة بالجص هي التوريق أو الأربسك [2] ونشأ ما يعرف بطراز سامراء في الزخرفة ، وانتشرت بعدها هذه الطرز في مختلف البلاد الإسلامية [3]

استخدم المغاربة بدورهم مادة الجص في تكسية جدران مبانيهم لتكون أرضية للزخارف المختلفة ، وكذا لتغطية مادة البناء الخشنة ، ويستخدم الجص بسمك متنوع في تكسية الحوائط [4] واستخدمت في بلاد المغرب الإسلامي لأول مرة في جامع القيروان [5] ثم عمم استخدام هذه المادة في سائر بلدان المغرب والأندلس ، ويعتبر العصر المرابطي علامة بارزة لاستخدام مادة الجص في المغرب والأندلس ، ونجد أمثلته في جامع تلمسان وجامع القرويين بفاس..، واستمر هذا الاستعمال في العصر الموحدي [6].

---

[1]– عبد الرحمان ابن خلدون ، المقدمة ، المصدر السابق ، ص 452.

[2] – الأرابيسك : وهي الزخرفة العربية ، وهي عبارة عن تشكيل من الزخرفة النباتية قوامها عناصر نباتية ، كالفروع وأنصاف المراوح النخيلية والأوراق المحورة ، وتمتاز بالتشابك والتداخل.

[3] - Marçais (G.) , «Bina», Op.cit , P.42.

[4] – عبد العزيز لعرج ، المباني المرينية ، المرجع السابق ، ج2 ، ص640.

[5] – نفسه ، ص 644.

[6] -Henri (T.), Sanctuaires et forteresses Almohades , Collection héspéris, Larousse, Paris 1932 , P.53-54

.

لقد شاع استخدامه أيضا في الفترة الزيانية والمرنية بتلمسان وأمثلته كثيرة وأبرزها ما نجده في مساجد سيدي بلحسن وسيدي الحلوي وسيدي بومدين[1] .

إن هذا الاستعمال لمادة الجص استمر في العصر العثماني واستعمل في العمارة الدينية والمدنية كتكسية جدارية للزخارف ، وأمثلته كثيرة في العمارة العثمانية بالجزائر بصفة عامة وفي مدينة قسنطينة خاصة ، حيث استعمل كأرضية للزخارف في جامع الباي حسن وسيدي لخضر ، أما في العمارة المدنية فنجده قد استعمل في قصر أحمد باي . أما في المدرسة والمقبرة الكتانية فنجده في محراب قاعة التدريس وكذا جدران المقبرة ، ونقشت عليه كتابات بأسلوب الحفر البارز ، كما نجد هذه المادة قد صنعت منها منطقة الانتقال من المثمن إلى المربع في القبة الضريحية بنفس المركب واستعمل في شواهد القبور. كما استعملت في جامع سيدي الكتاني حيث نجدها في التكسيات الجدارية وفي القباب. ونجدها في جدران المسكن الملحق بزاوية وضريح محمد الغراب ، وبقي البعض منه على جدران بيت صلاة المسجد وعلى المحراب .

كما استخدم في البناء والزخرفة في مدرسة جامع سيدي لخضر وقد تم تغطيت الجدران بمادة الجص وهذا لما تمتاز به هذه المادة من عزل للحرارة والصوت.

استعمل في المنشآت السكنية كأرضية نفذت عليها مواضيع زخرفية مختلفة حيث أفرغ بها الفنان ما تمليه عليه قريحته من عناصر فنية ، واستخدم أيضا كمادة لاحمة أو لتغطية سقف وجدران البيوت وكذا الأقواس ، باعتباره مادة عازلة للحرارة والصوت لكنه هش في حالة تعرضه للرطوبة ومختلف التقلبات الجوية ، لذلك كان استعماله لتكسية الجدران من الداخل فقط .

[1]– عبد العزيز لعرج ، المباني المرينية ، المرجع السابق ، ص 640 .

4- الرخام :

- تعريفه :

الرخام عبارة عن حجر كلسي صلب يتركب من كربونات الكالسيوم المتبلورة الموجودة في الطبيعة ، أو من بلورات معدن الكلسي أو الدوليت التي تنشأ من عمليات التحول الطبيعية الشديدة ، ويكون أحيانا ابيض اللون وغالبا ما يختلف لونه تبعا لما يتخلله من الشوائب التي تضيف إليه الكثير من الجمال عند صقل سطحه[1].

رغم صلابة المادة فإنه يعتبر من الأحجار الكريمة ، فهو يتميز بالقوة والصلابة وجمال المظهر ونظارة اللون وهو فوق ذلك شديد المقاومة للضغط والتأثيرات المناخية.

تتكون هذه المادة في الطبقات السفلى للأرض ، وهو عبارة عن صخرة مبتكرة ، ونجد الرخام مصنفا بين الحجارة الكلسية الكثيفة ولونه غالبا ما يكون ناصع البياض . لقد تنوعت ألوان الرخام كأن تكون وردية صفراء أو سوداء[2].

كان الرخام يستخرج من المحاجر على شكل كتل مختلفة الأحجام تتعرض كلها إلى عملية التهذيب إما بالقرب من المعمل أو في عين المكان التي تستعمل فيه [3].

إن أهم المراكز التي يتم استخراج مادة الرخام منها في الجزائر هي على سبيل المثال مقلع فلفلة بسكيكدة الذي استعمل في الفترة الرومانية ، كما نجد مقلع تيبازة ومقلع شنوة وهو لا يبعد عن شرشال كثيرا[4].

على الرغم من تواجد هذه المناجم ، فإن دايات الجزائر اضطرت لاستراد هذه المادة لعدم تلبية الناتج المحلي لطلباتهم من إيطاليا وهولندا ، إضافة إلى ما يأتي عن طريق التبادل التجاري مع تركيا أو كغنائم حرب أو هدايا ، فقد كان المرمر يصل إلى الجزائر مصنعا نظرا للنفوذ الذي وصلته الجزائر آنذاك [5]. أما صالح باي فقد جلب الرخام من إيطاليا ، حيث يذكر ابن النقاد هذه النقطة في قوله :"...ولم تكن بينه وبين أجناس النصارى شروط ومن جملة ماأوتي به لمنبر جامعه وسواري الكل رخام..." [6].

- صناعته :

تتم عملية تهيئة مادة الرخام عن طريق استجلاب المادة من المقالع أو المحاجر إلى الورشة في شكله وصورته الخام على هيئة كتل ضخمة تشبه المكعبات ، بعدها تأتي عملية المعالجة الأولية بقطع الكتل الرخامية إلى أشكال هندسية مختلفة حسب طبيعة الشيء أو العنصر المراد صنعه وتشكيله وذلك بواسطة منشار بعد تحضير الكتلة يرسم

[1]- محمد عاصم رزق ، المرجع السابق ، ص 118.

-أنظر : زكية العربي راجعي ، الزخارف الجدارية ، المرجع السابق ، ص27.

[2] - Dictionnaire larousse , vol 2 , 1982 , P.1938.

[3]-Adam (J.P.) , La construction romane , Matéiaux ,3eme édition , Paris ,1995 , P.231.

[4] - Ibid , P.24.

[5] - Marçais (G.) , «BINA», , op.cit , P.448.

[6]- محمد الطاهر بن أحمد النقاد ، المصدر السابق ، ص23.

التصميم ، ولتحديد مواضع التقطيع يستعمل الصانع المرسام أو أدوات خاصة كالمناشير الرسم المثقوب ويشرع في النحت بواسطة أزميل ومناقش ، وتتكرر العملية كلما تلاشى الرسم تحت ضربات الإزميل حتى يحصل على الشكل المطلوب ، ثم تأتي مرحلة الصقل وهي مرحلة نهائية بعدها يتم الحصول على الشكل النهائي لهذه التحفة[1].

– استخداماته :

الرخام مادة ثمينة وجميلة وهو من أثمن المواد المستعملة في العمارة الإسلامية والمباني المدروسة نظرا لتعدد وظائفه في البناء الواحد سواء من الناحية الزخرفية التي تميزت بالأبهة والجمال أو من الناحية المعمارية والتي لها علاقة بالصلابة التي يعطيها للبناء.

بما أن الرخام مادة قيمة فقد لعبت دورا معماريا وزخرفيا هاما في المغرب الأوسط والأندلس منذ فترة مبكرة حيث استعمل منذ الفترة الأغلبة في تكسية محراب جامع القيروان (248هـ/862م) ، كما عرفه الحماديون في القلعة وبجاية ثم انتشر استعماله في كامل بلاد المغرب وفي كل الفترات ، حيث استعملت بكثرة في ما يعرف بالكسوات الرخامية[2].

استخدم الرخام في العمارة المدنية في أطر الأبواب وكذا في العناصر المعمارية المختلفة [3]. ونظرا لأهمية هذه المادة لم تستعمل إلا في المرافق الرسمية كالأبواب الرئيسية والأماكن المقدسة كالمحاريب ، كما استعمل في اللوحات التذكارية .

لقد استفاد صالح باي من هذه المادة ووظفها في جل منشآته المدنية والدينية ، حيث نجد هذه المادة مستخدمة في المدرسة والضريح بمركب سيدي الكتاني وذلك في قاعة التدريس وبالتحديد في أعمدة المحراب وكذا في السلم المؤدي إلى الطابق الثاني ونجده مستعملا بكثرة في شواهد القبور ، وقد صنعت منه أشكال متنوعة لشواهد القبور ، وهذا ما رأيناه في عمائم الأضرحة. أما في جامع سيدي الكتاني فقد نفنن المعماري المسلم في صناعة أرقى الأشياء بواسطة الرخام وذلك ممثل في المحراب ، وهو أفخم محراب في الجزائر ككل من حيث مادة الصنع وكذا الزخارف المنفذة عليه ، هذا بالإضافة إلى استعماله كأعمدة .

---

(1) – حسن حافظ العلوي ، المرجع السابق ، ص15.

(2) – ظهرت الكسوة الرخامية منذ فترة مبكرة في العهد الإسلامي ، فأقدم أمثلتها يرجع تاريخه إلى العصر الأموي ، وتشهد بعض أمثلتها بقبة الصخرة ، وتعكس طريقة حفر الزخارف في الرخام وتشكل عناصرها تقاليد بيزنطية واضحة المعالم والتي كانت سائدة بالمنطقة ثم خضعت بعد ذلك لقانون التطور. لمزيد من التوضيحات أنظر :

- Revault (G.) L'habitation tunisoise , pierre , marbre et fer dans la construction et le décor CNRS , 1978, P.39.

– زكية رجعي ، الزخارف الجدارية ، المرجع السابق ، ص.27

(3)- Jacques Revault , Palais et demeures de Tunis (xvIII et xIx) éditions du CNRS Paris _ VII _ 1983 , p .61.

كما نجده قد استخدم في تشكيل اللوحات الزخرفية مثل تلك التي تحمل الأبيات الشعرية وتلك التي تعلو المحراب وأطر الأبواب بالرواق الطويل وبإطار الباب المؤدي إلى ملحقة بيت الصلاة من شارع نيغرو بالواجهة الجنوبية لجامع الباي بعنابة ، وكذلك بعتبة الباب الرئيسي لبيت الصلاة والدرجان اللذان يؤديان إلى ملحقة بيت الصلاة . وقد استخدمت مادة الرخام في دار بن جلول وذلك في تبليط أرضية صحن البيت وبعض أروقتها . كما نجده في شواهد القبور بضريح سيدي محمد الغراب .

5- الحجارة :

- تعريفه :

الحجر ما تجمد من الأرض و صلب[1] و الحجر جمعه في القلة أحجار وفي الكثرة حجار و حجارة ، كقولك جمل و جمالة ، وذكر و ذكارة[2]. وقد ورد ذكره في القران الكريم {**ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة**}[3]، وكذلك في قوله : {**و قالوا إذا كنا عظاما و رفاتا إن لمبعوثون خلقا جديدا ، قل كونوا حجارة أو حديدا**}[4]

و هي عبارة عن صخور رسوبية كالحجر الجيري و الدولميت ، و صخور نارية كالغرانيت و البازلت ، و صخور متحولة كالرخام ، ويطلق اسم الحجر بمعناه العام على قطع الصخور الصغيرة أو الصخور الصلبة المتكونة من كسارة و فتات الصخور وتصلبها[5].

- تحضيرها :

تمر عملية تحضير الصخور عبر مرحلتين :

- مرحلة القطع وتتم في المحاجر وذلك باستعمال أدوات مختلفة وفي بعض الأحيان تسعمل المتفجرات في هذه العملية وذلك عندما تكون الصخور أشد صلابة .

- التشذيب والتسوية :تتم هذه العملية بعد قطع الصخور إلى قطع متفاوتة الإحجام ثم تخضع لعملية صقل وتسوية حيث تنحت الزوائد الموجودة على سطوحها وتعرف بالصخور المنحوتة تتطلب هذه العملية جهدا ووقتا كبيرين.

وعن مجالات استعمالها في المباني المدينة يمكن تحديدها في المبنى حسب أنواعها حيث استخدمت الحجارة الكبيرة في بناء الأساسات نظرا لثقلها ، وكذا لربط زوايا البناء ووسيلة دعم للجدران .

---

[1]- المرسى ابن سيده ،كتاب المخصص ، السفر العاشر ، المطبعة الكبرى ببولاق ، مصر، ط1 ، 1319، ص 90.
أنظر أيضا : بطرس البستاني ، قطر المحيط ، دائرة المعارف ، قاموس عام ، دار المعارف ، بيروت لبنان ، 1983، ص102.

[2]- إسماعيل بن حماد الجوهري ، الصحاح، ج2 ، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار ، عن ينشره حسن شوبتلي ، مطابع دار الكتاب العربي ، مصر، د.ت ، ص 623 . أنظر أيضا: ابن منظور ، المصدر السابق ، ص165.

[3]- القرآن الكريم ، سورة البقرة ، الآية 73.

[4]- القرآن الكريم ، سورة الإسراء ، الآية 49-50.

[5]- أحمد فكري ، مساجد القاهرة و مدارسها ج2، المرجع السابق ، ص 76 – 79.

– استخداماتها :

لقد استخدمت الحجارة في البناء منذ أقدم العصور وذلك لصلابتها وتوفرها ، حيث تعتبر من أهم المواد الخام أهمية لسهولة الحصول عليها عبر مختلف أنحاء العالم ، فقد استعملت في بنايات المساكن والقصور وأماكن العبادة والدليل على ذلك أننا نجد أمثلتها مازالت صامدة إلى اليوم كسور الصينيين وأهرامات الجيزة وبنايات الآنكا في أمريكا اللاتينية ولم يقتصر استعمالها كعنصر معماري فحسب بل اعتبرت كمادة زخرفية منذ أقدم الحضارات واستمر استعمالها عبر مختلف العصور[1] ، فقد استعملت في إنشاء المباني بالجزائر خلال العهد العثماني بكل أنواعها الدينية والمدنية والعسكرية بنسب متفاوتة حسب وظيفة المبنى ، فالعناصر المبنية بالحجر قد صنعت محليا وذلك لتوفر المحاجر بمناطق الجزائر المختلفة وخاصة منها محاجر الحجر الكلسي [2].

وعن مجالات استعمالها في مباني صالح باي يمكن تحديدها في المبنى حسب أنواعها حيث استخدمت :

– الحجارة الكبيرة في بناء الأساسات نظرا لثقلها ، وكذا لربط زوايا البناء ووسيلة دعم للجدران .

– أما الصغيرة الحجم فقد استعملت لسد بعض الفراغات الناتجة عن تصفيف الحجارة فوق بعضها البعض لتدعيم الحجارة التي تكون غير متساوية القاعدة و التي ترتكز عليها واستعملت أيضاً لتسوية الأرضية قبل تبليطها.

تتشابه طريقة البناء بالحجر مع طريقة تنظيم الآجر، وتنظم القطع الحجرية في خطوط متوازية بطريقة عمودية ، ونجد مادة الحجارة بارزة للعيان في أسفل الجدار الجنوبي من الخارج بسبب سقوط المادة العلوية التي كانت تغطيها وقد استعملت بطريقة منتظمة ومتسلسلة الواحدة فوق الأخرى ، وهي حجارة من النوع الصلب ذات كتلة مستطيلة.

وقد استعملت الحجارة في بناء جدران وأساسات مدرسة سيدي لخضر والسلم الصاعد من أشكال وأحجام مختلفة كالمربعة والمستطيلة . كما نجدها ظاهرة للعيان في أسفل جدران دار بن جلول ، بسبب سقوط المادة التي تكسوها. أما في مركب سيدي محمد الغراب فتوجد في المسجد المهدم وحتى طريقة بنائها تبدوا بشكل جيد للعيان.

---

[1] – أحمد فكري ، مساجد القاهرة و مدارسها ، المرجع السابق ، المرجع السابق ، ص ص76-79.

[2] – علي خلاصي ، المرجع السابق ، ص328.

6- الملاط *[1] :

- تعريفه :

يعرف لنا ابن منظور الملاط على أنه "...يقال الملاط الذي يملط بالطين ، يقال ملطت ملطا ، وملط الحائط وملطه طلاه ، والملاط الطين الذي يجعل بين ساقي البناء" [1]. وهو مادة معدنية موجودة بين حبيبات الصخور فيلتحم بعضها ببعض مثل مادة الحديد والمعادن الأخرى [2] .

وبصفة عامة فهو خليط متصلب متكون من مادة صخرية سهلة التفتت ، وهي الرمل والطين يضاف إليها الماء ويدعم الكل بإضافة الجير ، والتصلب يأتي نتيجة تفاعل المواد [3].

يقول ابن خلدون في الملاط : "... ومنها البناء بالحجارة المنجدة أو الآجر يقام بها الجدران ملصقا بعضها ببعض بالطين والكلس الذي يعقد معها ويلتحم كأنه جسد واحد ..." [4] .

- تحضيره :

يستخرج الجير من باطن الأرض على شكل كتل حجرية يقوم بحرقها ثم يفتتها أو يطحنها بطاحونات خاصة كما يجلب الرمل أيضا . ينقى الجير من الشوائب المختلفة لتخلط بعد ذلك المواد ببعضها البعض كما يوضع الرمل مع الطين .

- ويتم تحضيره فوق أرضية من التربة المدكوكة تكون قرب مكان البناء ، توضع أولا طبقة من الرمل ثم الجير في الوسط ، ويضاف الماء بكميات قليلة ثم يمزج الكل بمجرفة ذات ذراع طويلة [5] .

وفي جميع الحالات يقوم البناء بإضافة كمية من الماء ويخلط المواد حتى تلتحم وتمتزج فيما بينها مشكلة مادة ذات قوة صلبة تساعده على الربط بين مختلف أجزاء عناصر البناء [6] . وتتغير حالته بتغير نسبة الماء فيه ليوظف في مجالات مختلفة فهناك :

---

*[1]- الملاط : من الفعل ملط ويعني إسمنت أو طين ، يجعل بين حجرتين أو آجرتين لتماسك البناء .

[1]- أبي الفضل محمد ابن منظور ، المصدر السابق ، ص106 . أنظر أيضا :إسماعيل بن حماد الجوهري ،المصدر السابق ، ج3 ،ص409

[2] – عبد الغني مشرف محمد و الطاهر إدريس عثمان ، قاموس المصطلحات الرسوبية المصورة ، جامعة الملك سعود ، عمان 1990 ص 83.

[3]- Adam , Op. cit,P.75.

[4] – عبد الرحمن بن خلدون ، المقدمة ، المجلد3 ، ص1068.

[5]- Adam , Op.cit , P.78 .

[6] – عبد العزيز لعرج ، المباني المرينية ، المرجع السابق ، ج2 ، ص661.

– نوع يتركب من التراب ذو لون أحمر بإضافة كمية مناسبة من الماء ليصبح عجينة طرية ، ويستعمل لربط مواد البناء.
– ملاط من نفس النوع لكن بإضافة الماء بكمية أكبر ليسهل دكه ويستعمل خاصة في الأرضيات والسقوف .
– ملاط آخر من نفس التراب أيضا ولكن يضاف إليه الماء بكثرة حتى يصبح كالغراء ويستخدم لتسوية الأرضيات حتى تصبح ملساء.

– استخداماته :

– استعمل الملاط في الربط بين مواد البناء وذلك لكونه مادة لاحمة ، كما استخدم في تغطية الجدران حفاظا عليها من التأثيرات الخارجية خاصة المطر ، كما استخدم في تغطية الأرضيات والأسقف .

ويتميز الملاط بسرعة التصلب ومقاومته الشديدة للضغط والتأثيرات المناخية بالإضافة إلى كونه غير مسامي ، إذ أنه يحمي البناء من الرطوبة ويلعب دورا هاما في تسوية المساحات المنتظمة أثناء البناء[1] .

– أما عن تقنية استعماله ، فإن الملاط يمثل الجزء الأكثر ضعفا في البناء ، لذا يجب أن يكون مكدسا وكثيفا وذا سمك منتظم حتى يكون الضغط موزعا على الثقل بالتساوي حتى لا تتجمع قوى الضغط في نقطة واحدة وتتسبب في تشقق مواد البناء ، ولتدعيم الربط بين مواد البناء توضع هذه الأخيرة بشكل متداخل ومنتظم في نفس الوقت حتى تكون نسبة الجير عالية.

لقد استعمل الملاط في المقبرة وبالتحديد في جدرانها العلوية حيث بقيت أجزاء منها واضحة وذلك كمادة لتغطية جدرانها حفاظا عليها من المؤثرات المختلفة ، وقد ساهمت هذه المادة في وصول هذه الجدران إلينا بحالة سليمة كما استعملت أيضا في تغطية جدران الغرفة الجنائزية التي تحوي قبري بنت وزوجة صالح باي.

كما وضع بين المواد المستعملة في بناء مسكن بن جلول بكميات مكدسة وكثيفة وذا سمك منتظم ، لتدعيم الربط بين مواد البناء وعدم تشققها. أما بمدرسة جامع سيدي الأخضر فاستعمل في ربط أساسات المبنى وجدرانه لحمايتها من العوامل الخارجية كالأمطار والرياح وفي السقف ومنعها من الانهيار . وقد أستعمل الملاط في تلحيم الحجارة والآجر في مختلف بنايات مركب سيدي محمد الغراب ، كما نجده في جامع الباي بعنابة .

---

[1] – عبد العزيز لعرج ، المباني المرينية ، المرجع السابق ، ج2 ، ص661.

7- الخزف (البلاطات الخزفية) :

- تعريفه :

طين تصنع منه أوعية وأقنية وبلاطات ، يطلى بمواد مزججة وأصباغ ومعادن ومشتقاتها ، ولقد أخذ تسميات حسب نوعه أو البلد الذي صنع فيه.

استعملت في العمارة الإسلامية كمادة ثانوية ، والتي كانت تزين بها واجهات مداخل الأبواب وكذا الأروقة وغيرها ولعب الخزف بأنواعه دورا اجتماعيا تطرق إليه المؤرخون وحفظته الآثار وقد نوع المسلمون طريقة صنعه وألوانه .

- صناعته :

ينقسم الخزف من حيث المواد المصنوع منها وطريقة صنعه إلى نوعين :

- النوع01 : أواني مصنوعة من طينة أو عجينة حمراء اللون محروقة مطلية ، أو غير مطلية ويعرف هذا النوع بالفخار.

- النوع 02 : أوعية مصنوعة من عجينة بيضاء جيدة ، ويعرف هذا النوع بالخزف .

تعد طريقة ضرب الخزف بصفة عامة هي نفسها في الآجر وقالبه من الخشب أصغر حجما من الآجر فقالبه مربع الشكل يتألف من جزئين مربعين متساويين يفصل بينهما ذراع يمتد خارج إطار القالب ، حيث يقوم العامل أولا بتبليل القالب بالماء ثم يضع بداخله العجينة ويضغط عليه باليد أو بواسطة أدات خشبية مربعة ثم يمرر عليها آلة حادة من أجل نزع الزائد عن سعة القالبوفي الأخير يقوم العامل برفع القالب [1].

وبعد عملية القولبة والتجفيف تتم عملية التشكيل ، وهذا قبل الحرق وقبل تلقي الطلاءات التلوينية ويطلق على هذه المربعات المضروبة في القالب والمجففة في الظل بالمزهر حيث أورد العمري قوله "وأما دور هؤلاء فيفرش في الآجر ويسمي المزهري"[2].وتختلف القوالب حسب نوع البلاطات المنتجة من حيث حجمها .

تنقسم البلاطات الخزفية من حيث الطلاءات التلوينية إلى قسمين بلاطة مطلية بلون أو لونين ومزخرفة والثانية خالية من الزخارف[3].

---

[1] – عبد العزيز لعرج ، المباني المرينية ، المرجع السابق ، ج2 ، ص759-760.

[2] – ابن فضل الله العمري ، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ، تحقيق. مصطفى أبو الضياف أحمد ، ، ط1 ، 1988 ص117.

[3] – عثمان عثمان إسماعيل ، تاريخ العمارة الإسلامية والفنون التطبيقية بالمغرب الأقصى ، مطبعة المعارف الجديدة ، الرباط ، ط1 1993 ، ج4 ، ص365.

– استخداماته :

تعتبر مادة الخزف من أهم مميزات العمارة الإسلامية باعتبارها أحد العناصر الجذابة في زخرفة المباني ، كما تعد من الابتكارات التي ظهرت في العصر الإسلامي ، وقد اختلفت الآراء حول نشأتها الأولى فهناك افتراض يرجع استخدامها إلى أصول رومانية بيزنطية ، ويرى أصحاب هذا الافتراض أنها ليست سوى مرحلة من مراحل الفسيفساء الرومانية ، فعندما فتح العرب الشام التي كانت خاضعة للحكم البيزنطي عثروا في كنيسة بيت لحم على هذا النوع من الزخرفة فتأثروا به واستخدموه في عمائرهم أما الافتراض الثاني فيرجع استعمال هذا النوع من الزخرفة إلى تأثيرات مشرقية ، ومن أقدم الأمثلة الأثرية التي استخدمت فيها هذه المادة في كسوة جدران المنشآت السلجوقية بقونية التي ترجع إلى منتصف القرن السابع الهجري .أما فيما يخص البلاطات الخزفية فقد شاع استخدامها منذ العصر العباسي حيث وجدت أمثلة عنها في مدينة سامراء (3هـ/9م) بالإضافة إلى البلاطات الخزفية التي تزين محراب جامع القيروان (221هـ/836م) [1] .

أما بلاد المغرب فقد عرف هذا النوع من الزخرفة بداية من القرن السابع الهجري وبلغت أوجها في القرنين الثامن والتاسع الهجري /الرابع عشر والخامس عشر ميلادي ويتجلى ذلك في منشآت بني نصر في بقصر الحمراء ، وفي مدارس فاس فقد لعب الخزف بالمغرب الأقصى خصوصا أيام بني مرين[2] دورا هاما في المنشآت المختلفة ونلاحظ أمثلته في مدينة تلمسان .حيث فننوا في في طريقة صنعه وألوانه وتركيبه ، أما فيما يخص البلاطات الخزفية فنجد أمثلتها كما ذكرنا سابق في محراب جامع عقبة بن نافع بالقيروان ثم ظهرت في مئذنة قلعة بني حماد وبالتحديد في الجوسق كما ظهرت أيضا في مآذن كل من المرابطين ومن بعدهم الدولة المرينية والزيانية .

أما في الفترة العثمانية فقد تطورت صناعة البلاطات الخزفية أيما تطور وظهرت أنواع وأشكال مختلفة حيث انتقلت هذه الصناعة إلى مختلف بقاع العالم الإسلامي بسبب تبعية جل الدول العربية والإسلامية للدولة العثمانية ، حيث انتشرت صناعتها في كل من تونس وصقلية بالإضافة إلى تركيا نفسها ، كما ظهرت مراكز صناعة أوروبية كهولندا واسبانيا وصقلية في عصر النهضة[3].

أما في الجزائر فلا نجد دار صناعة لكن جل العمائر سواء في العاصمة أو بقية المناطق غنية باستعمال البلاطات الخزفية في المداخل أو الجدران أو الأروقة ، حيث نجده في جل العمائر المدنية والدينية ، أما في عمائر صالح باي فهي كغيرها من العمائر في هذه الفترة ، ونظرا لكون صالح باي ذو ذوق فني عال فقد جلب البلاطات الخزفية من مناطق مختلفة من العالم لتجميل عمائره وإعطائها طبعة خاصة ، وأبرز أمثلتها مانجده في مركب سيدي الكتاني الدي زين بمختلف البلاطات المجلوبة من مناطق مختلفة .

---

[1] – محمد عبد العزيز مرزوق ، الفنون الزخرفية ، المرجع السابق ، ص78.

[2] – الجزنائي ، زهرة الآس في بناء مدينة فاس ، تحقيق. مديحة الشرقاوي ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، ط1 ، 2001 ص169.

[3] – لمزيد حول البلاطات الخزفية في الفترة العثمانية أنظر: – عبد العزيز محمود لعرج ، الزليج في العمارة الإسلامية في الجزائر .

8- المعادن :

اهتدى الإنسان إلى المعادن واستخرجها من باطن الأرض ، وعرف طريقة استخلاصها مما علق بها من شوائب وولد من بعضها البعض معادن جديدة مثل البرونز الذي هو خليط من النحاس الأصفر والزنك [1] .

استعملت المعادن في جل الفترات الإسلامية في المشرق والمغرب ، أما في العهد العثماني فإن أهم المعادن المستعملة في الصناعة هي النحاس والبرونز والذهب والفضة إضافة إلى الحديد ، وقد عرف العثمانيون كل هذه المعادن وأتقنوا صناعتها وزخرفتها ، كما تميز الحكام بحب حياة الرفاهية لذلك استعملوا كل أنواع المعادن ، هذا بالإضافة إلى المواد التي كانت تستورد بكثرة نظرا لازدهار التجارة الخارجية خلال تلك الفترة [2] .

أما منشآت صالح باي فإن المعادن قد استعملت بنطاق ضيق وذلك حسب نوع كل معدن ، وفيما يلي سنعطي تعريفا وجيزا لكل معدن مع مجالات استعمالها في النموذج المدروس.

أ- النحاس :

- تعريفه :

الصفر والقطر والمس والنحاس كلها مفردات لمرادف واحد وهو المعروف عند العامة والخاصة باسم النحاس[3]. وقد ذكر في القرآن في قوله تعالى "**يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس** "[4] .

كما ورد أيضا في القرآن بلفظ قطر في قوله تعالى :"**قال آتوني أفرغ عليه قطرا**"[5] .

وقيل القطر هو الذائب من النحاس ، أما الصفر فهو النحاس الأصفر ، وقد عرف الإنسان كيف يستخرج النحاس من باطن الأرض ، وعرف طريقة استخلاصه ، وعرف نوعين من النحاس :

- الأحمر الذي يتميز بسهولة تشكيله - النحاس الأصفر [6] .

ب- البرونز :

- تعريفه :

هو خليط من النحاس والقصدير أو من النحاس وفلزات أخرى تضاف إلى الفضة أو الألمنيوم أو الرصاص لزيادة بريقها وصلابتها ، والبرونز أصلب وأشد مقاومة من النحاس الأصفر . حيث يستعمل كبديل عن الذهب والفضة لأنه أرخص منهما .

---

[1] – محمد عبد العزيز مرزوق ، المرجع السابق ، ص169.

[2] – خيرة بن بلة ، المنشآت الدينية ، المرجع السابق ، ص369.

[3] – لخضر درياس ، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني ، رسالة ماجستير ، الحلقة الثالثة ، جامعة الجزائر ، 1990 ، ص64.

[4] – القرآن الكريم ، سورة الرحمن ، الآية 55.

[5] – القرآن الكريم ، سورة الكهف ، الآية 188.

[6] – محمد أحمد زهران ، فنون أشكال المعادن والتحف ، المكتبة الآنجلو مصرية ، القاهرة ، 1965 ، ص3.

ج- الحديد :

- تعريفه :

يستخرج من طبقات الأرض وهو ذو لون أحمر يتكون من الرواسب الأرضية [1] وهو عنصر يشبه الفضة سريع الصدأ وقابل للسحب والطرق ، ورد ذكره في القرآن الكريم في قوله تعالى " ***وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد ومنافع للناس*** "[2] ، وفي الآية الكريمة إشارة صريحة لأهمية الحديد وفائدته ، كما وردت اللفظة في آيات أخرى منها قوله تعالى "***آتوني زبر الحديد***" [3] ، وفي الآية الكريمة" ***ولهم مقامع من حديد***" [4] .

وقد صنف الحديد إلى نوعين رئيسيين : الأول لين يسمى البرماهي ومنه الفولاذ أما الثاني فهو يلقب بالشابرقان وهو صلب ، والحديد نجده منفصل مستقل أو خليط مع الكربون أو معادن أخرى ، ولصناعته يتم صهره في بوتقة (أداة) مغلقة ثم يصب في القالب ليصهر كتلة ملتهبة بيضاء ، ثم تسحب الكتل عندئذ لتتحول إلى الأشكال المراد الحصول عليها [5] .

- صناعة المعادن :

إن أهم المعادن المستعملة كما ذكرنا في منشآت صالح باي هي النحاس والبرونز والحديد وقبل أن يشرع الفنان في تشكيل المعادن يقوم بتصفيتها وهي طريقة استخلصها الحرفيون المسلمون مما ورد في القرآن الكريم في قوله تعالى "***ومما يوقدون عليه في النار ابتغاء حلية أو متاع زبد مثله كذلك يضرب الله الحق والباطل فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيبقى في الأرض كذلك يضرب الله الأمثال***..." .

نستخلص من هذه الآية كيفية صهر المعادن بإشعال النار وطريقة استخلاصها مما علق بها من شوائب كما نشير الى ذوبانه واستخدامه في تشكيل مختلف التحف المعدنية [6] .

تخضع المعادن بعد استخراجها وتنقيتها من الشوائب إلى عملية الصهر ، فكل معدن يتطلب درجة حرارة معينة ليصبح سائل قابل للتشكيل ، حيث يعمد الصانع إلى عملية التخمير وذلك بتسخين المعدن حتى درجة الاحمرار ثم يغمسه في بالماء أو يتركه ليبرد تدريجيا وقد ينتج عن هذه العملية تراكم الأكاسيد على سطح المعدن ، لذلك يلجأ إلى غطسه في حمام حمضي مركب من حمض الكبريتيك ، ثم يغسله بالماء للتخلص من أثر هذا المحلول على سطح المعدن[7] .

---

[1] – محمد عبد الغني مشرف وإدريس عثمان الطاهر ، المرجع السابق ، ص83.

[2] – القرآن الكريم ، سورة الحديد ، الآية 25.

[3] – القرآن الكريم ، سورة الكهف ، الآية 96.

[4] – القرآن الكريم ، سورة الحج ، الآية 19.

[5] – محمد أحمد زهران ، المرجع السابق ، ص8.

[6] – نفسه ، ص119.

[7] – نفسه ، ص8.

وتستخدم في الصناعات المعدنية طرق عديدة ومتنوعة لعل أهمها :

– طريقة الطرق : تستعمل هذه التقنية للحصول على الأشكال المرغوب فيها بواسطة الطرق على المعدن البارد أو المحمر تحت تأثير النار ونتحصل على أشكال مركبة من عدة أجزاء ومختلفة ومجمعة بالطرق واللحام ، هذه العملية يتم دق المعدن دقا متماثلا فوق كتلة خشبية والهدف منها هي الحصول على قطعة خالية من العيوب ليتم بعد ذلك التنعيم بواسطة الطرق على القطعة بعد وضعها على سندال ، ثم يليها التنعيم النهائي و تستعمل هذه العملية لصناعة التحف المسطحة كحوامل القناديل وحوامل الأجراس .

– طريقة الصب : تقوم بواسطة صب المعدن وهو سائل منصهر على قالب من الرمل بشكل وزخارف معينة معد سلفا وللحصول على تحف ذات باطن مملوء يتم تشكيل الخشب ذو سطح ناعم يماثل التحفة المراد الحصول عليها، وذلك من حيث الشكل والحجم وتتم هذه العملية بالضغط في قالب مملوء بالرمل أو الطين ، حيث ينتج عنه تشكيل قالب فراغي الذي يملأ بالمعدن المنصهر وبالتالي نتحصل على التحفة المعدنية وبعد الحصول على القطعة المراد تشكيلها يتم إبراز الزخارف[1].

– استخداماتها :

استعملت المعادن في جل الفترات الإسلامية في المشرق والمغرب ، أما في العهد العثماني فان أهم المعادن المستعملة في الصناعة النحاس والبرونز إضافة إلى الحديد ، لقد عرف العثمانيون كل هذه المعادن وأتقنوا صناعتها وزخرفتها ، كما تميز الحكام بحب حياة الرفاهية لذلك استعملوا كل أنواع المعادن ، هذا بالإضافة إلى المواد التي كانت تستورد بكثرة نظرا لازدهار التجارة الخارجية خلال هذه الفترة[2].

استخدمت المصنوعات المعدنية في الجزائر في الفترة العثمانية في منشآت مختلفة واستعملوها في عدة أغراض كالدرابزينات وشد الألواح لبعضها البعض وفي الشبابيك وتسييج النوافذ . أما في منشآت صالح باي فقد استخدم بشكل ضيق فهي قليلة مقارنة بمواد بنائية وزخرفية أخرى .

أ– النحاس : استعمل هذا المعدن في المدرسة الكتانية وذلك في موضعين أولهما دبابيس باب بيت التدريس وأما الموضع الثاني فقد استعملت في ثريات المقبرة . كما استعمل في تشكيل الشمعدانات التي تكتنف أنصاف الدعامات كما استعمل ببيت الصلاة في جامع الباي ، كما صنعت منه المسامير لتثبيت الصفائح القصديرية في الباب الرئيسية بدار بن جلول.

---

[1]– Arseven (E.) , op.cit , p121 .

[2] – بن بلة خيرة ، دراسات في النقوش الكتابية ، المرجع السابق ، ص 369 . أنظر أيضا:

- Marçais (G.), L’ Architecture Musulmane, op-cit, P449.

ب– البرونز : استخدم البرونز في تثبيت الأجزاء المختلفة في الأبواب ، وكذا استعمل كمادة الأبواب.

ج– الحديد : وفي العهد العثماني استعمل الحديد في العمائر بمختلف أنواعها ، وكان يجلب من مناطق قريبة أو بعيدة عن المدن .

أما فيما يخص استعماله في المنشآت المدروسة فإن صالح باي استعمل نوعا من الحديد يسمى الزهري [1] واستعمل كدرابزين في السلالم وقضبان في النوافذ وكذا في الأبواب . حيث نجده في مقابض الأبواب وأقفالها إضافة إلى استخدامه في الدرابزين الذي يمتد مع السلم وهذا ما نجده في جامع سيدي الكتاني .

أما في دار بن جلول فيوجد بالأبواب والدرابزين وكذا المزالج لفتح وغلق الأبواب ، وكقضبان حديدية على شكل شبكة نتجت عن طريق تقاطع مجموعة من الأعمدة اللولبية أو المستطيلة التي شكلت في بعض الأحيان زخارف متنوعة ، استعملت في تسييج النوافذ سواء من الداخل المطلة على الصحن أو من الخارج .

د– الزجاج :

– تعريفه :

هو تلك المادة ذات البنية الغير منتظمة وغير بلورية سهل الانكسار في درجة حرارية عادية ، يتلين في درجات حرارة عالية ، وأكسيد السيليسيوم هو المكون الأساسي للزجاج[2] .

وهو تلك المادة التي صنعها الإنسان بعد أن قام بصهر إحدى المواد الطبيعية المستخرجة من الأرض وهي مادة السيليكا (الرمل) ، وأضاف إليها مواد أخرى للتخفيف من درجة انصهارها المرتفعة ، والزجاج الأكثر نقاوة يصنع بصهر السيليكا مع الصود أو الليمون[3] .

–صناعته :

صناعة الزجاج تتطلب الإنصهار في درجة حرارة مابين ($1400-1500^0$) لخليط من المواد المتزججة والأكاسيد القاعدية أما إذا أردنا الحصول على زجاج خاص نضيف إليه مواد مساعدة مختلفة ، عند الانصهار يصبح الزجاج سائلا وفي هذه الحالة يمكن تشكيله[4]، أما عن طرق تشكيله فيمكن تلخيصها فيما يلي :

---

[1] – محمد شفيق غربال ، الموسوعة العربية الميسرة ، الدائرة القومية للطباعة والنشر ، مطبعة القاهرة ، مصر ، 1965 ص1826.

[2] – مسعود حميان ، عموميات حول المواد الأثرية ، معهد الآثار ، جامعة الجزائر ، 2009، ص49.

[3] – عنايات المهدي ، فن صناعة الزجاج الملون والمعشق باستعمال رقائق النحاس الأحمر ، مكتبة ابن سينا ، القاهرة ، د.ت ص7.

[4] – مسعود حميان ، المرجع السابق ، ص49.

– طريقة القالب : تعتبر هذه الطريقة الأقدم استعمالا ، وتتم بصنع قالب معين من الخشب ثم يغطى بالرمل وبعدها تغمر بمحلول ذائب من الزجاج ثم يرفع القلب فيبقى الشكل الزجاجي المراد صنعه فيقوم الصانع بصقله[1].

– طريقة النفخ : تتم بصهر الزجاج ثم تأخذ منه كمية مناسبة في طرف عمود مجوف مخصص للنفخ وهو من الحديد ، ثم تدحرج قطرة في العمود الحديد وبعد النفخ تأخذ تلك القطرة شكلا كرويا مجوفا من الممكن تغييره إلى أشكال أخرى أثناء النفخ بواسطة قوالب أعدت حسب الشكل المطلوب[2] .

– استخداماته :

يعتبر الزجاج من المواد ذات الأهمية البالغة منذ القدم ، إذ يرجع تاريخ انتشاره وازدهاره إلى أوائل القرون الوسطى ولعل هذا الاهتمام الكبير راجع إلى تلك اللمسة الفنية التي يضفيها الزجاج على المكان نتيجة سقوط أشعة الشمس عليه مما ينتج عنه الحصول على ألوان متداخلة يضيف إلى المكان جوا وبهاءا الشيء الذي يؤثر على الناحية النفسية من هدوء واسترخاء[3] .

لقد كان الزجاج عبر التاريخ يستعمل في صنع الأواني والتحف أكثر من استعماله في العمارة وذلك لكونه من المواد الثمينة ، أما في الفترة العثمانية فقد زاد استخدامه في مجال العمارة وذلك لكبر المنشآت وتعددها ،حيث استخدم في تزيين اللوحات الفسيفسائية وفي النوافذ والفتحات على الخصوص .

أما فيما يخص منشآت صالح باي فنجده قد استخدم هذه المادة سواء لغرض وظيفي لتوفير الضوء في الأجزاء المظلمة وصد الغبار وكذا لتحقيق الحرمة في دار بن جلول حيث تعمد الفنان تلوينها بألوان داكنة حتى لا يظهر من بداخل الدار وكذا استعملت لغرض زخرفي ، كما نجدها الزجاج أيضا مستعمل في جامع سيدي الكتاني ، أما بقية المعالم فإن معظم نوافذها مستحدثة .

9– الخشب :

– تعريفه :

خشب الخشبة ما غلظ من العيدان وجمع خشب محركة (بضمتين) ، مثل شجرة و شجر[4] . هو مادة صلبة ملتحمة ليفية تتكون عموما من الساق والفرع والجذر ، علما أن الأشجار التي تنمو بسرعة تتميز بخشب أكثر صلابة ولا تعمر طويلا .

---

(1) – عبد العزيز مرزوق، الفنون الزخرفية الإسلامية في العصر العثماني ، المرجع السابق ، ص137.

(2) – هربيريت ريد ، الفن والصناعة (الفن والصناعة أسس التصميم الصناعي) ، تعريب فتح الباب عبد الحليم سيد ، محمد محمود يوسف ، القاهرة ، 1974 ، ص85.

(3) – عبد الستار حسين أبو هاشم ، فن الزجاج الملون والمعشق ، دار الطلائع للنشر والتصدير ، د.ت ، ص05.

(4)– محمد الدين بادي ، القاموس المحيط ، ج1 ، المؤسسة العربية للطبعة والنشر ، بيروت لبنان ، د.ت ، ص63.
انظر أيضا : ابن منظور ، المصدر السابق ، ص351.

أما من حيث تكويناته المادية ، فهو ذو نسيج صلب مكون من ألياف وخلايا تحتوي في جوفها على مواد عضوية ومعدنية وكمية من الماء ، ويتكون الخشب في الأساس من الكربون والهدروجين والأكسجين [1] .

وللخشب مقاومة جيدة للضغط وضعيفة للإلتواء ، وهذا يعود إلى عدم تجانس مكونات القطعة الواحدة ومن صفاته أيضا أنه عازل حراري [2] ، ومن أهم عيوب وسلبيات الخشب قطعه في قطع في فصل غير مناسب وتكديسه مثلا في أماكن تكثر فيها الرطوبة ، وهذا قد ينتج تغييرا في تكوينه وفي لونه الطبيعي وبذلك يتعفن ويسهل حرقه ، فإذا تعرض المبنى إلى حريق وهو يحتوي على نسبة من الخشب يمكن أن يتهدم المبنى بكامله [3] .

– صناعته :

مادة عضوية مصدرها الغابات يتم تحضيره بعد قطعه من مصدره في وقت ملائم عادة ما يكون في الشتاء ، تنزع القشرة ويقطع إلى قطع متساوية ومنظمة وتخزن بعد ذلك في أماكن بعيدة عن الحرارة والأمطار حتى لا يلتوي ويعوج ، ويمد بطريقة أفقية وبعد مدة من الزمن يفقد الخشب نسبة كبيرة من رطوبته .

النجارة هي طريقة استغلال الخشب ، وأساليب الاستفادة منه في تلبية حاجيات الإنسان في جميع مجالات حياته وهي إحدى الضروريات في العمران البشري ويقول عبد الرحمن بن خلدون : "... ذلك أن الله سبحانه وتعالى جعل للآدمي في كل مكون من مكوناته منافع تكمل بها ضرورياته أو حاجاته ، وكان منها الشجر ، فإن له فيها من المنافع مالا ينحصر مما هو معروف لكل أحد ، ومن منافعنا اتخاذها خشبا إذا يبست ، وأول منافع الخشب أن يكون وقودا للنار في معاشهم ، وعصا للاتكاء ، ودعائم لما يخشى عليه من أثقالهم ، ثم بعد ذلك منافع البدو والحضر فأماأهل البدو فيتخذون منه العمد والأوتاد لخيامهم ، والحدوج لصنائعهم والرماح والقسي والسهام لسلاحهم ... والقائم على هذه الصناعة هو النجار ... "[4] .

– استخداماته :

يحتل الخشب مكانة ممتازة بين مواد البناء ، وهو من أقدم مواد البناء التي عرفها الإنسان في الفترات المختلفة كما أنه قوي بالنسبة لحجمه ، وسهولة الحصول عليه في جميع أنحاء العالم جعلته من أكثر المواد الخام أهمية بسبب مصادره الطبيعية ، ولما يمتاز به من خواص فنية وسهولة في التشغيل ، فضلا عن جمال لونه وسهولة صقله وتجهيزه[5].

---

[1] – توفيق أحمد عبد الجواد ، مواد البناء وطرق إنشاء المباني ، المطبعة الفنية الحديثة ، القاهرة ، ط1 ، 1967 ، ص149.

[2]- Olivier , Op.cit , P.113.

[3] – مصطفى الأحمر ، تشكيل الخشب ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 1990 ، ص ص 13-17.

[4] – عبد الرحمن ابن خلدون ، المقدمة ، ج3 ، ص1071.

[5] – وانر هرت ، أشكال النجارة العامة ، ترجمة. عبد المنعم عاكف ، دار الأهرام للتأليف ، القاهرة ، 1970 ، ص9.

لقد استعمل الخشب بكثرة وفي مجالات متنوعة منها العمارة ، حيث نجده في سقوف المباني والأبواب والركائز ويرجع هذا التعدد في الاستعمال إلى تنوع تلاحم أنسجته وبالتالي أنواعه ، وقد ذكر ابن خلدون أهمية استعمال الخشب في البناء فقال "... ومن صنائع البناء عمل السقف بأن تمد الخشب المحكمة النجارة أو الساذجة على حائطي البيت ومن فوقها الألواح كذلك موصلة بالدساتير..." [1] .

ففي الجزائر في الفترة العثمانية نجد مادة الخشب قد حضيت بدور كبير ، أبرز الصانع قيمتها الفنية ناهيك عن قيمتها العملية المتمثلة في الصناعات المختلفة [2] .

ومصدر هذه الأخشاب وخاصة في مدينة قسنطينة هو جبل المنصورة وغاباته ، بحيث تتوفر المناطق المجاورة للمدينة على أنواع مختلفة من الأشجار وأهمها أشجار الصنوبر التي استعملت بكثرة في الفترة العثمانية .أما فيما يخص مدينة عنابة فهي غنية بغاباتها المتنوعة وذلك لمناخها الممطر.

– إن الصفات والمميزات التي تتجلى بها مادة الخشب تجعلها في مقدمة مواد البناء حيث استخدم في المدرسة والمقبرة وهو يتوزع في الأسقف والأرضيات .

لقد استخدم الخشب كذلك كعناصر معمارية في العمارة المدنية كالمشربات والأبواب التي كانت غالبا تتكون من حشوات مجمعة ومزخرفة بالنقوش ومطعمة بطريقة رائعة ، وكانت تلك الأعمال الفنية على الخشب قمة في الدقة والإتقان على مر العصور[3] .

استخدم صالح باي الخشب في التسقيف وتدعيم الأقواس وإلى جانب الدور المعماري الذي لعبه الخشب فقد استخدم في مجال الزخرفة في صناعة الأبواب والنوافذ ، وذلك لما يتميز به من صلابة ومقاومة للتقلبات الجوية واستخدم أيضا في المقبرة العائلية لصالح باي كشواهد للقبور .

وقد كان الخشب من بين المواد التي استعملت بكثرة في مدرسة جامع سيدي لخضر حيث استخدم بالأبواب والنوافذ وكذلك نجده كدعامات خشبية للسلم وربما لعدم استواء الحجارة التي بني بها الدرج ، وكما احتوت المدرسة على خزائن حائطية خشبية وفي السقف.

كما استخدمت هذه المادة الثمينة على نطاق واسع في دار بن جلول للتسقيف وتدعيم الجدران ، وكذلك لانجاز درابزين الصحن وفي الأبواب وأطرها وفي النوافذ أيضا وكعوارض في تدعيم الأقواس وحوامل لتثبيت الستائر .

وقد استخدم الخشب في تسقيف المنزل المحلق بزاوية محمد الغراب ، وهو من جذوع وأغصان شجرة العرعار وكذلك السياج الخشبي الموجود بالضريح وكذا بابه ، وصنعت منه التركيبة الموجودة فوق مقبرة محمد الزواوي ، وهي مصبوغة باللون الأخرض .

---

[1] – عبد الرحمن بن خلدون ، المقدمة ، ج3 ، 1069.

[2] – لطيفة بورابة ، الموضوعات الزخرفية على السقوف الخشبية بقصور مدينة الجزائر أواخر العهد العثماني (دراسة فنية تحليلية) رسالة لنيل شهادة الماجستير في الآثار الإسلامية ، معهد الآثار ، جامعة الجزائر ، 2000-2001 ، ص61.

[3] – لطيفة بورابة ، المرجع السابق ، ص 62

أما بجامع الباي بعنابة فقد استعمل في بناء الدكة وصناعة المنبر والأبواب والنوافذ ، وقد نقشت على المنبر أشكال هندسية ونباتية مختلفة ، كما ألصقت بعض الأجزاء المختلفة الأشكال على الأبواب كالنجمة والهلال والمعينات، علما أن الأتراك كانوا يفضلون النقش على الخشب مباشرة ، ونادرا ما ستعملوا أجزاء مجلوبة من مناطق أخرى[1].

[1]– Arseven (E.) , op.cit , p.178 .

II- أساليب الزخرفة وتقنياتها :

لقد نوع الفنان في أساليب وتقنيات الزخرفة على مواد المدرسة ، حيث استعمل الزخرفة القالبية على الجص إضافة إلى التلوين على الزليج وكذا الخزف ، كما استخدم الجير في طلاء الجدران ، أما التقنية المستعملة بكثرة في المدرسة والمقبرة هي الحفر والنحت والتي تعتبر أهم وأقدم الطرق المستعملة.

1- تقنية الحفر أو النحت [1]:

عرفت هذه التقنية استخداما واسعا في تشكيل الزخارف على كثير من المواد الصلبة واللينة (كالرخام والخشب والجص) وذلك بمختلف الأساليب من حفر غائر ومائل وحفر بارز أو مسطح .

ويرتبط بهذه التقنية الأخيرة طريقة الحفر المستعملة في زخرفة الخشب (كالتخريم والتطعيم أو الترصيع) .

- وتتطلب هذه التقنيات وسائل عمل مختلفة خشبية أو معدنية كالمطارق والأزاميل والفراجير والآلات الحديدية المدببة والحادة وما إلى ذلك .

- إن أهم طرق الحفر المستخدمة نجدها في المقبرة العائلية لصالح باي وكذا في جامع سيدي الكتاني وكذا في جامع الباي ، وأبرزها الحفر البارز:

أ- الحفر البارز :

يقوم الفنان برسم وتحديد العنصر المراد تشكيله على المساحة المخصصة لهذا الغرض ، وتتطلب تقنية خاصة من صاحبها إذ يجب تهذيب وتلميس القطعة التي يراد نقشها بمطرقة غليظة ، ويراعى في ذلك عدم الطرق بشدة تفاديا لانكسار الكتلة ، ثم يرسم تصميما مسبقا للنص أو الزخرفة على القطعة بالفحم ، ومن ثم يحفر ما حولها بآلات دقيقة تسمى بالأقلام المعدنية ذات أحجام مختلفة ، وفقا لما يراد نقشه على القطعة وبعدها تسوى الحروف أو غيرها حتى تبدوا ملساء عن طريق المكشط أو الرمل ، فتصبح بذلك أجمل ما يكون خاصة وأن النقاش يحيط النص بزخارف هندسية ونباتية غالبا ما تكون عقود وعناصر مجردة عبارة عن تشبيكات وإلتواءات نباتية تعلوا النص ، يكون الغرض منها ملئ الفراغ الموجود من حوله ، كما يزين الشاهد من الخارج زخرفة تشكل إطارا محدولا يميز الشاهد وهذا

---

[1] – النحت والحفر : كلمتان متقاربتان في المعنى ، وتعني لغويا أن يقوم الإنسان بعملية نتف أو نقر في الحجر بواسطة آلة حديدية لقطع جزء منها ، وكلمة الحفر والنقش هو عمل نفس الفعل على مواد أكثر ليونة من الحجر كالخشب والجص وغيرهما . أما اصطلاحا فإنهما يدلان على فن تشكيل وجه أو صورة زخرفية أيا كانت ، إما بواسطة القطع بأداة حادة كالإزميل على مادة صلبة كالخشب والحجر والرخام .

لقد اخترع المسلمون أساليب وطرق حديثة للنحت والنقش وأبدعوا فيها وتركوا بصماتهم واضحة على هذا الفن ، حيث لازال التاريخ يشهد لهم إلى يومنا الحالي ، وهذا من خلال ما تركوه من أعمال فنية رائعة على مختلف المواد الصلبة واللينة .

ما نجده في جل شواهد المقبرة وكذا في جامع سيدي الكتاني وبالتحديد في الزخارف الرخامية في المنبر إذ حفرت بطريقة الحفر البارز ، وكذا في جامع صالح باي بعنابة وبالتحديد في الكتابة التذكارية الموجودة فوق المحراب . وهناك أيضا طريقة :

ب- الحفر والنقش الغائر :

ويعتبر هذا الأسلوب من أقدم الأساليب الفنية وأبسطها وهي لا تختلف عن الحفر البارز من حيث الأسلوب والتقنية ماعدا حفر الموضوع الزخرفي فيتبع الفنان نفس المراحل التي يقوم بها في الحفر البارز وعند بدء عملية النقش يحفر حفرا عميقا حتى تشكل الحروف أو الأشكال المختلفة فينقش الموضوع الزخرفي ويترك ما سواه فتبدو الزخرفة غائرة وما سواها بارز على أن لا يتعدى الحفر سنتمترا واحدا في أقصى الحالات ، وفي بعض الأحيان يملئ التجويف بمادة صلبة كالرصاص وغيره حتى تتصلب جيدا ثم يسوى سطح اللوحة عن طريق التلميس وقد مرت هذه الطريقة بمرحلتين :

01- الحفر فيها عميق بطريقة عمودية وقد كانت مألوفة قبل الإسلام وورثها المسلمون عن الساسانيين والرومان وقد ساروا عليها حتى تأسيس مدينة سامراء .

02- ظهرت بما يعرف بطراز سامراء وتتمثل في الحفر المائل[1]. وقد انتشر هذا الطراز الجديد في سائر الأقطار الإسلامية وخاصة مصر الطولونية[2]. ومنها إلى الأقطار الإسلامية الأخرى ، وتتم هذه الطريقة على مستوى مائل متجهين نحو الأعلى بالنسبة إلى مستوى الجدار وهي أسهل من الطريقة العمودية[3]. ومثال ذلك ما نجده في أحد شواهد القبور الغير المعروفة بمقبرة صالح باي حيث حفرت فيه شجرة سرو باسقة بأسلوب غائر (الصورة 55). بالإضافة إلى اللوحة التأسيسية الموجودة خلف جامع صالح باي بعنابة ، كما نجدها في بعض القبور في ضريح سيدي محمد الغراب .

2- زخرفة مواد البناء :

أ- الجص:

كما ذكرنا سابقا فالجص استعمل منذ العصر الساساني لكن الإستعمال الكبير والفعال لها ظهر بعد تشييد مدينة سامراء ، حيث ازدهرت الزخرفة الجدارية على الجص ويتمثل ذلك في قصري الجوسق الخاقاني وبلكوارة بسامراء وفي باب العامة بنفس المدينة وقد تطور هذا الطراز المعروف بطراز سامراء في فترة لا تتجاوز الربع قرن ، وقد شاع هذا الطراز في العالم الإسلامي بعد ذلك شرقا وغربا فنجده في مصر في العصر الطولوني ثم انتقل هذا الطراز إلى المغرب

---

(1) – عبد العزيز مرزوق ، الفنون الزخرفية الإسلامية في المغرب والأندلس ، المرجع السابق ، ص156.

(2) – عثمان إسماعيل ، المرجع السابق ، ج4، ص346.

(3) – أندري باكار ، المرجع السابق ، ج1 ، ص61.

الإسلامي حيث استعمل المغاربة هذا الأسلوب بكثرة في تزيين الجدران والسقوف وكذا الأقواس حيث نجد أقدم أمثلته ممثلا في محراب مسجد السيدة بالمنستير[1] .

كما تم العثور في مدينة صبرا المنصورية (القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي) ، ويضاف إلى ذلك القطع الجصية التي عثر عليها في قلعة بني حماد[2] ، حيث توقف التأثر بطراز سامراء وظهر التأثير الأندلسي بعد ذلك ونجد أمثلته في محراب جامع تلمسان حيث استعمل بكثرة في عمائر المرابطين وبالتحديد بالمحاريب[3] .

وتتميز هذه المادة بسرعة الجفاف ، لذا تضاف لها بعض المواد كالغراء أو الملح لجعلها بطيئة الجفاف [4] .

يصف ابن خلدون عملية حفر الزخارف على الجص بقوله "يصنع من فوق الحيطان الأشكال المجسمة من الجص يخمر بالماء ثم يرجع جسدا وفيه بقية البلل فيشكل على التناسب تخريمات بمثقاب الحديد إلى أن يبقى له رونق وراء"[5].

بعد أن يسوى السطح وينعم يشرع الفنان في تحديد الزخارف عليه ورسمها مباشرة وفقا للموضوع المراد زخرفته الذي يكون إما في مخيلته أو معد في ورق مقوى ، ترسم عليه الزخرفة بواسطة ثقوب ليسهل تمرير المسحوق عبرها فهو يشبه القالب في الصناعات المجسمة ، ثم يمرر النموذج على الجدار الذي وضع عليه مادة الجص ويضغط عليه بواسطة اليد ثم ينتزع القالب لتظهر الزخرفة ، وتتكرر العملية على كامل الجدار [6].

وبالتالي فإننا نستخلص أن عملية نحت الزخارف الجصية تتخلص فيما يلي :

- تخمير الجص في الماء بخلط مقدار ثلث من الجص مع ثلثين من الماء .
- الاحتفاظ به رطب .
- تشكيل الزخارف بآلة حديدية .
- معالجة تلك الزخارف بطريقة تعطي مظهرا جميلا وأملسا .

لقد استخدم الفنان تقنية الحفر البارز في تنفيذه للزخارف الجصية لاسيما الزخارف الكتابية ، وهذا ما نجده في جل الزخارف الجصية في جدران المقبرة العائلية لصالح باي والشواهد وكذا في محراب قاعة التدريس بنفس المدرسة والواجهة الأمامية للمدخل التي احتوت على زخارف كتابية منفذة بأسلوب الحفر البارز على مادة الجص.

---

(1) – حسن حافظ علوي ، المرجع السابق ، ص71.

(2) – زكية راجعي ، الزخارف الجدارية بالمغرب الأوسط ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة الإسكندرية ، 1993 ، ص12-13.

(3) – عبد العزيز مرزوق ، الفنون الزخرفية الإسلامية بالمغرب والأندلس ، ص85.

(4) - Marçais (G.) , Manuel d'art musulman –L'architecture tunisie ,Algérie Maroc , Espagne et sicile , E'dition auguste picard , T2 , Paris , 1929 , P.586.

(5) – عبد الرحمان ابن خلدون ، العبر ، مجلد1 ، ص727.

(6) – آندري باكاري ، المرجع السابق ، ج2 ، ص15.

كما نجد تقنية الحفر البارز في الزخارف الجصية المتواجدة بنفس الجامع وخاصة في القبيبات أمام المحراب وقد نفذت بأسلوب جميل ينم عن تمكن الفنان من هذه التقنية .بالإضافة إلى إستعمالها في جامع صالح باي وبالتحديد في الكتابة التذكارية قوق المحراب حيث زخرفة هذه الكتابة على مادة الجص .

– لقد استخدم الفنان المسلم تقنية الزخارف بالقالب (الزخارف القالبية بواسطة مادة الجص) ، تتم هذه العملية بتحضير الزخارف في قوالب حسب مقاسات وحجم أماكن الاستخدام ، ثم تعبأ القوالب بمادة الجص ويضغط عليها لتتخذ العناصر الزخرفية في ذلك الجص ، ثم تفصل عن بعضها وتحدد الزخارف وتلصق في أماكنها المخصصة لها بواسطة مسامير أو خيوط أو غيرها من المواد المستعملة لتثبيتها [1].

استعملت الزخارف القالبية لأول في الفنون الإسلامية بمدينة سامراء في القرن (الثالث الهجري التاسع الميلادي) ومنها انتقلت تقنيات الزخرفة الجصية بأنواعها الثلاثة : الحفر الغائر ، الحفر المائل أو المشطوف إضافة إلى الزخارف القابلية إلى باقي المناطق الإسلامية كمصر والشام والمغرب والأندلس[2].

نجد هذه التقنية في قاعة التدريس بمدرسة سيدي الكتاني وبالتحديد في قبيبة المحراب المصنوعة من مادة الجص والمثبتة في المحراب ، كما نجدها أيضا في قبة المقبرة في نقطة الانتقال من المثمن إلى المربع وهي التي تحمل أركان القبة ، وهي عبارة عن محارات مصنوعة من مادة الجص بالطريقة السالفة الذكر(اللوحة 35–44) ، كما نجدها في جامع سيدي الكتاني (الصورة 22) وفي دار بن جلول .

ب– الرخام:

تجرى عملية قلع الرخام في فصل الصيف لأنه الوقت المفضل لذلك وبعدها تنقل القطع الرخامية إلى الورشة وذلك حسب وسيلة النقل المتوفرة والسهلة ، ثم تقطع إلى أجزاء حسب الاستعمال . بعد تهيئة القطعة الرخامية المراد الرسم فيها ، يشرع الفنان في رسم الموضوع الزخرفي بواسطة قلم أو ما يشبهه وإذا كان الرسم مهيأ على المرسام فإن عليه فقط أن يطبق المرسام ويخط على مساحة الرخام فيشكل الرسم المطلوب في الرخام ثم يعيد الفنان تحديد رسمه بقلم حتى تتضح معالمه جيدا فيشرع بعد ذلك بعملية نحت الأشكال المختلفة المراد استخراجها ، وأثناء عملية النحت يعيد الفنان تخطيط رسمه مرات عديدة حتى لا يقع في خطأ ويتشوه الرسم[3] ، وهذا العمل يتم بواسطة إزميل ومطارق مختلفة الأشكال والأحجام .

---

[1] – استعملت الزخارف القالبية لأول مرة في الفنون الإسلامية بمدينة سامراء في القرن 3هـ/ 9م ، ومنها انتقلت تقنيات الزخارف الجصية بأنواعها الثلاثة (الحفر الغائر – الحفر المائل أو المشطوف – الزخارف القالبية) إلى مختلف المناطق الإسلامية كمصر والشام والمغرب والأندلس.

[2] – فريد الشافعي ، العمارة العربية ،المرجع السابق ، ص419.

[3] –آندري باكار ، المرجع السابق ، ج2 ، ص15.

يعود فن النحت إلى عصور قديمة جدا ، منذ أن كان الإنسان يقوم بصنع تماثيل وأصنام وثنية للعبادة في العصور القديمة ، ثم سرعان ما تطور هذا الفن على يد المصريين القدماء والفرس والآشوريين والهنود ، غير أن هذا الفن كان عند هؤلاء الأقوام خاليا من الحركة كما يتميز بالطابع الديني والرمزي ، ثم أدخلت عليه تغييرات خاصة عند الإغريق والرومان فأصبح يمارس على نطاق أوسع ، وهذا من خلال ما وصلنا من أعمالهم الفنية الرائعة .

لقد توسع مجال استخدام هذه التقنية في العصر الإسلامي حيث تركوا بصماتهم واضحة على هذا الفن ، وهذا من خلال ما وصلنا من أعمالهم المختلفة سواء في المشرق أو المغرب . أما في الفترة العثمانية فنجده في (أطر الأبواب – الأعمدة – الميضآت) .

ونجد هذه الطريقة في أعمدة الأروقة المطلة على الصحن في الطابقين الأرضي والعلوي في دار بن جلول وكذا في مدرسة سيدي الكتاني ، بحيث نجد بها زخارف منحوتة على الرخام ، ومن أمثلتها الهلال (الصورة 39-40) وكذا عمودي محراب قاعة التدريس (الصورة 33) ، كما استخدمت أيضا تقنية الحفر البارز على مادة الرخام وذلك ما نجده في شواهد القبور بضريحي صالح باي ودار بن جلول (الصورة 57). ومن أروع أمثلة النحت على الرخام مانجده في جامع سيدي الكتاني وبالتحديد في المنبر(الصورة 14) ، ويعتبر هذا المنبر من أروع المنابر في الجزائر من حيث الصناعة وطريقة الزخرفة .

ج- تقنيات الزخرفة على الخشب :

لقد حظيت صناعة الخشب بمكانة مرموقة بين الصناعات الأخرى مشرقا ومغربا شد أنظارنا في هذه الصناعة الذي أبدع فيها الفنان المسلم في إنجازاته هو تحويلها من صورتها الصماء إلى لوحة فنية تسر الناظرين وأحسن مثال على ذلك الزخرفة على الخشب في الجزائر في العهد العثماني [1] ، حيث عرفت هذه الصناعة في هذه الفترة استعمالا واسعا هذا ما أدى إلى الزيادة بالعناية بالجانب الفني والزخرفي لها ، وجمع فيها الفنان بين الأساليب الفنية المختلفة ، وقد اختلفت المصنوعات من هذه المادة وأهمها (الأبواب – النوافذ – الخزانات الجدارية – السقوف – الدرابزينات – الروابط الخشبية). ونجد هذه التقنية تقريبا في جل المنشآت المدروسة .

ج-1- الحفر على الخشب :

تختلف هذه التقنية عن الحفر والنحت على الحجر والرخام ، ذلك أن العمل على الخشب يتطلب جهدا عقليا أكبر ووقتا أطول مقارنة بالمواد الأخرى . يقوم الفنان برسم الشكل المراد إخراجه على المساحة المخصصة لذلك بواسطة قلم رصاص أو غيره ، وإذا كان الرسم معقدا فإنه يستعمل المرسام و يستعمل لغرض إنجاز عمله الفني مجموعة من الآلات كالأزميل والمطرقة بمختلف أشكالها والمنقر الخشبي وذلك لتفريغ الخشب وإظهار الزخارف البارزة[2].

---

[1]- Arseven (C.E.) , op.cit , P.193-194.

[2] – ربيع حامد خليفة ، الفنون الإسلامية في العصر العثماني ، مكتبة زهراء الشرق ، القاهرة ، ط3 ، 2005 ،ص 154.

بعد تفريغ الخشب لإظهار الزخارف البارزة والعكس بالنسبة إلى الزخارف الغائرة ، يستعمل الفنان أداة بدائية لنقر السطوح المفرغة بعد الحفر بالإزميل تحت ضربات خفيفة ودقيقة بالمنقر الخشبي[1] .

بقيت الأساليب الهليلنستية والساسانية متبعة في الحفر على الخشب في بداية العصر الإسلامي ، ثم تطور عن هذين الأسلوبين أسلوب جديد أخذ ينموا تدريجيا ، ويمكن أن نلمح حلقات هذا التطور في أمثلة عديدة عثر عليها في مصر وعلى الأخص في الفسطاط وعين الصبرة بظاهرة القاهرة ، ولاتزال التأثيرات الهلنستية واضحة قوية في الكوابل الخشبية (المساند) بالمسجد القصى ببيت المقدس ، إذ نجد فيها تعبيرات من ورقة شوكة اليهود وتفريغات من ورق العنب مجتمعة في وحدات زخرفية مزدحمة تشبه تلك التي وجدت على فسيفساء قبة الصخرة ببيت المقدس والجامع الكبير بدمشق ويظهر الأسلوب الإسلامي الجديد وأحسن أمثلته واجهة قصر المشتى في عدة قطع من الخشب المحفور عثر عليها في مصر والعراق وترجع إلى العصر الأموي بينما ترجع القطع الأخرى إلى أوائل العصر العباسي ، وأحسن أمثلة الخشب المحفور في أوائل العصر العباسي منبر جامع القيروان أما في الفترة العثمانية فقد تنوع استخدام هذه التقنية ، حيث نجدها في جل العمائر العثمانية [2] .

وقد استخدمت في ضريحي سيدي الكتاني وسيدي محمد الغراب تقنية الحفر البارز وذلك في شواهد القبور المصنوعة من الخشب (الزخارف الكتابية). وكذا في جامع سيدي الكتاني حيث استعملت كأرضية للزخارف المرسومة بالألوان في سدة المبلغ من الجهة السفلية وكذا في المحراب الخشبي في جامع الباي بعنابة حيث زين بمجموعة من الزخارف المتنوعة .

ج-2- طريقة التجميع والتعشيق [3] :

تستعمل للحصول على تركيب زخرفي يقوم على ضم مجموعة كبيرة من القطع ذات الأشكال الهندسية مع بعضها البعض ، وتقوم هذه العملية على تجميع قطع صغيرة من الخشب أو الحشوات التي تتمثل في مثلثات ومضلعات ونجوم بسمك معين ، ويشكل هذا التجميع وجود فرجات بين القطع المجمعة تسمح للخشب التحرك بحرية لتفادي الضرر بالقطع المجاورة وعرفت هذه الطريقة عند الفنانين العثمانيين بـ "كندي فاري" [4] .

---

[1] – آندري باكار ، المرجع السابق ، ج2 ، ص267.

[2] – م.س.ديماند ، الفنون الإسلامية ، ترجمة. أحمد محمد عيسى ، دار النعارف ، مصر ، ط2 ، يوليو 1957 ، ص115.

[3] – التجميع والتعشيق : هي ابتكار إسلامي جاء استجابة لطبيعة الخشب وخاصياته من حيث التمدد والانكماش.

– أنظر محمد عبد العزيز مرزوق ، الفنون الزخرفية الإسلامية في المغرب والأندلس، المرجع السابق ، ص154.

[4]- Arseven , Op.cit , P201.

وتعتبر تقنية التجميع والتعشيق من أعقد التكوينات وتقنياتها من أصعب التقنيات إذ تتطلب إعداد رسم مصغر للحجم الطبيعي للموضوع ثم يعاد رسمه بحجمه الطبيعي بمقاييس محددة ، بعدها يتم إعداد الحشوات والوصلات بإطاراتها وأشرطتها المنقورة والملسنة مع إعداد أماكنها على اللوح المراد تركيبها عليه ، وتتم هذه العملية في الورشة وتنتهي بتركيب التحفة في عين المكان وفقا لطريقة التجميع والتعشيق [1].

لقد ابتكرت هذه التقنية من طرف المسلمين وذلك لسببين رئيسيين هما خاصية الخشب من حيث التمدد والانكماش والانفتاح بتأثير العوامل الطبيعية ، كما جاءت نتيجة لافتقار المنطقة للأنواع الجيدة من الخشب وتلاؤمها مع الاستغلال الأقصى لما وجد منها[2].

ونجد هذه الطريقة في باب غرفة التدريس في مدرسة سيدي الكتاني ، كما نجدها في بعض الأبواب بجامع الباي بعنابة. (الصورة 45-46)

ج- الخرط : وهي مستعملة بكثرة في زخرفة الخشب الإسلامي وهناك نوعان خراطة واسعة وخراطة دقيقة ، استخدمت التقنية الثانية بشكل واسع وتقوم على تنويع الأشكال والوحدات المستخدمة وذلك باستعمالها لعدة طرق منها خرط المسدس الذي تتصل فيه القطع ببعضها البعض عن طريق ألسنة تخرج من الأشكال الأولى .

نجد هذه الطريقة مستخدمة في الستائر الخشبية للنوافذ والمشربيات التي كان الغرض منها توفير حجاب للنساء يسمح برؤية من بالخارج دون أن يراهن أحد من الخارج ، وهي تعرف لدى الأتراك بـ "المشبك" وهي توفر غرض السترة بالإضافة إلى دخول الضوء [3].

وهذا ما نجده في القسم العلوي لدار بن جلول وبالتحديد في ستائر النوافذ ، وكذا في ضريح سيدي محمد الغراب في مشربية الضريح .

د- البلاطات الخزفية :

احتوت مباني الجزائر في العهد العثماني على عدد لا حصر له من البلاطات الخزفية التي استعملت في تكسية الجدران وكان الغرض منها وظيفي زخرفي ، فهي تكسب المبنى منظرا جماليا ، وهي أيضا تساعد المبنى على ديمومته واستمراريته وقد صنفت إلى ثلاث مجموعات :

---

[1] – رجب عزت ، تاريخ الأثاث منذ أقدم العصور ، القاهرة ، 1978 ، ص200-201.

[2] – عبد العزيز مرزوق ، الفنون الزخرفية الإسلامية في المغرب والأندلس، المرجع السابق ، ص154.

[3] – خيرة بن بلة ، المنشآت الدينية ، المرجع السابق ، ص391-392. للمزيد أنظر :

- ربيع حامد خليفة ، فنون القاهرة في العصر العثماني (1517-1805م) ، مكتبة نهضة الشرق ، جامعة القاهرة ، 1984 ص1740.

* البلاطات المصنوعة بتونس : ونجدها بكثرة في مباني الجزائر في هذه الفترة وهي تزين المحاريب والقباب والمآذن والجدران وكذا بعض المآذن . كما نجدها في جامع سيدي الكتاني وكذا مدرسته وفي المقبرة العائلية ودار بن جلول . وكذا جامع الباي بعنابة .

* البلاطات المصنوعة بتركيا : تعتبر الأحسن من حيث الصناعة والزخرفة .

* البلاطات المصنوعة بأوروبا: وتتميز هذه البلاطات بالاختلاف فيما بينها اختلافا كبيرا من حيث أساليب الصناعة والزخرفة[1] ومن أبرزها :

-البلاطات المصنوعة بإيطاليا : حيث نجدها مستعملة في كل من جامع سيدي الكتاني وحيث استعملت في تكسية جدران بيت الصلاة في الجامع كذا في مقبرة سيدي الكتاني حيث كسيت جدرانها الثلاث بحشوات مدرسة سيدي الأخضر وضريح سيدي الكتاني وكذا دار بن جلول وهي تغطي جدران الدرج الصاعد بين الطوابق والجدران الداخلية والخارجية للحجيرات بالطابق الأرضي والأول ، كما استخدمت في أعتاب الأبواب والشبابيك وكأحزمة فوق بوائك عقود الغرف والدخلات الصماء وتمتاز بلاطات دار بن جلول بأسلوب صناعي وزخرفي متماثل مع الأسلوب الزخرفي وعناصره الفنية للبلاطات الإيطالية الموجودة بمختلف مباني مدينة قسنطينة وهي من أروع تلك النماذج وعلى درجة كبيرة من الجمال والرقة من حيث الألوان والزخارف المتأثرة بأسلوك الباروك والركوكو اللذان يعتمدان على الضفائر واللفائف الورقية وورقة الأكانتس التي رسمت بوضعيات مختلفة طبيعية ومحورة .

حيث أن صالح باي كان يستورد مواد مختلفة للبناء كالرخام من هذه البلاد ومما لاشك فيه أنه استورد البلاطات الخزفية من نفس المنطقة .

أما عن الصناعة والزخرفة فتوضع البلاطات الخزفية في الفرن لإجراء عملية الحرق الأولي ، وفي فرن أخر صغير تطبخ عناصر تركيب الطلاء التي يضاف إليها الرصاص والرمل لتسهيل إلتصاق الطلاء بسطح الصلصال وتطحن المادة المطبوخة للحصول على مسحوق يخلط بعد ذلك بقليل من الماء . وتستخدم هذه المينا السائلة التي توضع في أحواض تسمى "الأقداح" لطلاء المربعات المصقولة وتتطلب هذه العملية يد خبيرة وسريعة[2] .

ويتم طلاء البلاطات الخزفية بطريقة فنية دقيقة ، حيث يتم أولا وضع البطانة ثم ترسم عليها الأشكال الزخرفية لتوضع بعدها الطلاءات التلوينية ويسمى هذا الخزف ذي الزخارف المرسومة تحت الطلاء ، أو توضع الطلاءات أولا ثم ترسم الأشكال وفي هذه الحالة يسمى بالخزف ذي الرسوم فوق الطلاء[3] .

لقد استعملت مجموعة كبيرة لتلوين وزخرفة هذه البلاطات الخزفية وأبرزها (الأزرق- الأخضر - الأصفر – الأبيض- الأسود – الأحمر) وقد كانت هذه الألوان تستخرج من مجموعة من الأكاسيد أبرزها :

---

[1] – عبد العزيز لعرج ، الزليج في العمارة الإسلامية ، المرجع السابق ، ص21-152.

[2] – عزوز الخراز ، صناعة الخزف : الطين والعجينة ، ج1 ، بنزرت تونس ، 2004 ، ص52-53.

[3] – عزوز الخراز ، نفس المرجع ، ص108.

الأزرق : حصى الدار الأبيض + رصاص + رمل

الأخضر: نحاس أصفر + الكروم

الأصفر : أوكسيد الحديد .

الأبيض : قصدير + رصاص + رمل .

الأسود : النحاس + المغنيز .

الأحمر: أوكسيد الحديد + رصاص + رمل .

بني : الحديد + المغنيز[1].

هـ- التحف المعدنية :

لقد استعملت في زخرفة التحف المعدنية المعدة للزخرفة تقنيات أبرزها :

أ- الحفر والحز : تتم هذه التقنية بزخرفة التحفة بحز ونزع جزء من المعدن بواسطة مقص[2] ، ثم تستعمل طريقة الحز لتوضيح ملامح وتفاصيل الزخارف المحصل عليها بواسطة الصب[3] ، وذلك باستعمال أزاميل حادة ومدببة .

ب- التخريم أو القطع : تستعمل هذه الطريقة في زخرفة التحف المعدنية بقطع المخلفات التفريغية وأولى خطوات هذا العمل هي إلصاق الرسم المراد الحصول عليه على السطح المخصص لذلك وينقل الرسم إلى المعدن عن طريق الدق وحين ترتفع تلك الورقة تظهر العناصر الزخرفية واضحة عل سطح المعدن[4] . بعدها تأتي الخطوة الثانية المتمثلة في إحداث ثقب في وسط المعدن للسماح بإدخال مخارز أو مناشير التفريغ فيستعمل في إزالة المساحات الكبيرة من المعدن .

ج- التدوير : يستعمل في هذه العملية مخرطة تدار على القطعة المعدنية المراد تشكيلها مع نزع الزوائد بأدوات القطع المختلفة ، ولزخرفتها يستعمل القطع بالأزميل .

أما عن استعمال هذه الصناعات فقد استعملت بكثرة في الفترة العثمانية وكانت لها ورش متعددة في كامل ربوع الجزائر .

3- الطلاءات التلوينية (الزخارف القالبية) :

لقد اتجه الفنان المسلم إلى استخدام أسلوب آخر في الزخرفة ألا وهو الطلاءات التلوينية التي تزين القيمة الجمالية للتكوين الزخرفي وذلك بطلاء الزخارف بالألوان المختلفة لكي يضفي عليها مظهر الحيوية [5] .

---

[1] –آندري باكار ، المرجع السابق ، ج2 ، ص358.

[2] – محمد أحمد زهران ، المرجع السابق ، ص8.

[3]– Arseven (E.) – les Arts decoratifs , Op.cit , p.210 .

[4] – محمد أحمد زهران ، المرجع السابق ، ص8.

[5]- Marçais (G.) , L'architecture Musulmane d'occident ,Op.cit , P.332.

وقد استعمل هذا الأسلوب في بلاد المغرب منذ العهد الموحدي في تزيين المساحات الخارجية في مئذنة جامع الكتبية بمراكش ولم يلبث هذا الأسلوب الزخرفي أن ساد استخدامه في المباني ، حتى عرف تطورا ملحوظا في الفترات اللاحقة. وقد استخدم الطلاء في مختلف المنشآت المدروسة ، بحيث نجده في الزليج وكذا الزجاج بالإضافة إلى جدران بالإضافة إلى طلاء الخشب ، وفيما يلي بعض الأساليب التلوينية المستعملة :

وهذه التقنية نجدها خاصة قي نوافذ جامع سيدي الكتاني .

أ- طلاء الزليج :

تستعمل هذه المادة في زخرفة الجدران بالدرجة الأولى ، حيث نجدها في جل الأماكن في مركب سيدي الكتاني وفي دار بن جلول وكذا في جامع الباي بعنابة ، و وهو مصنوع من الخزف ويطلى على يد صناع حرفيين ، حيث يحضر المسحوق التلويني في ورش خاصة ، ثم يتم طلاء قطع الزليج من عروقها أو حافتها أو قاعدتها باليدين أو بين السبابة والإبهام ، ويغطس القطعة في السائل ثم يرفعها ويضعها جانبا بالنسبة للأدوات الخزفية والقراميد ، أما بالنسبة للزليج فتوضع كل زوجين فوق بعضهما حيث تغطس في الطلاء ويعاد حرقها .كما قد تستعمل فرشاة ناعمة أو خشنة في طلاء بعض القطع الخزفية [1].

ب- تلوين الزجاج :

يتم تلوينه بإضافة أكاسيد مختلفة إلى الزجاج الذائب لتكسيه اللون المطلوب.

فأكسيد النحاس يعطي اللون الأخضر الفيروزي .

أكسيد الكوبالت يعطي الأزرق الفاتح .

أوكسيد المجنيز يعطي الأرجواني والبنفسجي .

حجر اللآزورد يعطي اللون الأزرق .

الأنتثمون (الأثمد) يعطي اللون الصفر [2].

ج- طلاء الجدران بالجير :

لقد عمد الفنان إلى استعمال الجير[3] كطلاء لتبييض الجدران ، تجلب هذه المادة من محاجر خاصة تستخرج منها المادة على شكل حجارة كلسية تختلف نقاوتها من منطقة لأخرى ، وبعد تفتيتها وتنقيتها يتم حرقها في درجة حرارة مابين 900-1000درجة مئوية وتدوم عملية الحرق ستة أيام بلياليها وتستخرج منها المادة الأصلية .

---

[1] – عبد العزيز محمود لعرج ، المباني المرينية ، ج2 ، (قسم 3-4) ، ص782.

[2] – عبد العزيز مرزوق ، الفنون الزخرفية الإسلامية في المغرب والأندلس ، المرجع السابق ص208.

[3] – الجير : هو أول أكسيد الكالسيوم ، يرمز له كيميائيا (C.A.O.) ، يجلب من محاجر خاصة تستخرج منها المادة على شكل حجارة كلسية تختلف نقاوتها من منطقة لأخرى .

وتحت تأثير الماء والرطوبة تتحول هذه الحجارة إلى مسحوق يسمى بالجير المطفاء وهو جاهز للاستعمال مباشرة بعد جفافه . يقول ابن خلدون " يحل الكلس في الماء ويخمر أسبوعا أو أسبوعين على قدر ما يعتدل مزاجه عن إفراط لانارية المفسدة للإلحام .فإذا تم له مايرضيه من ذلك علاه من فوق الحائط إلى أن يلتحم"[1] .

ونجد هذه الطريقة مستعملة في مقبرة صالح باي وكذا الغرفة الجنائزية الصغيرة التي تحوي على قبري زوجة وابنة صالح باي بالإضافة إلى مدرسة سيدي لخضر كطلاء للجدران ونفس الطريقة مستعملة في مركب سيدي محمد الغراب . فقد عمد الفنان إلى استخدامه كطلاء لتبييض الحيطان إلى جانب استعماله كملاط لتلحيم مادة البناء (الآجر) وذلك بخلطه مع الرمل .

وتستخرج مادة الجير على شكل حجارة ثم تفتت وتنتزع منها الشوائب الزائدة ثم تحرق لتشكل الجير الحي [2] . وتحت تأثيرا الماء والرطوبة تتحول هذه الحجارة إلى مسحوق يسمي بالجير المطفاء . إن استعمال الجير في طلاء الأماكن المختلفة يزيد في بياضها وقد يستعمل كأرضية للزخارف المختلفة.

د– طريقة تلوين الخشب :

هي عملية دهن الخشب بألوان متعددة لمواضيع زخرفية مختلفة ، وقد كانت الألوان تستخلص طبيعيا من مواد متنوعة ، هذا الأخير الذي كان ينتج ألوان متعددة كالزبدي والأصفر والأحمر والأسمر والأسود حسب اللون المراد استعماله.

– أما عن الأداة المستعملة في الدهن فهي عبارة عن فرشاة يصنعها الفنان بنفسه . بعد إعداد الرسوم تنفذ عملية التلوين إما بوضع الفنان هذه النماذج المثقبة على السطح المطلوب زخرفته ثم يمرر فوقها خرقة بها المادة الملونة ، أو بتغطية المساحات بورقة السندس وهي ورقة قصدير مغطى بخليط من الزعفران لمدة 15 يوما ليصبح صالحا للاستعمال وبعد الانتهاء من هذه العملية تأتي عملية حماية الزخارف بواسطة زيت الكتان.

ومن أبرز أمثلته تلك اللوحة (الرسم) الفائقة الجمال والتي تعتبر فريدة من نوعها في منشآت صالح على مادة الخشب والتي نجدها في سدة بيت الصلاة من الأسفل بجامع سيدي الكتاني ، وهي دلالة كبيرة على الحس الفني وكذا ماوصلته هذه الصناعة في تلك الفترة .

---

[1] – عبد الرحمان بن خلدون ، المقدمة ، المصدر السابق ، ص512.

[2]- Grand (F.) , Traité de technologie ,Fédération romande des maîtres – menuisiers Ebénistes, Fabricants de meubles , menuisiers , Charpentiers et Parqueteurs , Lausanne 1954 , P.63.

خاتمة:

من خلال دراستنا لموضوع "المنشآت المعمارية والفنية لصالح باي اتضحت لنا العديد من الحقائق التي كنا نجهلها بسبب عدم تعمق الباحثين في هذه الشخصية وكذا منجزاته ، وأبرز النتائج المتوصل إليها من خلال هذه الدراسة :

1- إن شخصية صالح باي شكلتها مجموعة من المؤثرات القبلية أي قبل دخوله إلى الجزائر ، وكذا مؤثرات بعدية أي بعد التحاقه بأيالة الجزائر ، أما التكوين الحقيقي له فكان بعد وصوله إلى بايلك الشرق ، هذا التكوين وهذه النشأة أثرت فيما بعد في تفكير صالح باي بعد توليه لشؤون البايلك ، بعد تنصيبه كباي عمل كل ما في وسعه لاستتاب الأمن والاستقرار في شتى المجالات كما عمل على تقوية نفوذه ومد أطراف البايلك إلى مناطق بعدة ، كل هذه الأمور أدت إلى تخوف كل المناطق من الباي وكذا إسكات المنتقدين والمعارضين .

2- عمل صالح باي على مركزه فقام بعمل كبير في المجال الإقتصادي لزيادة موارد خزينته ، فوسع المساحات الصالحة للزراعة كما مد قنوات الري إلى مناطق بعيدة لكسب مساحات إضافية أما في الجانب الصناعي فقد أقام أحياء كاملة خاصة بالصناعات الحرفية المختلفة وجلب المعادن من مناطق مختلفة أما في المجال التجاري فأعماله تشهد على حنكته وحسن تسييره للأمور ، حيث وسع من ميناء سطورة في مدينة سكيكدة كما وسع ميناء مدينة عنابة كما أقام علاقات تجارية كبيرة داخلية وخارجية مع بلدان عربية وكذا بلدان أوربية خاصة فرنسا وإيطاليا . كما أصلح النظام الجبائي وقام بتطويره فهو يعتبر الباي الوحيد الذي يدفع الضرائب للداي في الجزائر قبل وقتها ، وهذا دليل على الرخاء الاقتصادي الذي كان يعيشه البايلك.

3- ساعد الموقع الجغرافي للبايلك واتساع مساحته على جلب ثروات كبيرة للبايلك ككل ولمدينة قسنطينة بصفة خاصة حيث مرت على المنطقة جل الحضارات التي استعمرت منطقة بلاد المغرب نظرا لغناه خاصة في مجال إنتاج الحبوب كما أن العثمانيين ركزوا نفوذهم في المنطقة لنفس السبب ، وتاريخ المنطقة حافل بالأحداث خاصة في الفترة العثمانية ، كما تميز تاريخ المنطقة في هذه المرحلة بالصراعات الكبيرة على السلطة حيث كان البايات لايلبثون طويلا في مناصبهم إما بالاغتيال أو العزل وبقيت الإضطرابات والصراعات إلى غاية قدوم صالح باي وتوليه مقاليد الحكم في البايلك .

4- تعتبر مدينة عنابة من أبرز المدن التابعة لبايلك الشرق خاصة في المجال التجاري ، حيث اهتم بها صالح باي أيما اهتمام لأنها كانت المدينة الأولى في الشرق الجزائري في مجال المبادلات التجارية الخارجية بالإضافة إلى غناها في مجال صيد السمك والمرجان ، كما أن الأحداث التاريخية التي مرت على الشرق الجزائري مرت أيضا على هذه المدينة ، كما عرفت المدينة صراعا عقائديا في فترة صالح باي بين أصحاب المذهب المالكي وأصحاب المذهب الحنفي أدى إلى تدخل الباي شخصيا لفض هذا النزاع .

5- قبل فترة صالح باي كانت المؤسسات الدينية والثقافية تعاني من مشاكل التموين المادي ، وبعد توليه مقاليد السلطة عمل على حل هذا المشكل دون اللجوء إلى خزينة البايلك ، حيث أنشأ مؤسسة خاصة بالأوقاف وضع عليها عمال ومتخصصين في المجال الديني وربطها بسلسلة من المؤسسات التجارية وكذا أراضي زراعية وفنادق وغيرها وقد شجع الشخصيات المرموقة في البايلك على وقف جزء من ممتلكاتهم على هذه المؤسسة وكان هو أول البادئين بهذه العملية ، فأصبحت هذه المؤسسة لها المقدرة على تسيير نفسها دون اللجوء إلى معونة الدولة ، كما أن الدولة في هذه الفترة لم تكن تسير المؤسسات الثقافية والتعليمية والدينية ولم تكن تعيلها سواء في الدولة العثمانية نفسها أو في بقية الأيالات التابعة لها ونفس الشيء نجده في مدينة قسنطينة .

إن لمؤسسة الوقف التي تركها لنا صالح باي وكذا لسجل الأوقاف الذي يحوي على جزء من الوثائق الخاصة بمعاملات الوقف دور كبير في معرفة الناحية الاجتماعية وكذا استرجاع أعلام الأماكن التي ضاعت وكذا طبيعة المدينة وتكوين صورة واضحة عن تخطيطها وأبرز المنشآت الموجودة فيها بالإضافة إلى معرفة الزيادات التي أضيفت في فترة صالح باي أما الهدف الرئيسي من دراسة الأوقاف هو معرفة تخطيط المدينة وابرز الزيادات في فترة صالح باي ، كما ترتب عن إقامة هذه المؤسسات واختيار موقعها أن انتقل وسط المدينة ومركزها إلى سوق الجمعة حيث دار الباي الجديدة والجامع الأعظم الذي يصلي به وكذا المدرسة التي بناها بمحاذاة الجامع .

6- إن فكرة إنشاء مؤسسات دينية وثقافية وتعليمية لم تكن وليدة الصدفة بالنسبة لصالح باي فحبه للعمارة والفنون وتأثره بالعمارة يعود ربما لفترة صباه وذلك لأنه قضى تسعة عشر عاما في مدن تركيا مشاهدا ومتأثرا بعمارتها وزخارفها لذلك أنشأ مركبات دينية شبيهة بما هو موجود في مدينة إسطنبول ، فالفرق واضح بينه وبن بقية البايات الذين حكموا المدينة في مجال البناء والتعمير .

7- لقد تميز صالح باي عن بقية بايات قسنطينة بحبه للعمارة والفنون ، وبالرغم من الاختلافات بين المؤرخين حول شخصيته إلا أنه خلف لنا إرثا معماريا وفنيا ساعد المؤرخين والأثريين على دراسة تاريخ المنطقة .

8- عمل صالح باي على تنويع منشآته المعمارية فلم يكتفي بالمنشآت الثقافية والدينية فقط بل عمل على تقوية دفاعات المدينة وزيادة تحصينها ، كما شيد عدة منشآت في الجانب الاقتصادي ، لكن للأسف الشديد لم تصلنا سوى المؤسسات الدينية والثقافية فقط .

9- استعمل صالح باي في منشآته مجموعة كبيرة من الطرز المعمارية المستعمل قبل عصره وأثنائه وتعتبر عمارته امتزاج كبير بين الطرازين المحلي والوافد ويمكن تبيان هذه الطرز فيما يلي :

- بالنسبة للمخططات المعمارية فبعضها حافظ على الطراز المحلي كمدرستي سيدي الكتاني وسيدي الأخضر والذي يتميز بوجود صحن أوسط تلتف حوله بقية الوحدات ، ولكن أهم ما يميزها عن باقي المدارس المغربية هو وجود المقبرة العائلية لصالح باي الواقعة في الجزء الغربي للمدرسة الكتانية ، كما تتميز هذه المدرسة بالبساطة مقارنة بالمدارس المغربية الأخرى .

أما بالنسبة للمساجد فنجد بالنسبة للمخطط العام أخذ من التقاليد المحلية وهذا في صحن الجامع سواء في سيدي الكتاني أو في جامع صالح باي بعنابه ، أما تخطيط بيت الصلاة فقد أخذ من التقاليد المحلية ممثله في الأروقة الموازية لجدار القبلة بالإضافة إلى أننا نجد في جامع صالح باي بعنابة نظام القبة المركزية التي تحيط بها مجموعة من القباب الثانوية وفي نفس الوقت أدخلت عليه مجموعة كبيرة من المؤثرات العثمانية .

أما بالنسبة للأضرحة فقد استمدت تخطيطها من المؤثرات المحلية القائمة على مساحة مربعة مغطاة بقبة وتكون فيها منطقة الإثقال من المربع إلى الدائري أو المثمن بواسطة حنيات ركنية .

أما بالنسبة للطرز الوافدة فنجد أبرزها فيما يلي:

– في استخدام المنبر الرخامي الموجود في جامع سيدي الكتاني ، وكذا مئذنته جامع سيدي الكتاني والتي تتشكل من قاعدة مربعة يعلوها بدن مثمن في الأسفل وأسطواني في الأعلى ثم جوسق أسطواني .

– استخدام شواهد القبور ذات العمامات وهذا ما نجده في المقبرة العائلية لصالح باي كما نجد هذه العمامات في نفس الجامع ، وهذا النوع من شواهد القبور هو تأثير عثماني لكن استعماله قليل جدا حتى في تركيا نفسه ، لكن الجديد هو استخدام العمامات بدرابزين جامع سيدي الكتاني ، وكذا في أعلى تسقيف الجامع ، وهذا لم نجده في مؤسسة دينية عثمانية .

– استعمال البلاطات الخزفية على نطاق واسع جدا حيث نجدها في جل المنشآت المدروسة وكذا في كل جزء تقريبا من هذه المنشآت ، كما تتميز هذه البلاطات بالتنوع في مواضيعها .

– إن أبرز مثال عن التزاوج بين الطرازين المحلي والوافد ممثل في فترة صالح باي نجده في جامع الباي بعنابة وبالتحديد في المآذن فقد استعمل نوعين من المآذن الأولى مربعة الشكل وهو تأثير مغربي أندلسي محلي والثانية دائرية الشكل وهو تأثير عثماني وافد ، حيث أن هذا التزاوج بين الطرازين المغربي والعثماني لا نجد له أي مثال في العالم الإسلامي في جامع واحد .

– لم يكتفي صالح باي بالمؤثرات العثمانية فقط بل استخدم مؤثرات أخرى في مجال العمارة والفنون وأبرزها على الإطلاق التونسية والإيطالية والهولندية وذلك من خلال استيراد بعض المواد الصناعية وكذا بعض التحف بالإضافة إلى البلاطات الخزفية المتنوعة والمجلوبة من مناطق مختلفة والتي كانت تحوي على مواضيع زخرفية متنوعة .

10– لقد اعتمد الفنان على جل العناصر المعمارية في إضفاء مظهر جمالي على منشآته وتتمثل في : العقود – الأقواس – التيجان – القباب . فالعقود قد حافظت على شكلها الذي كان شائعا بالمنطقة قبل هذا العصر كما عرفت الأبدان تنوعا في الأشكال ، كما تنوعت الزخارف وبالتالي تنوعت الصناعات المستعملة في سبيل ذلك.

11– تنوعت الزخارف من النباتية والهندسية والكتابية وكذا الحيوانية والرمزية فنذكر من النباتية ورقة الآكانتس زهرة القرنفل ، ثمار البرتقال ، عناقيد العنب ، زهرة اللالة أما العناصر الهندسية فقد تنوعت بين المربعات ، المثلثات ، المعينات والخطوط المختلفة .

والملاحظ أن الخط الشائع في عمارة صالح باي هو خط الثلث وهو تأثير عثماني أيضا لأن الخط الشائع في الإمبراطورية العثمانية بصفة عامة هو نفس الخط ، هذا بالإضافة إلى استخدام أنواع أخرى من الخطوط كالخط النسخي والمغربي .

12- لقد استخدمت في منشآت صالح باي ألوان مختلفة مزجها الفنان يبعضها البعض ليشكل لنا لوحات فنية رائعة سواء تعلق الأمر بالبلاطات الخزفية أو بالزخارف النباتية في التسقيف أو طلاء الجدران ، وهذا دليل على بلوغ الألوان في هذه الفترة درجة عالية من الدقة في الاستعمال .

13- استغل المسلمون كافة مواد البناء الإنشائية من خشب وجص وزجاج ورخام وآجر ومعادن ووظفوها لصالح البناء بصورة جميلة وفريدة .حيث استعمل في منشآت صالح باي جل المواد البنائية المستعملة في الفترة العثمانية.

14- لقد استعملت في منشآت صالح باي جل الأساليب الزخرفة المستخدمة في الفترة العثمانية وقبلها ، وذلك على مواد البناء المختلفة .

* إن الزائر أو الدارس لهذه المواقع الأثرية يلاحظ مدى التغييرات التي طرأت عليها سواء في الفترة الإستعمارية أو بعد الإستقلال حتى أن أجزاء كثيرة منها فقدت أصالتها ، كما يجب الإشارة إلى أن حالة الكثير من المرافق في هذه المنشآت تتعرض يوميا لحالات تلف وتهديم بفعل العوامل الطبيعية أو البشرية وأكبر هذه المنشآت تعرضا للتهديم والتلف هو مركب سيدي محمد الغراب الذي تعرض مسجده للتهديم الكامل الشيء الذي صعب علينا عملية دراسته من الداخل وما زال التلف يصيب الأجزاء المتبقية منه ونفس الشيء يقال عن الميضأة الموجودة بجواره فهي رغم الترميمات التي أضيفت لها إلا أنها ما تزال تحتاج إلى الكثير من العناية بالإضافة إلى المنزل الموجود بجوار الضريح فهو أيضا يحتاج إلى مزيد من العناية ، وما يعاب على الترميمات بهذا المركب أنها لم تراعي أصالته فأستخدم فيها مواد بناء حديثة كالطوب والإسمنت .

-كما يمكن القول نفس الشيء على مدرسة سيدي الأخضر فهي تتعرض للتلف يوميا بسبب هشاشة جدرانها وكذا عناصرها المختلفة ، فهي تحتاج إلى وقفة حقيقية من طرف السلطات المعنية .

- أما فيما يخص مركب سيدي الكتاني فالشيء الوحيد الذي يمكن التنبيه له هو أن المقبرة تعرضت للتصدع خاصة سقف الغرفة الجنائزية الصغيرة التي تحتوي على قبرين (بنت وزوجة صالح باي) ، الذي سقط بالكامل منذ عدة سنوات ، الشيء الذي أدى إلى تلف كبير في البلاطات الخزفية التي تغطي قبر عائشة زوجة صالح باي ، لذالك نطالب السلطات المعنية بترميم هذا الجزء قبل أن يعم التلف كامل المقبرة.

أما منزل صالح باي فقد تعرض أيضا لتلف في بعض أجزائه خاصة في الطابق الثاني وكذا في الدرابزينات بالإضافة إلى أن تسقيفه أصابه جزء من التخريب .

- إنه من الضروري جدا الإشارة إلى هذه الأضرار وتنبيه السلطات المختصة خاصة مديرية الثقافة لولاية قسنطينة وكذا مديرية الشؤون الدينية لنفس الولاية وذلك قصد رفع تقارير للوزارات المختصة من أجل عملية ترميم هذه المنشآت . بالإضافة إلى تنبيه الجهات المختصة أنه عند عملية الترميم يجب التعاقد مع شركات متخصصة بالترميم وذلك من

أجل الحفاظ على أصالة المباني الأثرية ، وخير مثال على ذلك هو الشركات التي أعادت ترميم قصر أحمد باي بقسنطينة والتي حافظت على الطبيعة الأولى للقصر .

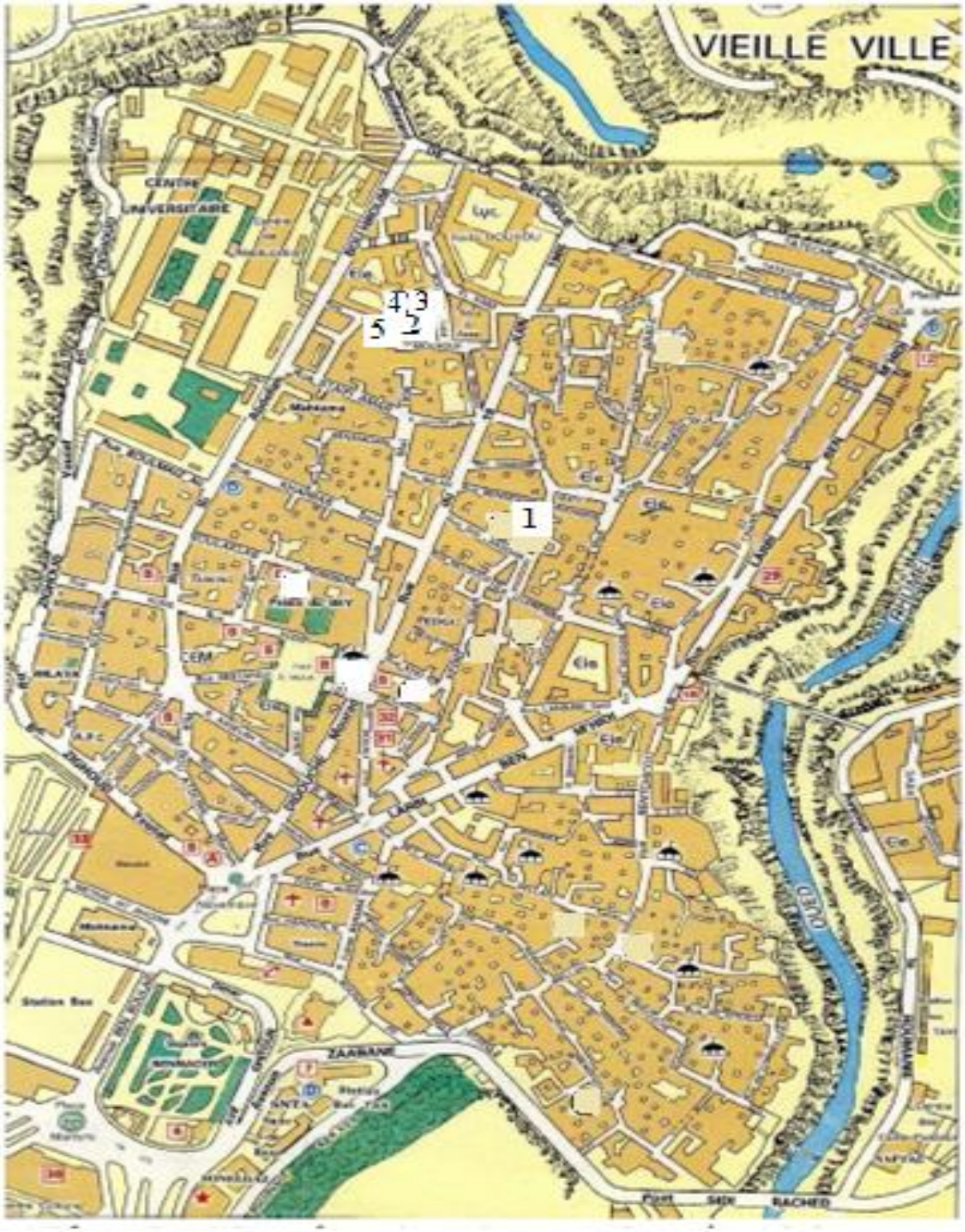
* وفي النهاية يجب الإشارة إلى أن دراستنا حول موضوع "المنجزات المعمارية والفنية لصالح باي" شملت معظم الجوانب التاريخية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والعمرانية في فترة صالح باي ، إلا أنه لا تزال بعض الأمور غامضة تحتاج إلى مزيد من البحث والتمحيص خاصة ما تعلق بالفترة الزمنية التي قضاها صالح باي في تركيا وهي فترة طفولته وصباه ومراهقته وهي الفترة التي أثرت في بقية مشوار حياته و حولت مساره تماما ، وبالرغم من حصولنا على معلومات على وجود مخطوط في الأرشيف العثماني بمدينة اسطنبول إلا أن محاولاتنا للحصول عليه باءت بالفشل .

– كما أن مؤسسة الوقف التي أنشأها صالح باي في مدينة قسنطينة وبالرغم من الدراسات حول هذا الموضوع إلا أنه ما يزال يحتاج إلى كثير من البحوث الدقيقة ، وذلك قصد زيادة معارفنا حول هذا الموضوع المهم الذي أثر كثيرا في جميع نواحي الحياة بالبايلك .

– كما أن الجانب التاريخي لمركب سيدي محمد الغراب يحتاج إلى مزيد من الدراسة بسبب عدم توفر المادة العلمية الكافية عنه بالإضافة إلى أن التجديدات الكبيرة التي أصابت المعلم غيرت من بعض طرزه الأولى لذلك وجب على الباحثين والدارسين في مجال الآثار زيادة الأبحاث حول هذا المعلم المهم جدا في تاريخ المنطقة .

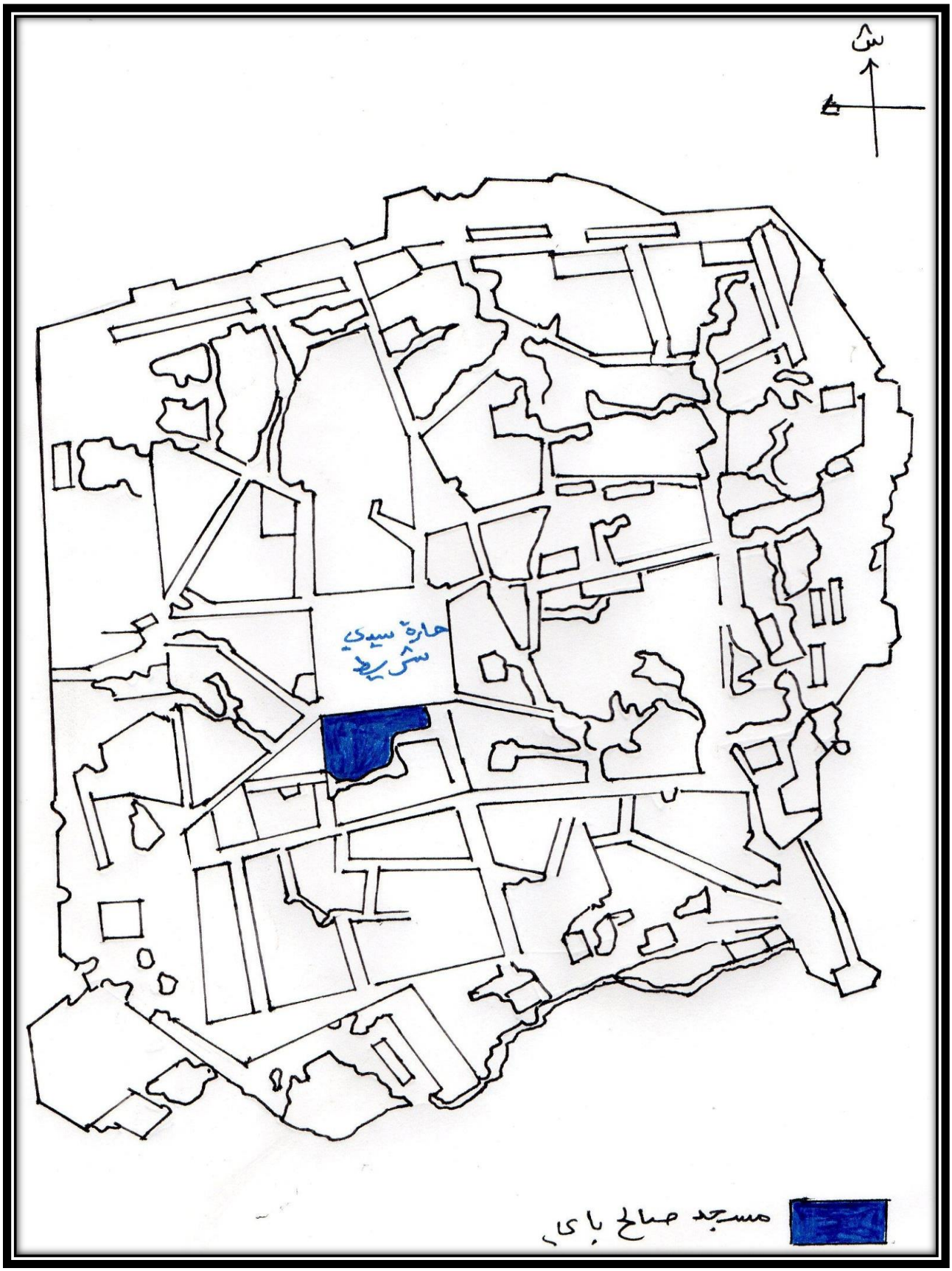
الملاحق

ملحق الخرائط

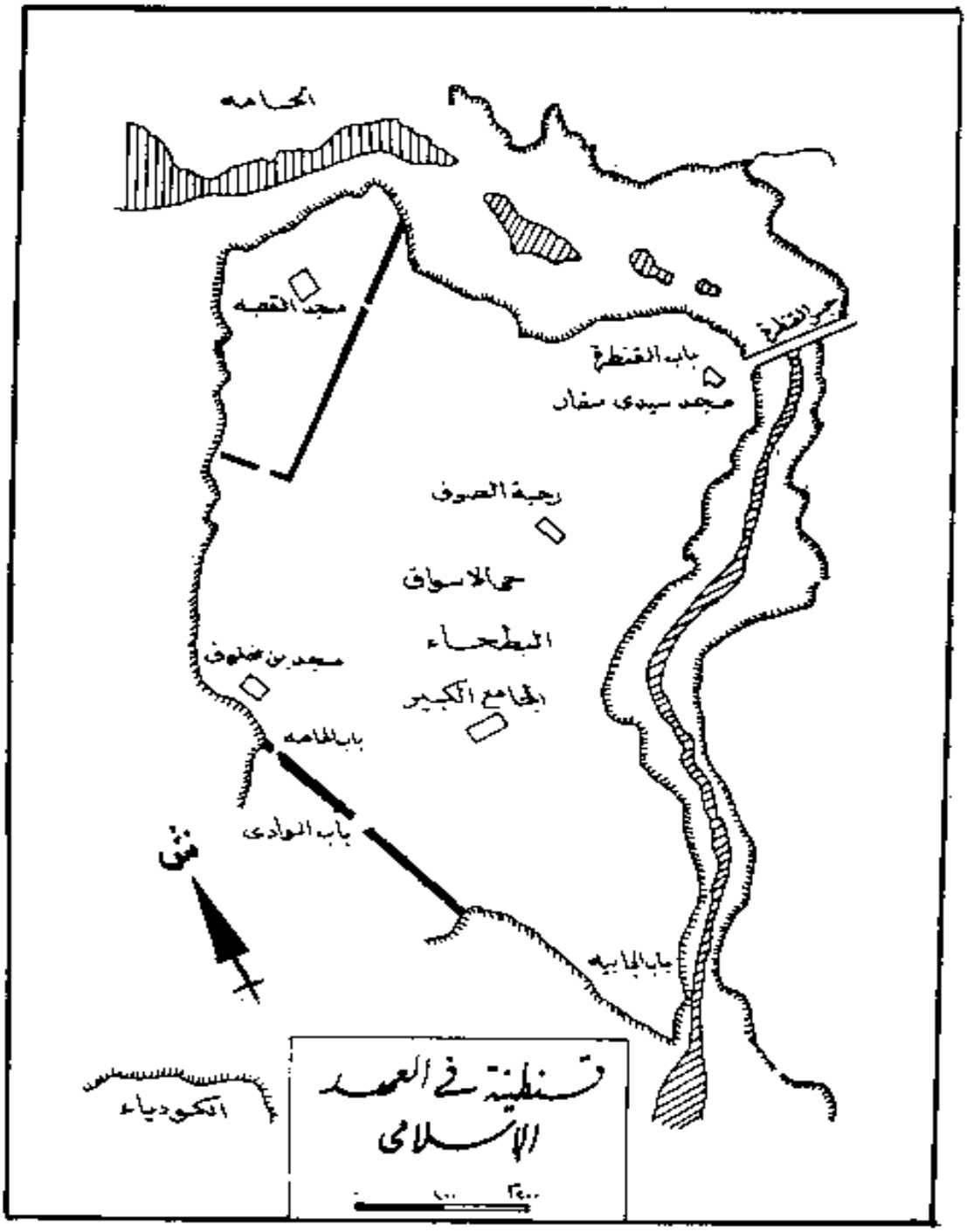


1- مدرسة سيدي الأخضر
2- جامع سيدي الكتاني
3- مدرسة سيدي الكتاني
4- القبة الضريحية بمدرسة سيدي الكتاني
5- دار الباي

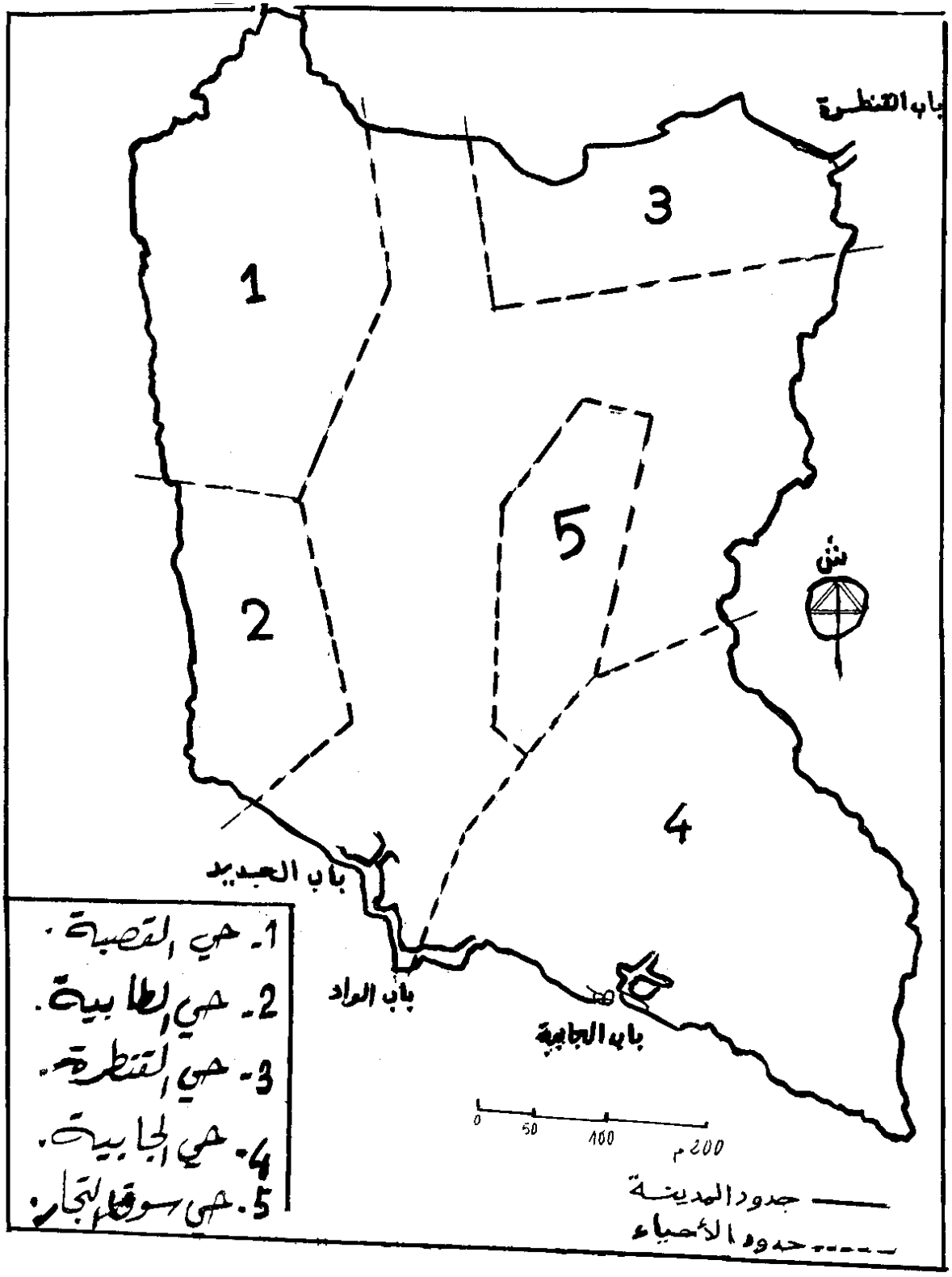
الخريطة 01: موقع المنشآت المدروسة داخل مدينة قسنطينة (عن دحدوح بتصرف)



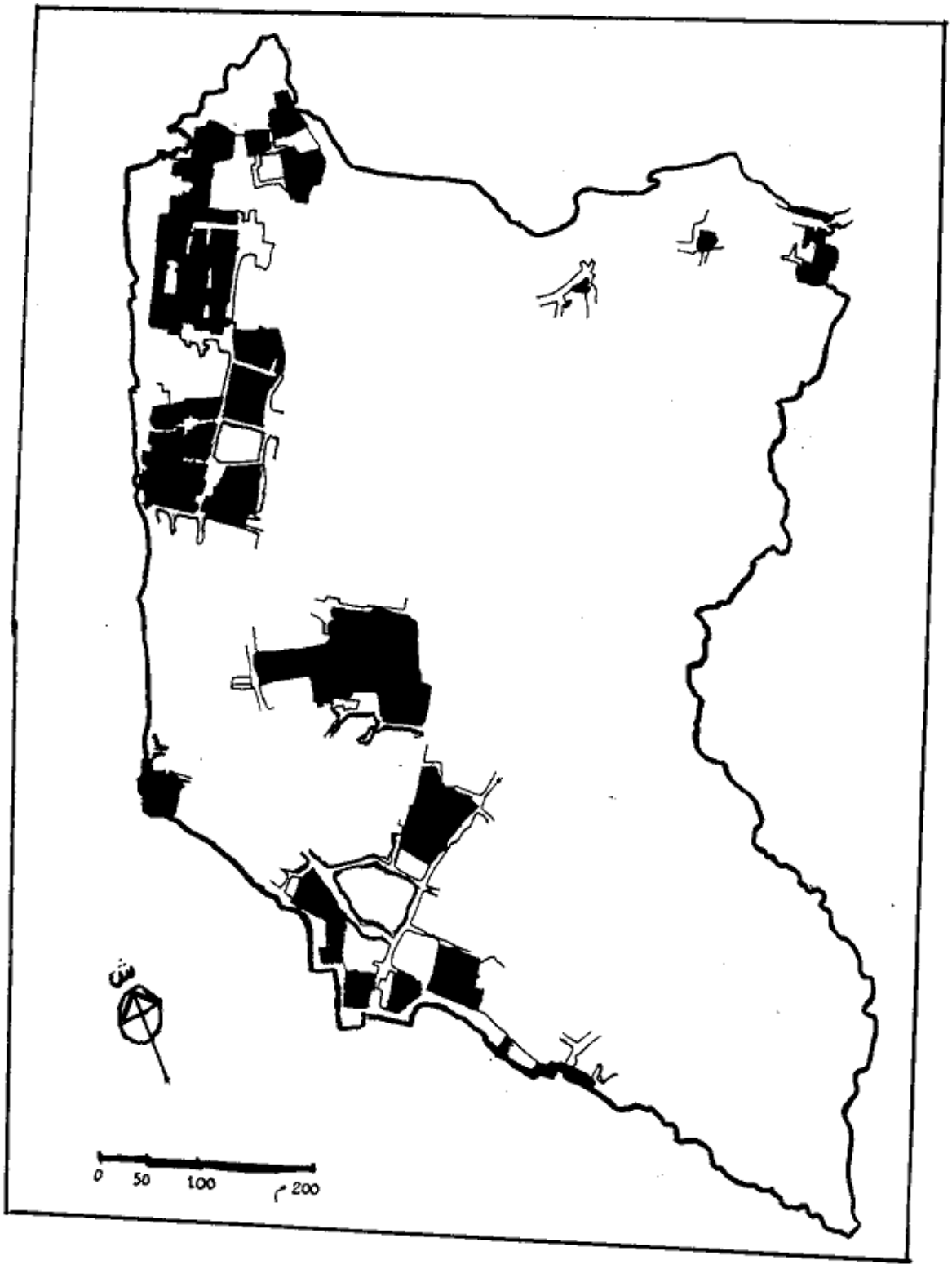
الخريطة رقم 02 : موقع مسجد صالح باي بعنابة



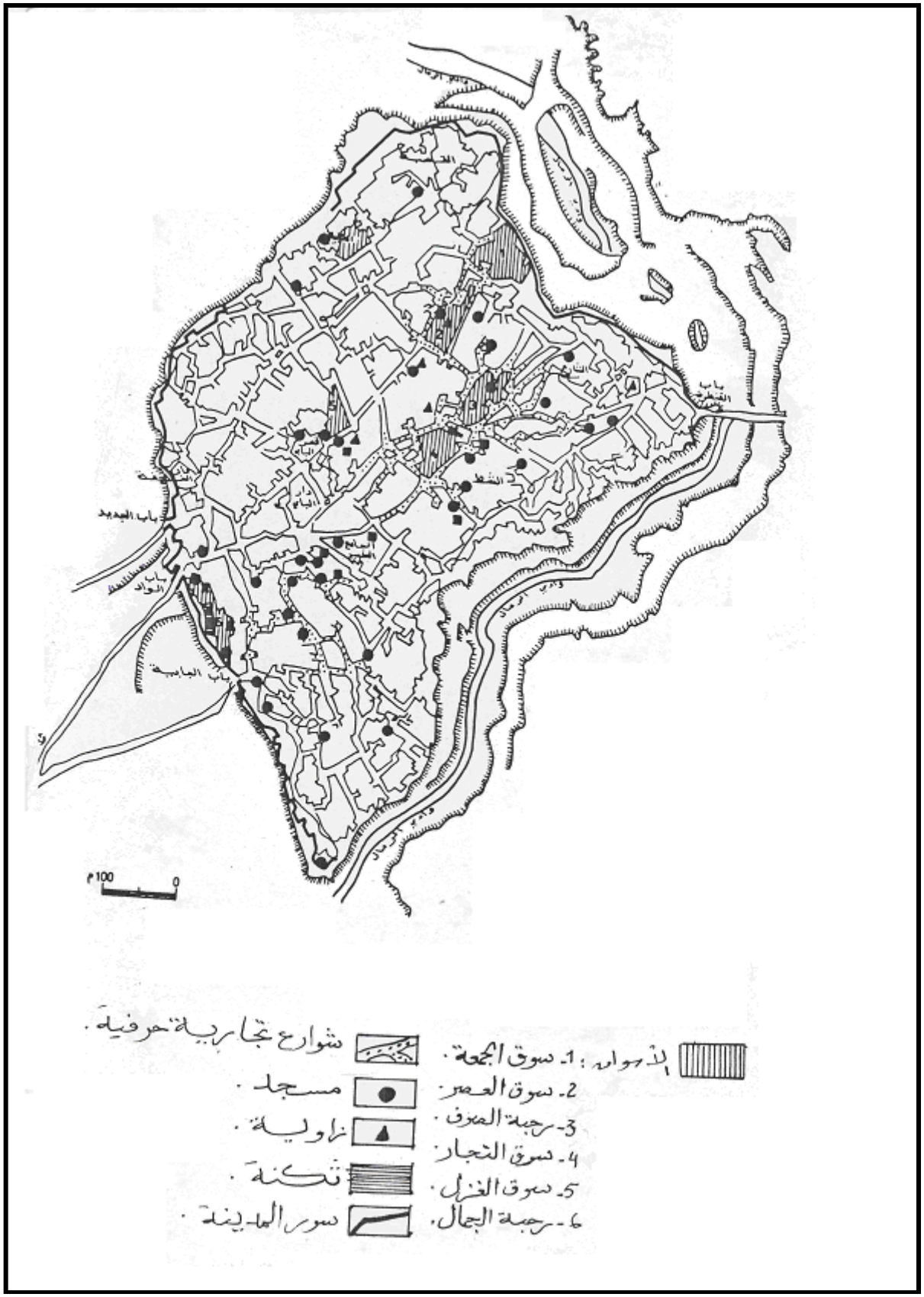
الخريطة رقم 03 : قسنطينة في العهد الإسلامي(عن قشي)



الخريطة رقم 04– التقسيمات الكبرى للمدينة

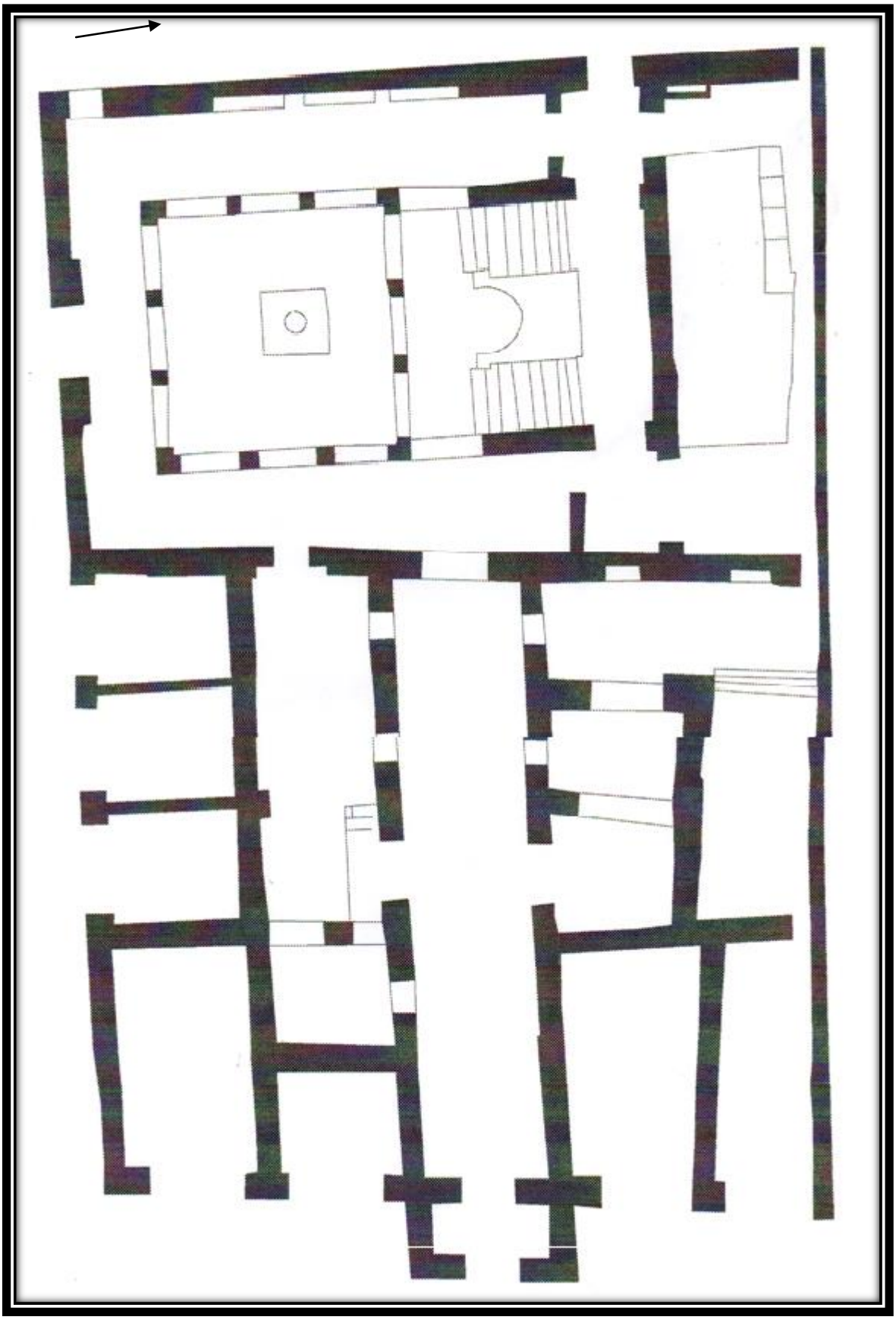


الخريطة رقم 05- المنشآت العسكرية بالمدينة

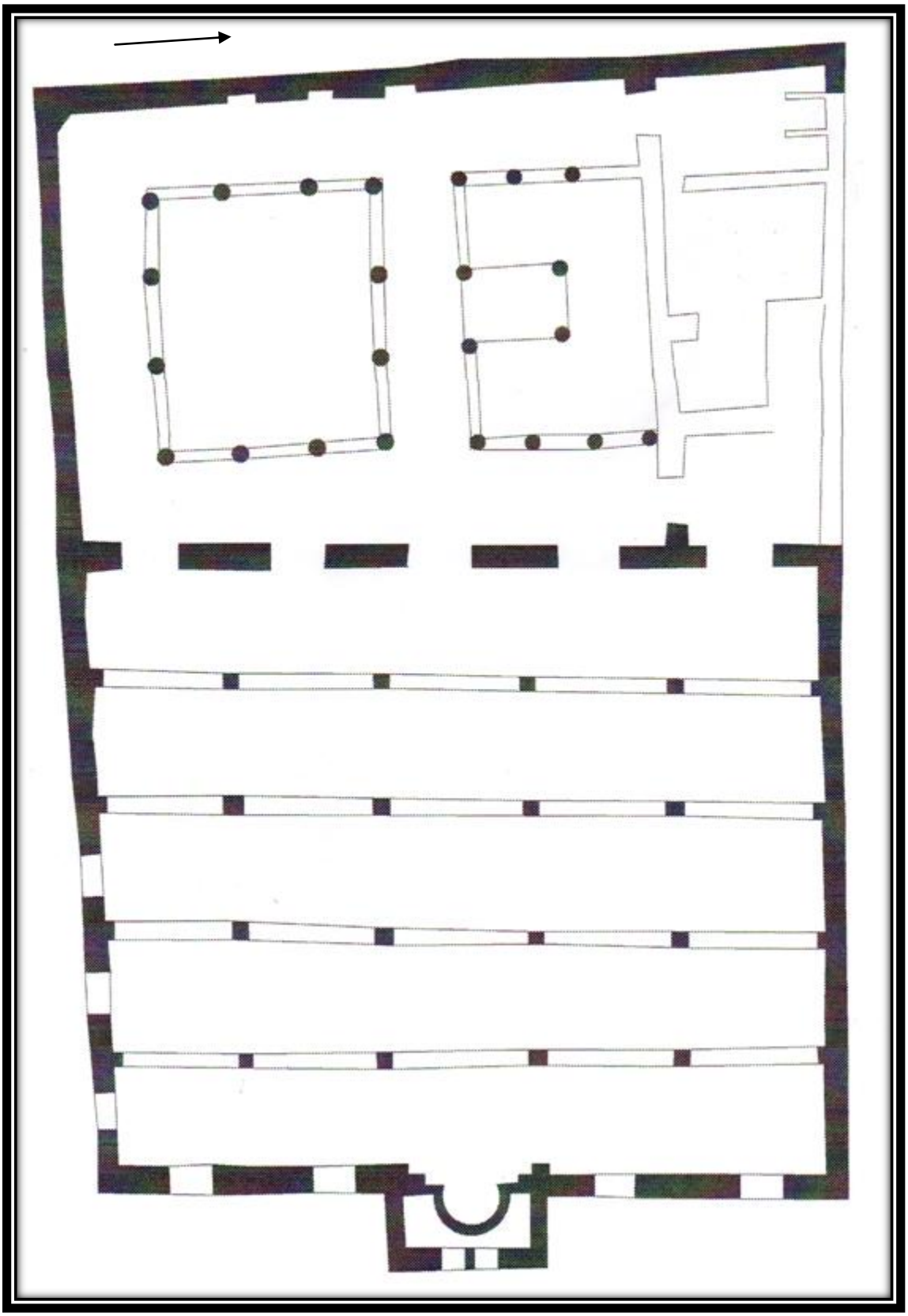


خريطة رقم : 06 – قسنطينة في العهد العثماني (عن قشي)

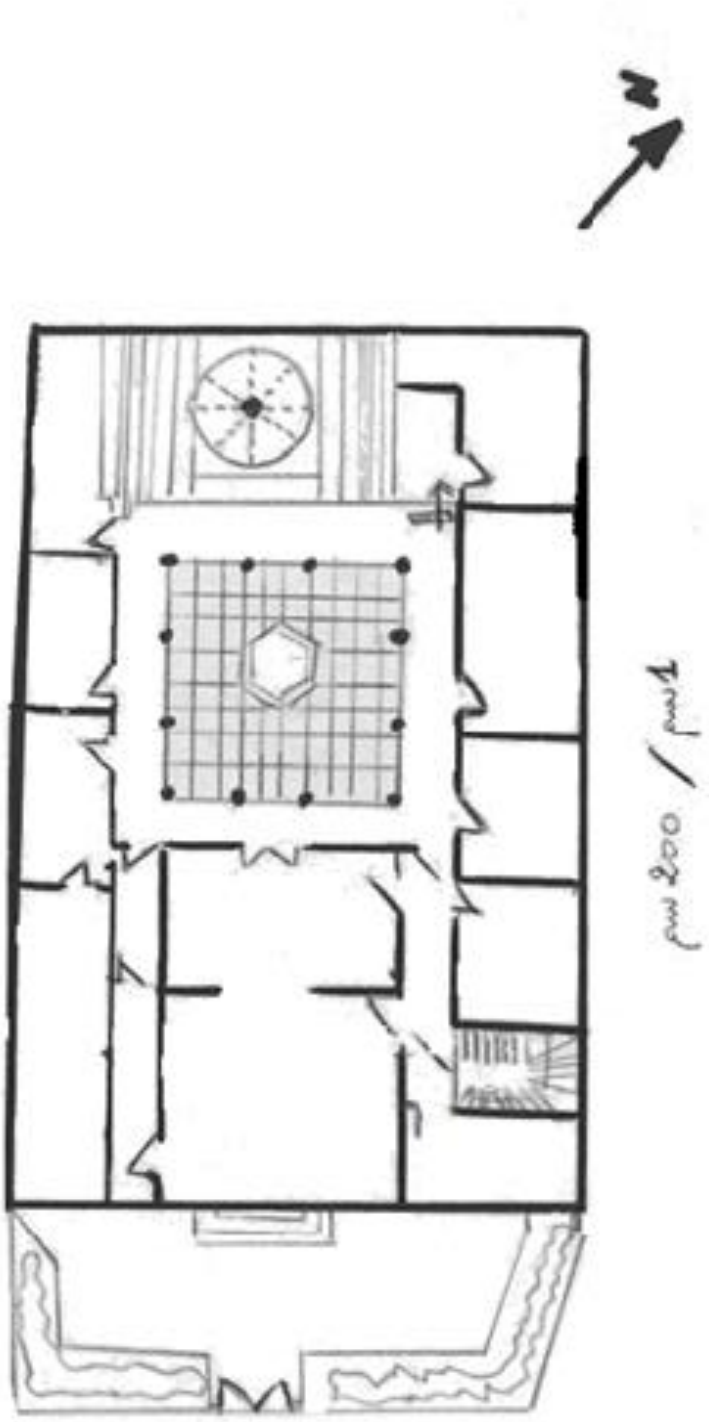
ملحق المخططات



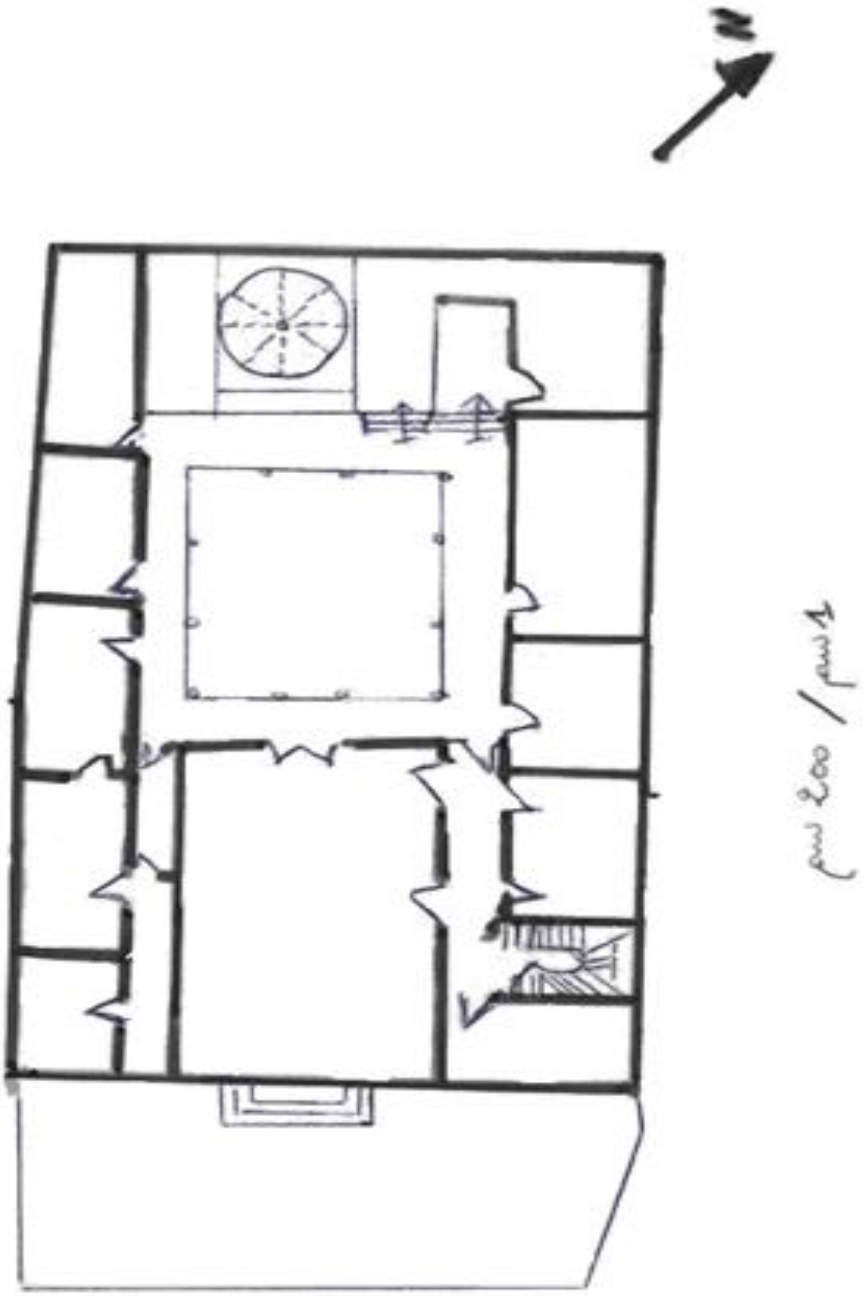
المخطط رقم01 : مخطط الطابق الأرضي لجامع سيدي الكتاني (من عمل الطالب)



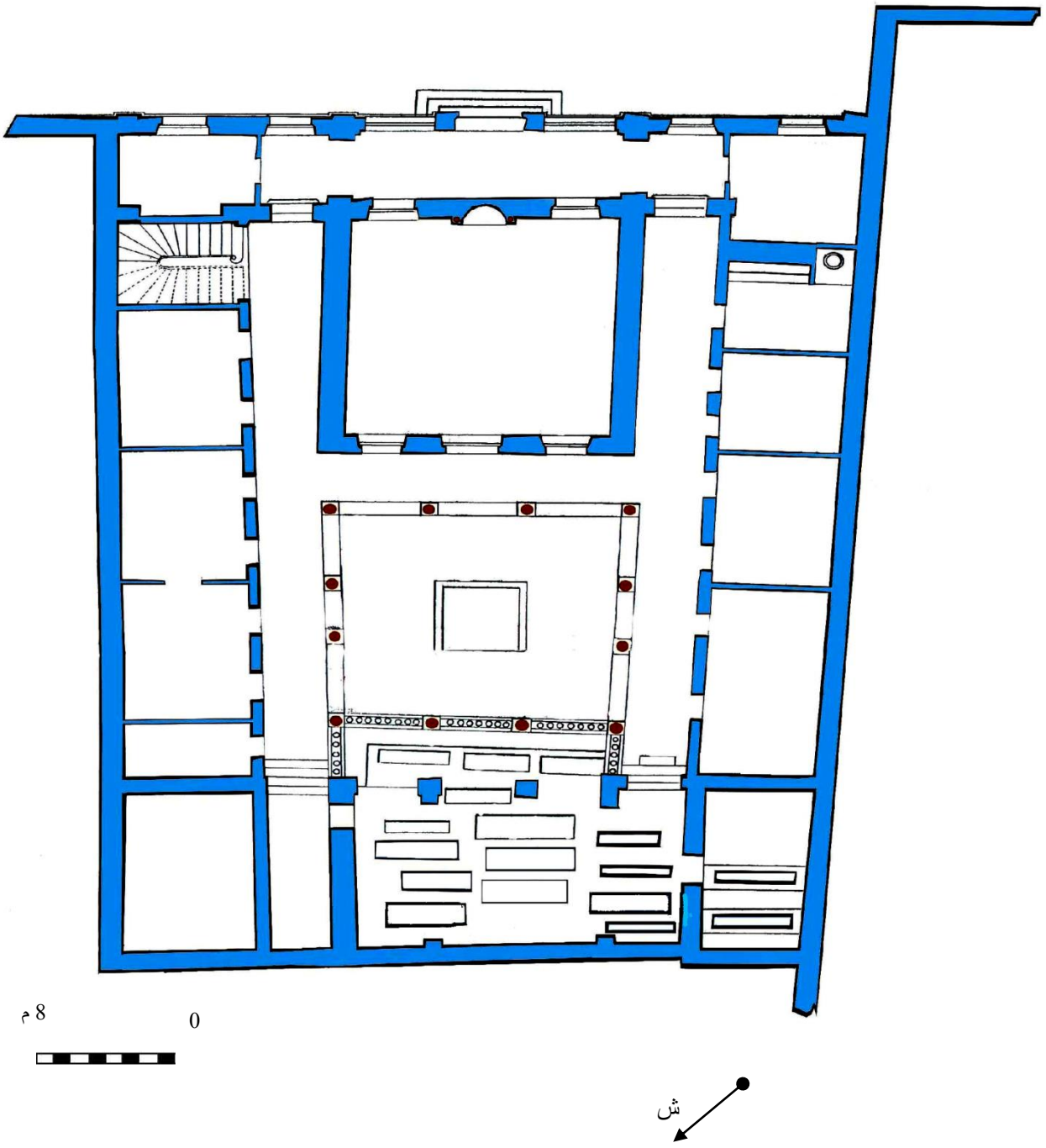
المخطط رقم02 : مخطط الطابق الأول لجامع سيدي الكتاني (من عمل الطالب)



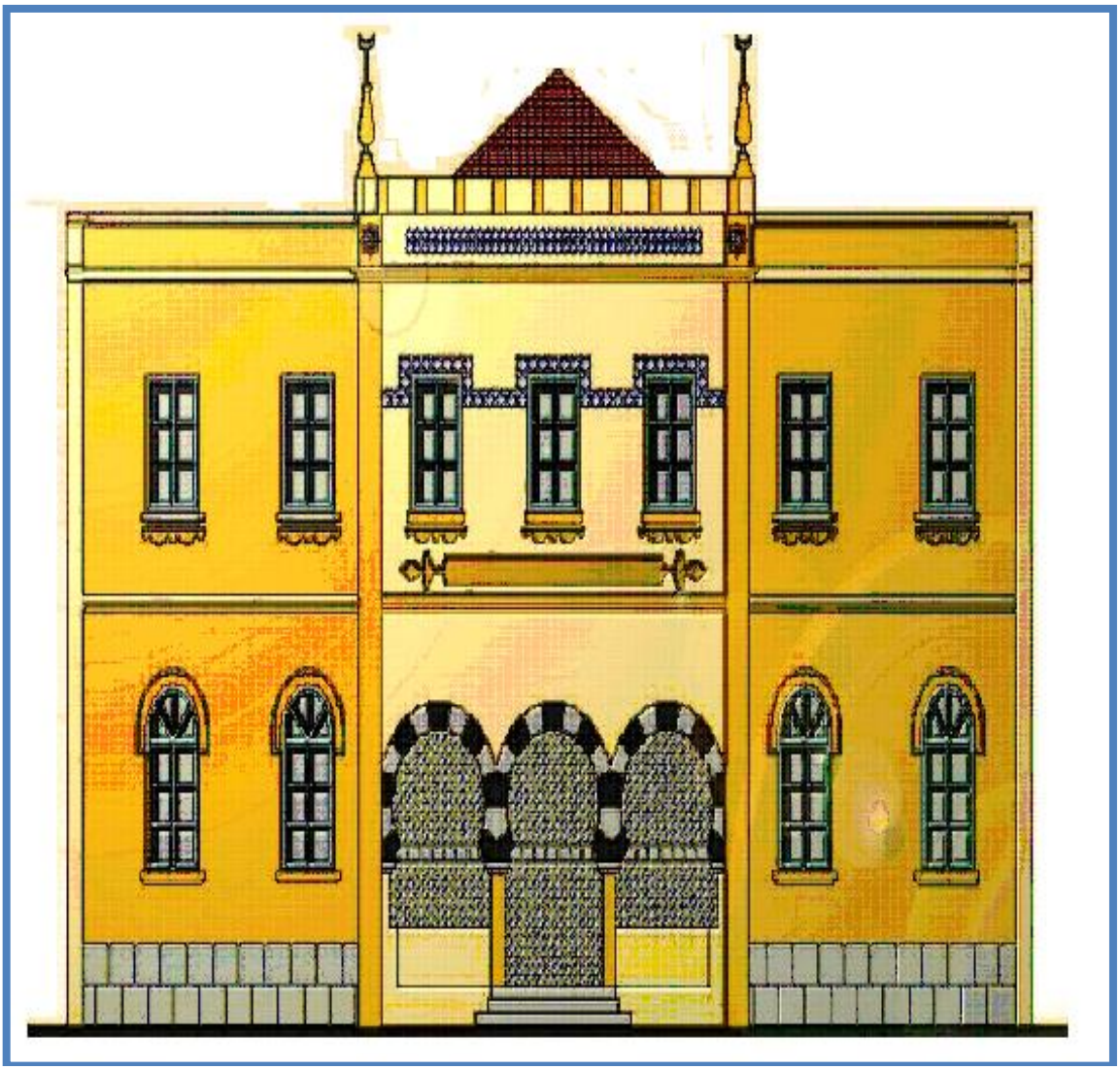
المخطط رقم03 : مخطط الطابق الأرضي لمدرسة سيدي الكتاني (من عمل الطالب)



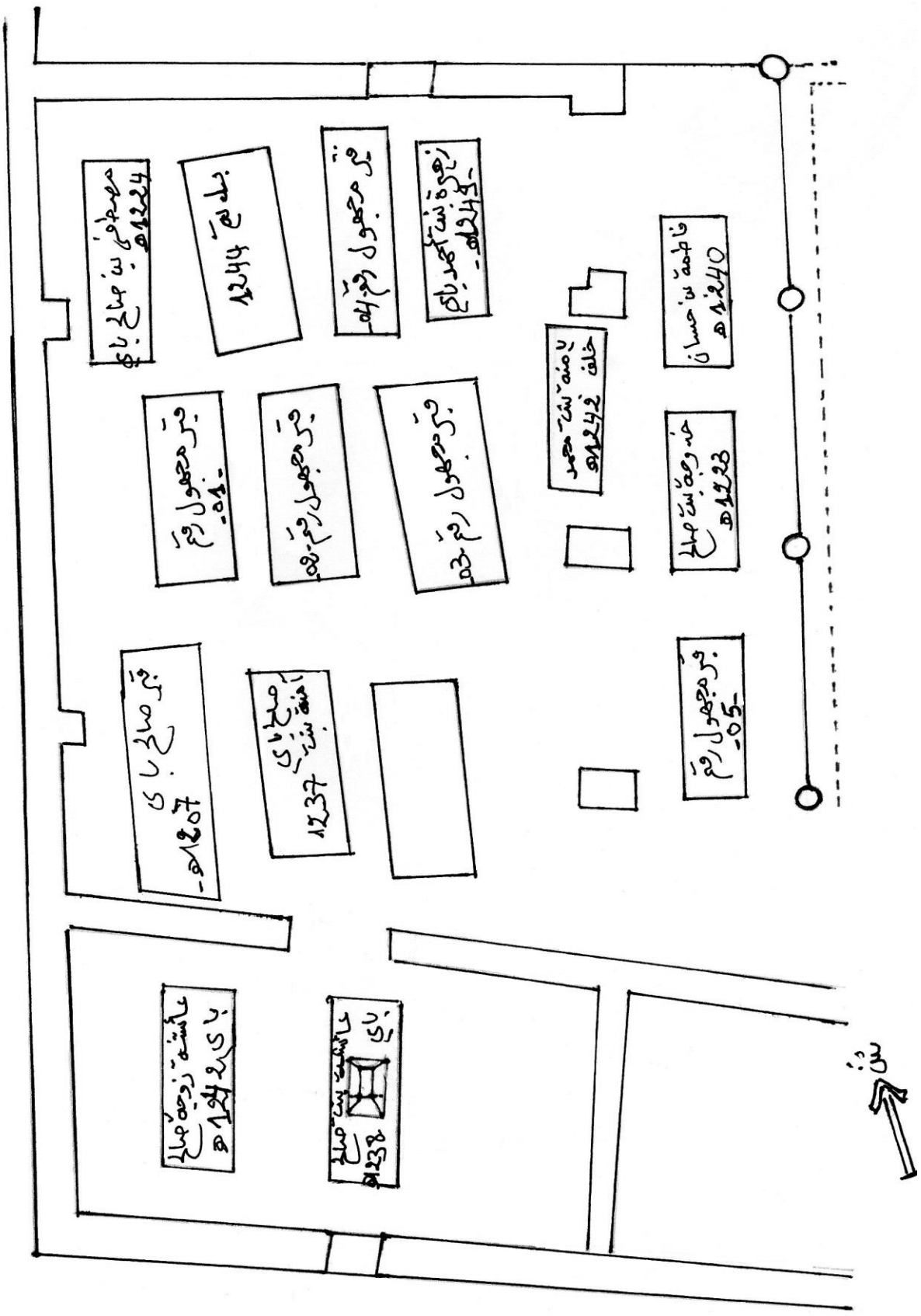
المخطط رقم04 : مخطط الطابق الأول لمدرسة سيدي الكتاني (من عمل الطالب)



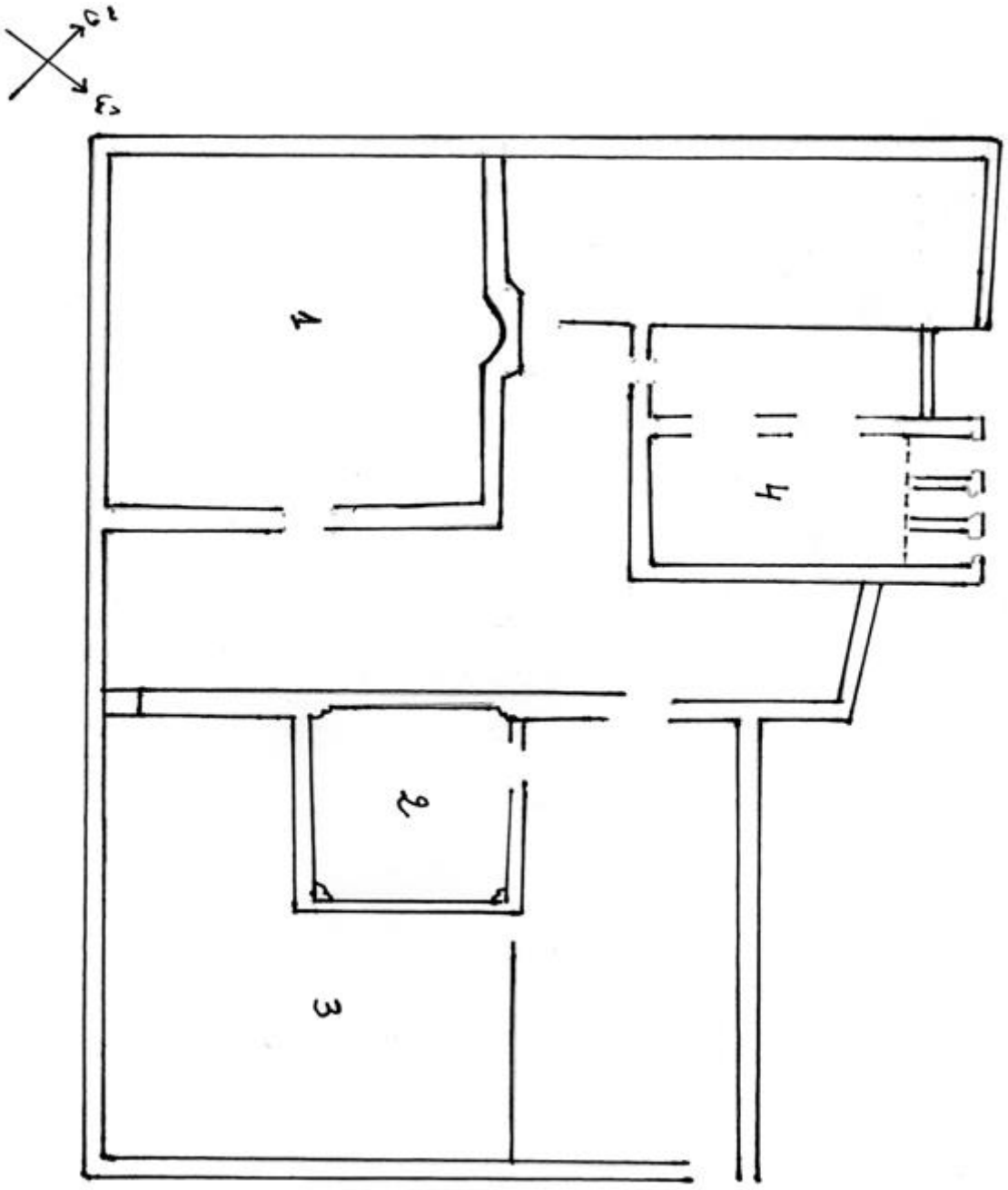
المخطط رقم05 : مخطط مدرسة ومقبرة سيدي الكتاني (عن بن بلة – بتصرف-)



المخطط رقم06 : مخطط واجهة مدرسة سيدي الكتاني (من عمل الطالب)

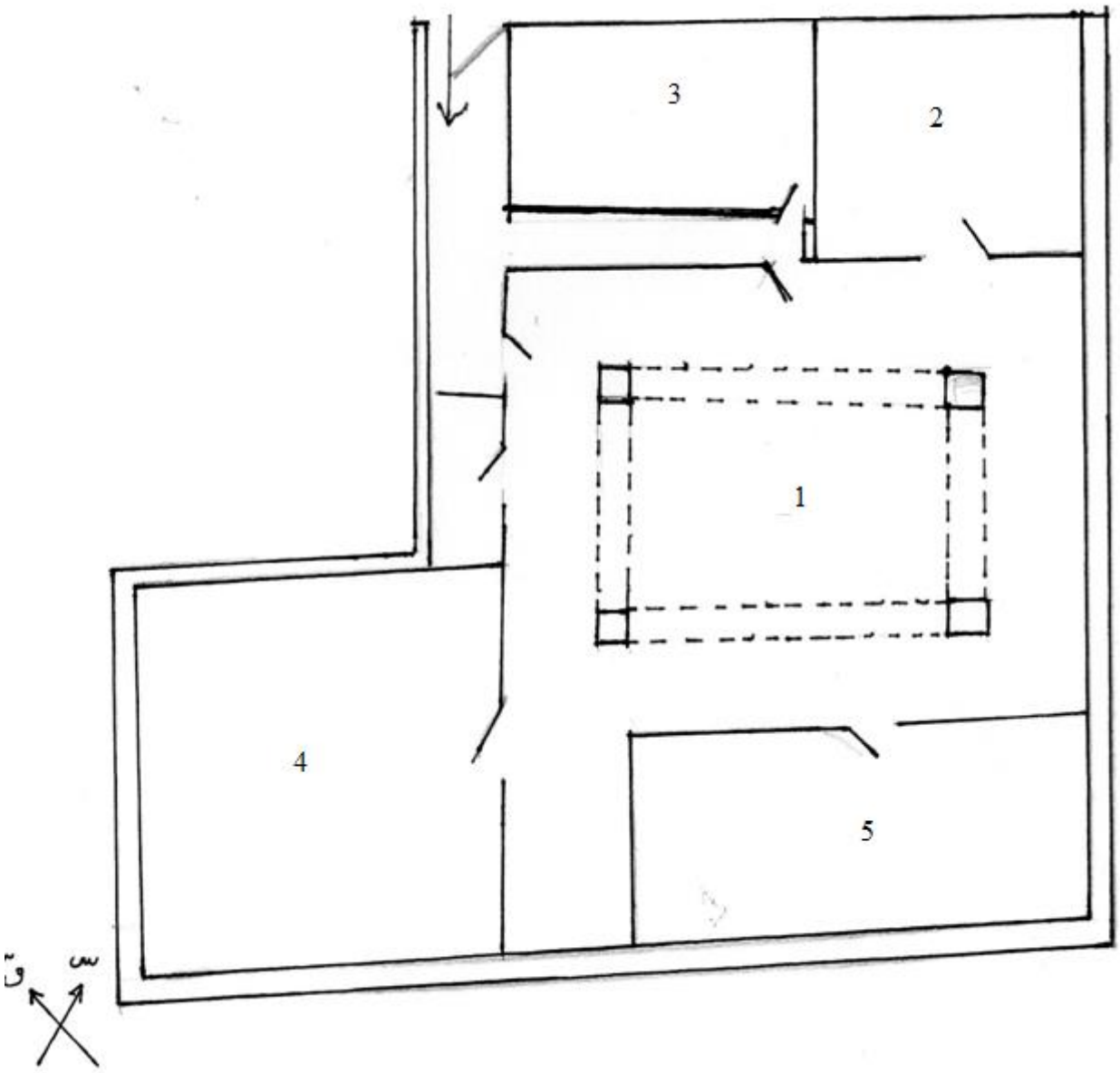


المخطط رقم07 : مخطط يبرز توضع القبور بمقبرة سيدي الكتاني (عن دحدوح – بتصرف-)



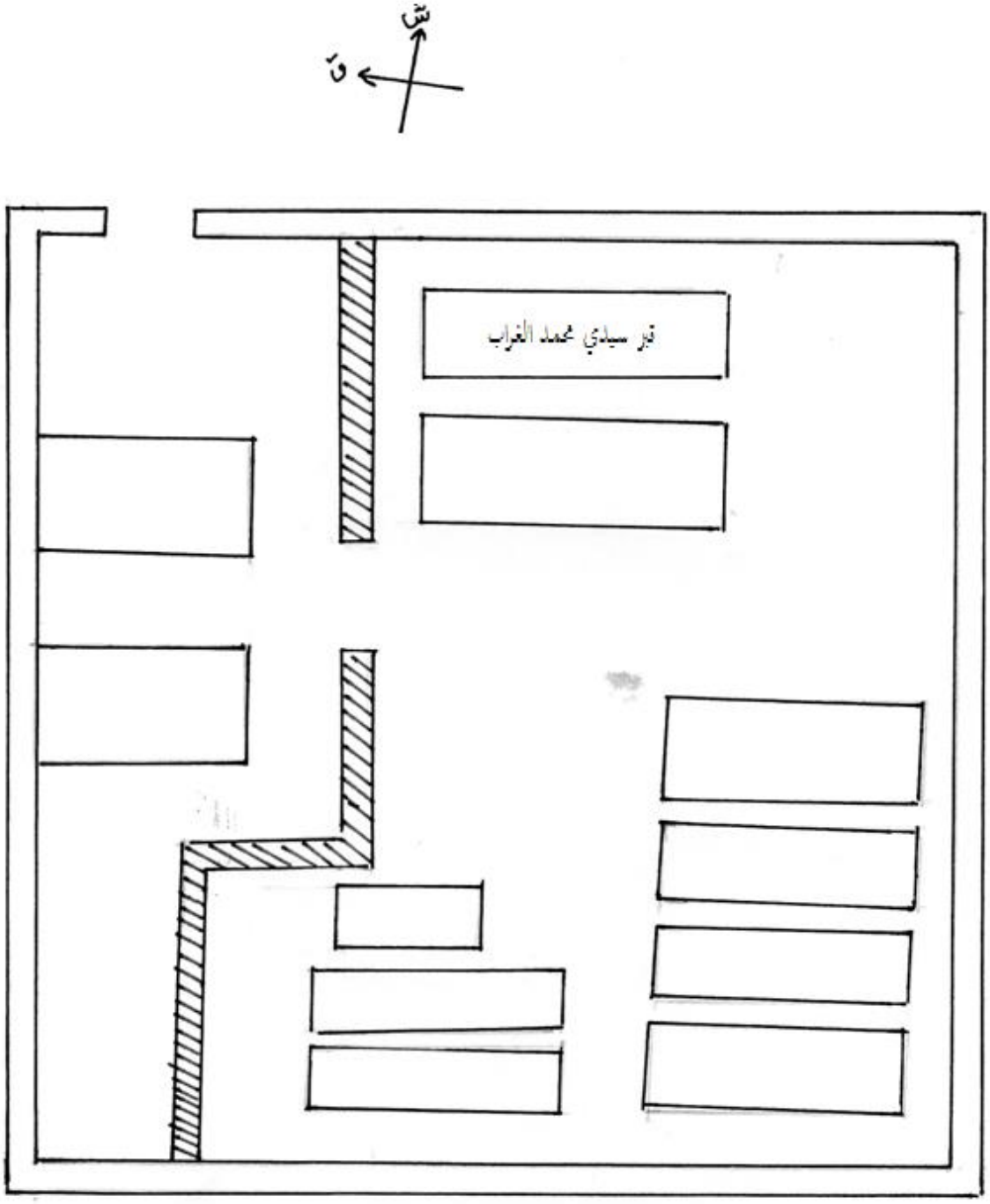
1-بيت صلاة المسجد
2- الضريح
3- المسكن
4- الحمام

المخطط رقم08 : مخطط عام لمركب سيدي محمد الغراب (من عمل الطالب)

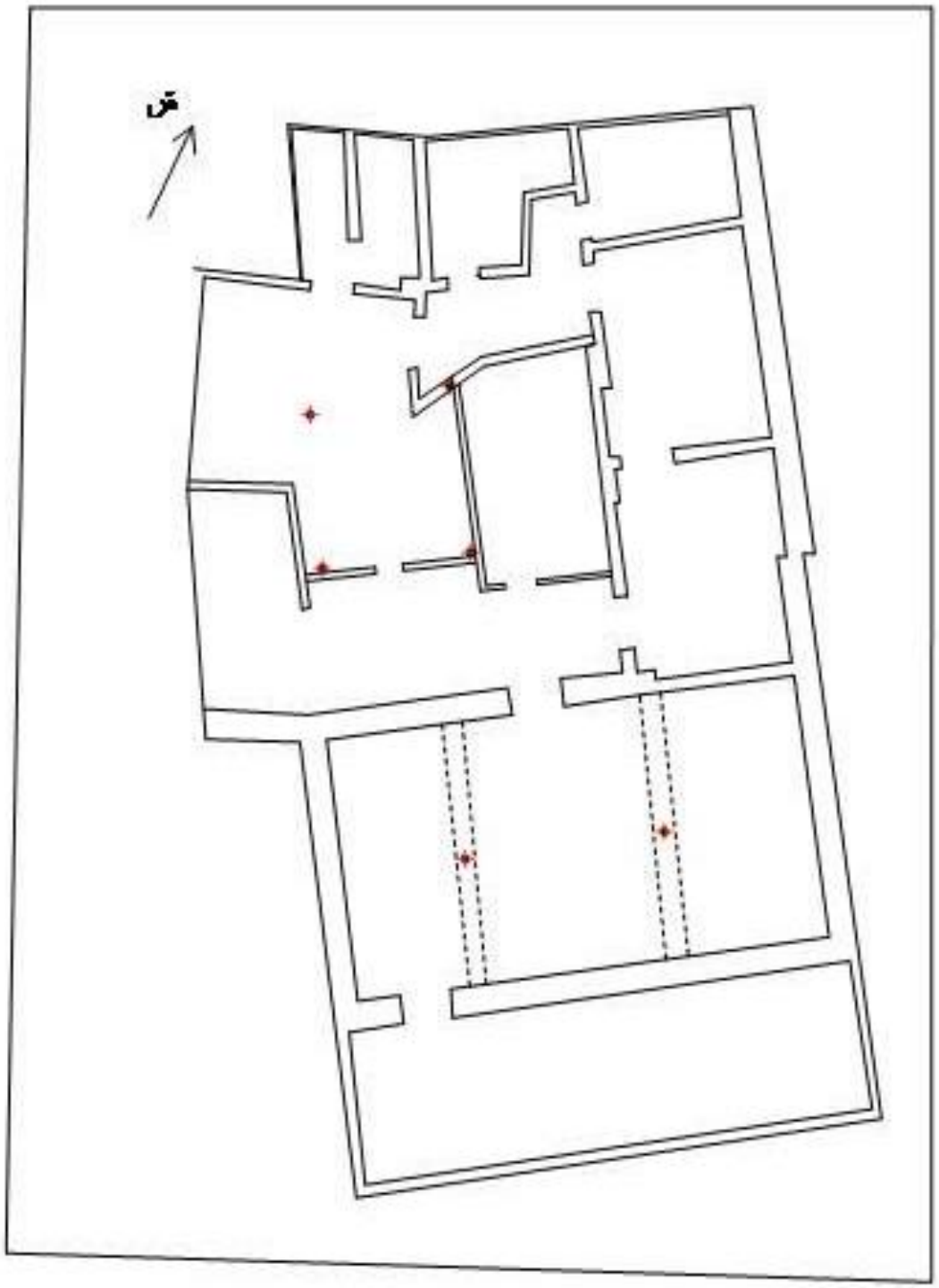


1- الصحن
2- غرفة
3- غرفة
4- مطبخ
5- مخزن

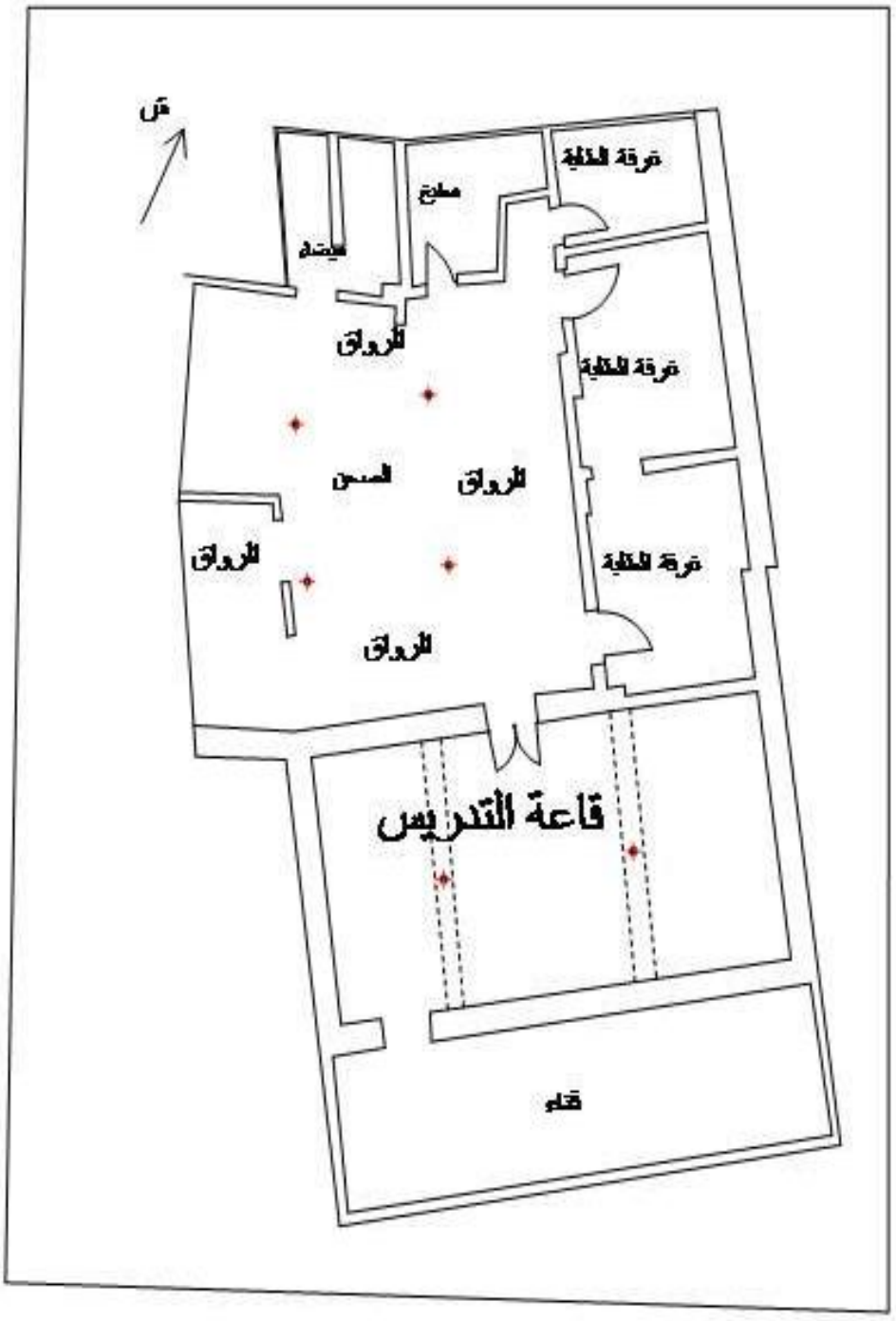
المخطط رقم09 : مخطط المسكن المتواجد بمركب سيدي محمد الغراب (من عمل الطالب)



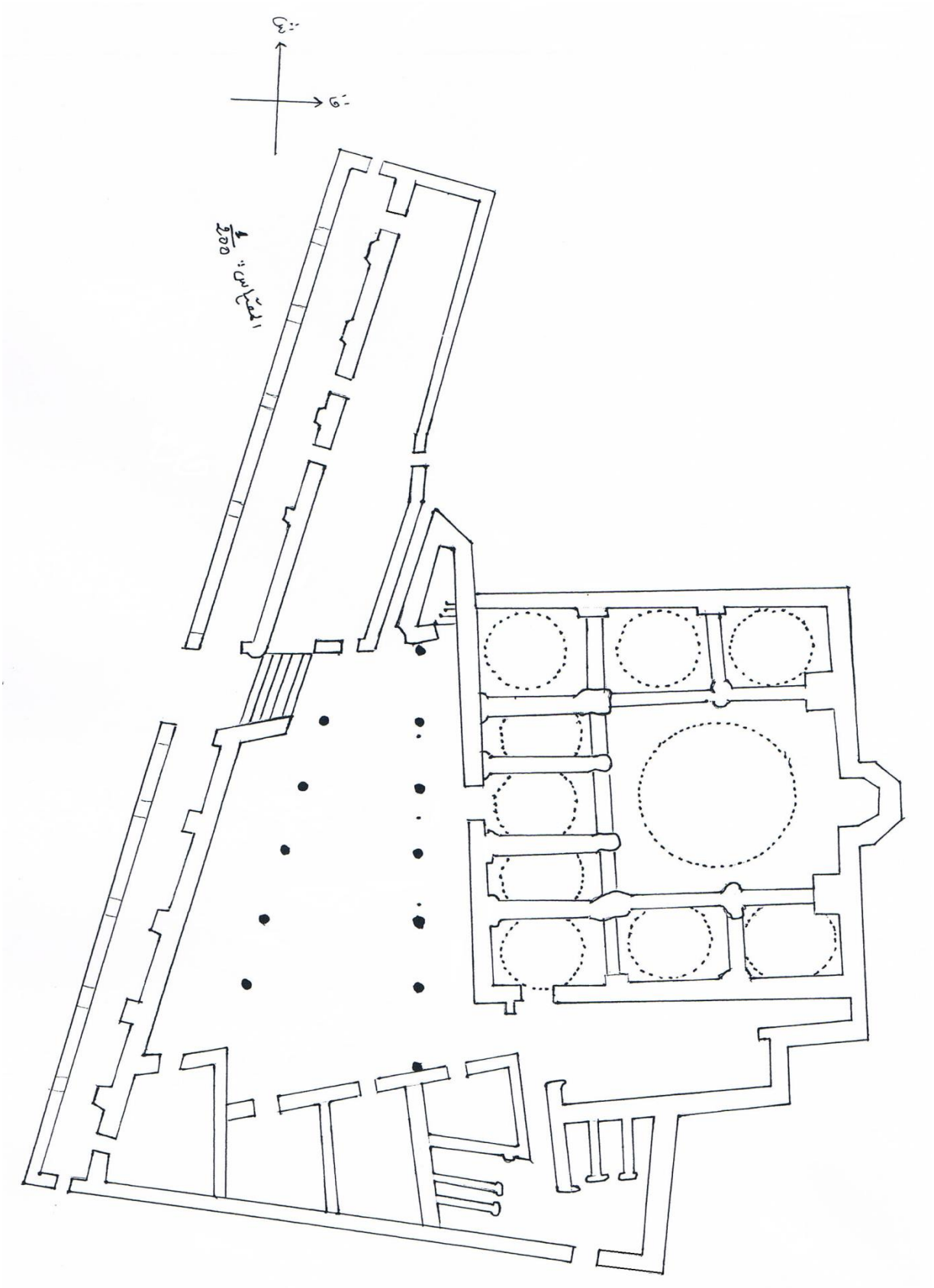
المخطط رقم10 : مخطط توضع القبور بالقبة الضريحية لمركب سيدي محمد الغراب (من عمل الطالب)



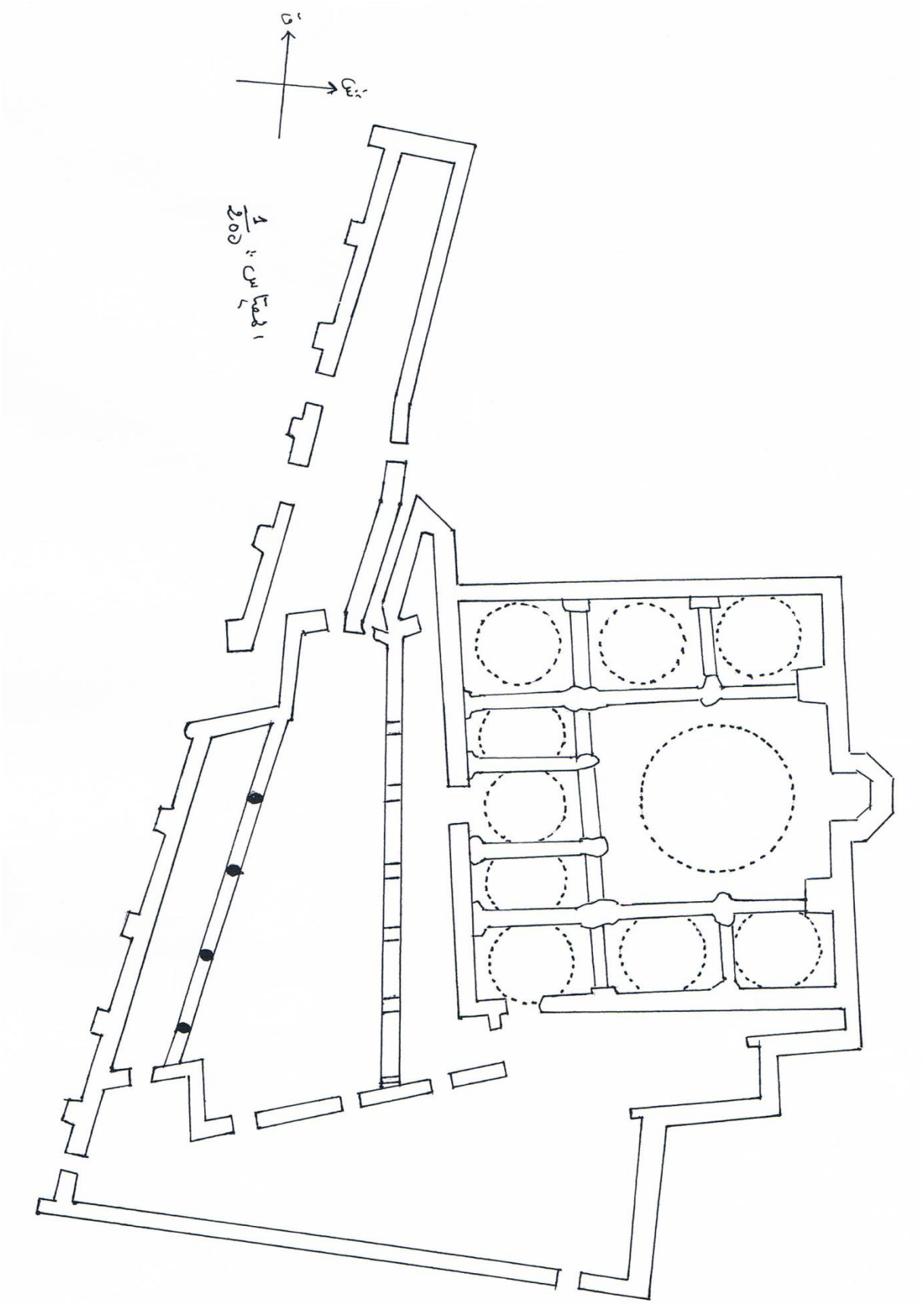
المخطط رقم11 : مخطط مدرسة سيدي الأخضر (من عمل الطالب)



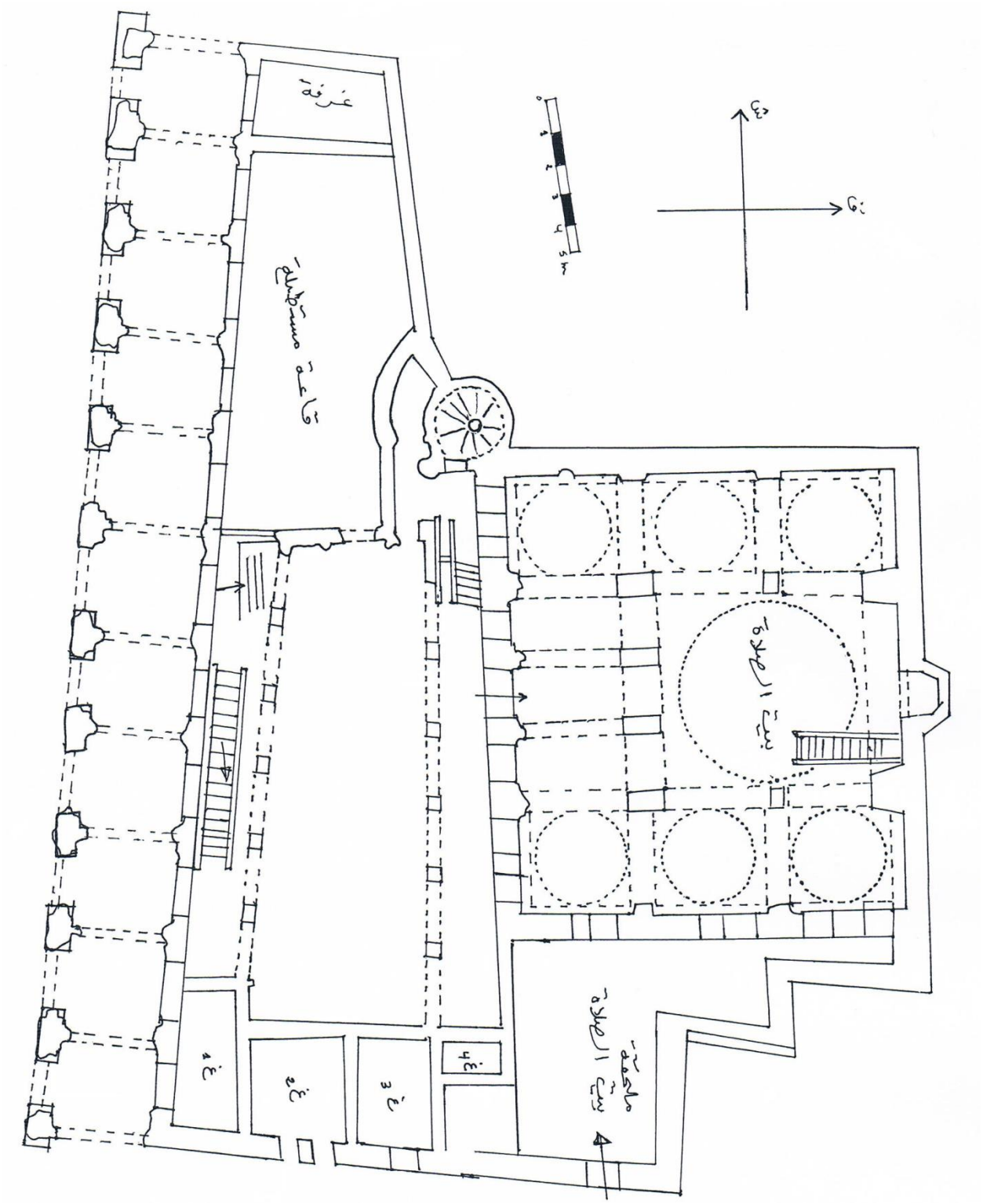
المخطط رقم12 : مخطط مدرسة سيدي الأخضر (من عمل الطالب)



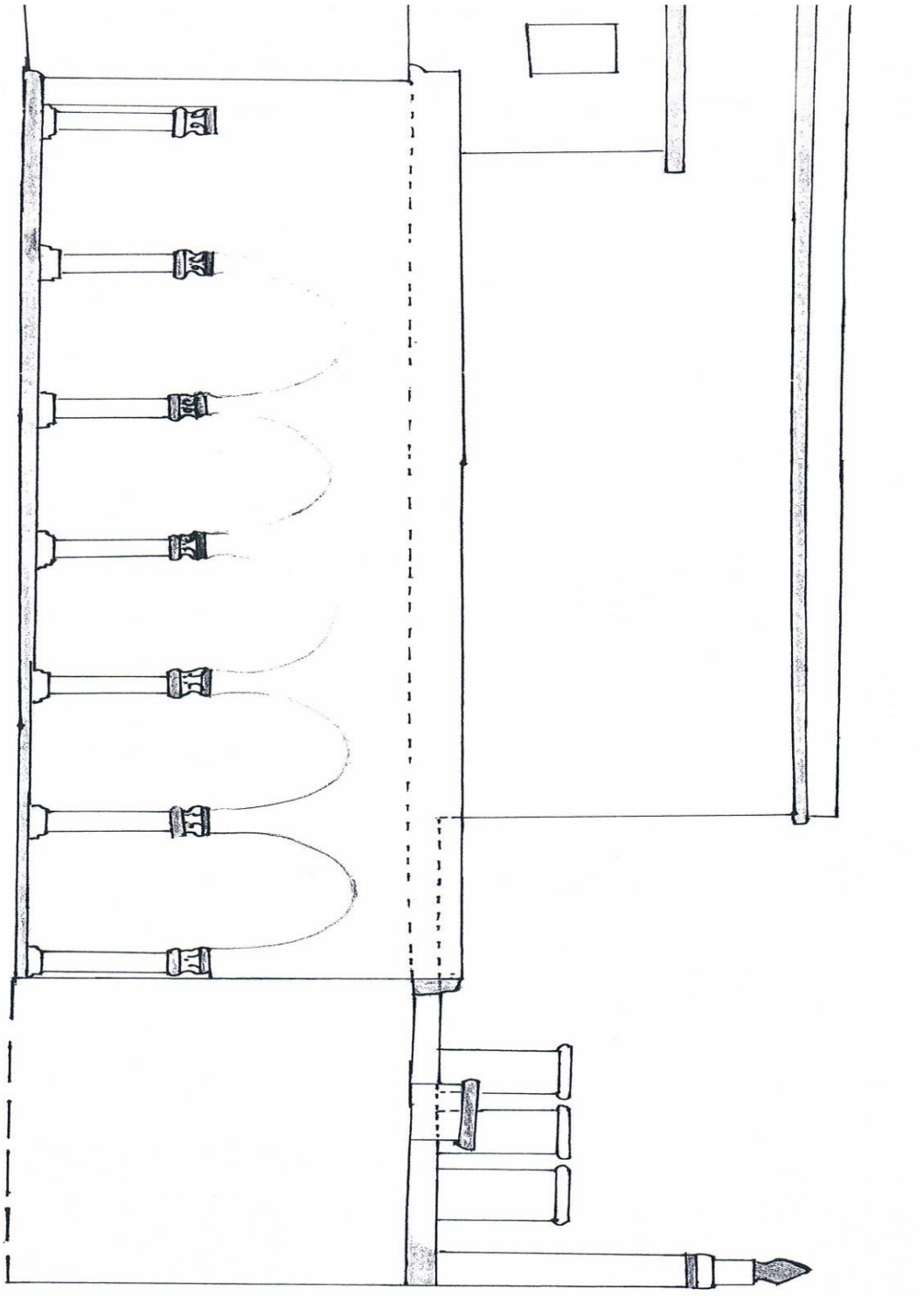
المخطط رقم13 : مخطط جامع صالح باي بعنابة التصميم العام والمباني الملحقة قبل تحويل بيت الوضوء إلى ملحق بيت الصلاة (عن عبد العزيز شهبي- بتصرف-)



المخطط رقم14: مخطط جامع صالح باي بعنابة التصميم العام والمباني الملحقة قبل إضافة الرواق الطويل (عن عبد العزيز شهبي- بتصرف-)

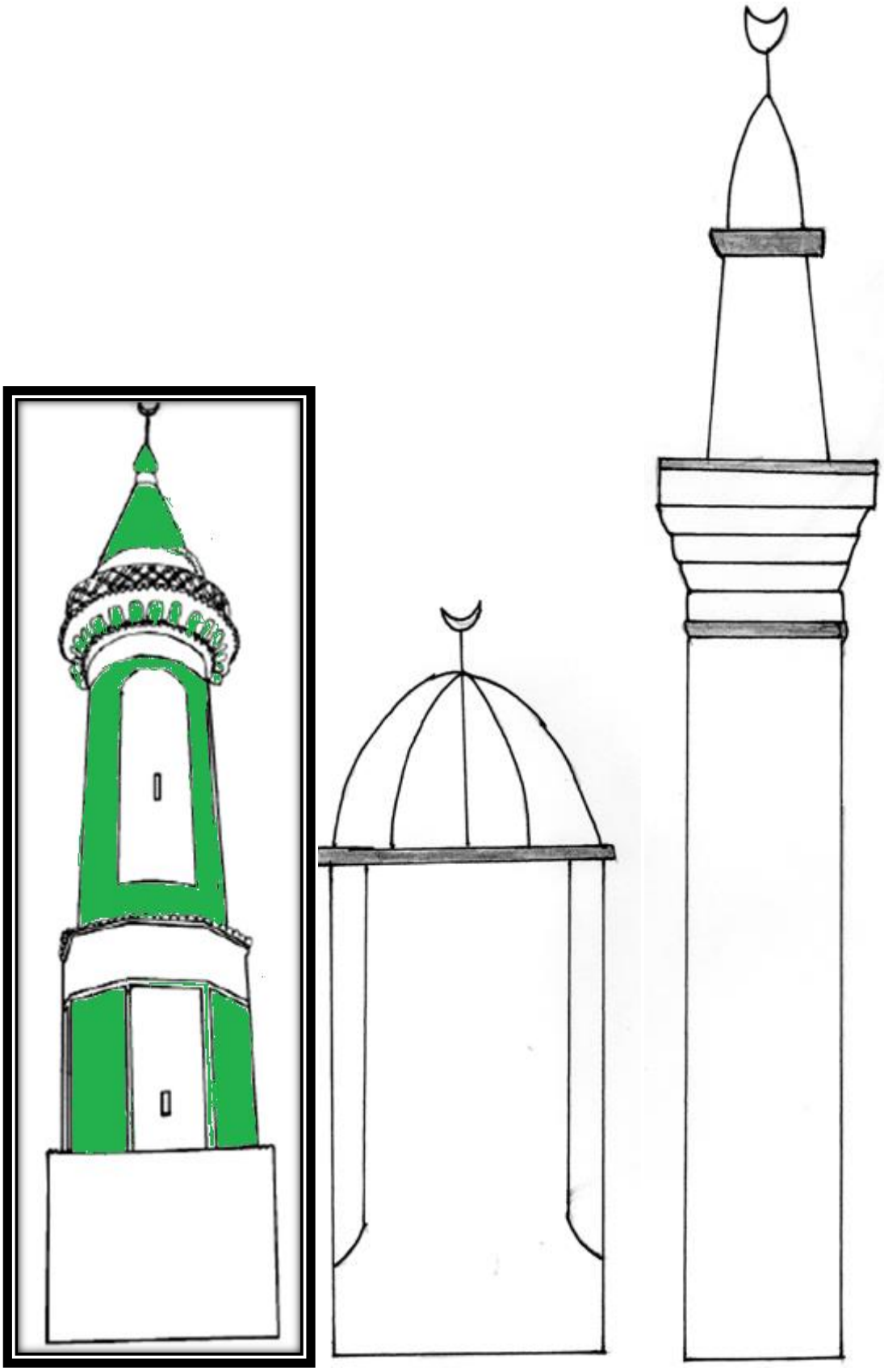


المخطط رقم15 : التصميم العام لجامع صالح باي بعنابة في الفتة الحالية (من عمل الطالب)



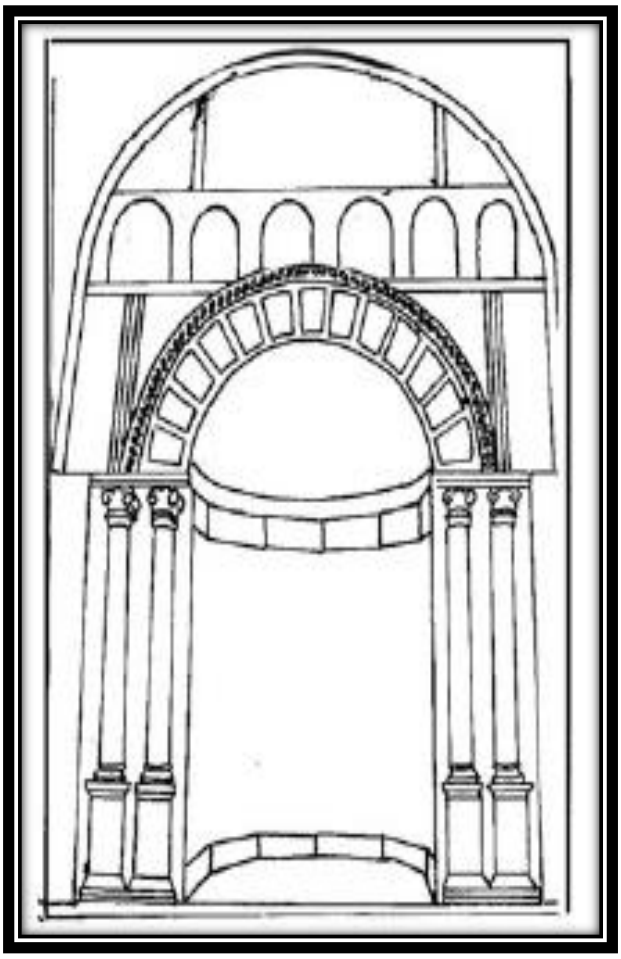
المخطط رقم16 : مخطط الواجهة الشرقية من الصحن (من عمل الطالب)

ملحق الأشكال

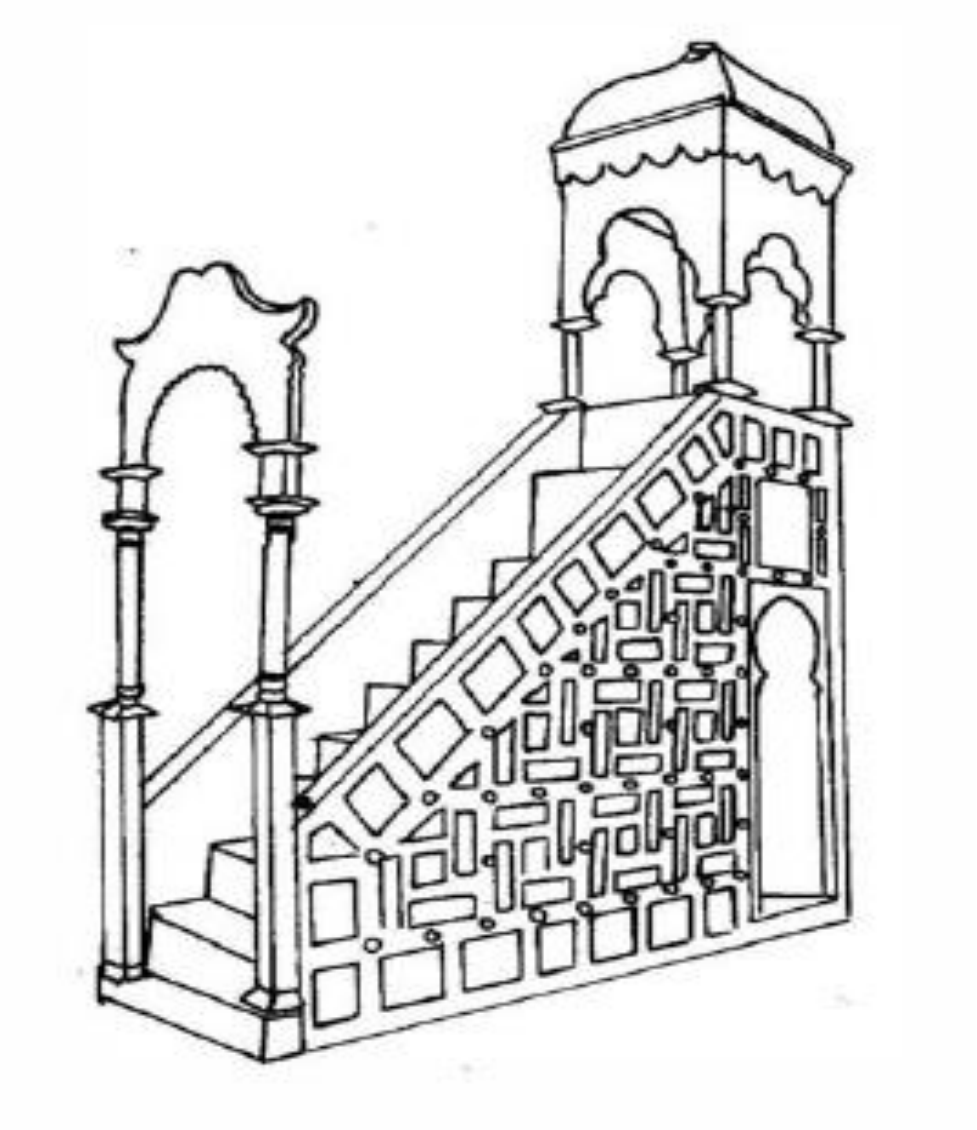


-أ- مئذنة جامع الباي -ب- مئذنة جامع الباي -ج-مئذنة جامع سيدي الكتاني

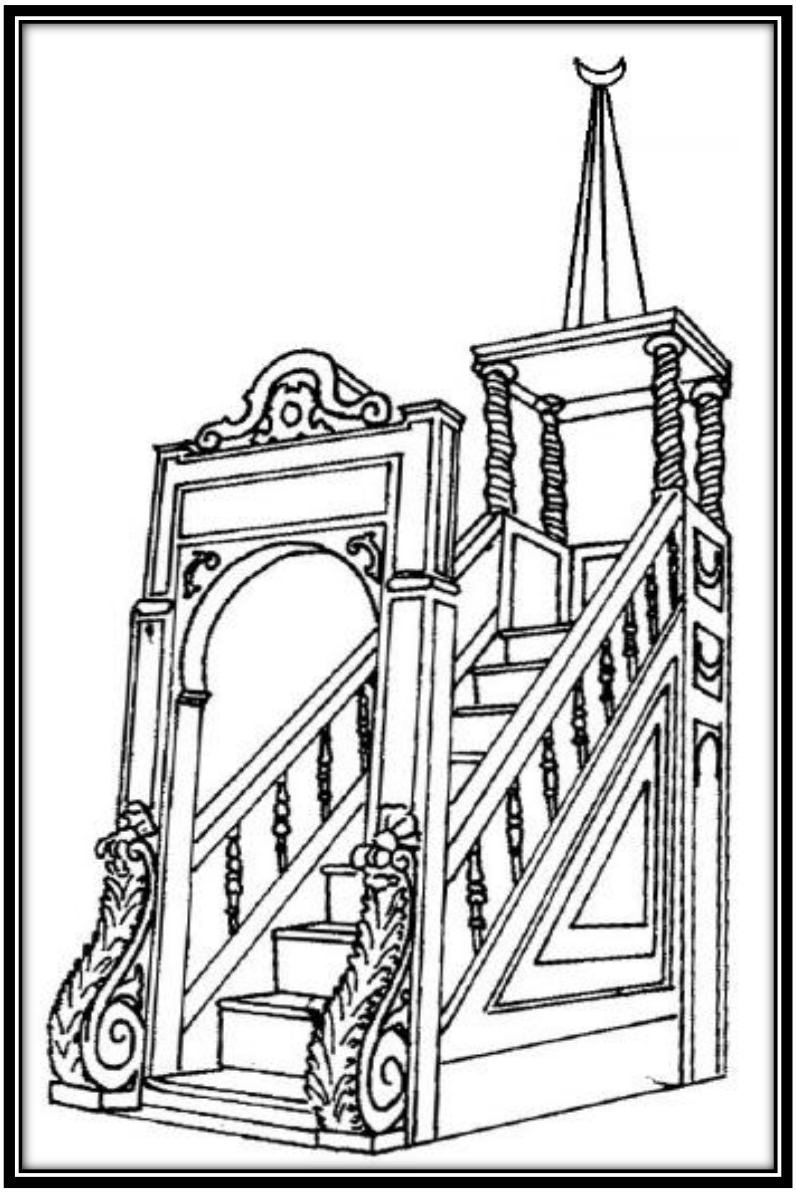
الشكل رقم 01 : مآذن منشآت صالح باي



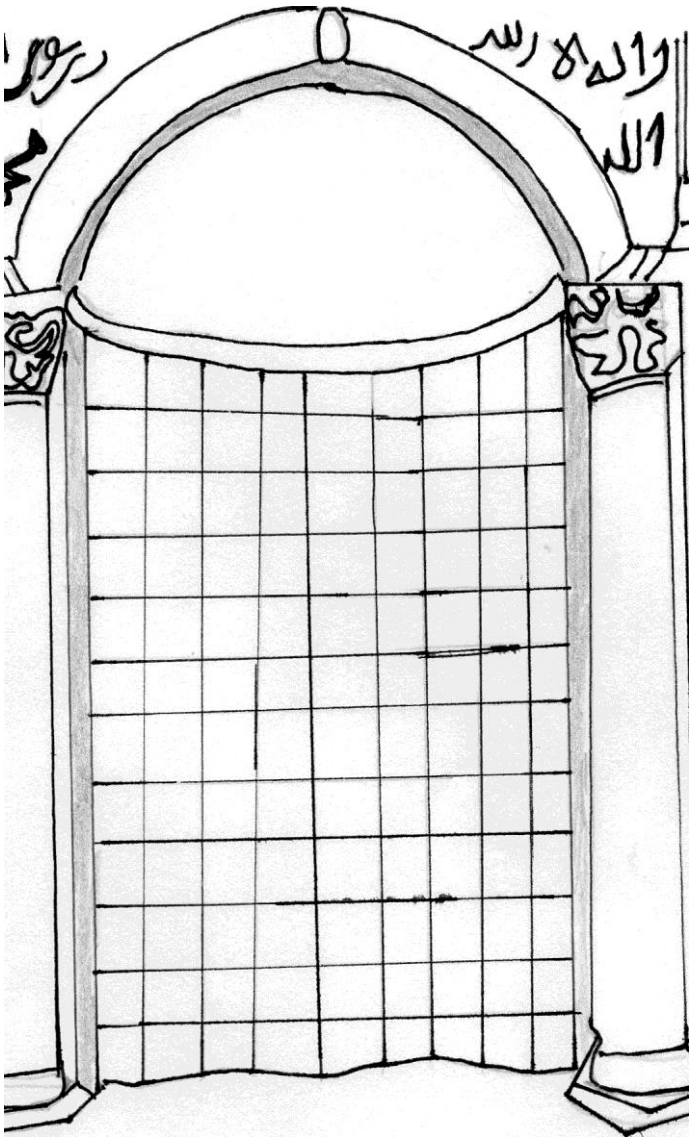
الشكل رقم 02 : محراب جامع سيدي الكتاني(عن بن بلة)



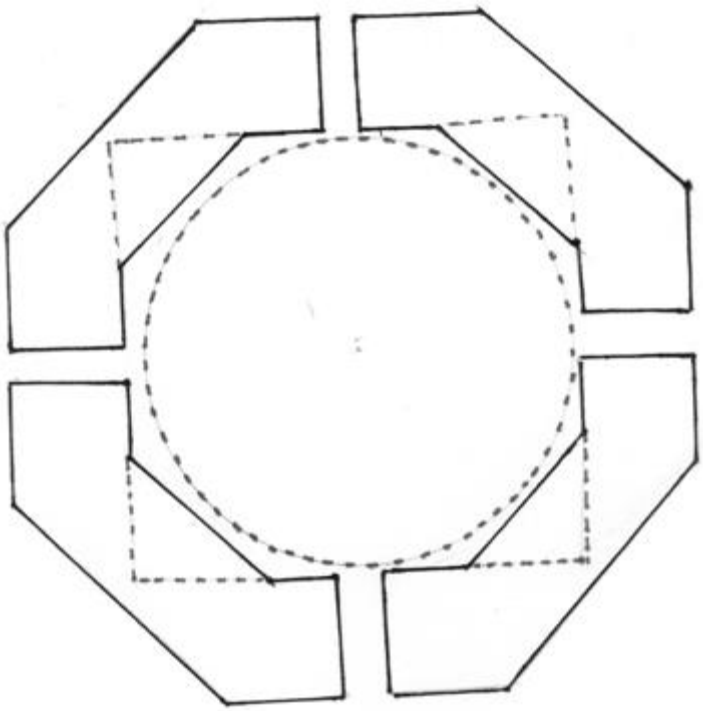
الشكل رقم 03 :منبر جامع صالح باي بعنابة



الشكل رقم 04 :منبر جامع سيدي الكتاني(**عن بن بلة**)



الشكل رقم 05 :محراب جامع صالح باي بعنابة

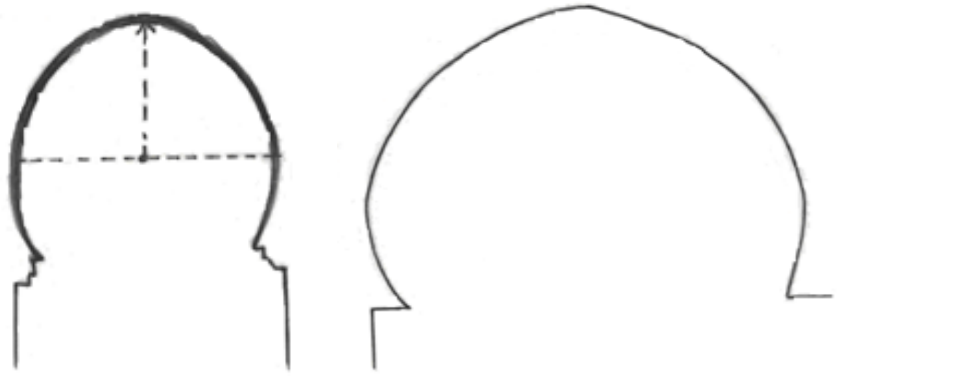


أ- قبة مضلعة

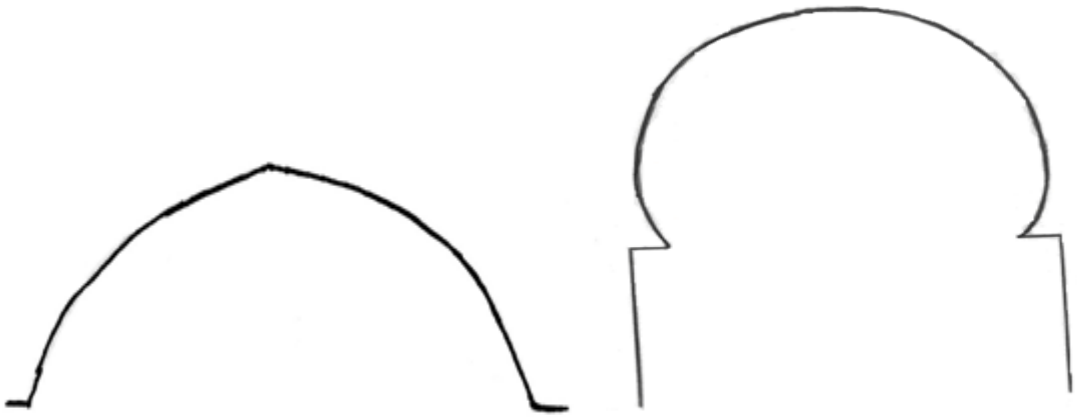


-ب- قباب نصف كروية وكروية

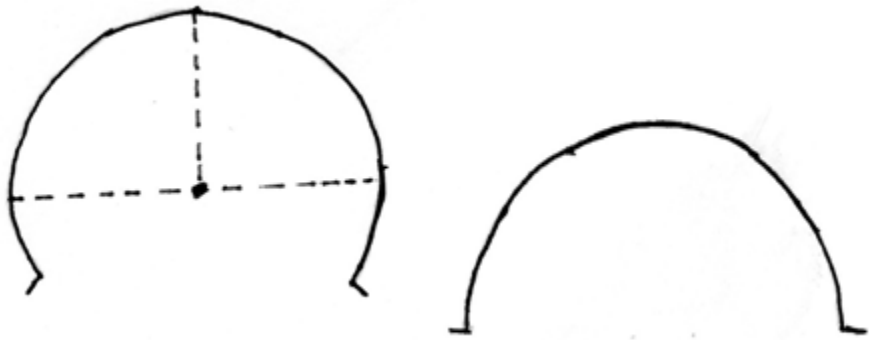
الشكل رقم 06 :توضع قباب صالح باي



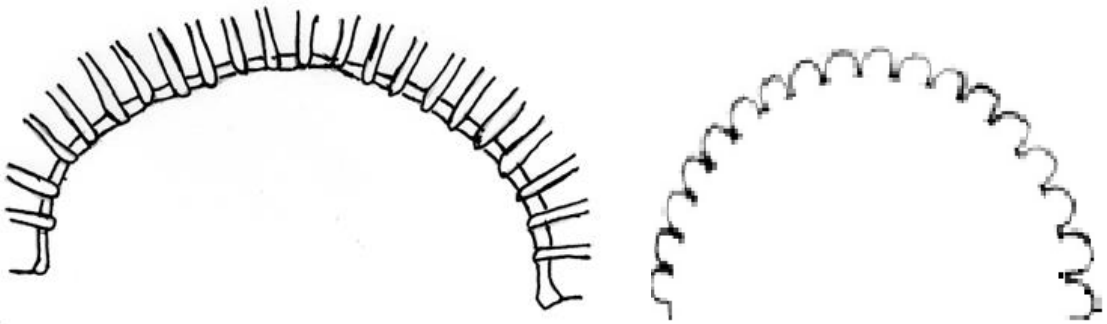
-أ- عقد متجاوز منكسر -ب- عقد نصف دائري متجاوز



-ج- عقد حذوي -د-

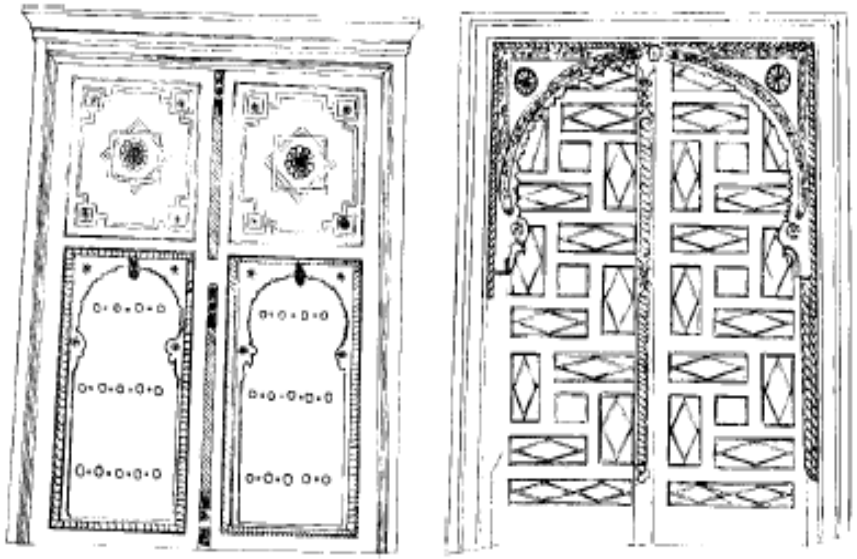


-هـ- عقد نصف دائري -و- عقد حذوي

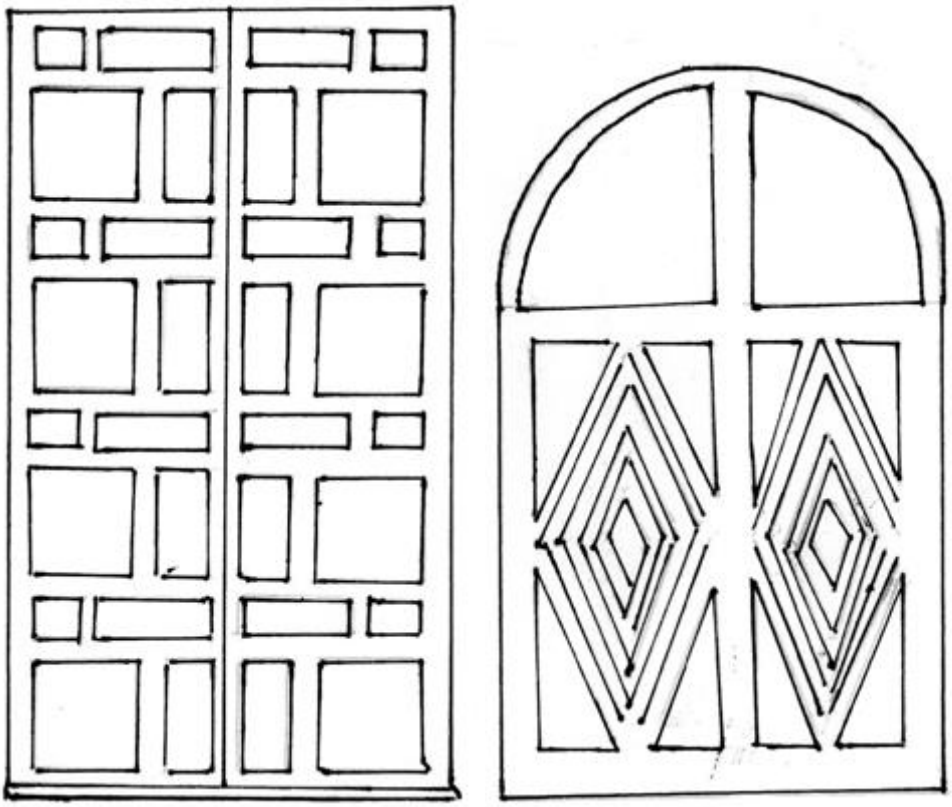


-ي- عقد مفصص - ر- عقد مشعر

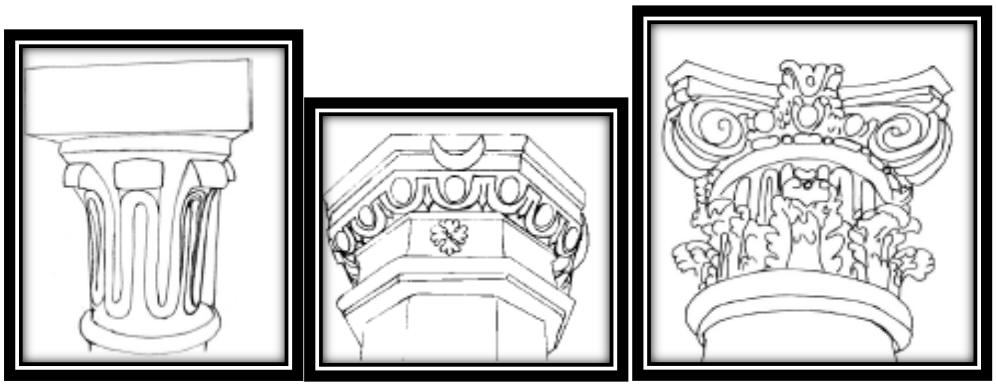
الشكل رقم 07 :أشكال عقود بالمنشآت المدروسة



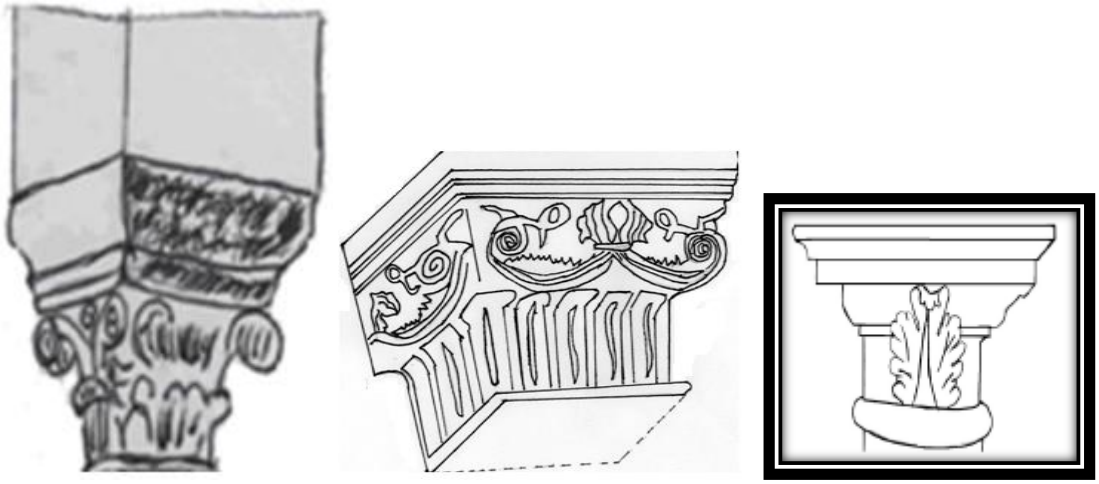
الشكل رقم 08 :باب خشبي بجامع سيدي الكتاني



الشكل رقم 09 : أبواب بجامع صالح باي بعنابة



-أ- -ب- تاج دوري -ج- تيجان تزينها أقنية

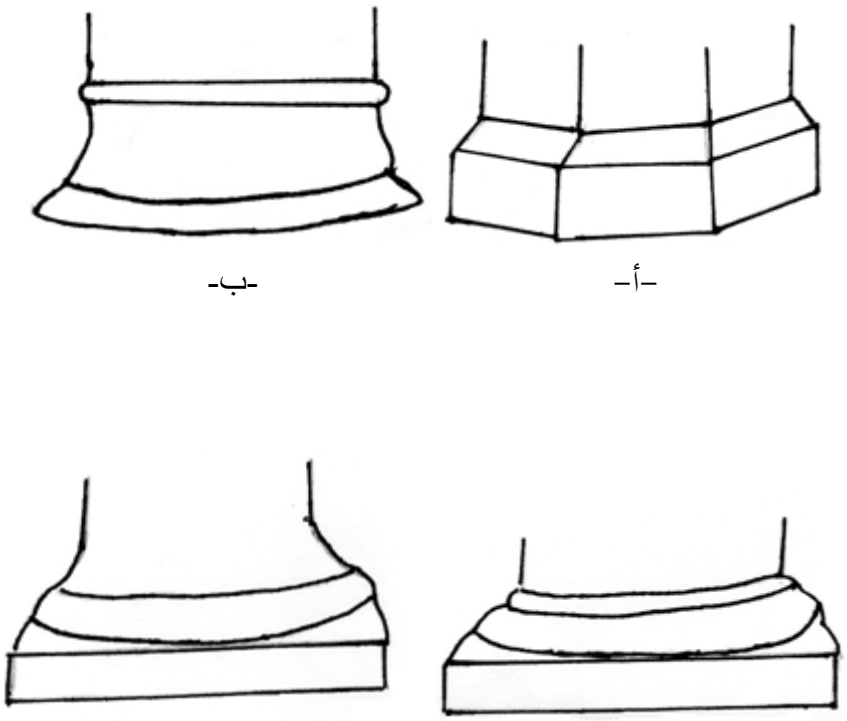


-د- -هـ- -و-



-ي- التاج المقولب -ر- التاج ذو صنفين من ورقة الأكنثة -ز- التاج ذو أربعة أصناف الأكنثة

الشكل رقم 10 : تيجان أعمدة منشآت صالح باي



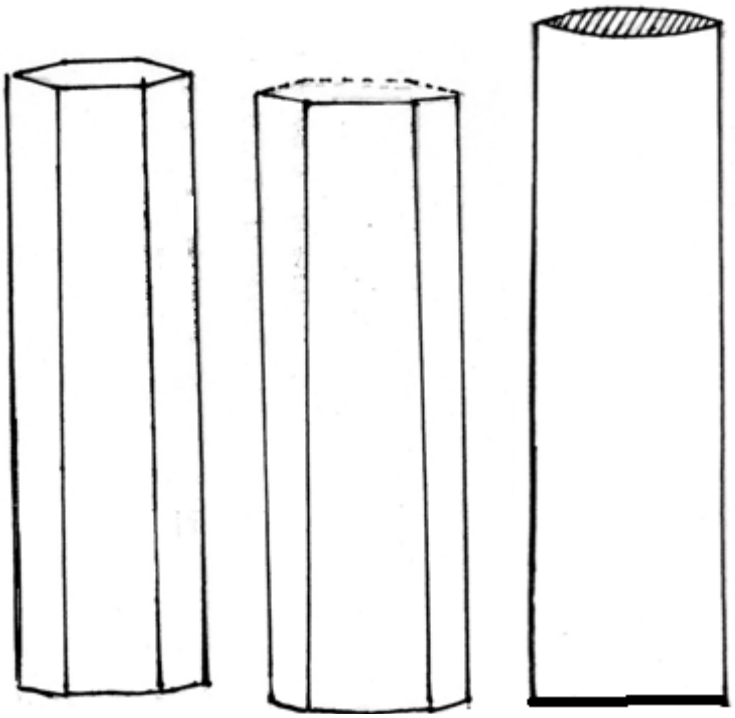
-أ-

-ب-

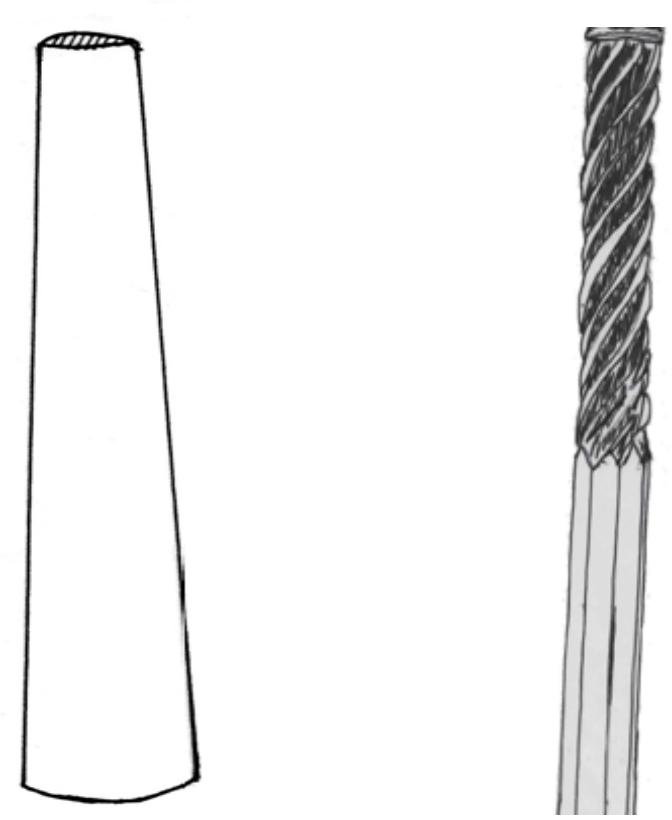
-ج-

-د-

الشكل رقم 11 : قواعد الأعمدة بمنشآت صالح باي

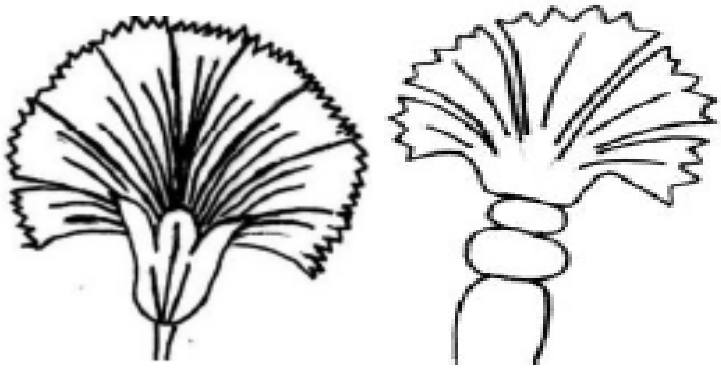


-أ- عمود مستدير -ب- عمود مضلع -ج –عمود مضلع

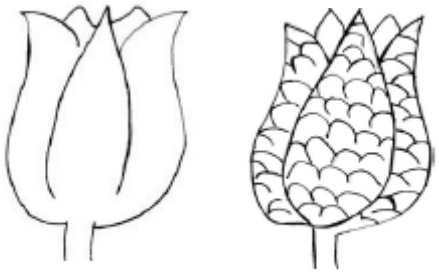


-د- عمود مثمن في الأسفل وحلزوني في الأعلى -هـ- عمود منفوخ

الشكل رقم 12 : أشكال الأبدان بمنشآت صالح باي



زهرة القرنفل



زهرة الالة



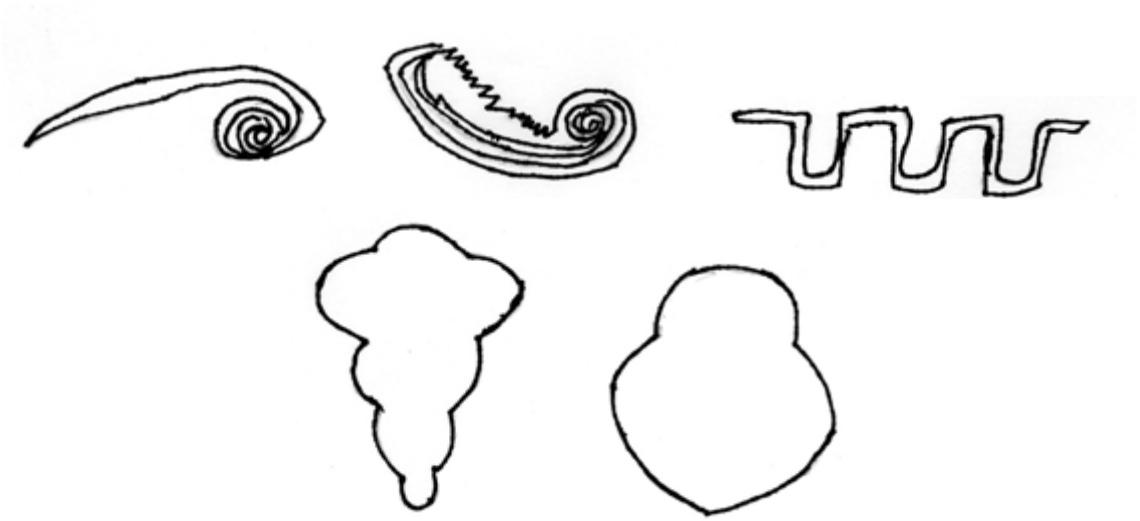
زهرة عباد الشمس

أزهار مختلفة

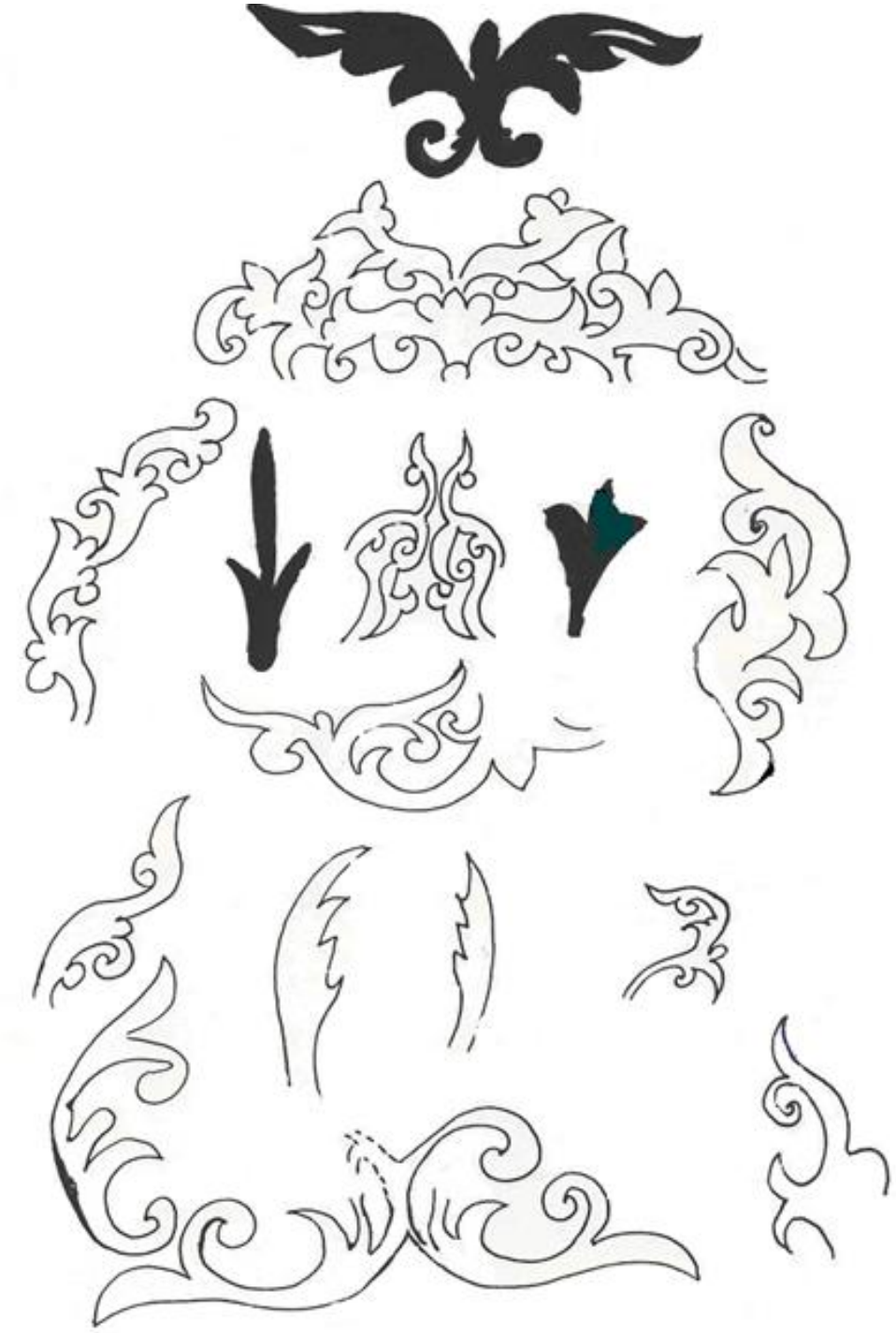
الشكل رقم 13 : نماذج مختلفة للأزهار



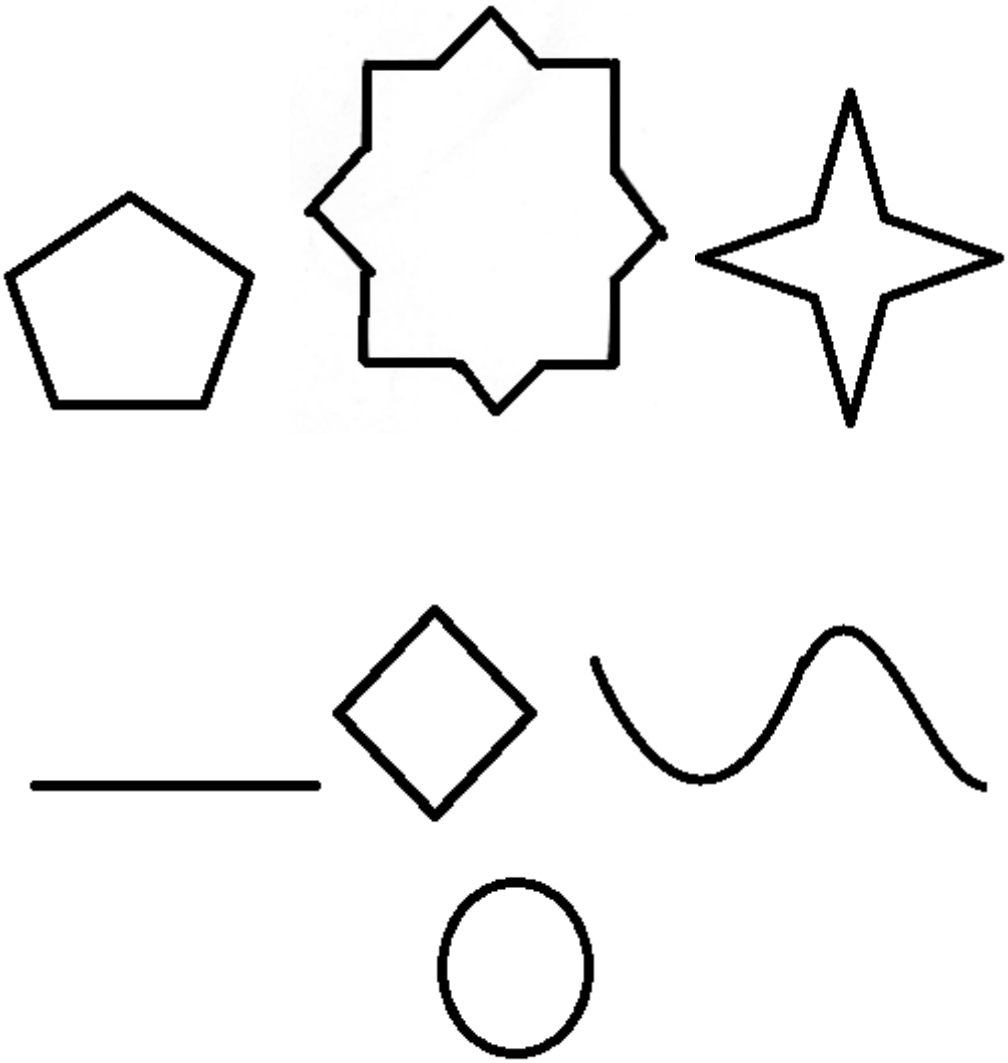
الشكل رقم 14 : نماذج مختلفة لتجميعات الأزهار



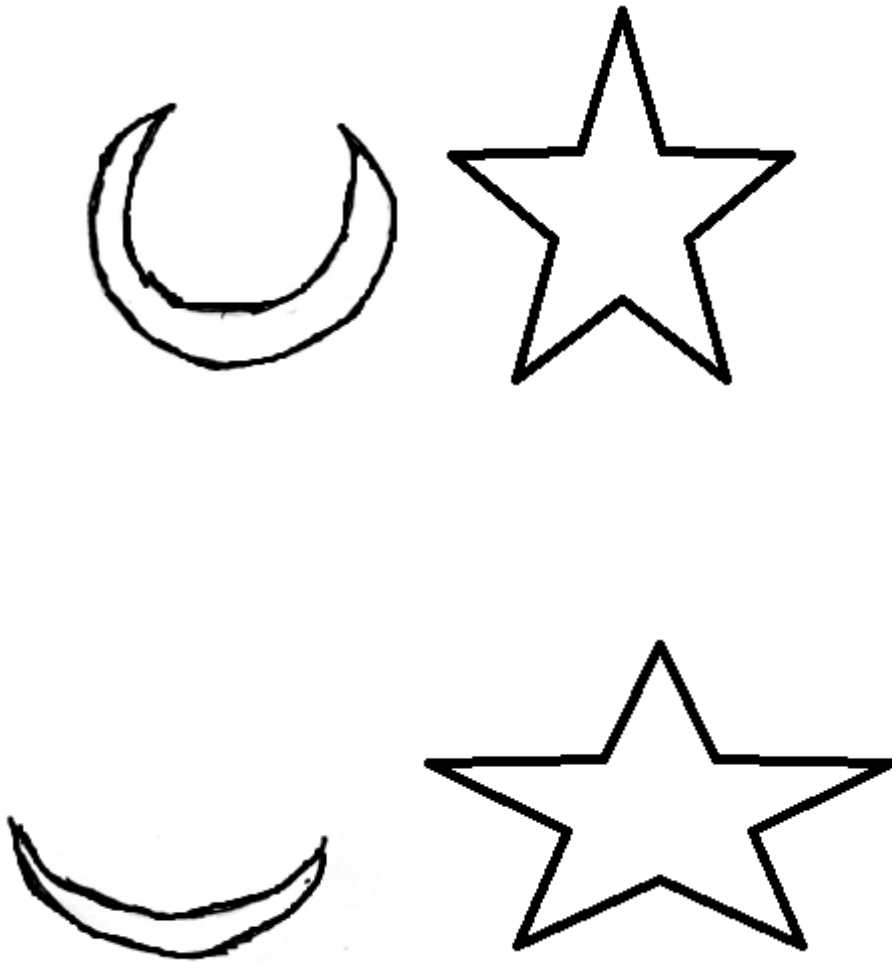
الشكل رقم 15 : الزخارف النباتية



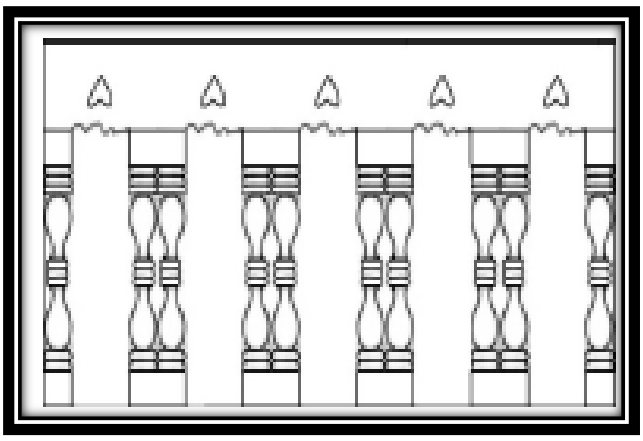
الشكل رقم 16 : نماذج مختلفة للمراوح النخيلية



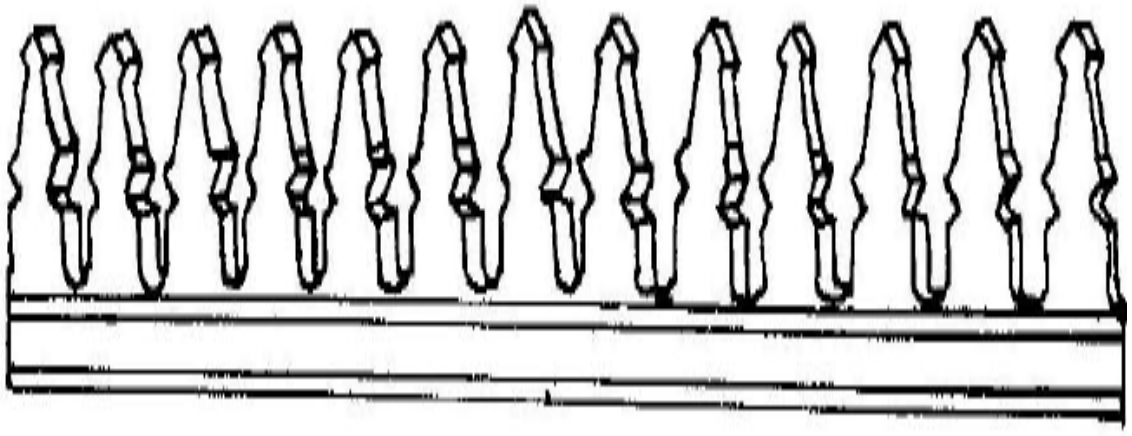
الشكل رقم 17 : الزخارف الهندسية



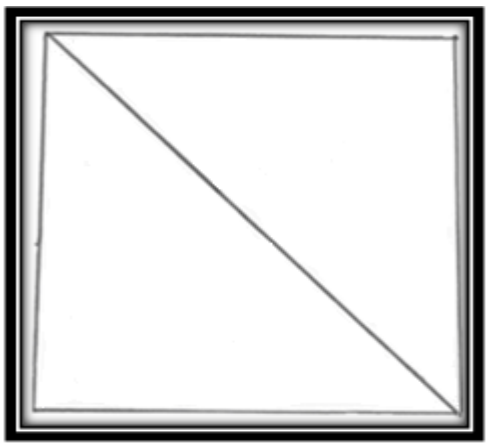
الشكل رقم 18 : الزخارف الرمزية



الشكل رقم 19 : درابزين بجامع سيدي الكتاني



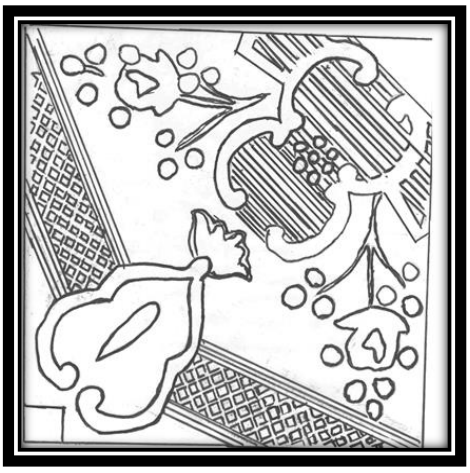
الشكل رقم 20 : الشرافات المستعملة في مركب سيدي الكتاني



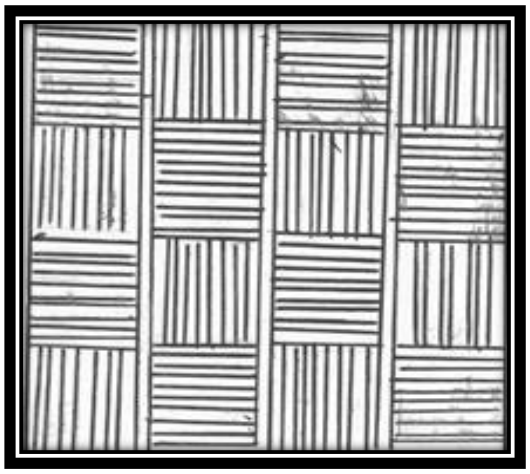
-أ-



-ب-



-ج-



-د-

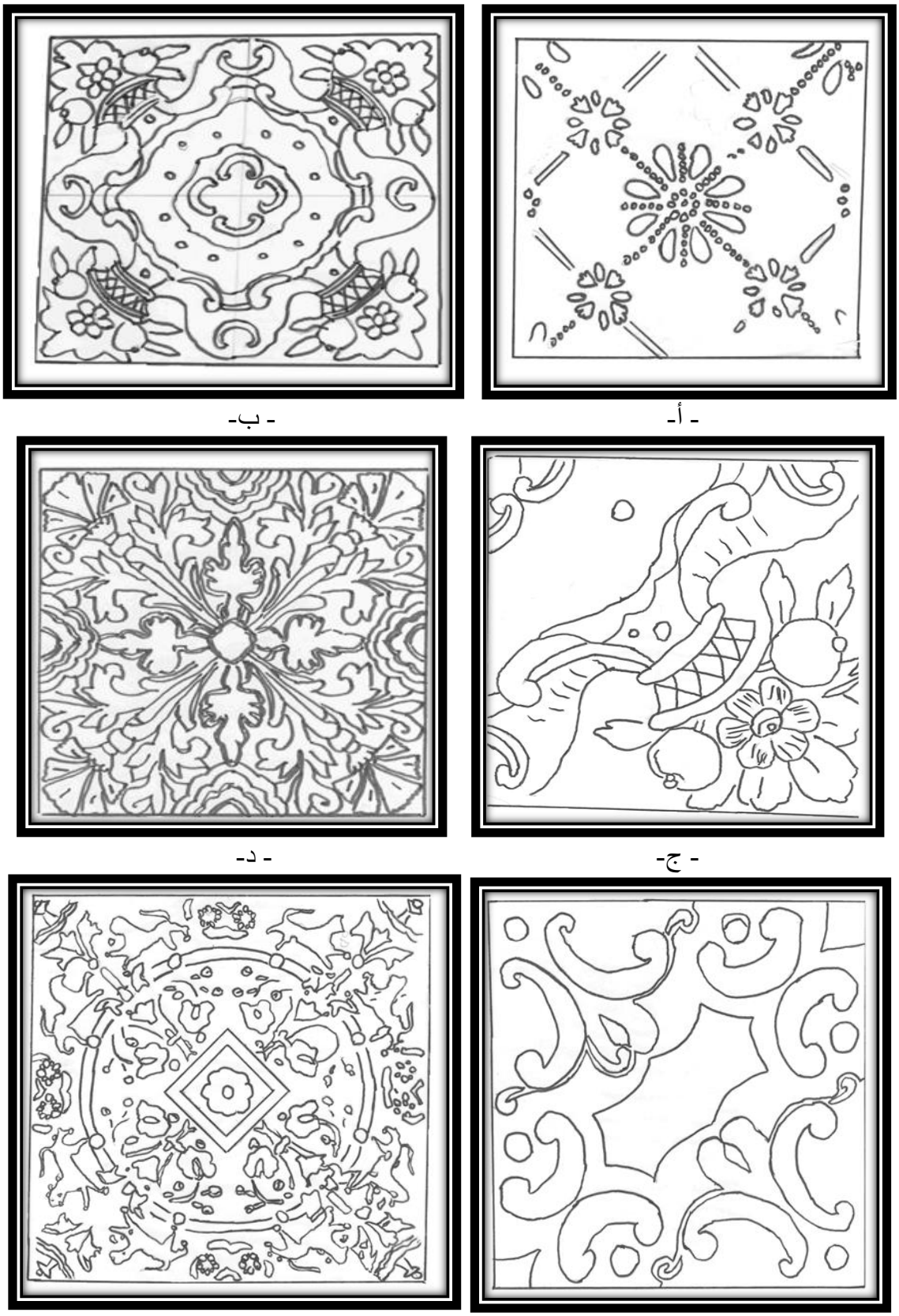


-هـ-



-و-

الشكل رقم 21 : بلاطات المدرسة والمقبرة الكتانية



- أ-

- ب-

- ج-

- د-

-هـ-

- و -

الشكل رقم 22 : بلاطات المدرسة والمقبرة الكتانية



- أ -

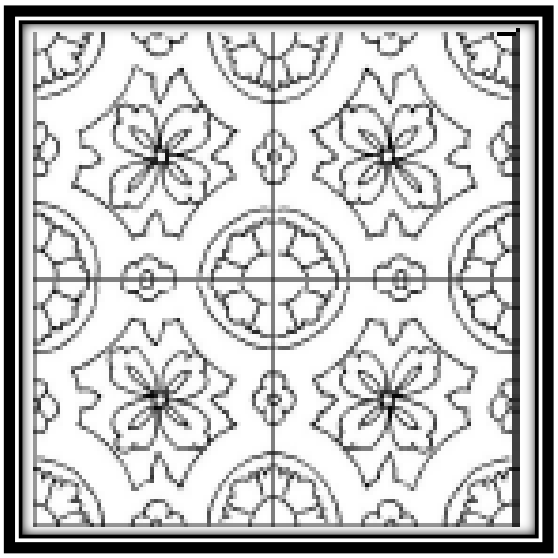


- ب -

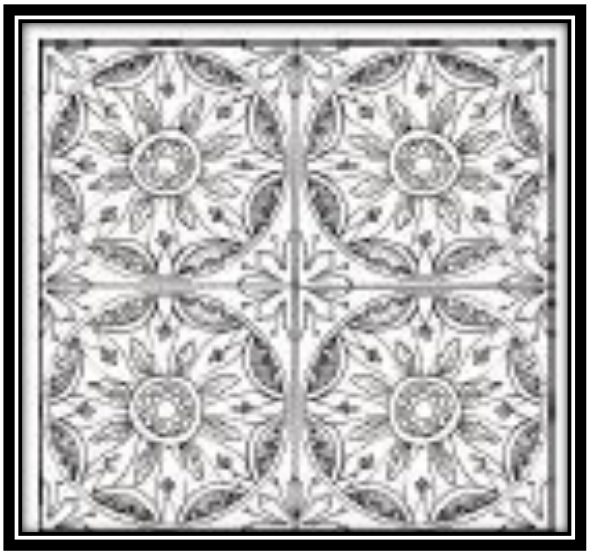


-ج-

الشكل رقم 23 : بلاطات المدرسة والمقبرة الكتانية

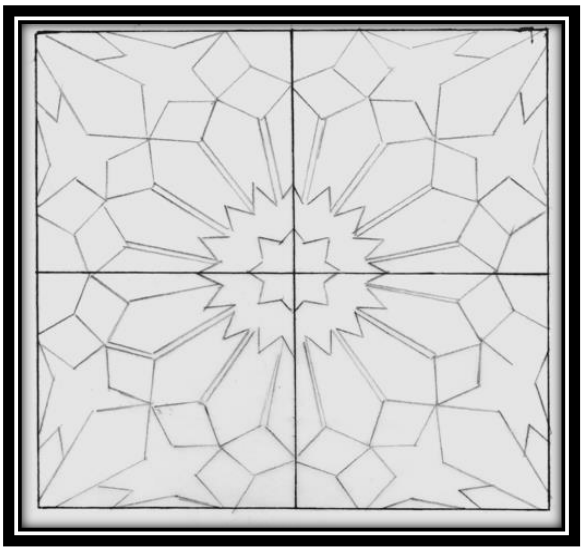


-أ-

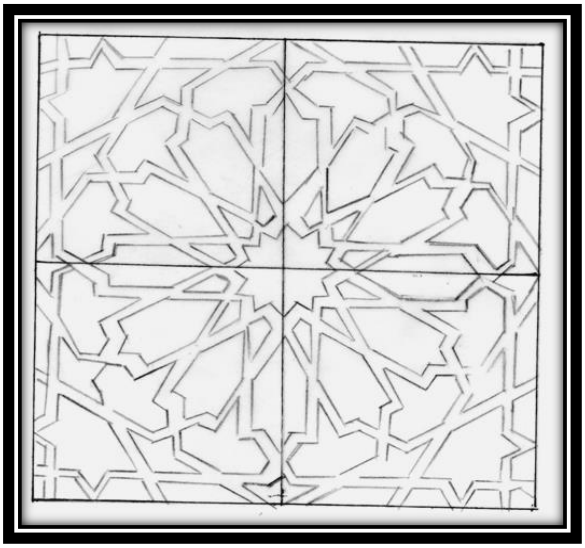


-ب-

الشكل رقم 24 :بلاطات مدرسة سيدي لخضر

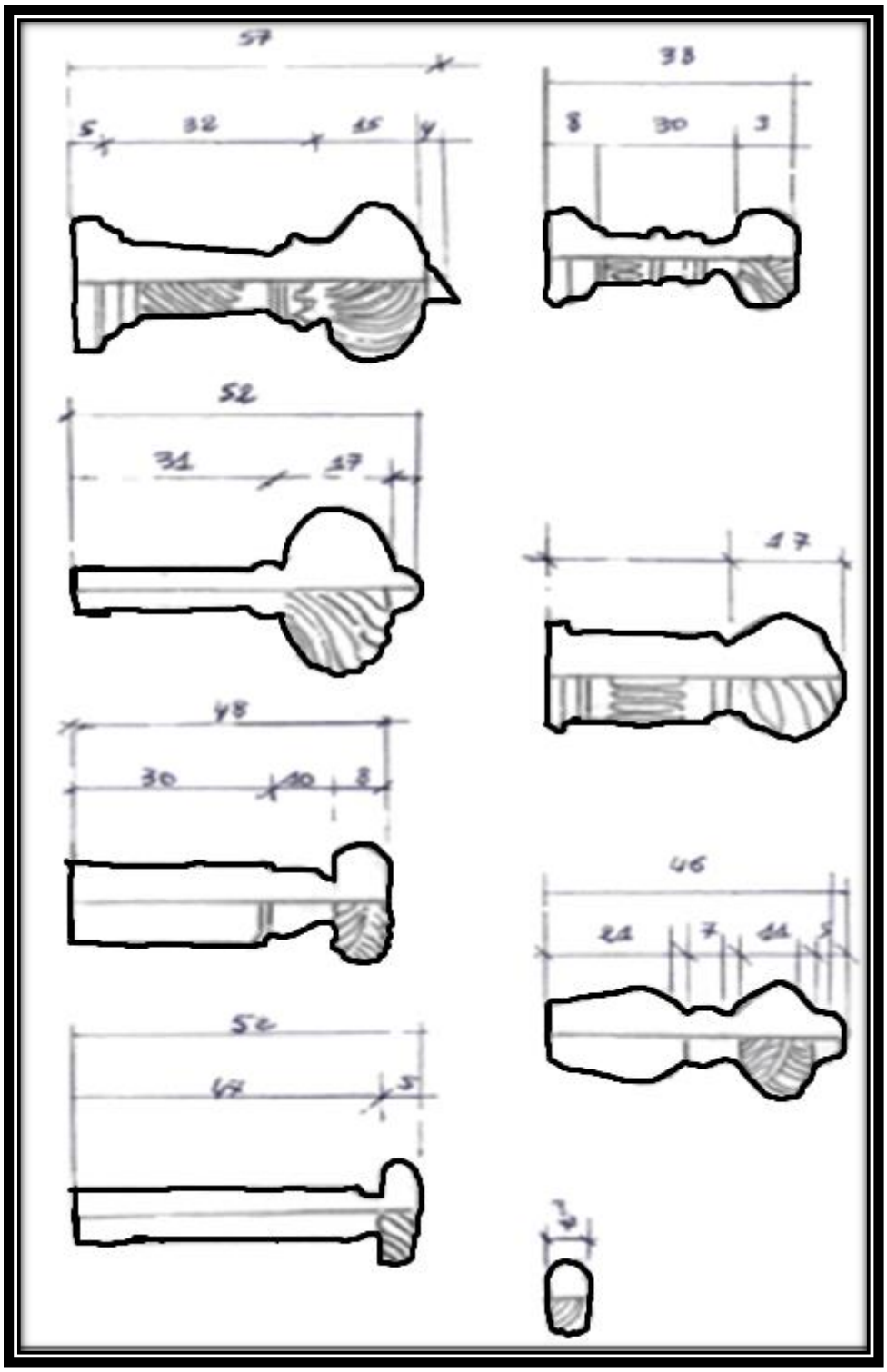


-أ-

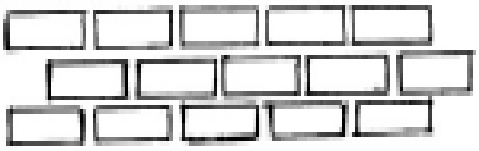


-ب-

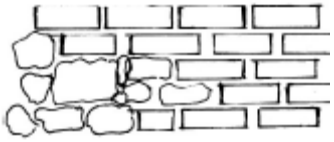
الشكل رقم 25 :بلاطات جامع صالح باي بعنابة



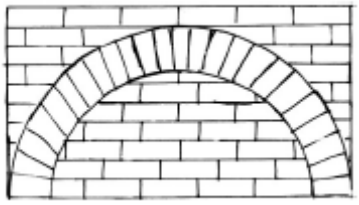
الشكل رقم 26 : شواهد القبور ذات العمامات



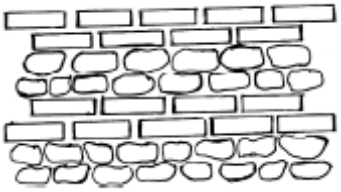
- أ – طريقة المداميك المنتظمة



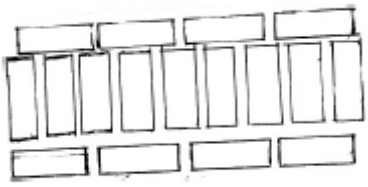
-ب- طريقة المداميك غير المنتظمة



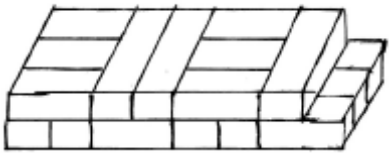
-ج- طريقة المداميك المزدوجة



-د- طريقة المداميك المتناوبة

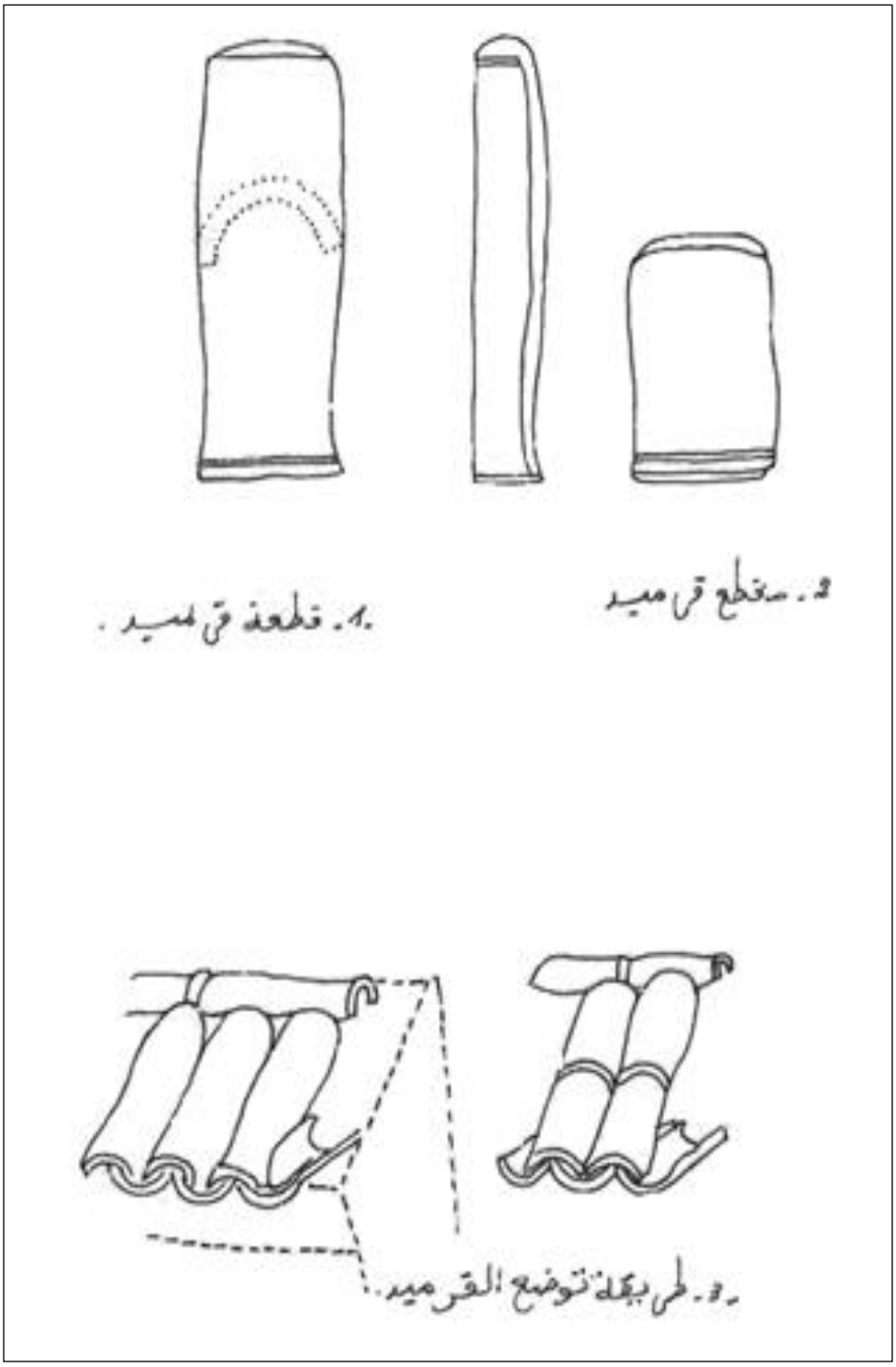


-هـ- طريقة المداميك المتناوبة أفقيا وعموديا



- و- طريقة أودية وشناوي

الشكل رقم 27 : طرق البناء (عن دحدود)



الشكل رقم 28: القرميد وطرق توضعه

ملحق اللوحات



الصورة رقم 01 – سوق العصر أواخر القرن 19م وبداية القرن 20م



الصورة رقم 02- سوق العصر وواجهة في الفترة الحالية



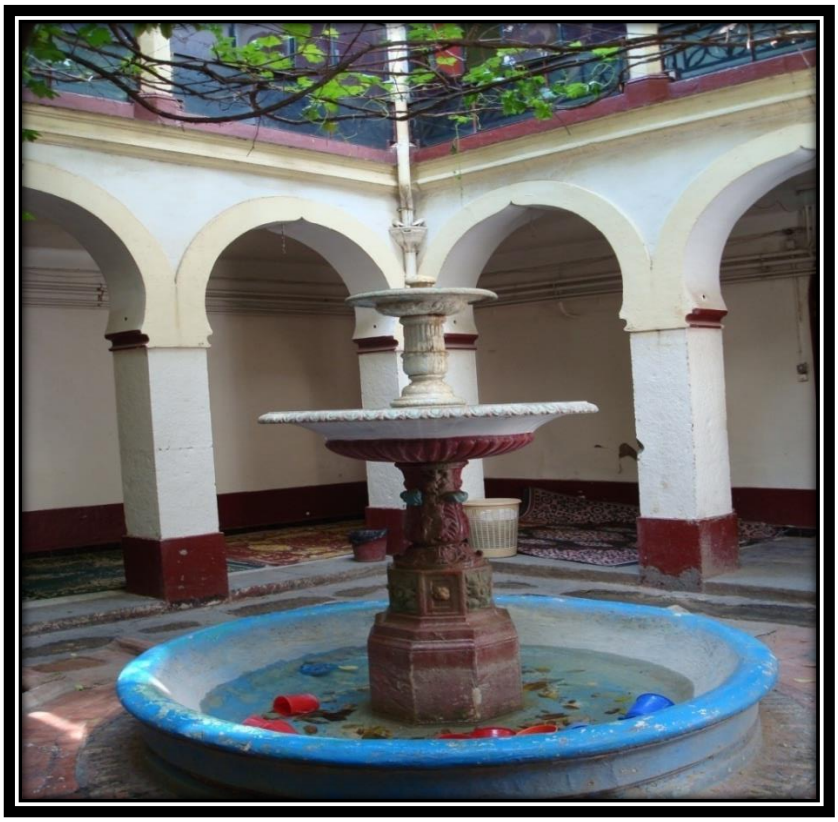
الصورة رقم : 03- مدخل جامع سيدي الكتاني



الصورة رقم 04- الواجهة الجنوبية (الرئيسية) للجامع الكتاني



الصورة رقم 05- الواجهة الشرقية للجامع الكتاني



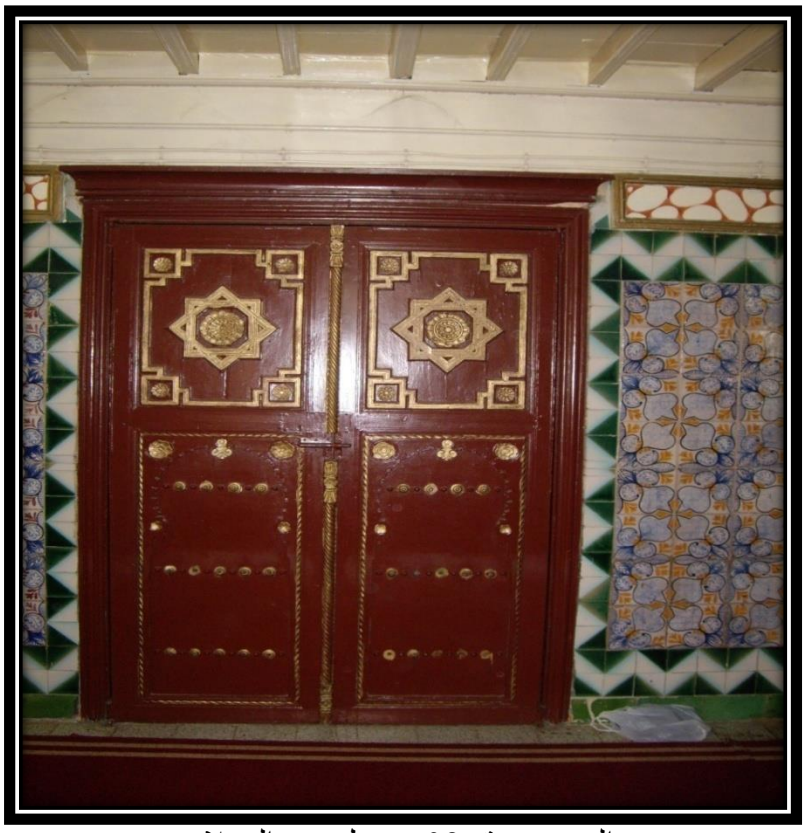
الصورة رقم 06- النافورة المتواجدة بصحن جامع سيدي الكتاني



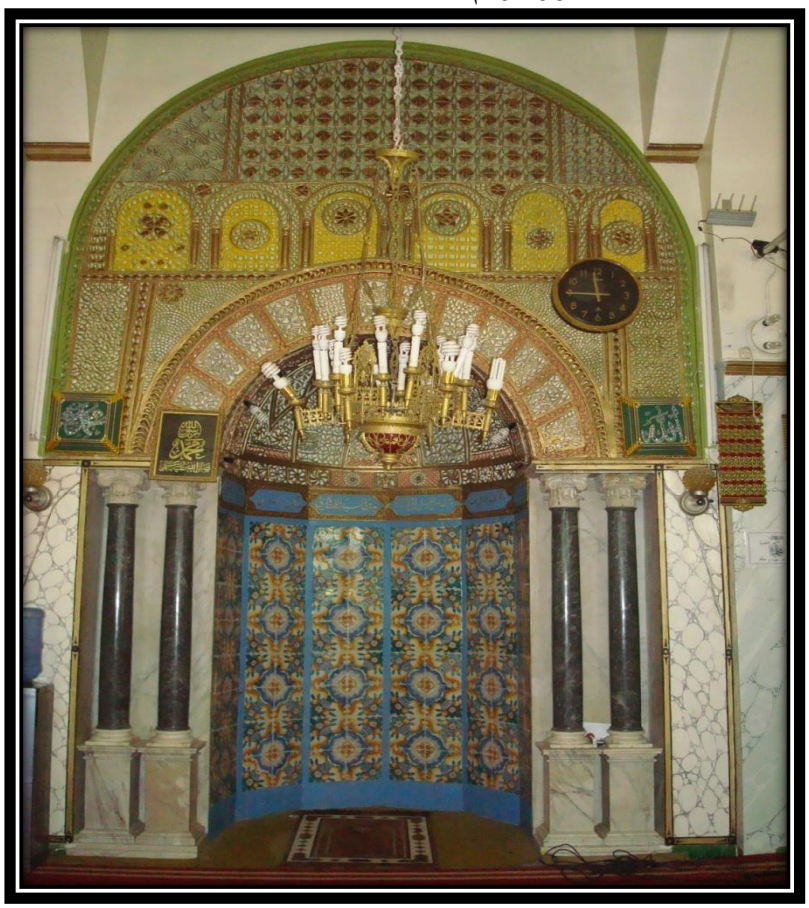
الصورة رقم 07- المحراب المتواجد في أروقة الصحن



الصورة رقم 08- الدرج المؤدي لبيت الصلاة



الصورة رقم 09- مدخل بيت الصلاة



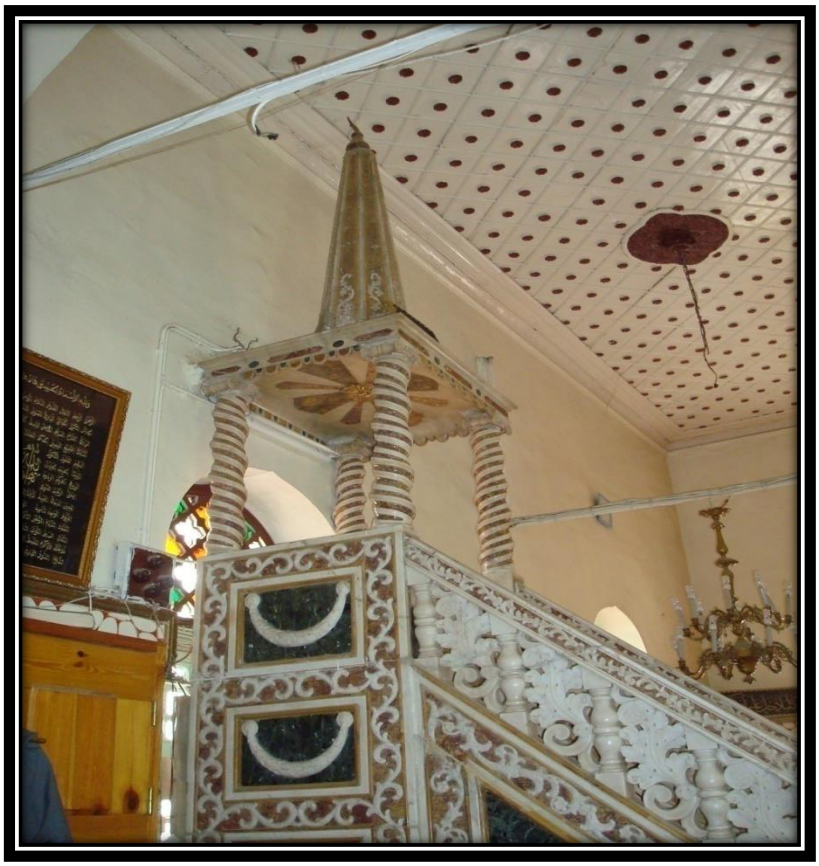
الصورة 10- محراب جامع سيدي الكتاني



الصورة رقم 11- زخرفة قبيبة المحراب



الصورة رقم 12- منبر جامع سيدي الكتاني



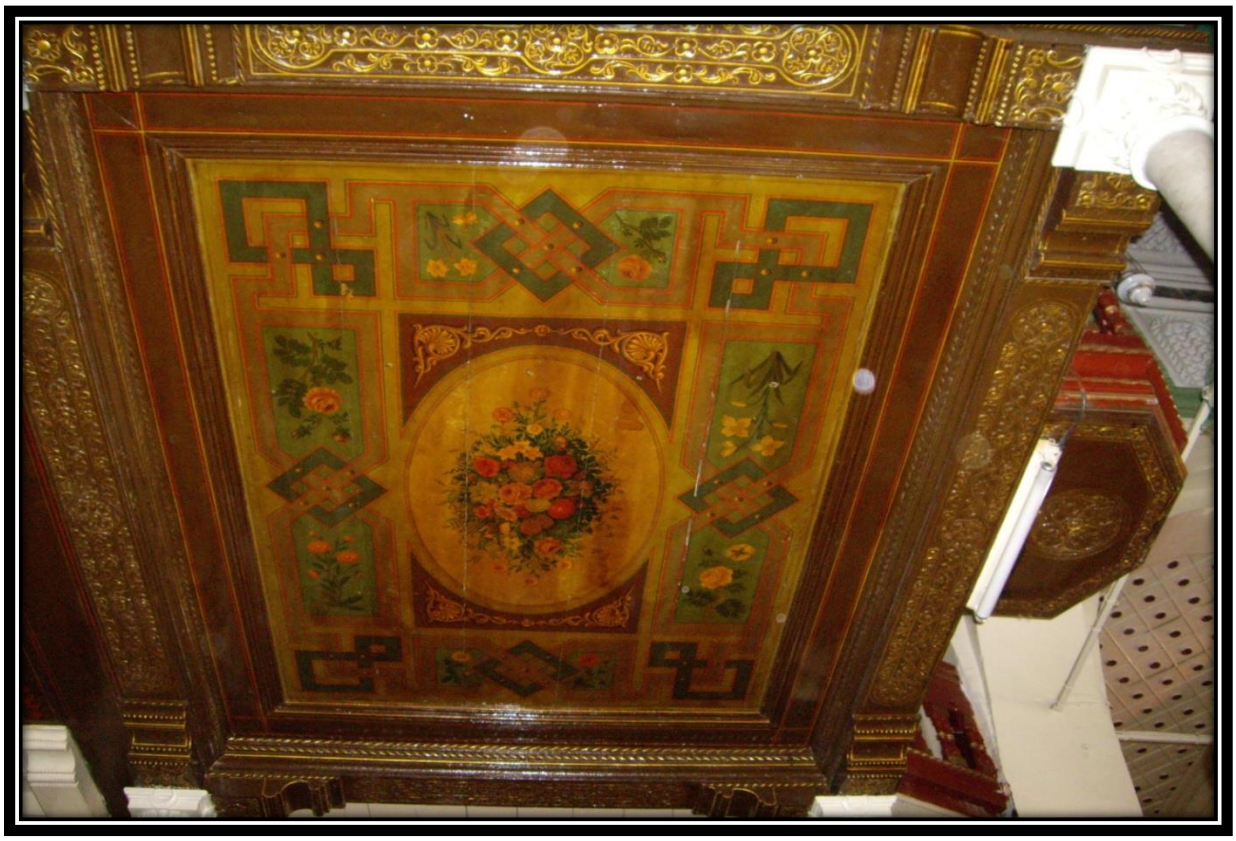
الصورة رقم 13- الجزء العلوي لمنبر جامع سيدي الكتاني



الصورة رقم 14- الوجه الجانبي لمنبر جامع سيدي الكتاني



الصورة رقم 15- سدة المبلغ في جامع سيدي الكتاني



الصورة رقم 16- الزخرفة اللونية المنفذة على الخشب أسفل سدة المبلغ



الصورة رقم 17- تسقيف بيت الصلاة



الصورة رقم 18- نوافذ بيت الصلاة



الصورة رقم 19– اللوحة التذكارية المتواجدة فوق المدخل



-أ- -ب-

الصورة رقم 20 عمامات في جامع سيدي الكتاني



-أ- -ب- -ج- -د-

الصورة رقم21 - أنواع الأعمدة بجامع سيدي الكتاني



الصورة رقم 22- قبيبات بيت الصلاة



الصورة رقم 23 – تيجان أعمدة المحراب



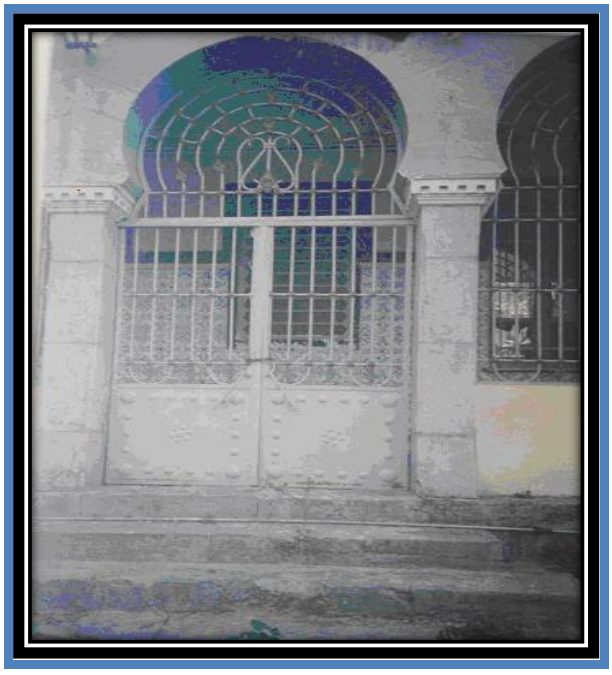
الصورة رقم 24– محارة تمثل منطقة إنتقال



الصورة رقم 25 – مئذنة جامع سيدي الكتاني



الصورة رقم 26– جوسق مئذنة سيدي الكتاني



الصورة رقم 27- المدخل الرئيسي للمدرسة.



الصورة رقم 28- الرواق الذي يلي مدخل المدرسة.



الصورة رقم 29- السلم المؤدي إلى الطابق العلوي.





الصورة رقم 30- صحن المدرسة.



الصورة رقم 31- الأقواس المطلة على الصحن.



الصورة رقم32- زخارف واجهة المقبرة



الصورة رقم 33- محراب قاعة التدريس



الصورة رقم 34- تجميعة خزفية تمثل أربع مثلثات تلتقي رؤوسها في مراكز التجميعة .



الصورة رقم 35- عقد المحراب.



الصورة رقم 36- كتابة في الجدار المقابل للبوابة الرئيسية عبارة عن أبيات شعرية



الصورة رقم 37- كتابة في الجدار الشمالي الغربي للمقبرة





الصورة رقم 38-عمود رخامي في محراب قاعة التدريس .الصورة رقم39- عمود في أروقة صحن المدرسة





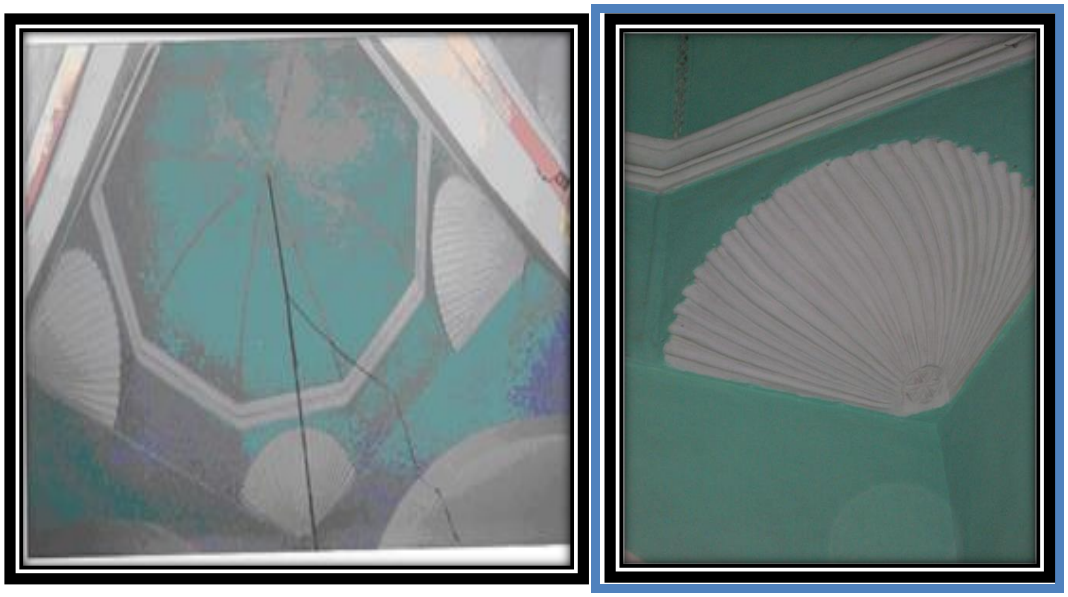
الصورة رقم 40- طريقة تسقيف الأروقة اللوحة رقم 41 –طريقة تسقيف المقبرة



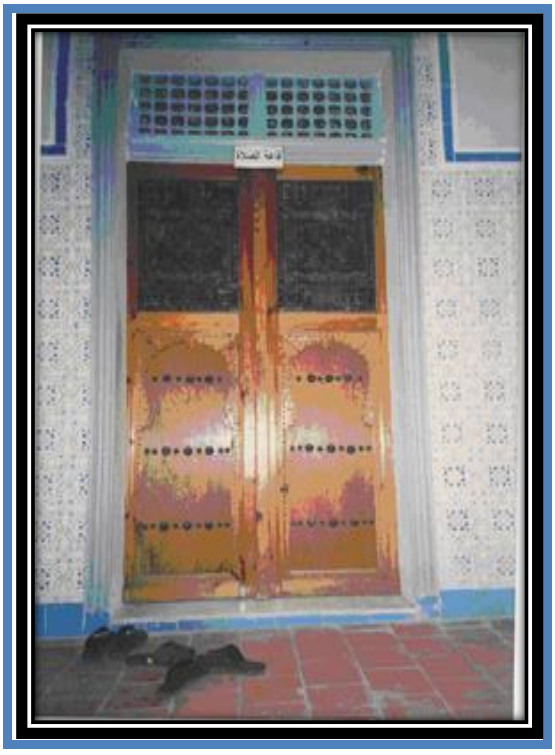
الصورة رقم 42-مدرسة سيدي الكتاني عن سوردفال



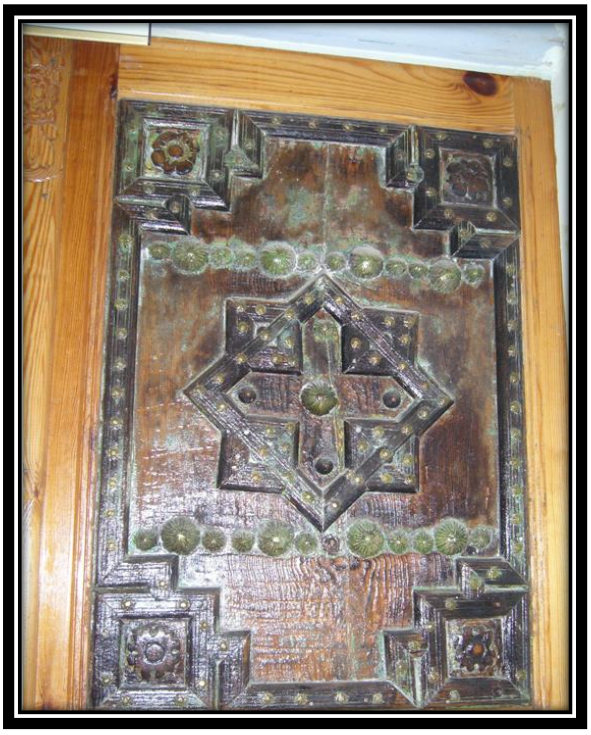
الصورة رقم 43- مقبرة صالح باي (صورة قديمة).



الصورة رقم44- قبة المقبرة.



الصورة رقم 45- بوابة قاعة التدريس.



الصورة رقم 46- القسم العلوي من بوابة قاعة التدريس.



الصورة رقم 47- بلاطات ذات زخارف هندسية ونباتية (أوراق وثمار البرتقال).



الصورة رقم 48- تجميعة من بلاطات تمثل زهرة قرنفل.



الصورة رقم 49- أربع تجميعات من نفس النوع تشكل تصميم زخرفي قوامها دائرة تتوسطها نجمة وتحيط بها لفائف ورقية وأزهار قرنفل



الصورة رقم 50- الغرفة الجنائزية التي تحوي قبري ابنة وزوجة صالح باي.



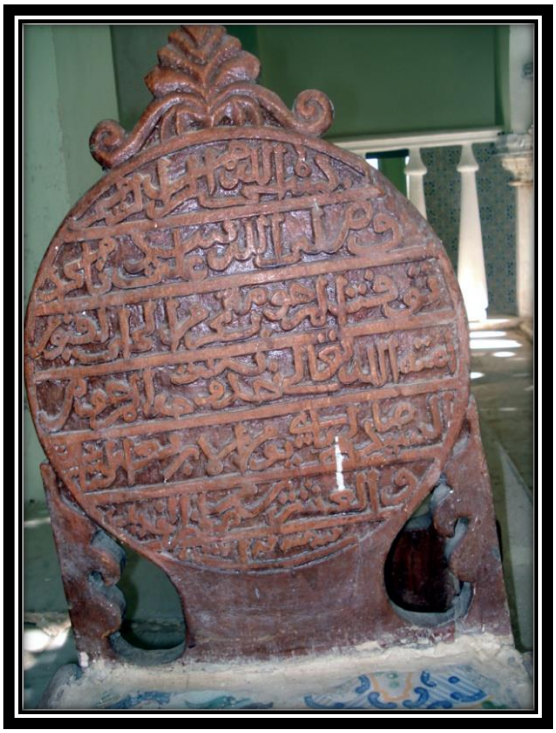
الصورة رقم 51- شاهد قبر السيدة زهيرة بنت صالح باي.



الصوة 52- مجموعة من البلاطات الخزفية تغطي ضريح آمنة بنت صالح باي



الصورة رقم53- شاهد قبر خدوجة بنت عبد الله بنت صالح باي



الصورة رقم 54- شاهد قبر خدوجة بنت صالح باي

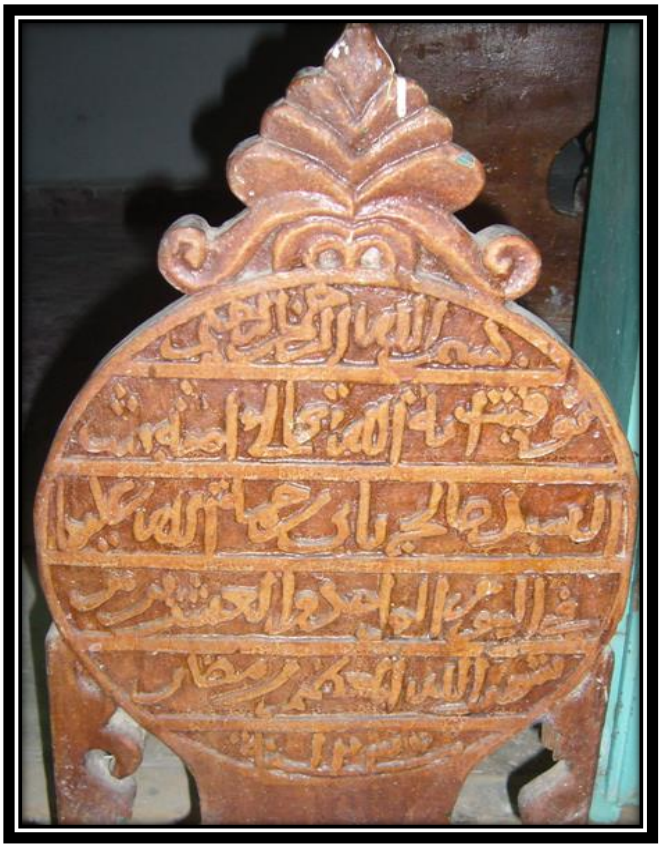


الصورة رقم 55- شاهد قبر (القدمين) رخامي به زخرفة نباتية.



الصورة رقم56- شاهد قبر (القدمين) ءامنة بنت صالح باي





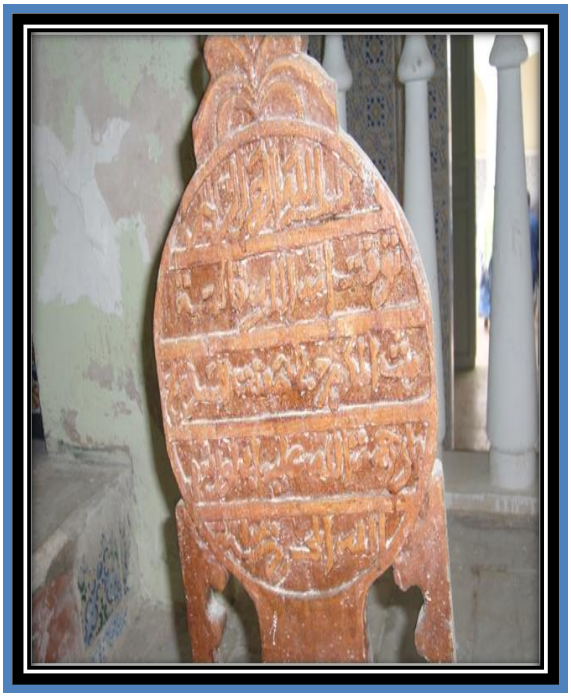
الصورة رقم 57- شاهد قبر رخامي للسيد صالح باي. الصورة رقم 58- شاهد قبر ءامنة بنت صالح باي





الصورة رقم 59- شاهد (القدمين) متواجد في قبر خدوجة بنت عبد الله

الصورة رقم 60- شاهد قبر المرابطة عائشة بنت صالح باي



الصورة رقم 61- شاهد قبر فاطمة بنت صالح باي



الصورة رقم 62- شاهد (القدمين) متواجد في قبر فاطمة بنت صالح باي



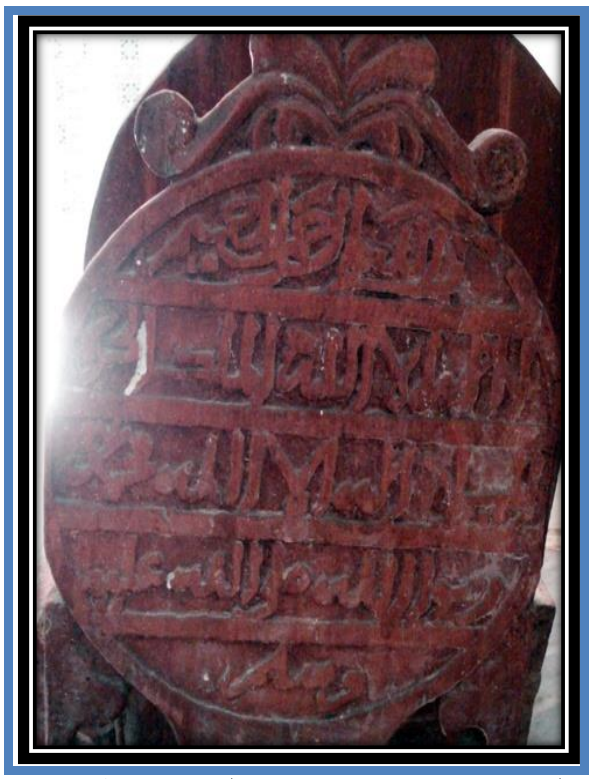
الصورة رقم 63- شاهد قبر يامنة بنت محمد بن صالح باي



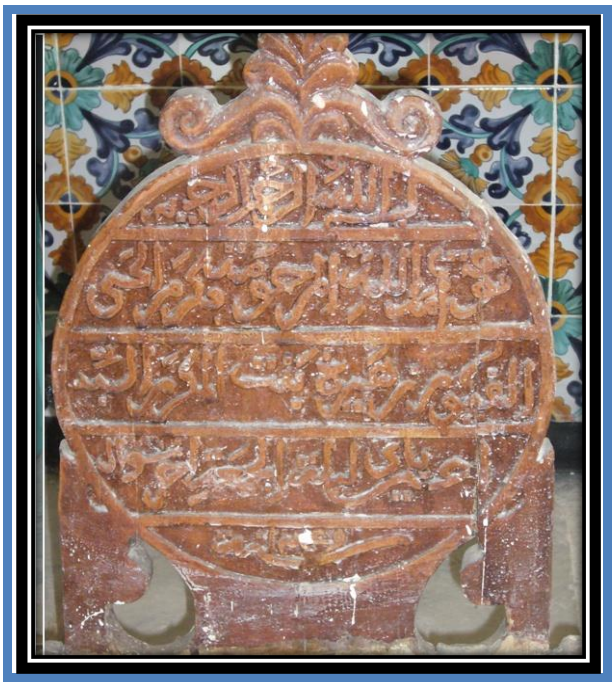
الصورة رقم 64- شاهد قبر عائشة زوجة صالح باي



الصورة رقم 65- شاهد قبر إحدى بنات صالح باي.



الصورة رقم 66- شاهد قبر(القدمين) فاطمة بنت صالح باي



الصورة رقم 67- شاهد قبر زهيرة بنت أحمد باي



الصورة رقم 68- شاهد قبر مصطفى بن صالح باي



الصورة رقم69- شواهد القبور ذات العمامات



الصورة رقم 70- سقف المدرسة



الصورة رقم71 – مدخل مدرسة سيدي الخضر



الصورة رقم 72 – تسقيف مدرسة سيدي الأخضر



-أ- أعمدة أروقة الصحن



—ب- أعمدة قاعة التدريس

الصورة رقم 73- أعمدة مدرسة سيدي الأخضر



الصورة رقم 74 – تيجان أعمدة صحن مدرسة سيدي الأخضر



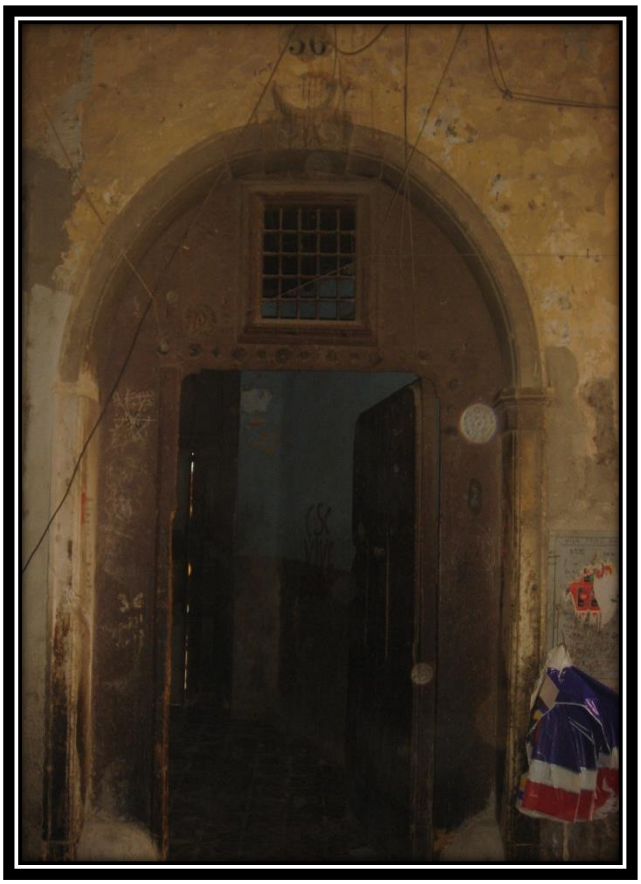
الصورة رقم 75 – زخرفة الجدران بالبلاطات الخزفية



الصورة رقم 76 – الركن الشمالي الشرقي لمدرسة سيدي الأخضر



الصورة رقم 77– عقد يفصل الغرف بمدرسة سيدي الأخضر



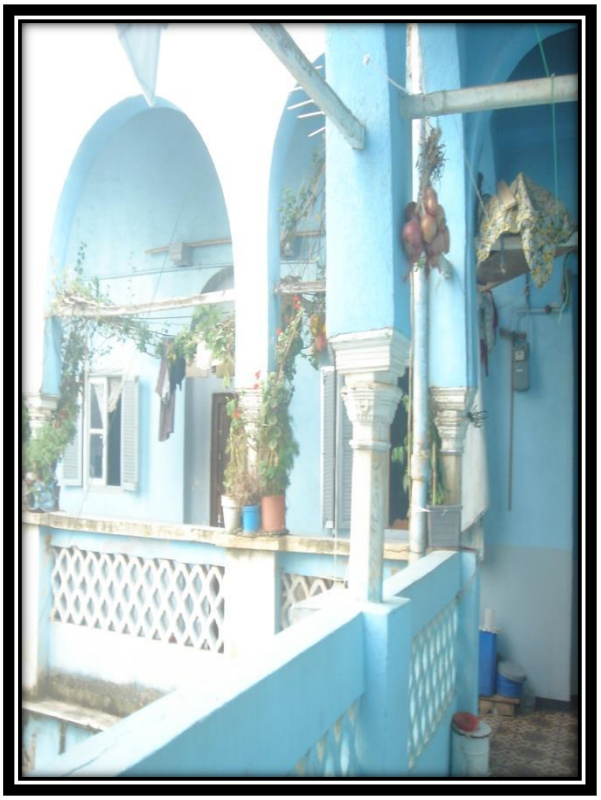
الصورة رقم 78 – المدخل الرئيسي لدار بن جلول

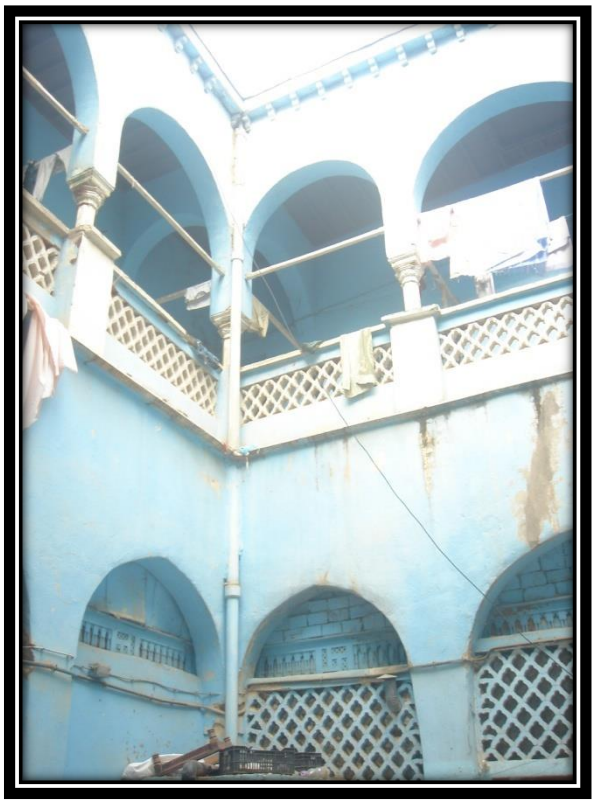


الصورة رقم 79 – باب احدى الغرف بالطابق العلوي بدار بن جلول



الصورة رقم 80 – إطار مدخل السلم





الصورة رقم 81- أروقة الطابق العلوي في دار بن جلول. الصورة رقم 82- منظر داخلي لأروقة دار بن جلول





الصورة رقم 83- إحدى السلالم المؤدية إلى الطابق العلوي الصورة رقم 84- سدة في دار بن جلول



الصورة رقم 85- تسقيف الغرف في دار بن جلول



الصورة رقم 86- إحدى غرف دار بن جلول

الصورة رقم 87- أعمدة الأروقة والغرف



الصورة رقم 88- عقود في غرف دار بن جلول



الصورة رقم 89- التكسيات الجدارية في دار بن جلول



-أ-



-ب-



-ج-

الصورة رقم 90 – موضوعات زخرفية بواسطة تجميعات البلاطات الخزفية في دار بن جلول



الصورة رقم 91 – المدخل الحالي لمركب سيدي محمد الغراب



الصورة رقم 92– طريقة تسقيف ضريح ومسكن سيدي محمد الغراب



الصورة رقم 93- توضع القبور بضريح سيدي محمد الغراب



الصورة رقم 94- ضريح عايشة بنت المرحوم السيد شعبان آغة (ضريح لغراب)



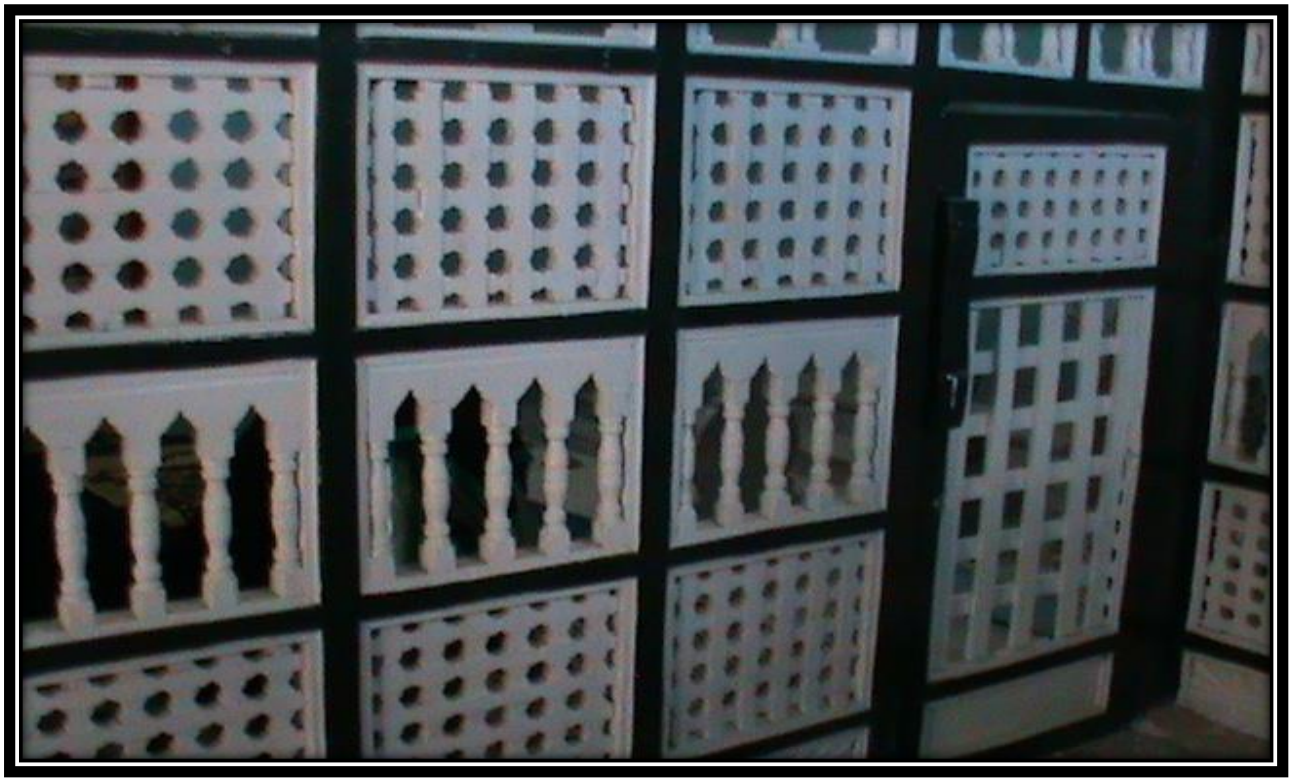
الصورة رقم 95- قبر سيدي محمد الغراب



الصورة رقم 96- قبة ضريح سيدي محمد الغراب



الصورة رقم 97- صحن مسجد مركب سيدي الكتاني



الصورة رقم98 – الزخرفة الخشبية بضريح سيدي محمد الغراب



الصورة رقم 99 – المدخل الرئيسي لجامع الباي بعنابة



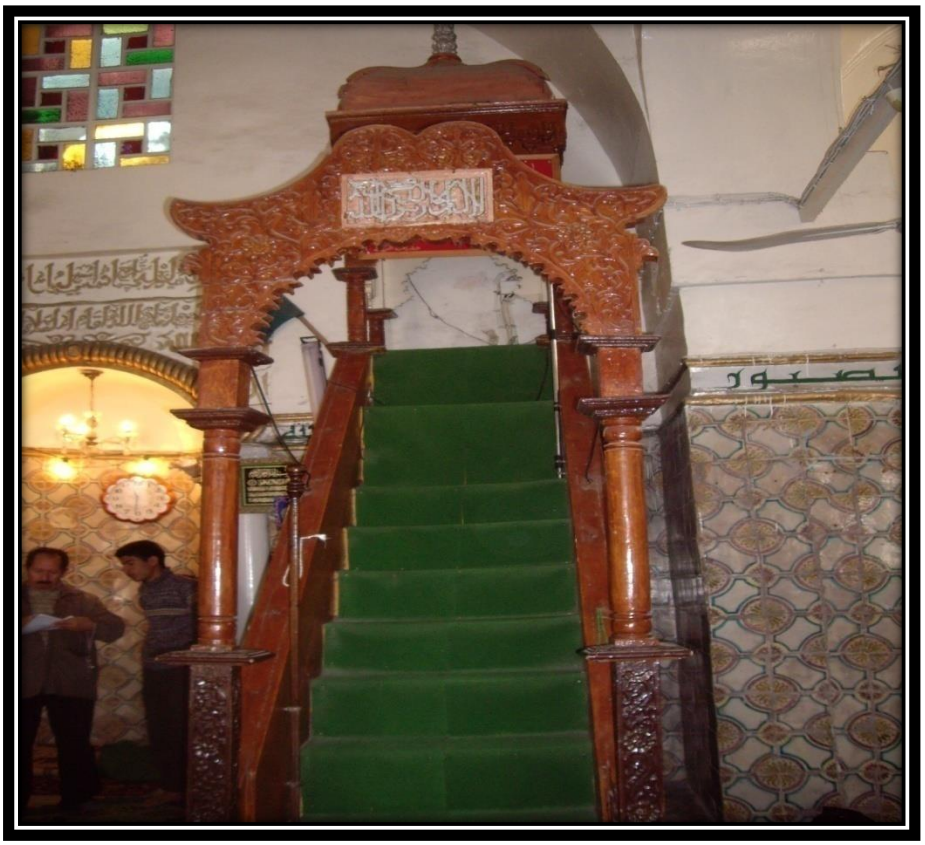
الصورة رقم 100– مداخل جامع الباي الأصلية



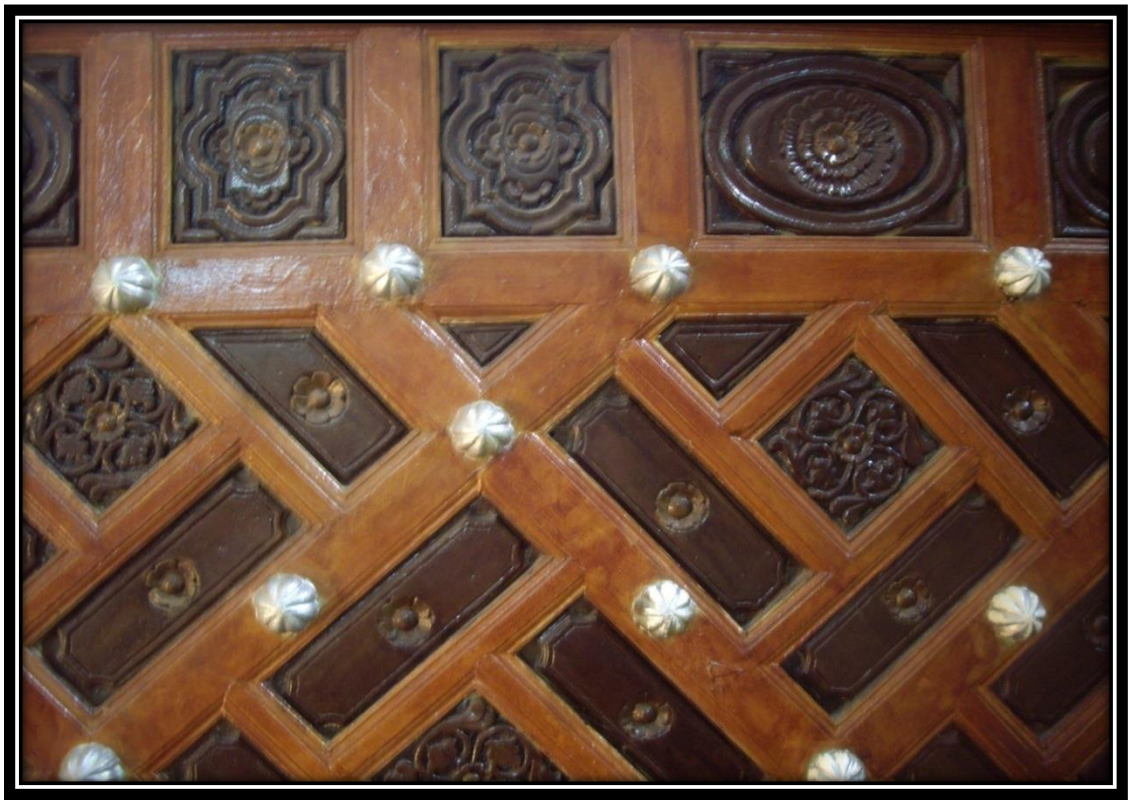
الصورة رقم 101- مئذنة جامع الباي بعنابة



اللوحة رقم102 - البرج المضلع في جامع صالح باي



اللصورة رقم 103 – منبر جامع الباي بعنابة



الصورة رقم 104– زخرفة مبر جامع الباي



الصورة رقم105 – محراب جامع الباي



الصورة رقم 106 – عقد محراب جامع الباي



الصورة رقم 107- منظر داخلي للقبة الرئيسية بجامع الباي



الصورة رقم 108- منظر داخلي للقبة التي تتقدم المحراب بجامع الباي



الصورة رقم 109 – صحن جامع الباي بعنابة



الصورة رقم 110– أروقة جامع الباي



-أ-



-ب-



-ج-



-د-



- هـ

الصورة رقم 111- بعض النماذج للبلاطات الخزفية المتواجدة في دار بن جلول



-أ-



-ب-

الصورة رقم 112- بعض النماذج لبلاطات جامع سيدي الكتاني



-أ-



-ب-

الصورة رقم 113- بلاطات مدرسة سيدي الأخضر

الفهارس

فهرس الخرائط :

رقم الخريطة	عنوان الخريطـــــــــة	الصفحة
01	- موقع المنشآت المدروسة داخل مدينة قسنطينة مدينة قسنطينة	339
02	- موقع مسجد صالح باي بعنابة	340
03	- قسنطينة في العهد الإسلامي	341
04	- التقسيمات الكبرى للمدينة	342
05	- المنشآت العسكرية بالمدينة	343
06	- قسنطينة في العهد العثماني	344

فهرس المخططات :

رقم الشكل	عنـــوان الشـــكـل	الصفحة
01	- مخطط الطابق الأرضي لجامع سيدي الكتاني	346
02	- مخطط الطابق الأول لجامع سيدي الكتاني	347
03	- مخطط الطابق الأرضي لمدرسة سيدي الكتاني	348
04	- مخطط الطابق الأول لمدرسة سيدي الكتاني	349
05	- مخطط مدرسة ومقبرة سيدي الكتاني	350
06	- مخطط واجهة مدرسة سيدي الكتاني	351
07	- مخطط يبرز توضع القبور بمقبرة سيدي الكتاني	352
08	- مخطط عام لمركب سيدي محمد الغراب	353
09	- مخطط المسكن المتواجد بمركب سيدي محمد الغراب	354
10	- مخطط توضع القبور بالقبة الضريحية لمركب سيدي محمد الغراب	355
11	- مخطط مدرسة سيدي الأخضر	356
12	- مخطط مدرسة سيدي الأخضر	357
13	- مخطط جامع صالح باي بعنابة التصميم العام والمباني الملحقة قبل تحويل بيت الوضوء إلى ملحق بيت الصلاة	358
14	- مخطط جامع صالح باي بعنابة التصميم العام والمباني الملحقة قبل إضافة الرواق الطويل	359
15	- التصميم العام لجامع صالح باي بعنابة في الفترة الحالية	360
16	- مخطط الواجهة الشرقية من الصحن	361

فهرس الأشكال :

رقم اللوحة	عنـــوان اللوحة	الصفحة
01	- مآذن منشآت صالح باي	363
02	- محراب جامع سيدي الكتاني	364
03	- منبر جامع صالح باي بعنابة	365
04	- منبر جامع سيدي الكتاني	366
05	- محراب جامع صالح باي بعنابة	367
06	- توضع قباب صالح باي	368
07	- أشكال عقود بالمنشآت المدروسة	369
08	- باب خشبي بجامع سيدي الكتاني	370
09	- أبواب بجامع صالح باي بعنابة	370
10	- تيجان أعمدة منشآت صالح باي	371
11	- قواعد الأعمدة بمنشآت صالح باي	372
12	- أشكال الأبدان بمنشآت صالح باي	373
13	- نماذج مختلفة للأزهار	374
14	- نماذج مختلفة لتجميعات الأزهار	375
15	- الزخارف النباتية	375
16	- نماذج مختلفة للمراوح النخيلية	376
17	- الزخارف الهندسية	377
18	- الزخارف الرمزية	378
19	- درابزين بجامع سيدي الكتاني	379
20	- الشرافات المستعملة في مركب سيدي الكتاني	379
21	- بلاطات المدرسة والمقبرة الكتانية	380
22	- بلاطات المدرسة والمقبرة الكتانية	381
23	- بلاطات المدرسة والمقبرة الكتانية	382
24	- بلاطات مدرسة سيدي لخضر	383
25	- بلاطات جامع صالح باي بعنابة	384
26	- شواهد القبور ذات العمامات	385
27	- طرق البناء	386
28	- القرميد وطرق توضعه	387

فهرس اللوحات :

رقم اللوحة	عنوان اللوحة	الصفحة
01	سوق العصر وواجهة في الفترة الحالية	389
02	سوق العصر وواجهة في الفترة الحالية	389
03	مدخل جامع سيدي الكتاني	390
04	الواجهة الجنوبية (الرئيسية) للجامع الكتاني	390
05	الواجهة الشرقية للجامع الكتاني	391
06	نافورة المتواجدة بصحن جامع سيدي الكتاني	391
07	المحراب المتواجد في أروقة الصحن	392
08	الدرج المؤدي لبيت الصلاة	392
09	مدخل بيت الصلاة	393
10	محراب جامع سيدي الكتاني	393
11	زخرفة قبيبة المحراب	394
12	منبر جامع سيدي الكتاني	394
13	الجزء العلوي لمنبر جامع سيدي الكتاني	395
14	الوجه الجانبي لمنبر جامع سيدي الكتاني	395
15	سدة المبلغ في جامع سيدي الكتاني	396
16	الزخرفة اللونية المنفذة على الخشب أسفل سدة المبلغ	396
17	تسقيف بيت الصلاة	397
18	نوافذ بيت الصلاة	397
19	اللوحة التذكارية المتواجدة فوق المدخل	397
20	عمامات في جامع سيدي الكتاني	398
21	أنواع الأعمدة بجامع سيدي الكتاني	398
22	قبيبات بيت الصلاة	399
23	تيجان أعمدة المحراب	399
24	محارة تمثل منطقة إنتقال	399
25	مئذنة جامع سيدي الكتاني	400
26	جوسق مئذنة سيدي الكتاني	400
27	المدخل الرئيسي للمدرسة.	400
28	الرواق الذي يلي مدخل المدرسة.	400
29	السلم المؤدي إلى الطابق العلوي.	401
30	صحن المدرسة	401
31	الأقواس المطلة على الصحن.	402
32	زخارف واجهة المقبرة	402
33	محراب قاعة التدريس	402
34	تجميعة خزفية تمثل أربع مثلثات تلتقي رؤوسها في مراكز التجميعة	403
35	عقد المحراب.	403
36	كتابة في الجدار المقابل للبوابة الرئيسية عبارة عن أبيات شعرية	404
37	كتابة في الجدار الشمالي الغربي للمقبرة	404
38	عمود رخامي في محراب قاعة التدريس	405
39	عمود في أروقة صحن المدرسة	405
40	طريقة تسقيف الأروقة	405

41	طريقة تسقيف المقبرة	405
42	مدرسة سيدي الكتاني عن سوردفال	406
43	مقبرة صالح باي (صورة قديمة)	406
44	قبة المقبرة.	407
45	بوابة قاعة التدريس	407
46	القسم العلوي من بوابة قاعة التدريس.	407
47	بلاطات ذات زخارف هندسية ونباتية (أوراق وثمار البرتقال)	408
48	تجميعة من بلاطات تمثل زهرة قرنفل.	408
49	أربع تجميعات من نفس النوع تشكل تصميم زخرفي قوامها دائرة تتوسطها نجمة وتحيط بها لفائف ورقية وأزهار قرنفل	408
50	الغرفة الجنائزية التي تحوي قبري ابنة وزوجة صالح باي.	409
51	شاهد قبر السيدة زهيرة بنت صالح باي.	409
52	مجموعة من البلاطات الخزفية تغطي ضريح آمنة بنت صالح باي	409
53	شاهد قبر خدوجة بنت عبد الله بنت صالح باي	410
54	شاهد قبر خدوجة بنت صالح باي	410
55	شاهد قبر (القدمين) رخامي به زخرفة نباتية	410
56	شاهد قبر (القدمين) ءامنة بنت صالح باي	410
57	شاهد قبر رخامي للسيد صالح باي.	411
58	شاهد قبر ءامنة بنت صالح باي	411
59	شاهد (القدمين) متواجد في قبر خدوجة بنت عبد الله	411
60	شاهد قبر المرابطة عائشة بنت صالح باي	411
61	شاهد قبر فاطمة بنت صالح باي	412
62	شاهد (القدمين) متواجد في قبر فاطمة بنت صالح باي	412
63	شاهد قبر يامنة بنت محمد	412
64	شاهد قبر عائشة زوجة صالح باي	412
65	شاهد قبر إحدى بنات صالح باي	413
66	شاهد قبر(القدمين) فاطمة بنت صالح باي	413
67	شاهد قبر زهيرة بنت أحمد باي	413
68	شاهد قبر مصطفى بن صالح باي	413
69	شواهد القبور ذات العمامات	414
70	سقف المدرسة	415
71	مدخل مدرسة سيدي الخضر	415
72	تسقيف مدرسة سيدي الأخضر	416
73	أعمدة مدرسة سيدي الأخضر	416
74	تيجان أعمدة صحن مدرسة سيدي الأخضر	417
75	زخرفة الجدران بالبلاطات الخزفية	417
76	الركن الشمالي الشرقي لمدرسة سيدي الأخضر	418
77	عقد يفصل الغرف بمدرسة سيدي الأخضر	418
78	المدخل الرئيسي لدار بن جلول	419
79	باب احدى الغرف بالطابق العلوي بدار بن جلول	419
80	إطار مدخل السلم	419
81	أروقة الطابق العلوي في دار بن جلول	420
82	منظر داخلي لأروقة دار بن جلول	420

83	إحدى السلالم المؤدية إلى الطابق العلوي	420
84	سدة في دار بن جلول	420
85	تسقيف الغرف في دار بن جلول	421
86	إحدى غرف دار بن جلول	421
87	أعمدة الأروقة والغرف	421
88	عقود في غرف دار بن جلول	422
89	التكسيات الجدارية في دار بن جلول	422
90	موضوعات زخرفية بواسطة تجميعات البلاطات الخزفية في دار بن جلول	423
91	المدخل الحالي لمركب سيدي محمد الغراب	424
92	طريقة تسقيف ضريح ومسكن سيدي محمد الغراب	424
93	توضع القبور بضريح سيدي محمد الغراب	425
94	ضريح عايشة بنت المرحوم السيد شعبان آغة (ضريح لغراب)	425
95	قبر سيدي محمد الغراب	426
96	قبة ضريح سيدي محمد الغراب	426
97	صحن مسجد مركب سيدي الكتاني	427
98	الزخرفة الخشبية بضريح سيدي محمد الغراب	427
99	المدخل الرئيسي لجامع الباي بعنابة	428
100	مداخل جامع الباي الأصلية	428
101	مئذنة جامع الباي بعنابة	429
102	البرج المضلع في في جامع صالح باي	429
103	منبر جامع الباي بعنابة	430
104	زخرفة مبر جامع الباي	430
105	محراب جامع الباي	431
106	عقد محراب جامع الباي	431
107	منظر داخلي للقبة الرئيسية بجامع الباي	432
108	منظر داخلي للقبة التي تتقدم المحراب بجامع الباي	432
109	صحن جامع الباي بعنابة	433
110	أروقة جامع الباي	433
111	بعض النماذج للبلاطات الخزفية المتواجدة في دار بن جلول	434
112	بعض النماذج لبلاطات جامع سيدي الكتاني	435
113	بلاطات مدرسة سيدي الأخضر	435

قائمة المصادر للرسالة :

أ – القرآن الكريم .

ب– المخطوطات :

1– دفتر صالح باي للأوقاف ، مخطوط بأرشيف قسنطينة .

2– مؤلف مجهول ، ذكر طرف يسير يتعلق بأيام المرحوم السيد صالح باي الإزميرلي ، الخزانة العامة بالرباط ، مخطوط رقم (د.709).

3– النقاد محمد الطاهر ، ذكر طرف ولاية المرحوم السيد صالح باي أميرا ببلد قسنطينة ، مخطوط بالمكتبة الوطنية بتونس رقم 263 .

ج– المصادر :

1– ابن أبي دينار محمد ابن أبي القاسم ، المؤنس في أخبار افريقية وتونس ، دار المسيرة ، بيروت ، ط3 ، 1993 .

2– ابن أبي زرع الفاسي علي ، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار المغرب وتاريخ مدينة فاس ، راجعه. عبد الوهاب بن منصور ، المطبعة الملكية ، الرباط ، ط2 ، 1420هـ/1999م.

3– ابن أبي الضياف أحمد ، إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس في عهد الأمان ، تحقيق. لجنة من كتابه الدولة للشؤون الثقافية والأخبار ، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية ، ج1 ، 1963 .

4– ابن بطوطة محمد بن عبد الله ، تحفة الأنظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار ، تحقيق. علي المنتصر الكتاني مؤسسة الرسالة بيروت ، 1985 .

5– ابن تيمية ، الزيادة ، جمع وترتيب .عبد الرحمن بن محمد بن قاسم ، مكتبة المعارف ، المغرب .

6– ابن جبير أبو الحسن محمد ، الرحلة ، مدينة ليدن المحروسة ، ط2 ، 1907.

7– ابن حمادوش عبد الرزاق ، رحلة ابن حمادوش الجزائري ، تقديم وتعليق. أبو القاسم سعد الله ، م.و.ف.م، الجزائر ، 1983 .

8– ابن حوقل أبي القاسم ، صورة الأرض، القسم الأول ، ط2 ، 1967.

9– ابن خلدون عبد الرحمن ، تاريخ ابن خلدون ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، المجلد 6 ، د ت .

10– ابن خلدون عبد الرحمان ، كتاب العبر ديوان المبتدأ و الخبر في تاريخ العرب و البربر و من عاصرهم من ذوي الشأن الأكبر، دار الفكر، بيروت، لبنان، 1421هـ / 2000م، ج1،ج7.

11– ابن رشد أبو الوليد محمد ، فتاوى بن رشد ، تحقيق.المختار بن الطاهر التليلي ، السفر الأول ، دار الكتب العلمية ، بيروت ط1 ، 1987.

12– ابن المبارك الحاج أحمد ، تاريخ حاضرة قسنطينة ، ت . رابح بونار ، د.ط ، د.ت .

13- ابن مرزوق محمد التلمساني ، المسند الصحيح الحسن في مآثر ومحاسن مولانا أبي الحسن ، تحقيق. ماريا خيسوس بيغيرا ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1981 .

14– ابن ميمون الجزائري محمد ، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية ، تحقيق وتقديم . محمد بن عبد الكريم الجزائر ، 1972 .

15– ابن عبدون ، رسالة ابن عبدون في القضاء والحسبة ، مطبوعات المعهد العلمي الفرنسي بالقاهرة .

16- ابن العنتري محمد الصالح ، فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلائهم على أوطانها أو تاريخ قسنطينة ، تقديم. يحي بوعزيز ، د.م.ج ، الجزائر .

17- ابن سعيد المغربي أبو حسن ، الذخائر الجغرافية ، حققه. إسماعيل العربي ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ط1 ، 1970 .

18- ابن سيده المرسى ، كتاب المخصص ، السفر العاشر ، المطبعة الكبرى ببولاق ، مصر، ط1 ، 1319.

19- أبو الفدا عماد الدين إسماعيل، تقويم البلدان ، تصحيح رونود والبارون ماك كوكين ديسلان، دار الطباعة السلطانية ، باريس 1840 .

20- أبو العباس المقريزي ، المواعظ والاعتبار في ذكر الخطط والآثار المعروف بكتاب الخطط ، ج3 ، دار التحرير للطبع والنشر 1967-1968 .

21– الإدريسي أبو عبد الله الشريف ، المغرب العربي ، من كتاب نزهة المشتاق ، حققه ونقله. محمد الحاج صادق دار الكتاب ، الجزائر ، 1957.

22- الإدريسي أبو عبد الله الشريف ، وصف إفريقيا الشمالية والصحراوية مأخوذ من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق صححه .هنري بيرس ، الجزائر ،1957 .

23– آمبارك عبد العزيز أحمد ، شرح تدريب السالك إلى أقرب الممالك ، تحقيق. أحمد بن محمد العزيز ألمبارك ، ج2 دار الغرب الإسلامي ، ط2 ، 1995 .

24– البكري أبو عبيد ، المسالك و الممالك ، ج2 ، حقيقة. أدريان فان ليوفن و أندري فيري ، الدار العربية للكتاب ، بيروت ، 1992.

25– البكري أبو عبيد ، جغرافية الأندلس من كتاب المسالك والممالك ، تحقيق.عبد الرحمان علي الحاجي ، دار الإرشاد بيروت ، ط1 ، 1968.

26– الجزنائي ، زهرة الآس في بناء مدينة فاس ، تحقيق. مديحة الشرقاوي ، مكتبة الثقافة الدينية ، القاهرة ، ط1 2001 .

27- الجوهري إسماعيل بن حماد ، الصحاح، ج2 ، تحقيق أحمد عبد الغفور عطار ، عن ينشره حسن شوبتلي مطابع دار الكتاب العربي ، مصر، د.ت .

28- الزهار الحاج أحمد الشريف ، مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار ، ت.أحمد توفيق المدني ، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع ، الجزائر ، 1974.

29- الحموي ياقوت ، معجم البلدان ، دار صادر ، بيروت ، لبنان ، ط2 ، 1995،ج4 .

30- الزركشي محمد ، إعلام الساجد بأحكام المساجد ، تقديم. أيمن صالح شعبان ، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان ، ط1 1416هـ/1995م .

31- الزياني محمد بن يوسف ، دليل الحيران وأنيس السهران في أخبار مدينة وهران ، تقديم وتعليق . المهدي البوعبدلي ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ،الجزائر ، 1979 .

32- الناصري أحمد أبي العباس السلاوي ، الاستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى (الدولتان المرابطية والموحدية) ،ج2 تحقيق.جعفر الناصري دار الكتاب ، الدار البيضاء ، 1954 .

33- النميري ابن الحاج ، فيض العباب و إفاضة قداح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة و الزاب ، ت. محمد بن شقرون، دار الغرب الإسلامي، بيروت لبنان،ط1، 1990 .

34- مارينس فون مالتسان ، ثلاث سنوات في شمال غرب إفريقيا ، ترجمة.أبو العيد دودو ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر 1979 ، ج2 .

35- الصيد سليمان ، نفح الأزهار عما في قسنطينة من الأخبار ، الجزائر ، ط1 ، 1984.

36- العبدري محمد الهادي ، الرحلة المغربية ، ت أحمد بن جدوا ، الجزائر ، 1965 .

37- العمري ابن فضل الله ، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار ، تحقيق. مصطفى أبو الضياف أحمد ، ط1 1988 .

38- القلقشندي أحمد بن علي ، صبح الأعشى في صناعة الإنشا ، شرح وتعليق نبيل خالد الخطيب ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان ، ط1 1407هـ/1987م ، ج5.

39- قشي فاطمة الزهراء ، سجل صالح باي للأوقاف ، تقديم وتحقيق . فاطمة الزهراء قشي ، دار بهاء الدين للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1430هـ/2009م .

40- شلوصر فندرلين ، قسنطينة أيام أحمد باي ، ترجمة أبو العيد دودو ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، د.ت .

41- الورثيلاني الحسن بن محمد ، نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار ، دار الكتاب العربي ، بيروت، 1974 .

42- الوزان الحسن ، وصف إفريقيا ، ج2 ، ترجمة محمد حجي ومحمد الأخضر ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت لبنان ، 1983.

43– وولف جون بول ، الجزائر وأوربا ، ترجمة وتعليق .أبو القاسم سعد الله ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر 1986.

قائمة المراجع :

1– أبو رحاب محمد السيد ، العمائر الدينية والجنائزية في عهد الأشراف السعديين ، دار القاهرة ، 2008 .

2– أبو هاشم عبد الستار حسين ، فن الزجاج الملون والمعشق ، دار الطلائع للنشر والتصدير ، د.ت .

3- أمين حسين ، المدرسة المستنصرية ، مطبعة شفيق ، 1960.

4– أصلانابا أوقطاي ، فنون الترك وعمائرهم ، ترجمة. أحمد محمد عيسى ، مطبعة (نكلر) ، اسطنبول 1407هـ/1987م .

5– الأحمر مصطفى ، تشكيل الخشب ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 1990 .

6- الألفي أبو صالح ، الفن الإسلامي (أصوله ، فلسفته ، مدارسه) ، دار المعارف ، مصر ، 1969 .

7– الألفي أبو صالح ، الموجز في تاريخ الفن العام ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 1973 .

8- الإمام رشاد ، سياسة حمودة باشا في تونس 1782-1814 ، منشورات الجامعة التونسية ، 1980 .

9- الأيوبي عبد الرحمان فورجان ، رسالة وجيزة في المساجد الإسلامية ، مطبعة المعارف ، بغداد 1377هـ/1975م.

10- إبراهيم حسين محمود ، الفنون الإسلامية ، الفنون الإسلامية في العصر الفاطمي ، دار غريب للطباعة والنشر القاهرة ، 1999.

11– إسماعيل عثمان تاريخ العمارة الإسلامية و الفنون التطبيقية، ج4، مطبعة المعارف الجديدة، الرباط، ط1، 1993.

12– إسماعيل نعمت ، فنون الشرق الأوسط في العصور الإسلامية ، دار المعارف ، مصر ، 1974 .

13– الباشا حسن ، موسوعة العمارة والآثار والفنون الإسلامية ، المجلد الأول ، أوراق شرقية للطباعة والنشر والتوزيع ط1 ، 1420هـ/1999م .

14– باكار أندريه ، المغرب والحرف التقليدية الإسلامية في العمارة ، ت . سامي جرجس ، المجلد الأول ، نشر أوتوليه ، 1974 .

15-بلحميسي مولاي ، الجزائر من خلال رحلات المغاربة في العهد العثماني ، م.و.د.ت ، الجزائر ، ط2، 1979.

16– بن مامي محمد الباجي ، مدارس مدينة تونس من العهد الحفصي إلى العهد الحسيني القرن السابع إلى القرن الثالث عشر هجري المعهد الوطني للتراث ، تونس ، 2006 .

17– بن عبد الله محمد بن عبد العزيز ، مؤسسة الأوقاف ودورها في الحفاظ على الآثار الإسلامية والمخطوطات عن كتاب: المنظمة العربية للثقافة والعلوم ، بغداد ، 1983 .

18– بنين أحمد شوقي ، دراسات في علم المخطوطات والبحث الببليوغرافي ،كلية الآداب ، الرباط ، ط1 ، 1993م.

19– بن قرية صالح ، المئذنة المغربية الأندلسية في العصور الوسطى ، المؤسسة الوطنية للكاتب ، 1986 .

20– بهنسي عفيف ، موسوعة تاريخ الفن والعمارة " الفنون القديمة "، م1، دار الرائد العربي، دار الرائد اللبناني ، لبنان ، ط1، 1982.

21– بهنسي عفيف ، " جمالية الفن العربي"، عالم المعرفة ، سلسلة كتب ثقافية، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت 1990.

22– بورويبة رشيد ، قسنطينة ، سلسلة الفن و الثقافة ، وزارة الإعلام ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، جوان 1978 .

23– بورويبة رشيد ، موسى لقبال وآخرون ، الجزائر في التاريخ .(العهد الإسلامي) من الفتح إلى بداية العهد العثماني الجزائر 1984.

24– بورويبة رشيد ، بيوت مندثرة ، سلسلة الفن والثقافة ، وزارة الإعلام والثقافة ، الجزائر ، 1981.

25– التازي عبد الهادي ، جامع القرويين، المسجد الجامعة بمدينة فاس، المجلد 2، ط1، 1973.

26– الجبور يحي وهيب ، الخط والكتابة في الحضارة العربية ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، لبنان ، 1994.

27– الجزار احمد محمود ، الإمام المجدد ابن باديس والتصوف ، دار المعارف ، ط1 ، الإسكندرية ، 1999 .

28– الجمل أحمد عبد العظيم ، دور نظام الوقف الإسلامي في التنمية الإقتصادية المعاصرة ، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة ، القاهرة ، ط1، 1428هـ/2007 .

29– جمعة أحمد قاجة ، موسوعة فن العمارة ، دار الملتقى للطباعة و النشر ، بيروت ،لبنان ، 2000.

30– جمعة إبراهيم ، دراسات في تطور الكتابات الكوفية على الأحجار في مصر في القرون الخمسة الأولى للهجرة ، دار الفكر العربي ، 1969.

31– الجنابي كاظم إبراهيم ، المآذن نشأتها و تطوها في آثار العراق حتى نهاية العصر السلجوقي ، جامعة الإسكندرية 1964.

32– جودت يوسف عبد الكريم ، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنيين الثالث والرابع الهجريين(9–10م) ، الديوان الوطني للمطبوعات الجامعية ، دت .

33– جودي حسين ، العمارة العربية الإسلامية ، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة ، عمان ، ط1 ، 1998 .

34– الجيلالي عبد الرحمان بن محمد ، تاريخ الجزائر العام ، ج3 ، دار الثقافة ، بيروت ، 1965.

35- حاجيات عبد الحميد ، الحياة الفكرية بالجزائر في عهد بني زيان ، الجزائر في التاريخ ج3 ، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر ، 1984 .

36- الحارثي عدنان محمد فايز ، عمارة المدرسة في مصر والحجاز (في القرنين 9هـ/15م) دراسة مقارنة ، جامعة أم القرى 1418هـ/1997م .

37- حلمي عبد القادر علي ، مدينة الجزائر نشأتها وتطورها قبل 1830م ، دراسة في جغرافية المدن ، المطبعة العربية لدار الفكر الإسلامي،الجزائر،ط 1، 1982 .

38- حمودة محمود عباس ، الوثائق العثمانية ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، د.ت .

39- حسن زكي محمد ، فنون الإسلام ، ج3 ، دار الرائد العربي ، بيروت لبنان ، 1401هـ/1981م .

40- حسن زكي محمد ، الفنون الإيرانية في العصر الإسلامي ، دار الرائد العربي ، بيروت ، 1981 .

41- الخالدي أحمد رشيد ، المدن والآثار الإسلامية في العالم ، دار المعتز للنشر والتوزيع ، الأردن، ط1 ، 2009 .

42- الخراز عزوز ، صناعة الخزف : الطين والعجينة ، ج1 ، بنزرت تونس ، 2004 .

43- خلاصي علي ، قصبة الجزائر القلعة وقصر الداي ، 1985.

44- خليفة ربيع حامد ، الفنون الإسلامية في العصر العثماني ، مكتبة زهراء الشرق ، القاهرة ، ط3 ، 2005 .

45- خليفة ربيع حامد ، فنون القاهرة في العصر العثماني (1517-1805م) ، مكتبة نهضة الشرق ، جامعة القاهرة ، القاهرة 1984 .

46- دحماني سعيد ، هبون الملكية، الوكالة الوطنية للآثار وحماية المعالم والنصب التاريخية، الجزائر، 1991.

47- الدولاتلي عبد العزيز ، مدينة تونس في العهد الحفصي ، تعريب.محمد الشابي وعبد العزيز الدولاتلي ، دار سراس للنشر 1981 .

48- ديماند م.س ، الفنون الإسلامية ، ترجمة. أحمد محمد عيسى ، دار المعارف ، مصر ، ط2 ، يوليو 1957 .

49- رزق محمد عاصم ، معجم مصطلحات العمارة والفنون الإسلامية ، مكتبة مدبولي ، ط1 ، 2000 .

50- رؤوف الأنصاري ، عمارة المساجد ، دار النبوغ للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ،1996 .

51- الريحاوي عبد القادر ، قيم عالمية في تراث الحضارة العربية الإسلامية المعماري والفني ،ج2 ، منشورات وزارة الثقافة ، دمشق سوريا ، 2002 .

52- ريد هربيريت ، الفن والصناعة أسس التصميم الصناعي ، تعريب فتح الباب عبد الحليم سيد ، محمد محمود يوسف ، القاهرة ، 1974 .

53- ريموند أندري ، العواصم العربية عمارتها في الفترة العُثمانية ، تعريب. قاسم طوير ، دار المجد ، دمشق ، سوريا 1986 .

54-الزبيري العربي ، التجارة الخارجية للشرق الجزائري ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1972 .

55– زغلول عبد الحميد سعد ، العمارة والفنون في دولة الإسلام ، دار المعارف ، الإسكندرية ، 1986.
56– زهران محمد أحمد ، فنون أشكال المعادن والتحف ، المكتبة الآنجلو مصرية ، القاهرة ، 1965.
57- كامل حيدر ، العمارة العربية الإسلامية ، دار الفكر اللبناني ، بيروت ، ط1 ، 1995م .
58– الطايش علي أحمد ، الفنون الزخرفية الإسلامية المبكرة في العصرين الأموي والعباسي ، مكتبة زهراء الشرق للنشر والتوزيع ط1 ، 1420هـ/2000م .
59- كلوس كريز وآخرون ، معجم العالم الإسلامي ، ترجمة ج.كتورة ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع بيروت ط2 ، 1998 .
60– كونل آرنست ، الفن الإسلامي ، ترجمة.أحمد موسى ، دار صادر ، بيروت ، 1966 ، ص162-166.
61– لمعي مصطفى صالح ، القباب في العمارة الإسلامية ، دار النهضة للطباعة والنشر ، بيروت ، د.ت .
62– لمعي مصطفى صالح ، التراث المعماري الإسلامي في مصر ، الجامعة العربية ، بيروت ، 1975 .
63– لعرج عبد العزيز محمود ، الزليج في العمارة الإسلامية في الجزائر في العصر التركي دراسة أثرية فنية ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، ط1 ، 1990 .
64– لعرج عبد العزيز ، جمالية الفن الإسلامي في المنشآت المرينية بتلمسان (669-869هـ/1269-1465م) دراسة أثرية فنية جمالية ، دار الملكية ، الجزائر ، ط1 .
65- لعروق محمد الهادي ، مدينة قسنطينة دراسة في جغرافية العمران، د.م.ج ، بن عكنون ، الجزائر ، 1984 .
66- محمد حسن عبد النعيم ، إيران والعراق في العصر السلجوقي ، دار الكتب المصرية ودار الكتاب اللبناني القاهرة بيروت ، 1982 .
67- محمد رفعت موسى ، الوكالات والبيوت الإسلامية في مصر العثمانية ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ،ط1 1993.
68– محمد سامي نوار ، الكامل في مصطلحات العمارة الإسلامية من بطون المعاجم اللغوية ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ، الإسكندرية ، 2000.
69– محي الدين طالو ، الرسم واللون ، دمشق ، 1961 .
70– مرزوق محمد عبد العزيز ، الفنون الزخرفية الإسلامية في العهد العثماني ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة 1974 .
71- مرزوق محمد عبد العزيز ، الفنون الزخرفية الإسلامية في المغرب والأندلس ، دار الثقافة ، بيروت لبنان ، د.ت .
72– معزوز عبد الحق و درياس لخضر ، جامع الكتابات الأثرية العربية بالجزائر ، الجزء الأول : كتابات الشرق الجزائري ، منشورات المتحف الوطني للآثار القديمة مطبعة سومر ، بئر خادم ، الجزائر ، 2000 .

73- المعموري الطاهر ، جامع الزيتونة ومدارس العلم في العهدين الحفصي والتركي ، الدار العربية للكتاب ، تونس د.ط.

74- المهدي عنايات ، روائع الفن في الزخرفة الإسلامية ، دار الطباعة ابن سينا، القاهرة ، 1992 .

75- مولود خالد ، النقائش و الكتابات العربية "النقائش العربية بإفريقيا وتطورها من القرن الثالث إلى نهاية النصف الأول من القرن السادس هجري" ، المنظمة العربية للثقافة والعلوم ، تونس ، 1988 .

76- المهدي عنايات ، فن صناعة الزجاج الملون والمعشق باستعمال رقائق النحاس الأحمر ، مكتبة ابن سينا، القاهرة د.ت .

77- مؤنس حسين ، المساجد ، عالم المعرفة ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، عدد 37 1401هـ/ 1981م .

78- موسى محمد رفعت ، الوكالات والبيوت الإسلامية في مصر العثمانية ، الدار المصرية اللبنانية ، القاهرة ، ط1 1999 .

79- الميلي مبارك محمد ، تاريخ الجزائر في القديم والحديث ، تقديم وتصحيح محمد الميلي ، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع ، الجزائر ، 1976 .

80- نعمت إسماعيل ، فنون الشرق الأوسط في العصور الإسلامية ، دار المعارف ، القاهرة ، ط2، 1982 .

81- نويصر محمد حسني ، الآثار الإسلامية ، مطبعة العمرانية للأفريست ، الجيزة ، 1998 ، ص366.

82- الصالح صبحي ، النظم الإسلامية نشأتها وتطورها ، دار العلم للملايين ، بيروت لبنان ، 1976 .

83- عادل مرسي عصام ، دراسة جديدة لبعض تصاوير آل عثمان في مفرش من النسيج ، دراسات وبحوث في الآثار والحضارة الإسلامية ، الكتاب الثاني ، دار الوفاء للطباعة والنشر ، ط2 ، 2005 ص386.

84- عاصم محمد رزق ، أطلس العمارة الإسلامية والقبطية بالقاهرة ، ج1، مؤسسة حسن جواد ، بيروت ، لبنان ط1 ، 2003.

85- عبد الباقي أحمد ، سامراء عاصمة الدولة العربية في عهد العباسيين ، ج 1 ، الدار العربية للموسوعات، بيروت لبنان 2007 .

86- عبد الجواد توفيق أحمد ، مواد البناء وطرق إنشاء المباني ، المطبعة الفنية الحديثة ، القاهرة ، ط1 ، 1967 .

87- عبد القادر نور الدين ، صفحات من تاريخ مدينة الجزائر من أ"قدم عصورها إلى إنتهاء العهد التركي ، مطبعة البعث قسنطينة ، 1965 .

88- عبد الله كامل ، المسلمون وآثرهم المعمارية في نهاية عصر الخلفاء الراشدين ، دار الأفاق العربية ، القاهرة 2003 .

89– العبيدي صلاح حسين "مؤسسة الأوقاف ودورها في الحفاظ على الآثار الإسلامية والمخطوطات" ، عن كتاب: المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم ، بغداد ، 1983م .

90– عثمان إسماعيل ، تاريخ العمارة الإسلامية والفنون التطبيقية في المغرب الأقصى ، ج4 ، مطبعة المعارف الجديدة ، الرباط ، ط1، 1993 .

91– عزت رجب ، تاريخ الأثاث منذ أقدم العصور ، القاهرة ، 1978 .

92– عزوق عبد الكريم ، القباب والمآذن في العمارة الإسلامية ، د.م.ج ، الجزائر ، 1996 .

93– عزوق عبد الكريم ، تطور المآذن في الجزائر ، مكتبة زهراء الشرق ، مصر ، 2006 .

94- عطية محسن محمد ، موضوعات في الفنون الإسلامية ، ، دار المعارف ، القاهرة ، الطبعة 2 ، 1994 .

95– عكاشة ثروت ، القيم الجمالية في العمارة الإسلامية ، دار الشروق ، القاهرة – بيروت ، ط1 1414هـ/1994م .

96- علي حمودة حسن ، الفن والزخرفة ، الهيئة المصرية العامة للفنان ، 1976 .

97– عفيفي فوزي سالم ، نشأة وتطور الكتابة الخطية العربية ودورها الثقافي والاجتماعي ، وكالة المطبوعات الكويت ، الطبعة الأولى ، 1980 .

98- عقاب محمد الطيب ، مساكن قصر القنادسة الأثرية دراسة معمارية أثرية ، دار الحكمة ، الجزائر ،2007 .

99- عقاب محمد الطيب ، لمحات عن العمارة والفنون الإسلامية في الجزائر ، مكتبة زهراء الشرق ، القاهرة ، ط1 2002.

100– غالب عبد الرحيم ، موسوعة العمارة الإسلامية ، جروس برس ، بيروت ، ط1 ، 1407هـ/1988م .

101– غانم محمد الصغير ، معالم التواجد الفينيقي البوني في الجزائر ، دار الهدى ، عين مليلة الجزائر ، 2003.

102– غربال محمد شفيق ، الموسوعة العربية الميسرة ، الدائرة القومية للطباعة والنشر ، مطبعة القاهرة ، مصر 1965.

103– الفاروقي لوس لمياء ، إسماعيل زاخي الفاروقي ، ترجمة لؤلؤة عبد الواحد ، أطلس الحضارة الإسلامية ، المعهد العالمي للفكر الإسلامي ، 1988 .

104- فكري أحمد ، مساجد القاهرة ومدارسها ، ج2 ، دار المعارف ، القاهرة ، 1965.

105– فكري أحمد ، آثار تونس الإسلامية ، دار المعارف ، تونس ،1949 .

106– فيلالي عبد العزيز ، مدية قسنطية في العصر الوسيط ، دار البعث ، قسنطينة- الجزائر ، 2002 .

107– فيلالي عبد العزيز و لعروق محمد الهادي ، مدينة قسنطينة دراسة التطور التاريخي والبيئة الطبيعية ، دار البعث للطباعة والنشر قسنطينة ، ط1 ، 1404 هـ / 1984 م .

108– القاضي حسن حمودة ، فن الزخرفة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ، 1972.

109- القرضاوي يوسف ، الحلال والحرام في الإسلام ، ط4 ، 1985 ، ص102-104.
110- سالم عبد العزيز ، المغرب الكبير في العصر الإسلامي ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ج2 ، 1981 .
111- سالم عبد العزيز ، بحوث إسلامية في التاريخ والحضارة والآثار ، ج2 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط1 1992 .
112- سامح كمال الدين ، العمارة العربية في مصر ، هـ.م.ع.ن ، مصر ، ط3 ، 1974 .
113- سعاد ماهر محمد، مساجد مصر وأولياؤها الصاحون، ج1.
114- سعاد ماهر ، الخزف التركي ، الجهاز المركزي للكتب الجامعية ، القاهرة ، 1977.
115- سعداوي صالح ، الدولة العثمانية تاريخ وحضارة ،تقديم . إكمال الدين إحسان أوغلي ، إريسكا استانبول 1999 .
116- سعد الله أبو القاسم ، محاضرات في تاريخ الجزائر منذ بداية الإحتلال ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم جامعة الدول العربية ، مصر ، 1976.
117- سعد الله أبو القاسم ، تاريخ الجزائر الثقافي، ج1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط1406هـ /1986م.
118- سعد الله أبو القاسم ، بحوث في التاريخ العربي الإسلامي ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، ط1،2003.
119- سعيدوني ناصر الدين ، دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر ، ج2 ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر 1988 .
120- سعد الله أبو القاسم ، شيخ الإسلام عبد الكريم الفكون داعية السلفية ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ط1 ، 1406 هـ /1986 م.
121- سعيدوني ناصر الدين ، ورقات جزائرية ، دار المغرب الإسلامي ، الجزائر ، 1999م.
122- سعيدوني ناصر الدين ، دراسات تاريخية في الملكية والوقف والجباية الحديثة ، دار الغرب الإسلامي ، ط1 2001 .
123- سعيدوني ناصر الدين و البوعبدلي المهدي ، الجزائر في التاريخ ، ج4 ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر 1984 .
124- الشافعي فريد ، العمارة العربية في مصر الإسلامية ،هـ.م.ع.ت.ن ، مصر ، 1970.
125- شنيتي محمد البشير ، الإحتلال الروماني لبلاد المغرب ، م.و.ك ، الجزائر ، 185 .
126- شعيب محمد المهدي ، أم الحواضر في الماضي و الحاضر أو تاريخ قسنطينة، مطبعة البعث ، قسنطينة، الجزائر 1985.
127- الشهابي قتيبة ، زخارف العمارة الإسلامية في دمشق ، منشورات وزارة الثقافة ، دمشق ، 1996.

128– الشهابي قتيبة ، مآذن دمشق ، منشورات وزارة الثقافة ، دمشق ، 1993 .
129– وانر هرت ، أشكال النجارة العامة ، ترجمة. عبد المنعم عاكف ، دار الأهرام للتأليف ، القاهرة ، 1970 .
130- وزيري يحي ، موسوعة عناصر العمارة الإسلامية ، الكتاب الثاني ، مكتبة مدبولي .
131- الولي طه ، المساجد في الإسلام ، دارالعلم للملايين ، ط1 ، بيروت ، 1988.
132– يونس نجاة ، العمود في العمارة الإسلامية ، عن مجلة سومر ، الجزء الول والثاني ، المجلد الخامس والأربعون 1987-1988.

الرسائل الجامعية :

1– الأمين عمر ، مواد البناء وتقنياتها خلال القرنين 4-6هـ/10-12م ، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الآثار الإسلامية قسم الآثار ، جامعة الجزائر ، 2001 .
2– بن بلة خيرة ، دراسات في النقوش الكتابية التذكارية على المباني بمدينة الجزائر في العهد العثماني ، رسالة لنيل شهادة الماجستير في الآثار الإسلامية ، كلية الآداب ، جامعة الإسكندرية ، 1993.
3– بن بلة خيرة ، المنشآت الدينية بالجزائر خلال العهد العثماني ، رسالة دكتوراه دولة في الآثار الإسلامية إشراف.عبد العزيز لعرج ، جامعة الجزائر ، 2007-2008 .
4– بورابة لطيفة ، الموضوعات الزخرفية على السقوف الخشبية بقصور مدينة الجزائر أواخر العهد العثماني (دراسة فنية تحليلية) رسالة لنيل شهادة الماجستير في الآثار الإسلامية ، معهد الآثار ، جامعة الجزائر ، 2000-2001 .
5- بوضرساية بوعزة ، الحاج أحمد باي رجل دولة ومقاوم 1826 – 1848 م ، رسالة لنيل الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر ، جامعة الجزائر ، د.ت .
6– تمليكشت هجيرة ،المدرسة البوعنانية دراسة أثرية معمارية فنية ، رسالة لنيل درجة الماجستير في الآثار الإسلامية معهد الآثار ، جامعة الجزائر ، 2001-2002 .
7– حميان مسعود ، عموميات حول المواد الأثرية ، معهد الآثار ، جامعة الجزائر ، 2009.
8- حلوش عبد القادر ، السياسة التعليمية الفرنسية في الجزائر 1871-1914 ، رسالة لنيل الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر ، إشراف .محمد خير الدين فارس ، دمشق ، 1985 .
9- خليفة ربيع حامد ، البلاطات الخزفية ، التركية في عمائر القاهرة العثمانية دراسة أثرية فنية ، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجسير في الفنون الإسلامية ، قسم الاثار الإسلامية ، جامعة القاهرة ، 1977م .
10– خمري الجمعي ، حركة الشبان الجزائريين 1900-1930م ، مذكرة لنيل الماجستير في التاريخ المعاصر ، إشراف حماد حسين ، معهد العلوم الإنسانية والاجتماعية ، قسنطينة ، 1994.

11– دحدوح عبد القادر ، مدينة قسنطينة خلال العهد العثماني دراسة عمرانية أثرية ، إشراف.عبد العزيز لعرج رسالة دكتوراه في الآثار الإسلامية ، جامعة الجزائر ، 2009–2010 .

12– درياس لخضر ، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني ، رسالة ماجستير ، الحلقة الثالثة ، جامعة الجزائر ، 1990.

13–راجعي زكية ، الزخارف الجدارية بالمغرب الأوسط ، رسالة ماجستير ، كلية الآداب ، جامعة الإسكندرية 1993 .

14– راجعي زكية ، مساكن الفحص بمدينة الجزائر في العهد العثماني ، دراسة أثرية معمارية وفنية ، رسالة لنيل شهادة الدكتوراه في الآثار الاسلامية ، معهد الآثار ، جامعة الجزائر ، 2007 .

15– زهيرة حمدوش ، البلاطات الخزفية بمدينة قسنطبنة خلال العهد العثماني ، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في الأثار الإسلامية معهد الآثار ، جامعة الجزائر ، 2008–2009 .

16– لعرج عبد العزيز محمود ، المباني المرنية في إمارة تلمسان الزيانية دراسة أثرية معمارية فنية ،ج1 ، رسالة لنيل درجة دكتوراه دولة في الآثار الإسلامية ، جامعة الجزائر ، 1999 .

17– معاشي جميلة ، الأسرة المحلية الحاكمة في بايلك الشرق الجزائري من القرن 10هـ - 16 م/13هـ - 19 م دراسة اجتماعية سياسية ، رسالة لنيل ماجستير في التاريخ الحديث، جامعة قسنطينة ، 1990–1991.

18– معزوز عبد الحق ، تطور الخط الكوفي بالجزائر على الحجر والرخام والخشب والجص منذ القرن(2هـ/8م إلى 8هـ/14م) دراسة أثرية فنية ، رسالة ماجستير ، 1995–1996 .

19– نور صالح ، مساهمة في دراسة بعض الجوانب التاريخية للعهد العثماني بقسنطينة من 1517 – 1837 ، رسالة ماجستير في التاريخ ، الجزائر ، 1978 .

20– عقاب محمد الطيب ، قصور مدينة الجزائر في أواخر العهد العثماني ، رسالة دكتوراه من الدرجة الثالثة ، جامعة الجزائر ، 1985 .

21– قشي فاطمة الزهراء ، قسنطينة المدينة والمجتمع ، ج2 ، رسالة دكتوراه في التاريخ ، جامعة قسنطينة ، 1998.

22– شهبي عبد العزيز ، مقارنة بين ثلاث مساجد في الشرق الجزائري ، رسالة ماجستير ، الجزائر ، 1980.

المقالات :

1– أحمد زهير ، "رايات العرب والمسلمين" ، عن مجلة المورد ، العراق ، م15 ، ع3 ، 1976 .

2– إسماعيل أحمد علي ، "المدينة العربية الإسلامية توازن الموقع والتركيب الداخلي"، الحفاظ على التراث المعماري الإسلامي ، المعهد العربي لإنماء المدن ، مطابع جامعة سعود ، 1409هـ .

3– البستاني بطرس ، "قطر المحيط" ، دائرة المعارف ، قاموس عام ، دار المعارف ، بيروت لبنان ، 1983.

4- البستاني بطرس ، "الآجر تعريفه واستعماله" ، دائرة المعارف الإسلامية ، بيروت لبنان، م1، 1956.
5- البستاني بطرس ، "الرمز" ، عن دائرة المعارف ، مجلد8 ، مطبعة المعارف ، بيروت لبنان ، 1988 .
6- بورويبة رشيد ،"بيوت سدراتة "، المؤتمر العاشر للآثار في البلاد العربية ، تلمسان ، الجزائر ، 1982.
7- بوعزيز يحي ، "أوضاع المؤسسات الدينية بالجزائر خلال القرنين التاسع عشر والعشرين" ، عن مجلة الثقافة ، وزارة الإعلام والثقافة ، الجزائر ، العدد 63 ، 1981 .
8- جمعة أحمد قاسم ، "المحراب رحلة أربعة عشر قرنا" ، عن مجلة المنهل ، العدد 554 ،المجلد 48 ، 1987 .
9- الجيلالي عبد الرحمان محمد ، "الجامع الكبير بمدينة الجزائر" ، عن مجلة الأصالة ، وزارة الثقافة العدد8 ، ماي 1972 .
10- حميان مسعود ، عموميات حول المواد الأثرية ، معهد الآثار ، جامعة الجزائر ، 2009 .
11- حسن زكي محمد ، " تطور المآذن " ، عن مجلة الكتاب ، دار المعارف للطباعة والنشر ، مصر ، عدد سبتمبر 1946 .
12- ريكازولي إلدا ، "العمامة في موضة البندقة" ، عن مجلة المشرق ، مركز العلاقات الإيطالية العربية ، روما، إيطاليا العدد 2-3 ، سبتمبر 1993.
13- طابع أحمد زينب ، "عناصر الإضاءة الطبيعية ووسائلها الصناعية في العصور الإسلامية" ، دراسات وبحوث في الآثار والعمارة الإسلامية ، عن مجلة كلية الآداب ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية،ط1 ، 2005.
14- الكحلاوي محمد ، "المدارس المغربية دراسة أثرية معمارية" ، مجلد 6 ، عن مجلة العصور ، دار المريخ للنشر لندن ، 1991.
15- لعرج عبد العزيز ، "المدارس الإسلامية : دواعي نشأتها وظروف تطورها وانتشارها" ، عن مجلة دراسات إنسانية دار الحكمة ، الجزائر ، العدد الأول ، 1421هـ /2001م .
16- لعرج عبد العزيز ، "مظاهر التأثير العثماني على المنتجات الفنية بالجزائر" ، المؤتمر الخامس لجمعية الآثاريين العرب ، دراسات في آثار الوطن العرب 3 ، الندوة العلمية الرابعة ، القاهرة ، 2002 .
17- المنوني محمد ، "وصف المغرب أيام السلطان أبي الحسن المريني" ، عن مجلة البحث العلمي ، العدد الأول جانفي 1962 .
18- نقلا نقاش ، "الآجر" ، دائرة المعارف ، مجلد 1 ، الإسكندرية ، 1986.
19- عبد القادر الريحاوي ، "البيت في المشرق العربي الإسلامي"، المؤتمر العاشر للآثار في البلاد العربية ، وزارة الثقافة ، تلمسان الجزائر ، 1982 .
20- عزوق عبد الكريم ، "الأضرحة ببجاية دراسة نموذجية" ، عن مجلة دراسات تراثية ، مخبر البناء الحضاري للمغرب الأوسط جامعة الجزائر ، العدد 01 ، 2007.

21– العلوي حسن حافظ ، "المعمار المبنى بالتراب في حوض البحر المتوسط" ، تنسيق .محمد حمام ، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، الرباط ، سلسلة ندوات ومناظرات رقم 80 .

22– العمراني عبد الله ، "جامعة القرويين" ، عن مجلة البحث العلمي ، المركز الجامعي للبحث العلمي ، الرباط العدد 11-12 ، ماي – ديسمبر ، 1967.

23- عنوتي أسامة ، "المدارس و التدريس من خلال كتاب سلك الدر للمردي" ، عن مجلة الفكر العربي ، مايو حزيران يوليو ، العدد 21 ، السنة الثانية ، معهد الإنماء العربي، بيروت، 1981، ص 146 – 156.

24– عقاب محمد الطيب ، "المدخل إلى المسكن العربي الإسلامي بمدينة الجزائر" ، المؤتمر العاشر للأثار في البلاد العربية، تلمسان ، الجزائر ، 1982.

25- غانم محمد الصغير ، "قسنطينة عبر تاريخها القديم" ، عن مجلة العلوم الإنسانية ، دار الهدى ، عين مليلة الجزائر، عدد12 ، 1999 .

26- فحام اللواء إبراهيم ، "أغطية الرؤوس في العالم العربي" ، عن مجلة الدوحة ، ع81 ، قطر ، 1982 .

27– فيلالي عبد العزيز ، "دولة برغواطة" ، عن مجلة سيرتا ، العدد الثاني ، نوفمبر 1979 .

28- قشي فاطمة الزهراء ، "قراءة في حياة صالح باي بن مصطفى باي قسنطينة" ، عن مجلة المغارب في العهد العثماني ، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية ، جامعة محمد الخامس ، المملكة المغربية ، ط1 ، 1995 .

29 – سالم عبد العزيز ، "بعض المصطلحات للعمارة الأندلسية المغربية" ، فصلة صحفية معهد الدراسات الإسلامية في مدريد ، المجلد الخامس ، 1277هـ/1957م ، العدد 1-2 .

30- سامح كمال الدين ، "تطور القبة في العمارة الإسلامية" ، عن مجلة كلية الآداب ، جامعة الملك فؤاد 1950.

31– السحنوني أمقران ، "المعهد الكتاني بقسنطينة قرنان في خدمة الثقافة العربية الإسلامية (1787-1987م)" عن مجلة التراث ، تصدرها جمعية التاريخ شركة الشهاب ، باتنة ، الجزائر ، 1989.

32- سعيدوني ناصر الدين ، "وصف مدينة قسنطينة حسب معلومات جديدة للقبطان هيبوليت1832" ، عن مجلة الأصالة ، وزارة الشؤون الدينية ، مطبعة البعث، قسنطينة ، عدد جوان – جويلية 1979م / 1399 هـ .

33– سعيدوني ناصر الدين ، "ورقلة ومنطقتها في العهد العثماني" ، عن مجلة الأصالة ، العدد 42 ، 1977 ص78.

34– و. هوداس ، "محاولة في الخط العربي" ، تعريب . عبد المجيد التركي ، حوليات الجامعة التونسية ، العدد الثالث 1966 .

35– "أثر النظم العثمانية في العلاقات العربية العثمانية" ، عن مجلة الدارة ، دار الملك عبد العزيز الرياض ، المملكة العربية السعودية ، العدد 01 ، شوال 1403/يوليوا 1983م .

36– تقرير الوكالة الوطنية للآثار وحماية المعالم التاريخية ، الدائرة الأثرية لولاية قسنطينة – ميلة– جيجل رقم 280 قسنطينة ، 1999 .

القواميس والمعاجم :

1– بادي محمد الدين ، القاموس المحيط ، ج1 ، المؤسسة العربية للطبعة والنشر ، بيروت لبنان ، د.ت .

2– مشرف عبد الغني محمد و عثمان الطاهر إدريس ، قاموس المصطلحات الرسوبية المصورة ، جامعة الملك سعود عمان ، 1990 .

المراجع باللغة الأجنبية :

1-Adam (J.P.) , La construction romane , Matériaux ,3eme édition , Paris 1995 .

2-Arseven (C.E), Les Arts décoratifs Turc , Istanbul , paris , 1954 .

3- André (R.),Grand villes arabes à l'époque ottomane , Sindbad Paris . 1985 .

4-Babes(L.),Mythes d'origine et structures tribales dans le constantinois sous domination turque : essai sur le fondement de pouvoir politique.

5-Bernard (Bagand) , La midina de Constantine de la cite traditionnel au centre de la agglomération , université de Poitiers , 1989 .

6 - Berque (A) , L'Algérie, terre d'art et d'histoire, 1937.

7- Bouillt(M.N.) , Dictionnaire universel des sciences des lettres et des arts librairie de l.hachette el cle , Paris , 1875.

8-Bourouiba (R.) , Constantine Art et Culture, Alger , 1978 .

9- Bourouiba (R.), L'art religieuse musulman en Algérie , Alger, 1971 .

10- Bourouiba (R.) , Apport de L'Algérie à l'architecture Arabo - Islamique , o.p.u , Alger 1985 .

11-Broussaud (G.), Les carreaux dépeints dans l'Afrique du nord collection centenaires ,Alger ,1830 .

12– Burchard (Titus.) L'art de l'islam , 1965.

13- Chevallier (C.) ,Les Trantes , premieres Année de L'etat d'ager (1510-1541) . o.p.u . Alger . 1986 .

14- Chevalier (J.) , Cheerbrant (A.) , Dictionnaire des symboles .
15- Cherif (M.H) . pouvoir et société dans la Tunisie de Husayn Bin Ali (1705-1740) Tunisie Public, fac de Tunisie ; 2 vol 1984-1986.
16- Derdour (H.),Annaba , Tome I , SNED . Alger , 1982 .

17- Doukali (R.) , les mosquées de la période turque a Alger , Alger 1974 .
18- Diez , L'art de Islam , Index générale , Paris .
19-Ernest (D.) , L'Art de L'islam , petite bibliothèque , paris , S.D .
20- Feraud(L. CH) , Le Sahara de Constantin collection Art et Culture Alger , 1978.

21-Gaid (M.),Chronique de Beys de Constantine, O.P.U, Alger S.D .
22- Golvin (L) , La mosquée ses origines et sa morphologie , ses diverses fonction , institut d'études supérieures islamique , A léger 1960.

23- Golvin (L.) , Essai sur l'architecture religieuse musulmane , editions klineksiek , Paris , 1970 .
24-Grandit , Architecture et urbanisme islamique , o.p.u , Alger ,1992 .
25- Grimal (P) , Les villes Romanes , Paris,1945.

26- Grand (F.) , Traité de technologie ,Fédération romande des maîtres – menuisiers Ebénistes, Fabricants de meubles , menuisiers , Charpentiers et Parqueteurs , Lausanne , 1954 .
27- Humbert (C.), Islamic Ornamental dessing ,office de livre , fribrirg 1980.
28- Kaddache (mahfoud.), LAlgerie Durant la période ottomane ,office des publication ,universitaire ,ben Aknoun ,Alger , 1992.
29-Kresswell (K.A.L.) , Early Muslim architecture Umayyad, oxford , the clarendon , press , 1969 .
30- Lakhdar (**GUABI**) , The place of Sahara Bey in the Constantine . Constantine , 1988.

31- Lambert (E.) , L'art musulman d'occident , des origines a la fin du xv siècle , Paris , 1966 .

32-Marçais (G.), L'architecture musulmane d'occident (tunisie,Algerie ,Maroc),espagne et socile, arts et métiers graphiques, 2eme trimester, T. VI , paris, 1954.
33- Marçais (G) , Les costumes Musulman d'Alger collection du centeaue , 1983.
34- Marçais (G) , L'art en Algérie , imprimerie Algérienne , Alger , 1906.

35- Marçais (G.) , Manuel d'art musulman –L'architecture tunisie Algérie
Maroc , Espagne et sicile , E'dition auguste picard , T2 , Paris , 1929 .
36-Mericier(E.) ,Histoire de Constantine, édition braham Constantine 1903.
.
37- Moreau(J.B) ,Les grands symboles méditerranéens dans la poterie algérienne , Alger , 1977 .
38- Moreleve , Les Maures de Constantine , dison , 1975 .
39- Olivier(E.) ,Technologie matériaux de contraction , TII ,5eme édition , Paris , 1976.
40- PAUL(Louis cambuzat),L'évolution de cites de tell en Ifriqiya o.p.u.tII .
41-Rachid (D.) , Les mosquées de la période turque à Alger , SNED Alger , 1974.
42- Revault (Jacques) , Palais et demeures de Tunis (xvIII et xIx) éditions du CNRS
Paris _ VII _ 1983 .
43- Revault (G.) L'habitation tunisoise , pierre , marbre et fer dans la construction et le décor CNRS , 1978.
44- Ricard (P.) , Pour comprendre l'art musulman dans l'afrique du nord et en Espagne, Paris, 1954.
45-Rouaix (P.) ,Dictionnaire des arts décorations , librairie illustrée , Paris ,S.D .
46- Sebag (P.) , La Mosquée de Kairawane , Delpire , Paris , 1963 .
47- Siv godfrey (F.),Légende barbaresque , traduit et sensé par : Farida Hell . o.p.u . 1991 .
48- Terrasse (Charles) , Madrasa du Maroc , Paris , Morance , S.D .
49-Terrasse.(H.), L'Art Hispano-mauresque des Origines au XIII siècle Paris, 1932.

50- Terrasse (Henri.), Sanctuaires et forteresses Almohades , Collection héspéris, Larousse, Paris,1932.
51- Vayssttes: L' histoire de Constantine de puis l'invasion turque jusqu'à l'occupation de 1835-1837, l'arndet Paris , 1900 .

52- Dictionnaire technique du battement et des travaux publics , Paris 1988 .

المقالات :

1-Anonyme , « Note Historique à propos de quelques familles constantinoises » , copie d'un document sans cote et sans date conservé au Contre National des Etudes Historiques , Alger.
- Encyclopédie de l'islam ,article Annaba , Nouvelle ed , Paris , 1954.
2–Berbrugger(A), Epoque de l'établissement de turcs à Constantine , in 1986 .) R . A(
3– Cauvet , Les marabouts petits monuments funéraires et votifs du nord de l'Afrique ,in .(R.A) , 1923 .

4- Cherbonneau (A .) , «Inscriptions Arabes de la Medrasa de Sidi L-Ahdar a Constantine», in Revue Africaine, 1858.
5- Charbonneau (A.) , « Inscriptions arabes de la province de constantine » , in Annuaire Archéologique de Constantin , 1856-1857 .
6 - Devoulx (A) , Le édifices religieux de l'ancien Alger, revue Africaine , TXI, année 1867.
7- Férauda(CH.) , Epoque de l'établissement des turcs à Constantine, in : (R..A) , 1866.
8- Férauda(CH.) , Les ben djeleb ,sultans de tougourt , R.A , N^0 133 1879 .
9– Feraud , Berbagger ,L'expédition d'orelly , R .A , 1865 .
10- Feraud (L.ch.) , l'expédition d'oriell , R.A N°27, 1865 .

11- Feraud , (L.) , Les anciens établissements religieux Musulmans de Constantine , (R,A). Anne N° 12 , 1868.
12-.Golvin.(L.), « Demeures d Alger: la Qasba d Alger », in L'Habitat Traditionnel dans les Pays Musulmans Autour de la Méditerranée, Rencontre d'Aix-Provence (6-8 JUIN 1984), le Caire, 1988.

13-Graf (M.)L'intérieur de la maison Arab à Constantine,(Revue Africaine),T2,au siège de la société Historique Algérienne, Alger,1938.
14- Janine sourdel(Thomime) , Locaux d'enseignements et medersas dans l'islam) revue d'étude islamiques, tome XIX, imprimée en France 1976 .
15- Jeleaud , (L.) , Son Passè , Son contraire , (R.C) , Vol , IX .

16-joleaud.(j.) , Les Origines de la Ville de Constantin (Algérie), in : Bulletin de la Société de Géographie d'Alger et de l'Afrique de nord 1918 .
17- Marcais(G.) , «Bina», Encyclopédie de l Islam , T1 , Paris 1975 .
18- Marçais(G), Les origines de la maison nord Africaine, dans cahies des arts et technique d'Afrique du nord ,n 7, 1973.
19- Paier (AL.) La Mosquée de Bone , in (Revu Africaine) , N°34-1 o.p.u , Alger 1985.
20- Vayssette(E.),Histoir de Constantin sous la domination tueque (R.A) , 1858-1859 , o.p.u .
21- Vaysstte s(E) , Histoire de Constantine sous la domination turque de 1517 à 1837 Constantine, in (R . C) , 1867.

الفهرس العام :

المقدمة.....1
الباب الأول: الجانب التاريخي 12
الفصل الأول : المحيط الجغرافي والتطور التاريخي لبايبك الشرق.....13
I- الدراسة التاريخية للبايلك.....14
1- المحيط الجغرافي 14
أ- الموقع الجغرافي لبايلك الشرق وتضاريسه.....14
ب- المناخ والسكان.....14
2- تاريخ نشأة نظام البايلك.....15
3- تكوين البايبك.....15
4- الجهاز الإداري لبايبك الشرق.....15
5- تطور البايلك.....17
أ- المراحل التاريخية للبايلك.....20
ب- بايات الشرق.....21
II- دراسة المدن التي شيد بها صالح باي منشآته.....23
1- مدينة قسنطينة.....23
أ- أصل التسمية.....23
ب- جغرافية المدينة.....24
1- الموقع الفلكي.....24
2- الموقع الإقليمي.....24
3- مناخ المنطقة.....25
ج- قسنطينة من خلال النصوص التاريخية.....26
د- التطور التاريخي لمدينة قسنطينة.....27
1- قسنطينة قبل الإسلام.....27
2- قسنطينة في العهد الإسلامي.....28
3- قسنطينة في العهد العثماني.....30
4- التطور العمراني لمدينة قسنطينة.....32
أ- قبل الإسلام.....32
ب- في العهد الإسلامي 32

ج- في العهد العثماني 34
2- مدينة عنابة.....37
أ- أصل التسمية.....37
ب- جغرافية المدينة.....39
د- التطور التاريخي لمدينة عنابة.....40
1- عنابة قبل الإسلام.....40
2- عنابة في العهد الإسلامي.....42
3- عنابة في العهد العثماني.....45
الفصل الثاني : سيرة صالح باي ومنجزاته 47
I- حياة صالح باي وشخصيته :.....48
1- إنتقاله إلى الجزائر وتدرجه في المناصب.....48
أ- إنتقاله إلى الجزائر.....48
ب- المناصب التي شغلها.....51
2- حياته الشخصية.....53
3- شخصية صالح باي.....54
II- صالح باي في الكتابات التاريخية 56
1- علاقات بايلك الشرق الداخلية والخارجية تحت حكم صالح باي.....56
أ- علاقة صالح باي بالأسر المحلية.....56
ب- علاقة صالح باي بشيوخ الزوايا.....58
ج- علاقة صالح باي بالباشا في العاصمة.....60
د- العلاقات الخارجية.....62
- علاقات صالح باي بباي تونس.....62
2- نشاطات صالح باي.....63
أ- نشاطاته السياسية والعسكرية.....63
أ-1-الداخلية.....63
أ-2-الخارجية.....68
- الحملة الإسبانية.....68
- الأزمة مع تونس.....69
ب- نشاطاته الاقتصادية.....72

ب-1- الجانب الفلاحي.....72
ب-2- الجانب الضريبي.....73
ب-3- الجانب الصناعي.....73
ب-4- الجانب التجاري.....74
ج- نشاطاته في المجال العمراني.....75
د- النشاطات الثقافية والدينية.....78
III- إدارة البايلك.....79
VI - نهاية حكم صالح باي.....80
1- أسباب مقتل صالح باي.....80
2- عزل صالح باي من منصبه.....81
3- ردة فعل الباشا من إغتيال إبراهيم بوصبع.....83
4- مقتل صالح باي.....84

الفصل الثالث : دراسة تاريخية عن العمائر.....86
I- المدارس.....87
1- نشأة المدارس وتطورها.....87
أ- تعريف المدرسة.....87
ب- ظهور المدارس.....88
ج- عوامل نشأة لمدارس.....88
1- نشأة المدارس وتطورها في بلاد المشرق الإسلامي.....88
2- نشأة المدارس وتطورها في بلاد المغرب الإسلامي.....91
أ- المدارس الحفصية.....92
ب- المدارس الزيانية.....92
ج- المدارس المرينية.....93
2- التعليم في الجزائر في العهد العثماني.....95
أ- التعليم في العاصمة.....97
ب- التعليم في تلمسان.....98
د- التعليم في قسنطينة.....98
ج- العلوم لمدرسة.....99

هـ- أهم المدارس في العهد العثماني.....100
1- المدرسة القشاشية بالعاصمة.....100
2- مدرسة الأندلس في العاصمة.....100
3- مدرسة شيخ البلاد بالعاصمة.....101
4- مدرسة الخنقة ببسكرة.....101
5- مدرسة مازونة.....101
و- الإنفاق على المؤسسات الثقافية.....102
II – الأضرحة.....103
1- تعريف الضريح.....103
2- ظهور الأضرحة.....103
3- الأضرحة في بلاد المشرق.....104
4- الأضرحة في بلاد المغرب.....105
5- الأضرحة في الجزائر.....105
III – مؤسسة صالح باي للأوقاف.....108
1- مفهوم الوقف.....108
2- شروط الوقف.....109
3- تاريخ الوقف.....110
أ- الوقف قبل الإسلام.....110
ب- الوقف بعد الإسلام.....111
4- الوقف في الجزائر.....112
5- الوقف في فترة صالح باي.....113
أ- موقف صالح باي من تردي وضع الأوقاف.....113
ب- وثيقة أوقاف صالح باي.....115
ج- أوقاف المؤسسات المدروسة.....116
ج-1- أوقاف مركب سيدي الكتاني.....116
1-أ- أوقاف الجامع الكتاني.....116
1-ب- أوقاف المدرسة الكتانية.....122
1-ج- أوقاف ضريح سيدي الكتاني.....122
ج-2- أوقاف جامع صالح باي بعنابة.....125

د – محتوى الأوقاف.....125
هـ- أهمية عقود الأوقاف في فترة صالح باي.....126
الباب الثاني : الدراسة الوصفية والمعمارية والتحليلية.....127
الفصل الأول : الدراسة الوصفية.....128
I- مركب سيدي الكتاني.....129
أ- جامع سيدي الكتاني.....129
1- الموقع.....129
2- أصل التسمية.....129
3- تاريخ التأسيس.....129
4- الوصف العام.....130
أ- الوصف الخارجي للجامع.....130
أ-1- الواجهات.....130
أ-2- المئذنة.....133
أ-3- التسقيف.....134
ب- الوصف الداخلي.....134
ب-1- الطابق الأرضي.....134
ب-2- الطابق الأول.....137
5 – أهم التجديدات.....149
ب- مدرسة سيدي الكتاني.....150
1- الموقع.....150
2- أصل التسمية.....150
3- تاريخ التأسيس.....150
4- نظام سير المدرسة.....151
5- الوصف العام.....153
أ-المخطط العام.....153
ب- المظهر الخارجي.....153
ب-1- الواجهات.....153
ب-2- كتلة المدخل.....154
ب-3- المداخل.....154

ب-4- السقيفة.....155
ج- المظهر الداخلي.....155
ج-1 الطابق الأرضي.....155
ج-2- الطابق الأول.....159
6- أهم التجديدات..... 160
ج- المقبرة العائلية.....162
1- الموقع.....162
2- تاريخ التأسيس.....162
3- الوصف.....162
4- أهم التجديدات.....164
II- مركب سيدي محمد الغراب.....165
1- الموقع.....165
2 - أصل التسمية.....165
3- تاريخ التأسيس.....165
4- الوصف العام للمركب.....167
أ- المسجد.....167
1- الموقع.....167
2- أصل التسمية.....167
3- تاريخ التأسيس.....167
4- الوصف.....167
4-أ-بيت الصلاة.....167
4-ب- الصحن.....168
4-ج- الميضأة.....168
ب- الضريح.....169
ج- المسكن.....170
د- الحمام.....171
5- أهم التجديدات في المركب.....172
III - مدرسة جامع سيدي لخضر.....173
1- الموقع.....173

2- أصل التسمية.....173
3- تاريخ التأسيس.....173
4- النظام التعليمي بالمدرسة.....174
5- الوصف.....174
5-أ- التخطيط المعماري للمدرسة.....174
5-ب- الواجهات.....174
5-ج-المدخل.....175
5-د-الأروقة.....175
5-هـ-الصحن.....175
5-ي- خلاوي الطلبة.....177
5-ر- المطبخ.....177
5-ز- بيت الوضوء.....178
6- أهم التجديدات بالمدرسة.....178
IV- دار بن جلول.....179
1- الموقع.....179
2- أصل التسمية.....179
3- تاريخ التأسيس.....179
4- الوصف.....179
4-أ- الواجهات.....179
4 -ب- الطابق لأرضي.....179
ب-1- المدخل.....179
ب-2- الصحن.....180
ب-3-الأوقة.....180
ج- الطابق الثاني.....181
5- أهم التجديدات.....182
V- جامع صالح باي بعنابة.....183
1- الموقع.....183
2- أصل التسمية.....183
3- تاريخ التأسيس.....183

4- وصف مخطط المسجد.....184
5- الوصف العام.....184
أ - الوصف الخارجي.....184
1- الواجهات.....184
1-1 الواجهة الغربية.....184
1-2 الواجه الشرقية.....184
1-3 الواجهة الشمالية.....185
1-4 الواجهة الجنوبية.....185
2- السطح.....186
3- المآذن.....186
ب - الوصف الداخلي.....187
1- الصحن.....187
2- بيت الصلاة.....188
3- المرافق 190
3-1- القاعة المستطيلة.....190
3-2- الغرف.....190
3-3- بيت الوضوء.....191
4- الرواق الطويل.....191
ج – أهم التجديدات.....192
الفصل الثاني :وسائل الدعم والعناصر المعمارية.....193
I- وسائل الدعم والرفع.....194
1- الأعمدة.....194
2- التيجان.....195
3- الدعامات.....198
4- السواند الحائطية.....199
5 - العقود.....200
II- عناصر التغطية.....202
1- القباب.....202
أ- القباب النصف كروية.....203

ب- القباب المخروطية.....204
ج- القباب المضلعة.....204
2- الأقبية.....205
3- التسقيف الخشبي.....205
4- الشرافات.....207
III- عناصر الاتصال والتهوية.....208
1- المداخل.....208
أ- الأبواب.....208
ب- أطر الأبواب.....210
2- الصحون.....210
أ – النافورة.....211
ب- الأروقة.....211
ج- السلالم.....212
د- الدرابزينات.....212
3- النوافذ.....213
4- المشربيات.....214
5- الكوة.....214
IV-الوحدات المعمارية.....215
1- المآذن.....215
أ- المآذن الأولى في العالم الإسلامي.....215
ب- الأقسام المعمارية للمئذنة.....217
ب-1- القاعدة.....217
ب-2- البدن.....217
ب-3- الشرفة.....218
ب-4- الجوسق.....219
ب-5- القبيبة.....219
ب-6- السلم.....219
2- بيوت الوضوء.....220
أ- الحوض.....220

ب- المراحيض.....221
3- المحراب.....222
4- المنبر.....225
5- دكة المبلغ.....228

الفصل الثالث– دراسة المخططات المعمارية لمنشآت صالح باي.....230
I- المساجد.....231
1- تطور تخطيط المسجد.....231
أ- في المشرق الإسلامي.....231
ب- في بلاد المغرب الإسلامي.....233
ج- في الفترة العثمانية.....233
د- تخطيط المساجد في الجزائر العثمانية.....235
2- تخطيط مساجد صالح باي.....235
II-المدارس.....237
1- المخطط العام للمدارس المدروسة.....237
2- الدراسة التحليلية للمخططات.....237
أ- قاعات الدرس.....237
ب- الأروقة.....237
ج- المداخل.....238
د- الصحن.....238
3- تخطيط المدارس الإسلامية.....239
أ- التخطيط العام للمدارس في المشرق الإسلامي.....239
ب- التخطيط العام للمدارس في المغرب الإسلامي.....240
ج- تخطيط المدارس العثمانية.....241
4-العناصر المشتركة لأنظمة تخطيط المدارس.....242
5- العناصر غير المشتركة في تخطيط المدارس.....242
III- المساكن.....243
1- التخطيط العام للمسكن القسنطيني في الفترة العثمانية 243
2- أصل تخطيط المسكن الإسلامي.....245

3- تطور تخطيط المسكن الإسلامي.....245
4- ظهور المساكن في بلاد المغرب وتطورها.....246
IV- الأضرحة.....248
V- الزوايا.....251
VI- العناصر الزخرفية.....252
1- الجص.....252
2- الرخام.....252
3- الخزف.....252
4- الخشب.....252
5-المعادن.....253
الباب الثالث : الجانب التحليلي 254
الفصل الأول : المواضيع الزخرفية.....255
I- الزخارف النباتية.....257
1- التوريق ارقش العربي).....261
1- الأزهار.....262
أ- زهرة اللالة Tulipe.....262
ب- زهرة القرنفل Oeillet.....263
ج- زهرة الورد La Rose.....264
د- الأزهار المفصصة.....264
2- الأوراق.....264
أ- ورقة الأكانتس.....264
ب-أنصاف المراوح النخيلية.....265
3- السيقان.....266
4- الثمار.....266
5- الأشجار.....267
II- الزخارف الهندسية.....268
1- الخط.....270
أ- الخط المستقيم.....270
ب- الخط الحلزوني.....270

ج- الخط المتموج.....271
د- الخط المقوس.....271
هـ- الخط المنكسر.....271
2- الأشكال المساحية.....271
أ- المربعات 271
ب- المستطيلات.....272
ج- المثلثات.....272
د- الدوائر.....272
هـ- المعينات.....273
3- الأشكال المضلعة.....273
أ- الأطباق النجمية.....273
III - الزخارف الكتابية.....275
1- أنواع الخطوط الواردة في المدرسة.....276
1 - الخط النسخي.....276
2- خط الثلث.....277
3- الخط المغربي.....278
2- النصوص الكتابية.....279
أ- كتابات مركب سيدي محمد الغراب.....279
ب- كتابات جامع صالح باي بعنابة.....282
IV- الزخارف الحيوانية.....288
V - الزخارف الرمزية.....289
1- القلب.....289
2- الهلال.....289
3- النجمة.....356
4- قرون الرخاء.....290
VI– الألوان.....291
VII- شواهد القبور.....293
الفصل الثاني : مواد البناء وطرق الزخرفة.....297
I- مواد البناء وتقنيات استعمالها.....298

1- الآجر.....298
2- القرميد.....300
3- الجص.....302
4- الرخام.....305
5- الحجارة.....307
6- الملاط.....309
7- الخزف.....311
8- المعادن.....313
أ- النحاس.....313
ب- البرونز.....313
ج- الحديد.....314
د- الزجاج.....316
9- الخشب.....317
II- أساليب الزخرفة وتقنياتها.....321
1- تقنية الحفر أو النحت.....321
أ- الحفر البارز.....321
ب- الحفر والنقش الغائر.....322
2- زخرفة مواد البناء.....322
أ- الجص.....322
ب- الرخام.....324
ج- تقنيات الزخرفة على الخشب.....325
ج-1- الحفر على الخشب.....325
ج-2- طريقة التجميع والتعشيق.....326
د- البلاطات الخزفية.....327
هـ- التحف المعدنية.....329
3- الطلاءات التلوينية (الزخارف القالبية).....329
أ- طلاء الزليج.....330
ب- تلوين الزجاج.....330
ج- طلاء الجدران بالجير.....330

د- طريقة تلوين الخشب.....331
خاتمة 332
الملاحق 337
الفهارس.....436
قائمة المصادر والمراجع.....443
الفهرس العام..... 462